

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَوْجِدَةٌ
الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى
بِأَمْرِهِمْ: مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ الْخَاتِمُ



العَدُّ التَّارِيحِي فِي

عِلْمِ الرُّضَاهِ وَالْمَهْدِي

أَخِرًا وَأَوْصِيَاءَ

الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

عَسَى أَنْ تَبْرِيحَاتِ





المعتمد التنازلي في
علم الخيام المهدوي
أخيراً وصياً
السيد المصطفى

تبريزيان، عباس ۱۳۴۳
العَدُّ التَّنَازِلِي فِي عَلَامِ ظَهْوَرِ الْمَهْدِيِّ عليه السلام اٰخِرِ اَوْصِيَاءِ الرَّسُولِ الْمُصْطَفِيِّ عليه السلام
عباس تبريزيان، تهران: زُرف ۱۴۲۵ ق. = ۲۰۰۴ م. = ۱۳۸۳ -
ص. ۶۰۱
ج ۲۰ (موسوعة الرسول المصطفى عليه السلام)

ISBN- 964-6536-87-5

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیبا.

Abbas Tabrizian

Count down of the signs of appearance of Mahdi (A.S)

“ The final successors of Prophet Mohammad “

عربی
کتابنامه: ص (۵۶۹) - ۵۸۷ ؛ همچنین به صورت زیر نویس.
چاپ اول
۱. فتن و ملاحم. ۲. مهدویت -- انتظار. ۳. محمد بن حسن (عج). امام
دوازدهم. ۳۵۵ ق. الف. عنوان.
۲۹۷/۴۶۲ BP ۲۲۴/۵/۲۴۴
م ۸۲-۳۷۴۴۷ کتابخانه ملی ایران

العَدُّ التَّنَازِلِي فِي عَلَامِ ظَهْوَرِ الْمَهْدِيِّ عليه السلام اٰخِرِ اَوْصِيَاءِ الرَّسُولِ الْمُصْطَفِيِّ عليه السلام

عباس تبريزيان

چاپ اول ۱۳۸۳

تیراژ: ۱۰۰۰ نسخه

چاپ و صحافی: سید الشهداء عليه السلام

شابک ۹۶۴-۶۵۳۶-۸۷-۵

قیمت: ۳۳۰۰ تومان

www.nikapub.com

نشر زُرف- تهران- خیابان فخر رازی- شماره ۱۱۱- تلفن: ۶۴۰۱۷۲۷

مقدمة
الرسول المصطفى (ص)
باصتمام: محسن أحمد الخاتمي

العُدُ التنازلي في

علائق ظهور المهدي عليه السلام

آخر أوصياء

الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله

عكباس تبريزيان



(٢٠)

العنوان البريدي في لبنان:
بيروت- الغبيري ص.ب. ٢٥/١٣٨

العنوان البريدي في إيران:
مشهد - ص.ب. ٩١٣٧٥/٤٤٣٦

الفاكس: ٢٢٢٢٤٨٣ (٠٠٩٨.٥١١)

البريد الإلكتروني: email
almawsouah@hotmail.com
almawsouah@yahoo.com

الموقع في الإنترنت:
www.almawsouah.org

مركز التوزيع والنشر في لبنان:
دار الأثر - بيروت- بئر العبد- شارع دكاش- بناية شحرور. هاتف: ٢٧٠٥٧٤ (٠٠٩٦١-١)
٣٤٩٢٣٧ (٠٠٩٦١-٣)

مركز التوزيع والنشر في إيران:
١- انتشارات ژرف - تهران - خیابان انقلاب- خیابان فخر رازی - شماره ١١١
هاتف: ٦٤٠١٧٢٧ (٠٠٩٨-٢١) - ص.ب: ١٣٤٤٥-٥٣٣
٢- دار الأنصار- قم- خیابان انقلاب- چهارراه سجادیه- کوچه سفیدآب- شماره ١٦
هاتف: ٧٧٥١١٢٠ (٠٠٩٨-٢٥١) - ص.ب: ٣٧١٥٥/١٤٤

© كافة الحقوق محفوظة و مسجلة للنشر
الطبعة الأولى: ١٤٢٥ - ٢٠٠٤
الطبعة الثانية: ١٤٢٥ - ٢٠٠٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ
بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ
الأحزاب ٤٥ - ٤٦

كلمة الموسوعة

لكل حدث في هذا العالم إرهاصات تقع قبل حصول الحدث تمهّد له أرضية صالحة لتكوّنه المناسب يراعى فيها وجود مجموعة من المصالح ودفع مجموعة من مختلف الموانع، ليصبح الحدث ناضجاً يلائم ما حوله من أحداث.

هذا ما نفهمه من الإرهاصات لكل حدث في هذا العالم وهكذا أراد الله للكون ولأحداثه أن تكون، فحتى الشجيرات الصغيرة لا تبرز إلا بعد عشرات الارهاصات التي تسبق ذلك البزوغ.. هكذا شاءت إرادة الله ومشيته لكل قضايا الكون، فعالم الإمكان بأسره محكوم بقانون الأسباب والمسببات.

هذا عندما ننظر إلى العالم في قضاياها التكوينية وعندما نقرأ أحداث العالم الإجتماعية وما يرتبط بها، نراها أيضاً لا تشدّ عن هذا القانون العام للكون، فظهور الأنبياء وبعثة الرسل والتحوّلات الإجتماعية وبروز الحضارات أو سقوطها وانهارها، تسبقها إرهاصات مهمة لهذه التحوّلات ولتلك الانهيارات.

والباحث في علم الاجتماع يستطيع من خلال مطالعة تلك التحوّلات في التاريخ أن يصل إلى قوانين تحكم المجتمعات وتقلباتها ليضع بذلك أسساً يمكن الاعتماد الجزئي عليها في هذا الحقل من المعرفة من حقول العلوم الانسانية، وعندما نقول الاعتماد الجزئي فإنما نعني بهذه الكلمة أن هذه القوانين المستقاة من بحوث علم الاجتماع لم تصل إلى حد النظريات

الثابتة الحاكمة.

وقضية ظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) تمثل في واقعها: التحول النوعي العام في مسيرة البشرية من حيث بسط العدل على كل أرجاء العالم وإقامة دين الله ودحر الظلمين والمتسلطين على رقاب البشر.. هذا التحول الكوني الذي يرافقه تطور في حقول العلم والمعرفة وتكامل عقول الناس من جهة، وسخاء الكنوز الطبيعية من السماء والأرض والبحر بما عندها من منخرات من جهة أخرى، وإحكام الأمن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من جهة ثالثة، إضافة على نبذ كل أنواع التخلف والفقر والتمييز وكبت الحريات.. كل هذا يعني أن الإسلام بكل ما يحمل من مقومات الإنقاذ سيطبّق في كل أرجاء المعمورة ولأول مرة في تاريخ العالم.

أقول: إن هذا الحدث الذي لا يضاهيه أي حدث من حيث الأهمية والعظمة في طول مسيرة التاريخ البشري لا بد أنه سيتحقق بعد حدوث إرهابات عالمية تمهد لهذه الواقعة العالمية الكبرى.

السؤال الذي يجيب عليه هذا الكتاب هو ما هي هذه الإرهابات التي نسميها في اصطلاح كتب الحديث بالعلائم؟

لقد كتب الكثيرون في هذا الصند إلا أن ميزة هذا الكتاب أن أخي الفاضل عباس تبريزيان قد استعرض هذه الإرهابات والعلائم بشكل استيعابي أولاً ثم جردها وجدولها في قوائم منفصلة ثانياً وقد قام ولأول مرة في تاريخ طرح هذا البحث بمناقشة أسناد هذه الروايات والأحاديث وتقييمها من حيث السند والدلالة ثم الجمع بين مختلفاتها والخروج بنتائج علمية تواكب مسيرة التقييم والاستدلال في الكتب الفقهية، وهذا العمل وإن كان شاقاً لأنه لم يسبقه إليه أحد من العلماء من قبله إلا أنه مفيد ومتجلّد حيث يحفّز رواد مثل هذه الحقول من العلوم إلى بلورتها وتطويرها كما عملوا على ذلك في حقول الفقه والأصول وما أشبه ذلك.

ولا يفوتني هنا أن أذكر بأهمية التمهيد الذي تصدّر هذا الكتاب
ففيه فوائد جمة لا يستغني عنها المتطلعون لمعرفة علائم الظهور.

ويجدر بي هنا أن أشير إلى أن مناقشة أسانيد هذه الروايات التي تتحدّث
عن علائم ظهور المهدي عليه السلام وإن كانت علمية بحتة وربما أخذت بنا إلى مرحلة
التردد في مصداقية البعض منها إلا أن المحصلة النهائية من كل هذا الزخم
المتضامر من الروايات تجرّنا إلى أن مجمل هذه الأحداث المهمة والخطيرة لا شك
أنها ستقع كإرهاصات لهذا الظهور المبارك.

وفي الختام أود أن أشير إلى أن بعض هذه العلائم هي بمثابة إعلانات
لحالات الطوارئ كما نسمّيها اليوم حيث يتدخل السماء ليعلن أنّ عهداً جديداً
سيطلُّ على هذا الكون، وذلك مثل علامة الخسوف في اليباء وطلوع الشمس
من مغربها والوجه الذي يتكلّم مما يشابه سقوط أيوان كسرى وغور بحيرة
ساوة قبل بعثة الرسول المصطفى محمد عليه السلام والبعض الآخر من تلك العلائم
والإرهاصات هي بمثابة تحولات إجتماعية وسياسية تطال المجتمع البشري
وخاصةً في الشرق الأوسط وبالذات في منطقة ما بين النهرين عاصمة حكومة
الإمام المهدي عليه السلام كخروج السفيناني والحسني واليماني وما أشبه، والبعض
الأخر من هذه العلائم هي قوانين سوسولوجية تسبق هذا الحدث العالمي
الكبير كامتلاء العالم بالظلم والجور ليعقبها القسط والعدل العالميّان.

ومن الطبيعي إن كل واحدٍ من هذه الأنواع الثلاثة لها تأثيرها النفسي
والاجتماعي والسياسي على المجتمع البشري قبل ظهور الإمام المنتقد عليه السلام
وتجعل بصماتها التمهيدية لهذا الظهور المبارك، ولا شك أن الجدوى من هذه
البحوث إضافة على جانبها التراثي والغيبي والعلمي فإنها تنطوي على
مفردات عقائدية وتربوية تحتاج كل واحدة منها إلى بحث ونقاش نستطردّها في
هذه الكلمات اليتيمة إيكالاً منا إلى مجال أوسع لطرحتها بشكل تفصيلي:

الانتظار - الاستعداد - التهيؤ - الشوق - الحبّ - الثبات - السّداد -

١٠ العد التنازلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

إتمام الحجّة - اللطف - الدلالة - القيادة - الانشداد - التلهف - الاعداد -
الترقب - التشخيص - البشارة - الإباء - المعرفة - السعي - البصيرة -
التحمل - التصميم - الإرادة - الانقاذ - التشوف - الجلّد - الصلابة -
الصمود - التوطئة - التغيير - العبرة - الموعظة - الإصلاح - التكامل -
البركة - التوسل - التوجه - الاستشفاع - الحسم - الانتصار - المدد -
الذخيرة - الرغبة - الاستقبال - النصر - التعبئة - التجلي - الترابط -
التمييز - التمحيص - الغرلة - الامتحان - الصقل - التمهيد - التنفيذ -
التصنيّ - المقاومة - الصبر - التحلّي - الحضور - الغرام - الهيام - الإيمان -
اليقين، وأمثالها من مفردات أساليب التزكية والتربية والتعليم الديني
السماوي.

أسأل الله لنا وللمؤلف القدير ولجميع المؤمنين المشتاقين لظهوره عليه السلام،
التوفيق للتحلّي بهذه الصفات النبيلة للإستفادة القصوى من عملية
الانتظار الصعبة في دنيانا وآخرتنا بفضل الله ومنه أنه سميع مجيب.

محسن أحمد الخاتمي

١ / محرم الحرام / ١٤٢٥ هـ

٢٢ / فبراير / ٢٠٠٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نعيش هذه الأيام والساعات ونحن نتشوّف إلى المستقبل أكثر من الحاضر، متطلّعين إلى قادم في الأفق ننتظر قدومه وحلول أيامه أكثر مما مضى، ليستمر هذا الشوق ويتزايد بتقدم الأيام حتى يبلغ الحال التي تشبه حال الكهان والرهبان الذين عاشوا الفترة التي سبقت ظهور النبي العربي عندما تحققت بعض علاماته ودلائله كبرقة لمعت وشهب سطعت فامتألت السماء بالحرس، تخاير بذلك الكهان فصاروا في حالة اضطراب وهيجان شديدين^(١) يتطلعون إلى كل حركة ويتفحصون عن كل مضممر وهم يتوسمون الوجوه ويتعرفون الآثار^(٢)؛ خصوصاً

(١) كتب سطيح الكاهن إلى زرقاء اليمامة كتاباً جاء فيه: وقد رأيت برقة لمعت وكوكباً سطعت وإني أظن أن ذلك من علاماته ولا شك أنه قرب أوأناه... فلما جاءها الرسول قالت: يظهر من عبد مناف محمد النبي بلا خلاف ثم كتبت إليه: أما نزول الكواكب فكانك بآيات الهاشمي قد قربت فإذا قرأت كتابي بلغر إلى المسير لنتقي بمكة، فإني راحلة إليها لأعرف هذا الأمر. انظر البحار ١٥: ٣٠٤.

(٢) لما خرج رسول الله ﷺ مع عمه للتجارة إلى الشام: يقول أبوطالب: فلما قربنا من بصرى إذا نحن بصومعة فيها راهب وكانت السحابة لا تفارق رسول الله ﷺ ساعة واحدة وكان الراهب لا يكلم الناس ولا يدري ما الركب وما فيه من التجار، فلما نظر إلى النبي ﷺ عرفه، فسمعتة يقول: إذا كان أحد فأنت أنت. انظر الخرائج والجرائح ٣: ١٠٨٤ ح ١٧، ومناقب آل أبي طالب ١: ٣٦.

وجوه القادمين من الحجاز لمعرفة ذلك النبي المنتظر بالعلامات التي وصلت إليهم من الأنبياء السابقين ومن التابعين الذين يسترقون السمع من السماء ليُطلعوا عليه أصحابهم من الإنس، وما بلغ علمه المنجمون بالحساب، كلٌ بحسب ما يهدف إليه ويتوخله من إلحاحه على معرفة ذلك الحدث وحدود إبانته.

غير أن هناك تفاوتاً بين الحاليين من حيث اختصاص ذلك بالرهبان والكهان ومن اتصل بهم، وما سيكون عند اقتراب زمان المنتظر أكثر شمولاً وسعة؛ لأنه يشغل قاعدة عريضة تشمل جل الشيعة الإمامية، بل كثيراً من المسلمين، بل مقداراً يُعتنى به من سكان الأرض وأصحاب الديانات الأخرى، وإن كان المنتظر أو اسمه قد يختلف ويتفاوت من دين إلى آخر، ومن مذهب إلى مذهب آخر.

ساعة القائم:

نقف على أعتاب الساعة الثانية ننتظر دقائقها، بعدما كان الناس قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله على أعتاب الساعة الأولى، التي تحققت عندما جاء الرسول صلى الله عليه وآله وقال: «أنا الساعة الموعدة»^(١).

تلك الساعة التي وُعد بها العرب وأنذر بها اليهود وبُشر بها الرهبان، فأخذها كل نسل عن سابقه حتى يبلغ الأنبياء عيسى وموسى وإبراهيم عليهم السلام.

والساعة هي عبارة عن توقيت لحدث مصيري هام، أو منعطف في حياة البشرية، وحصول تغيير ملحوظ.

فكانت بعثة الرسول صلى الله عليه وآله كذلك، لأنها كانت التوقيت لنهاية الشرك

(١) مجمع الزوائد ١٠: ٢٢٧، كنز العمال ١٦: ١٨ ح ٤٣٧٥٠. بحثنا عنه في كتاب

أسماء الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله في حرف السين.

الوثني وهدم كيانه بل استئصاله وانتهائه فلم يبق منه شيء يذكر .

وهي التوقيت لنهاية الجهل المطبق على العالم والجاهلية القابعة على ربوع الجزيرة العربية، فكانت ساعة العرب أولاً؛ لأن فيها نهايتهم بما هم مشركون، وهي مصيرهم كعبدة أوثان، وحتف جاهليتهم العمياء، هذه هي الساعة الأولى.

وهناك ساعتان أخريان، إحداهما موعود بها جميع البشر وجميع الأنظمة والحكومات في العالم، والأخرى موعود بها الأرض وما عليها بل الكواكب والنجوم.

وتظل الساعة الثانية التي وعد بها البشر قائمة إلى ظهور المهدي المنتظر عليه السلام الذي يجيء لينهي جميع الديانات وجميع الحكومات ويمحو أثر الظلم والظالمين، ليكون الدين واحداً والنظام واحداً يعني العولة بمعناها الأقصى، فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ سئل عنها أبو جعفر عليه السلام فقال: «هي ساعة القائم تأتيهم بغتة»^(١)، ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ قال أبو عبد الله عليه السلام: «هو خروج القائم عليه السلام، وهو الساعة، ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ ذلك اليوم وما نزل بهم من الله على يدي قائمه قوله: ﴿مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا﴾ يعني عند القائم ﴿وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾»^(٢)، والروايات بهذا المعنى كثيرة تأتي الإشارة إلى بعضها.

وسيعقب ساعة القائم عليه السلام ساعة ثالثة هي ساعة الأرض وفنائها، بل ساعة المنظومة الشمسية بأسرها، يكون حلولها إذا الشمس كورت وإذا النجوم

(١) تأويل الآيات ٢: ٥٧١. والآية ٦٦ من سورة الزخرف.

(٢) الكافي ١: ٤٣١ ح ٩٠. والآية ٧٥ من سورة مريم.

انكدرت وإذا الجبال سيرت ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةِ أَذًى وَأَمْرٌ﴾^(١).

الساعة والعلانم:

ما الساعة إلا اصطلاح خاص يعني حدوث أمر لا يعلم وقته إلا الله سبحانه وتعالى من الأمور التي اقتضت الحكمة الإلهية بقاءها في طي الكتمان بحيث لا يمكن التحدس والتخرص فيها، وكل من أخبر فهو مفتر، وكل من وقت فهو كاذب، بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله القائل: «كذب الوقيتون».

وعندما جاء أبو بصير يسأل أبا عبد الله عليه السلام وقال: جعلت فداك متى خروج القائم عليه السلام؟ فقل: «يا أبا محمد إنا أهل بيت لا نوقت وقد قل محمد صلى الله عليه وآله: كذب الوقيتون، يا أبا محمد إن قدام هذا الأمر خمس علامات»^(٢).

ويؤكد هذا المعنى ويدعمه رواية المفضل يقول: سألت سيدي الصالح عليه السلام هل للمأمور المنتظر المهدي من وقت موقت يعلمه الناس؟ فقال: «حاش لله أن يوقت بوقت يعلمه شيعتنا» قلت: يا سيدي ولم ذاك؟ قال: «لأنه هو الساعة التي قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية وقال: ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ولم يقل إنها عند أحد، وقال: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾^(٣)، ولعل حصر الجهل بشيعتهم عليهم السلام يوحي إلى علمهم بها.

(١) القمر: ٤٦.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٨٩ ح ٦.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: ١٧٩، بحار الأنوار ٥٣: ١، والآيات بالترتيب: آية

١٨٦ من سورة الأعراف، وآية ٣٤ من سورة لقمان، وآية ١٨ من سورة محمد.

وفي مقابل التأكيد على مجهولية الساعة هناك تأكيدات أشد على علامات الظهور وتفصيلها للتعويض عن الجهل بالساعة، ولوجود فوائد جمة تكمن في معرفة العلائم البعيدة التي يؤدي حصولها التدريجي إلى شد الناس بقضية الإمام المهدي عليه السلام على مر الزمان، والتي تكون منها متاخمة لظهوره عليه السلام، ينفع العلم بها في حصول التهيؤ النفسي لاستقبال حركة الإمام المهدي عليه السلام إذا تحققت بإخبارات صدقت وتحققت، على أن لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل.

وقد كان أرباب الساعة الأولى من الكهان والرهبان عارفين بعلاماتها حافظين لصفاته عليه السلام بحيث صاروا يعرفون إبانة عندما لاحظوا العلامات وتحققوا مجريات الأحداث فكانت معرفة ذلك أكبر امتياز لهم أكسبهم جاذبة تجذب كل من سمع بالساعة وأحاط بها خبراً، أو حتى من سمع من نفس الكهان فصار يطلب المزيد ويتعرف التفاصيل فالتفت الناس حولهم يصغون إلى ما يقولون، ويلتقطون كل كلمة صدرت من أفواههم، فأكرمهم غاية الإكرام.

ثم كانت الاستفادة العظمى لعامة الناس الذين تهيأت أنفسهم بذلك التنبؤ لاستقبال الدعوة ومناصرتها.

وبذلك السبب صارت المدن الأكثر احتكاكاً بالرهبان والأخبار والكهان أكثر استقبالاً للرسول عليه السلام كالمدينة المنورة.

فالتدبير الحكيم المهد لبعثة النبي عليه السلام له زوايا مختلفة وجوانب متفاوتة لعل أهمها هو التبشير به والتنبؤ ببعثته قبل ولادته وقبل بعثته، حتى إذا تحققت تلك البعثة وجاء الرسول عليه السلام، مع سبق التنبؤ بمجيئه لا يبقى أدنى شك في صدق تلك الدعوة، ويدعن الناس بأنها سماوية مدبر لها من السابق، وموعود بها البشر.

بينما تأتي النتائج معاكسة إذا حدثت مفاجئة من دون تمهيد وأي إخبار سابق فإنها والحال هذه تواجه أبرد الردود وأعتف الاستهزاءات وما

وجدت تلك الدعوة أنصارها ولا شقت طريقها الهادر.

وعندها نعلم الوجه في التأكيد على انتظار الساعة الثانية وهي ساعة ظهور الإمام المهدي عليه السلام وإذاعة ذلك الحدث من يوم بعثة الرسول صلى الله عليه وآله والتنبؤ بما يسبقه من العلائم وما يجري بعد تحققه كل ذلك من أجل نفي الريب والشك عند تحققه وكذا تهيئة النفوس لاستقباله ونصرته بالإضافة إلى جوانب أخرى نعرض لها بالتدرج ويتحقق جانب منه بإلقاء نظرة على علامات الظهور وما يحدث في عصر الظهور.

الحاجة إلى التلقيح في العلانم

تعود هذه الحاجة إلى نفس أخبار العلانم ورواياتها التي وصلت إلينا وكيفية وصولها وصدورها، وأسباب تكاثرها وتزايدها.

فأول سمة للروايات الواردة في علامات الظهور هي كثرتها ووفرتها في كتب الفرق الإسلامية المختلفة، الأمر الذي حدا بي للبحث حولها والكتابة في هذا الموضوع، وذلك للقاعدة التي أعتقد بها واعتمد عليها وهي لزوم الاهتمام بما أعطه النبي والأئمة عليهم السلام القسم الأكبر من الأهمية وجعلت به الأخبار الكثيرة كموضوع الطب وعلانم الظهور.

والسمة الثانية هي تشعب مطالبها واختلاف مصادرها وتخالف نصوصها وصدورها في أوقات مختلفة وطوائٍ تطراً على الساحة الإسلامية تُلقت أنظار الناس إلى طلب المنقذ وتحري المخلص وحتى مجرد التشوِّف إلى نهاية حالة محزنة أو ظروف عصيبة دون أصل القضية المهدوية، فيلحظ من الأخبار ذاك الجانب فقط كنهاية حكومة بعض الجبارين أو وضع نهاية للحالة المأساوية فيقع التركيز عليه.

والأدهى من ذلك هو التسرع في تطبيق الروايات على الأحداث الطارئة، الأمر الذي طال حتى العلماء ونقل الحديث من دون الالتفات إلى مقارناتها ولوازمها وحقيقة صفاتها مما يؤثر على نقل تلك الأحاديث واضطرابها، فما أن قام حسني إلا وقالوا هو الحسيني المذكور في الأخبار، وما أن حصل اضطراب في الشام حتى قالوا هذه هي حركة السفيناني، وما أن ملك اليمن أحد إلا وحصل التخرص بأنه اليماني المنعوت في الأخبار، من دون الالتفات إلى أن اليماني أو السفيناني له صفات كثيرة وعلانم ومقارنات هي الأخرى محتومة، وعندها يكون من الموهمات جداً الكلام عن الحسيني أو السفيناني مع إهمال سائر صفاته ومقارناته، وما التركيز على كلمة اليماني دون سائر الكلمات والعلانم المزامنة إلا وهو

سوق القضية نحو الإجمال وتضييع الحقائق وتحريف الواقع من دون قصد.

ولست بصدد ترتيب أثر شرعي على تلك النظرة غير الشاملة للعلامم ولا تنقيصه لاحتمال دخولها في التفاؤل الحسن أو انتظار الفرج الذي هو أفضل العبادة ولكن أريد القول بأن ذلك وأمثاله يعقد الطريق على من يريد الوصول إلى الحقيقة ويتعب الباحث والمحقق.

فلا ينفع حينئذ في هذا الحال سوى الأخبار التي ينقلها نقلة الحديث الذين لا يكثرثون بمعانيه ولا يعينهم سوى الدقة في النقل من دون التفات إلى تضمن الخبر لما يجبون تحققه ويتفاءلون بوقوعه أو ما يكرهون تحققه في حال من الأحوال ولا يرتضون نتائج على الإطلاق، ممن نسيمهم الثقات وليس كل ثقة بل الثقة الثبت، وكذا تنفعنا رواية الراوي العالم بعدم دركه لتلك العلامم التي ينقلها ولا يصل زمانه إليها، فلا يجد معه الداعي للتركيز على جانب منها دون جانب آخر ولا يدعوه الشوق إلى إهمال القرائن والشواهد الذي يؤدي إلى الإخلال في النقل والفهم تفألاً بدرك ظهوره عليه السلام.

ومن أجل ذلك وأمثاله نجد أن الإمام يقول للراوي بعد ذكر العلامم: «ما أراك تدرك ذلك» أو يخبرهم بطول المدة وتمام الأيام وكثرة الأحداث السابقة على الظهور أكثر من التأميل والتقريب كما سيأتي، فليس معنى هذا الكلام عندي سوى قول الإمام له: انقل كما أقول ولا تركز على جانب دون جانب ولا تغفل عن الخصائص والقرائن لأنه لا ينفعك جانب منها وحده لتركز عليه وتترك الباقي فيحصل الاختلال في نقل الأخبار، مما يحكي عن رغبة الإمام في وصول الحقائق كما هي عليه، وأن المهم عنده هو تعرف أهل زمان الظهور على حقيقة العلامم بل الحقيقي منها.

ومع ذلك الوصف فقد جاء في أخبار الإمام المهدي عليه السلام والروايات المنقولة والمدونة في هذا المجال ما يوحي إلى قرب وقوع الحوادث، حتى أن

كل مطلع عليها يخال أنه في عصر الظهور وعند اقتراب الساعة بل مشارفتها حتى صار يقول من عاش في زمان الإمام الرضا عليه السلام مثلاً بعد ما يذكر بعض مصائب أهل البيت عليهم السلام:

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد لأذهب نفسي إثرهم حسراتي
 ظهور إمام لا محالة دونه يسير على اسم الله والبركات

وهو يحمل من المعاني الكثيرة الحاكية عن مدى إحساس الشيعة وتعاطفهم مع هذه القضية وحتى أنحاء تفكرهم فيها وعلل ذلك وأسبابه، حيث استطاع الشاعر بما يملكه من إحساس مرهف، التعبير عنها بكل وضوح عندما يحكي شدة تألمه على كل ما وقع من الظلم والظيم الذي أصاب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم بحيث لا يحتمل معه العيش، ويفقد الصلابة والصمود أمام تلك العواصف حتى ييأس معها من الحياة، ويسلم للأمر اليقين لولا ما يرجوه من ظهور القائم المنقذ الذي يقيم العدل ويسير على اسم الله سبحانه وتعالى مباركاً منصوراً.

فهو يحكي فائدة عظيمة لحقيقة انتظار المنقذ المأمول، تلك الحقيقة التي تعمل في هذه الأحوال وكأنها ماء الحياة والإكسير الأعظم الذي ينجي من الموت المحتتم، ويكون على الدوام بارقة أمل ترنو إليها أبصار القلوب، فتظل ساعية دائبة في مسيرها الأفضل، وتشق دروبها في معترك الحياة بحرارة وأمل.

وتظل هذه القضية حامية ذات حرارة ولهب منشؤه الأول الرغبة الفردية والجماعية في تحقق حكومة العدل التمثلية بحاكم سماوي قوي الساعد، والتخلص من الظلم المعمول من يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وآله بتوالي الحكام الظالمين من بني أمية والعباس وغيرهم.

على أن لا يخلو استمداد تلك الحالة وبقاء تلك الحرارة من التدبير الإلهي المتمثل بالإخبار عما ستتلقى به حكومة العدل من الصفات التي يرغب

بها كل إنسان من رفع الظلم وحلول البركة واتساع أحوال الناس وغناهم المادي والمعنوي فيجعلهم يتفألون بظهوره عند حدوث كل حادث وطروء كل تغيير.

بالإضافة إلى صدور أخبار العلائم كلية بحيث يفهم الناظر فيها لأول وهلة - وبناءً على رغبته - قرب وقوع تلك الحوادث التي تتضمنها وإمكان حدوثها في كل حين.

فانظر إلى هذه المحاور التي رواها الحميري بسند معتبر عن ابن عيسى عن ابن أسباط قال قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك إن ثعلبة بن ميمون حدثني عن علي بن المغيرة عن زيد العمي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: يقوم قائمنا لموافاة الناس سنة، قال: «يقوم القائم بلا سفياني؟! إن أمر القائم حتم من الله، وأمر السفياني حتم من الله، ولا يكون قائم بلا سفياني».

فهذا المقطع من المحاور يدل على مدى رغبة الناس في تعجيل الفرج حتى أنهم تأولوا كلام الإمام علي بن الحسين عليه السلام بما معناه أن القائم سيظهر بعد سنة، فأجابهم الإمام عليه السلام أنتم تعلمون من أخبار النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أن القائم لا يقوم إلا بعد قيام السفياني فكيف أغفلكم حب تعجيل الفرج عن هذا الأمر الواضح.

ويؤيد هذا المعنى إلحاح السائل بعد ذلك وتعجبه فيقول: قلت: جعلت فداك، فيكون في هذه السنة؟ قال: «ما شاء الله» قلت: يكون في التي يليها؟ قال: «يفعل الله ما يشاء»^(١)

تجد أن السائل بعدما اطلع على عدم ظهور القائم قبل خروج السفياني يسأل عن ظهور القائم في هذه السنة أو التي يليها قاطعاً النظر عن السفياني بتأناً مع علمه به وبمجة حكمه، وقد يكون عالماً بجميع العلائم، فليس هذا

(١) قرب الإسناد: ٣٧٤ ح ١٣٢٩، بحار الأنوار ٥٢: ١٨٢ ح ٥.

إلا للرجبة الشديدة والتعجل الأشد.

بيد أننا نسأل وقد مضى على هذه المحاوره أكثر من ألف ومائتي عام ولما يظهر القائم كيف يقول الإمام «ما شاء الله» عندما يسأله الراوي عن ظهور القائم في تلك السنة، ولم يقل له سيظهر بعد أكثر من ألف ومائتي عام فيدعه يرتقب ظهوره في تلك السنة أو السنة التي تليها؟

ولو صح هذا الخبر فهو يعني أن الحكمة تكمن في نفس بقاء هذا الترقب واستمرار حرارته في القلوب لكي لا يبرد ولا ينسى فيحصل اليأس.

فماذا ترى لو قال له: إن الإمام المهدي سيظهر بعد ألفي عام، ما الذي سيحدث؟ لا شك أنه سينقطع ذكر المهدي عليه السلام وتضمحل كل الآثار والمنافع المتوخاة من ترقب ظهوره والاستعدادات التي تأتي الإشارة إليها.

بينما يظل حاله حال الأجل الذي لا يعلمه الإنسان يجعله يحترس في كل حين من أن يعمل ما يخزيه في الآخرة اعتماداً على ما بقي من حياته ولا يدعه يفكر أنه سيتوب في آخر الأمر بعدما يتنعم ويظلم ويقسو على الآخرين.

ففي الساحة العملية لم يحقق الجهل بالأجل وساعة الموت الهدف المنشود من وراء ذلك الكتمان أعني سوق الإنسان نحو الطاعة والتمسك بالدين ومكارم الأخلاق واجتناب الظلم والتعدي وجامع المحرمات من دون أن ينضم إليها الجهل بساعة أخرى يكون فيها العقاب على العصيان والمؤاخذه على الظلم في هذه الدنيا ولا أقل من الحرمان من عظيم منافعها وهي ساعة القائم عليه السلام التي لا ينفع نفس إيمانها عند حلولها لم تكن آمنت من قبل، الأمر الذي جعل المنتظرين لهذه الساعة والمترقبين لحلولها من أطياب الشيعة الإمامية أكثر قدسية من سائر البشر.

فالمسلم يرتقب ساعة واحدة هي ساعة القيامة، بينما المؤمن يرتقب

ساعتين: ساعة القيامة وساعة القائم عليه السلام فهو في حذر أشد.

عندها يتضح بجلاء الهدف من قول الرسول ﷺ في أمر المهدي عليه السلام «كذب الوقتون» مما يدل على الرغبة الملحة في بقاء أجله في طي الكتمان كي يبقى المؤمنون في حالة ترقب وجدوة أمل طول فترة غيابه يبقى معه الدين حياً طرياً في قلوب المؤمنين.

ولعل هذا هو السر الذي أدى إلى بقاء المسيحية واليهودية ولو في شكلها المتور المحرف؛ لما يعتقدونه من نزول عيسى عليه السلام وكذا غيرها من الديانات كالبوذية، هم الآخرون يترقبون ظهور المنتقد.

ينضم إلى جميع تلك الأهداف العظيمة ما نعتقه من أمر البداء الذي يعكسه المروي عن أمير المؤمنين والحسن والحسين وعلي بن الحسين وأبي جعفر وأبي عبد الله عليهم السلام: لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة ﴿وَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْشِئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١) فبقاء الخيار لله سبحانه وتعالى في كل زمان ومكان الأمر الذي لا يمكن نفيه عنه في حال من الأحوال قد حال دون إمكان البت فيما سيحدث في المستقبل من الحوادث ولا توقيت شيء منها ومن جملته زمان ظهور القائم عليه السلام خصوصاً بعد الوقوف على امتحان بني إسرائيل وإضافة المدة التي واعد الله سبحانه فيها موسى عليه السلام لميقاته.

ثم أن هذا الترقب والتعجل صار يتجاوز حدوده المطلوبة المرسومة له إلى حد الإفراط، بحيث صار الشغل الدائم لأذهان بعض المتحمسين حتى أقعدته عن إنجاز مهامه الراهنة، بحيث اضطر الإمام إلى تخفيف الوطأة ونزع حدة ذلك الطلب بأن يقول لمن يجده بهذه الصفة: وما تفعل بالمهدي عليه السلام أنت اليوم في خير لا تكلف سوى بأذكار وصلاة وصوم، إذا قام القائم

(١) قرب الإسناد: ٣٥٤ ح ١٢٦٦. والآية: ٢٩ في سورة الرعد.

الحاجة إلى التدقيق في العلام ٢٣

يجب عليك الجهاد، وإذا قام القائم فليس إلا العلق والعرق وأكل الجشب
ولبس الخشن والنوم على السروج كما سيأتي.

وإن كان احتمال استكشاف مدى إخلاصه لصاحب الأمر حياً، غير
أن التفسير الأول هو الأقرب.

هل يمكن السيطرة على العالم؟

من الأسئلة التي تطرح نفسها وهي في الحقيقة معضلة غير قابلة للحل في أذهان الكثيرين ولا تتسع لها طاولة البحث غالباً بعد ملاحظة الوضع الراهن في العالم ككل مما يتمثل بسيطرة الدول الاستعمارية والقوى العظمى المملوكة للأسلحة الاستراتيجية التي تغطي أكثر نقاط العالم مهما بُعدت وتناءت، ولها قابلية الدمار الشامل بحيث يمكنها أن تمحو المدن الكبيرة والصغيرة برمتها، وما تزال في طريق التطور والتعقيد أكثر فأكثر.

بالإضافة إلى القدرة الدفاعية العظيمة التي اكتسبتها إبان الحرب الباردة وستكتسبها بمرور الأيام من أجهزة التنبؤ المبكر والرادارات الكاشفة لأقل حركة ونقل وانتقال عسكري وغير عسكري مما تتصف بالتعقيد والدقة.

وقد تسلح بتلك الأسلحة الاستراتيجية وغير الاستراتيجية جيوش عسكرية وحشود بشرية مثقفة ونابهة لها تحصيل دراسي يعطيها تقنية وفكراً أرقى، تخضع لتصميم قاداتها، ليست من بلد واحد، بل من جميع بلدان العالم التي تخضع لسيطرة الاستعمار.

وهي مدعومة بأجهزة ماهرة وأنظمة معقدة وكوادر عظيمة تدرس كل موقف وتعزز كل فجوة وهي مشغولة دائبة في كسب الرقي والسبيل الأفضل والأقصر على الدوام.

بالإضافة إلى امتلاكها لقدرة عظيمة في مجال الحرب النفسية التي تطيح بكل قوة مهما تعاضمت واستفحلت، وذلك بامتلاكها الوسائل الإعلامية الطاغية على جميع الأرض وجميع ربوع العالم المهيمنة على كل بلد والمسيطرة على عامة أذهان البشر، وهي تتعاضم وتتطور وتتعدد في مجال الهيمنة على أذهان البشرية، وإلقاء المخاوف واليأس في قلوبهم، فهي تميتهم في المساء

وتحبيهم في الصباح، أو بالعكس.

وأعظم من ذلك امتلاكها لكل ما تميل إليه النفوس، وتلتذ به الأعين من الثروات الطائلة والمدنية المشرقة وأنواع العمران والبناء والجمال الساحر مما يحق إيمان أكثر المؤمنين، على أنهم لا يتركون الاستفلة من كل كبير وصغير منها حتى الأجساد العارية لنسائهم يُطلعون عليها سكان العالم وخصوصاً شبابه ليصرفوهم عن كل تصميم ويمتتون روح النخوة والإباء التي في أنفسهم حتى يعود واحداهم كالميت، هذا كله جانب.

والجانب الآخر استخباراتها وأنظمتها الجاسوسية المعقدة للغاية والمتنفذة في جميع ربوع العالم هي الأخرى تمتلك أجهزة عظيمة ومتنوعة كالأقمار الصناعية وما سيتم اكتشافه من الأجهزة والوسائل الكاشفة حتى ما في ضمائر الناس، وهي تدرس كل حدث وكل تحرك وكل فكر بل كل فكرة واعتقاد، بل تتنبأ دائماً بما سيحدث بعد حين، وتدرس كل ما يمكن حصوله، أو يقال إنه سيحدث كظهور منقذ من البلد الفلاني، أو نزول رجل من السماء، كل ذلك وأمثاله تحسب له حساباته وتتصدى لمقاومته ونسف قواعده ومؤهلاته بأعقد ما يمكن من الطرق.

وقد بلغ التعقيد السياسي الغاية القصوى حتى أن الدول المتصارعة والمتناحرة في الظاهر هي متفقة في الباطن، والأنظمة التي يطيح بعضها ببعض باستخدام أنواع الشعارات والتمهيدات تشرب من مشرب واحد وهي أيدي نظام واحد.

وحتى الثورات الشعبية التي تطيح ببعض الطواغيت هي والطاغوت من منشأ واحد ومشرب واحد، ويتلوها تعقيد الأحداث حيث كان النظام يضرب عدوه ليكسب مكسباً سياسياً، واليوم يطعن نفسه وشعبه ليكسب ذلك المكسب.

خصوصاً مع تولد التشكلات السياسية العملاقة والأحزاب الدولية

بل الأنظمة السياسية الجبارة التي لا يتسنى لأحد تخيل مدى قدراتها السياسية ونفوذها في دول العالم المختلفة، وهي مدعومة بأحدث النظريات والمحللين والمصممين الدارسين الذين بذلوا قصارى جهودهم لحل رموز السياسة ومعالجة كل موقف والتخطيط للمستقبل بحيث صاروا يتنبئون بما سيحدث بعد مائة عام كما يعلمون بما يحدث اليوم.

ومهما كانت القوى والأنظمة الحاكمة للعالم مختلفة فهي متفقة في المنع من ظهور قوة جديدة والحيلولة دون صعودها إلى الساحة السياسية، فإن ذلك الحس يجعلها سرعان ما تتحد عليها وتكون يداً واحدة تلطمها لطمه قاضية وتميتها في نطفتها، فلا يتسنى لأي قدرة أن تظهر وتعاظم، خصوصاً بعد احتلام بعض أقطاب العالم بحلم العولة وما يشابهه.

وبعد كل ذلك التمهيد فإن القوى العظمى بما تمتلكه من القدرات التي تعرضنا لها وما لم نتعرض لها والفنون والمهارات التي تتحلى بها واقفة بحسب القرائن والشواهد القريبة من اليقين على نبأ المهدي المنتظر عليه السلام والمنقذ العالمي الذي ينتظره أكثر البشر، وقد تحسست بعض قواه وقدراته وعلمت بحمل ظهوره وحدود إبانته.

فكل ما يحدث في منطقة الشرق الأوسط اليوم لا يخلو من كونه تدبيراً للحيلولة دون تحقق ذلك، بل تجاوز الأمر إلى التفكير في مواجهة القوى السماوية والأمور الغيبية، والمعجز الربانية.

فمع كل ذلك يأتي السؤال الذي نريد أن نطرحه، وهو أنه كيف يظهر الإمام المهدي (عج) وقيم دولة عالمية تحكم العالم بالعدل والإنصاف بعد كل ذلك التدبير والتمهيد والتعقيد والحنكة.

ولعل بسط العدل في جميع أقطار الأرض وربوع المعمورة لا يكون

أكثر من حلم يحلم به بعض الراغبين، بل لا يبلغ مرتبة الحلم هذه الأيام ولا يراه أحد حتى في منامه، بينما دلت على ذلك الأخبار وهو مستفاد من طوائف كثيرة منها يجد لا يمكن إنكاره، بل كيف ينكر وقد شهد به الكتاب وأن الأرض يرثها عباد الله الصالحون، ومن ثم الأخبار الكثيرة؛ فقد جاء في رواية حذيفة التي يرويها عن النبي ﷺ قال فيها: «يباع له الناس بين الركن والمقام، يرد الله به الدين ويفتح له فتوح، فلا يبقى على وجه الأرض إلا من يقول لا إله إلا الله»^(١).

وفي رواية ثانية يرويها ابن شاذان بسند معتبر عن الصادق عليه السلام: «فلا يبقى في الأرض معبود دون الله عز وجل»^(٢).

وفي رواية يرويها الصدوق بسند معتبر عن صاحب الأمر عليه السلام: «فلا يبقى على وجه الأرض جبار قاسط، ولا جاحد غامض، ولا شائن مبغض، ولا معاند كاشع»^(٣)، كيف يتحقق ذلك في جميع أرجاء الأرض مع كل ما وصفناه؟

خصوصاً بعد نزوع أكثر البشر إلى الشر وأكل بعضهم البعض وشيوع السلب والنهب والقتل والفتك والفساد في الأرض يجد لا يمكن وصفه، فإذا أمكن مقاومة القوى العظمى فلا يمكن مواجهة نزوع الناس إلى الشر ولا حملهم على الاستقامة وهم كثير وكثير.

فلا يمكن تأتي ذلك بالحسابات العادية أبداً بل لا يمكن تخيله وتصوره في يوم من الأيام، ويبقى هذا السؤال حياً باقياً في الضمائر يريد الإجابة الشافية على الدوام.

(١) مختصر إثبات الرجعة: ٢١٦.

(٢) إثبات الهداة ٣: ٧٥٠ ح ٦٨٦ عن إثبات الرجعة للفضل بن شاذان. والرواية معتبرة من الفضل إلى الإمام الصادق عليه السلام ويتم سندها إذا تم السند إلى الكتاب.

(٣) كمال الدين ٣: ٤٤٥ ح ١٩.

جواب السؤال:

أما جواب هذا السؤال فهو يكمن في كلمة واحدة وهي كلمة «ونريد» في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١) فهذا هو الجواب الإجمالي لهذا السؤال وسيأتي التفصيل نوعاً ما، ولعل الحديث عن علائم الظهور هو جواب عن ذلك السؤال.

ويمكن نفي ذلك الاستبعاد والاستغراب بالالتفات إلى أن هذا الأمر ليس بذلك الجديد وله نظائر في التاريخ التي منها تدبير فرعون لقتل النبي الذي أخبر بظهوره فصار يعمل كل ما بوسعه للحيلولة دون تحققه بعد أن ادعى الربوبية فعبه الناس وقتل الأطفال واستحى النساء وأمر ببناء القلاع والحصون وتقوية الاستحكامات والاستعانة بالسحرة، كما قام بتغذية الناس واستعبادهم فأراد الله سبحانه وتعالى أن يغلبه أضعف رعيته فغلبوه.

ولكن هناك معادلة أخرى يصعب حلها ويعسر صرف النظر عنها ولها طرفان، طرفها الأول هو توقف ظهور القائم عليه السلام على رجوع الناس إلى الدين والاعتقاد وحصول الملل من توالي الظالمين وعدم وفاء المنتخبين عبر صناديق الاقتراع بمواعيدهم فيستحقر سكان العالم هذه الدنيا الدنية وينكشف زيفها وزخرفها مما يكون نتيجة الطبيعية هي رجوع كل قوم إلى دينهم ومعتقدهم وتمسكهم به أكثر فأكثر؛ لما يحملونه من الخلفيات ورواسب المعتقدات السابقة فترسخ في أذهانهم أشد الرسوخ.

فالمسيحي عندما يريد أن يفكر بما وراء الطبيعة ويحلق إلى الفضاء المعنوي فإنه سيرجع إلى مسيحيته وتمسك بها ويذهب إلى الكنيسة ويتعبد بها، والبوذي كذلك يرجع إلى بوذيته.

ولو قطعنا النظر عن الرجوع فإن نفس المعتقدات الحالية لها جذور عميقة وأسس مستحكمة في نفوس البشر يصعب زحزحتها وحتى إزالة شيء منها، مع تنوع الديانات وتكثرها إلى ما يعسر حصره بالإضافة إلى انتشار كل دين في ربوع الأرض بما يعسر جمعه والإحاطة بأطرافه، مع تعنت المعتقدين، فإن أحدهم لو كلمته على مرّ السنين لا يرجع عن معتقد واحد من معتقداته ولا يرضى بأقل تغيير فيه، وليس هو بذلك السهل ولا في متناول اليد.

والطرف الآخر في هذه المعادلة هي أن المهدوية تعني العولمة واعتقاد الناس بدين واحد مع هجر الديانات الأخرى.

فلو جمع هذا الأخير مع ذلك الأول لا يمكن تحقيق أي نتيجة ولا يؤدي إلى حصول تغيير واسع في فترة قليلة.

ولا يمكن تصور حدوث ذلك بالجبر والقهر والغلبة لأن الدين لا يكون بالإكراه والجبر والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١).

يضاف إلى تلك المعتقدات والديانات، الحضارات التي لها مقوماتها وجذورها هي الأخرى يعدّ انصهارها في بوتقة الإسلام من المستحيلات، بل يبدو أصعب من الجمع بين النقيضين واتحاد الضدين.

فهذا السؤال الحقيقي الذي يحتاج إلى جواب تفصيلي مقنع وحل عملي نتجاوز به الأزمة الفكرية الناشئة عن تصور محاولة الجمع بين تلك الاتجاهات المتخالفة بل المتضادة.

مع الالتفات إلى عدم إمكان مقياسة الظروف الراهنة بالظروف التي عاشها النبي ﷺ في مجال مجابهة العدو القرشي وغيره، إذ غاية ما يعدّ مرعباً ومخوفاً مهولاً هو وقوف النبي ﷺ مع ما ينيف على ثلاثمائة من

أصحابه بما يمتلكونه من الأسلحة البسيطة أمام الجيش القرشي المغرور الذي يناهض الألف مقاتل شجاع وباسل في معركة بدر، فإن غايته هو قتال تلك العدة التي تفوقهم بثلاثة أضعاف، وغايته هو أن يقاتل الراجل الفارس، وتتقابل العصا مع السيف، فجميع ذلك وأمثاله وإن كان تحقيق النصر فيه أمراً عسيراً، ولكنه قد يتحقق ويمكن تصوّره باعتبار ملاحظة الاعتقاد والعزم ونجاح الخطة العسكرية، فجميع ذلك مما يبدو معقولاً وله نظائر في التاريخ كثيرة ومنقولة، يدعمه تصريح القرآن بذلك في قوله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١) مما يدل على وقوع ذلك وتحققه كثيراً.

ولكن الأمر في قصة الإمام المهدي عليه السلام ليس بذلك الوصف ولا بتلك النسبة بعد امتلاك العدو لأسلحة الدمار الشامل والأسلحة الاستراتيجية التي تدمر المدن العظيمة خلال فترة وجيزة.

وليس التفاوت في العدد بين أصحاب الإمام المهدي عليه السلام وبين أعدائه هو الضعف والضعفان مهما كان عدد أصحابه عليه السلام حتى لو تابعه الملايين من المسلمين فهم لا يصمدون أمام مليارات البشر وجيوش العالم التي سرعان ما ستتحذ لمواجهة عدو مشترك، وهم يمتلكون أعقد الأجهزة والأنظمة الجاسوسية والتشكلات السياسية العملاقة والاستخبارات الدولية المتنفذة، المدعومة بالخلفيات الحضارية والاعتقادات الراسخة المخالفة وغير ذلك مما تقدم وصفه وبيانه.

فليس هذا هو تقابل العصا والسيف، ولا الراجل والفارس، ولا الفئة القليلة والفئة الكثيرة، بل هنا هو تقابل الشيء واللاشيء، خصوصاً مع الالتفات إلى أن أول ما يواجهه المهدي عليه السلام هو نفس المسلمين كالسفياني وجيشه على ما سيأتي بيانه.

هل يمكن السيطرة على العالم ؟ ٣١

فلا بد أن نتحرى لهذه المعضلة وهذا السؤال الذي يفرض نفسه حلاً وأجوبة مقنعة وشفافية على شكل احتمالات مدعومة بالاستدلال والنقد على أن ندع في حساباتنا دائماً مشيئة الله سبحانه وإرادته ولكن الله سبحانه جعل لكل شيء أسباباً معروفة وعللاً موصوفة، نعرض لها كالآتي:

الاحتمال الأول:

هو انفضاض النظم المسيطرة على العالم اليوم إما بحصول الصراع بين القوى العظمى وانشغالها بأنفسها وضعفها وتلاشيها بدوام ذلك النزاع السياسي والعسكري مما يؤدي إلى غفلتها عما يحدث في أطراف العالم حتى تفاجأ بالمصلح وعساكره وهو مائل بين شتاتهم.

أو يحصل التلاشي لتلك القوى العظمى من الداخل بعد احتدام الصراع الداخلي أو غيره من العلل التي تجر إلى الفشل وانهيار الوحدة القومية كما حدث في الاتحاد السوفياتي.

عندها يفقد التفوق التقني والسياسي مصداقيته، وتنكسر شوكته، ويخمد توجهه.

وهذا الاحتمال وإن كان ممكناً بحسب حساب الاحتمالات ولكنه يبدو شبه المستحيل في الساحة العملية التي أثبتت تداول الأيام وحلول عدة قوى جديدة ناشطة عند انهيار أي قوة، وظهور أقطاب متعددة عند سقوط قطب واحد.

وأكبر دليل على ذلك هو الظروف التي أعقبت الحرب العالمية الأولى والثانية التي انهارت فيها الامبراطورية الألمانية ولكن سرعان ما حل محلها امبراطوريتان عظيمتان هما أمريكا وروسيا بالإضافة إلى دول أوروبا المستعمرة.

إلا أن نترض أن الذي يشغل ذلك الفراغ هو دولة المهدي عليه السلام القوية وتصل النوبة للمسلمين مرة أخرى في دورة السلطة التاريخية.

ولكن أين ستذهب تلك الأسلحة والأنظمة التي وصفناها حتى في فرض حصول انقسام داخل القوى العظمى أو تلاشيتها وتبدها إلى دويلات صغيرة متحاربة غير أنها أو بعضها ستظل مالكة لتلك المعدات كما شاهدناه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي.

فيبقى احتمال سقوط تلك المعدات بنحو وآخر بيد المسلمين كما تدل عليه بعض الأخبار ولكنه بعيد جداً يصعب تصوّره وتعقله.

الاحتمال الثاني:

نفاد ثروات منطقة الشرق الأوسط خصوصاً النفط وفقدان المنطقة للقيمة الاقتصادية والموقعية الاستراتيجية السياسية، مما يؤدي إلى إغراض المتسلطين على العالم عنها وتركها وشأنها، فتتصارع القوى الموجودة أو التي تتولد بعد رفع الأعنة والخروج من تحت السيطرة الخارجية للرواية التي تعد من العلائم خلع العرب أعتتها^(١).

الاحتمال الثالث

فناء أكثر العالم وهلاك أكثر سكان الأرض بأن يضرب الأرض جرم سماوي عظيم أو تقع حرب عالمية ثالثة أو رابعة بالأسلحة الاستراتيجية المدمرة التي يكون فيها فناء أكثر أهل الأرض بما يبلغ الثلثين فلا يبقى سوى المسلمين ومقدار قليل من غير المسلمين.

والمقصود من هلاك أهل الأرض هو الهلاك الجماعي الدفعي دون

(١) انظر الكافي ٨ : ٢٢٤ ح ٢٨٥، الغيبة للنعماني: ٢٧٠ ح ٤٢، ٤٣.

التدرجي الانتقائي وذلك بأن يهلك شرق الأرض وغربها، يعني أكثر المسيحيين، والبوذيين والملاحدة.

فيحصل أثر ذلك انفلات سياسي في منطقة الشرق الأوسط يؤدي إلى ظهور قوى في المنطقة تبادر إلى الإمساك بزمام الأمور كالقوة التي تتشكل في الشام بقيادة السفياي، والتي تتشكل في إيران بقيادة الخراساني، وفي اليمن بقيادة اليماني يسارع كل واحد منهم للإمساك بزمام المنطقة كلها، حتى جاء التعبير في الروايات أن السفياي والخراساني يستبقان كفرسي رهان وفي رواية أخرى اليماني والخراساني كفرسي رهان، عندها تتجلى مصداقية الرواية المعتمدة القائلة أن خروج الثلاثة السفياي والخراساني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، والرواية آتية إن شاء الله.

ويبقى إثبات ذلك الحدث الهائل من الروايات والأخبار الواردة عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، فقد روى النعماني والشيخ الطوسي بسنديهما عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «بين يدي القائم موت أحمر وموت أبيض، وجراد في حينه وجراد في غير حينه أحمر كالدم، فأما الموت الأحمر فبالسيف، وأما الموت الأبيض فالطاعون»^(١) فهي تدل على موت وقتل ولا بد أن يكون قتلاً معتداً به وكثيراً جداً وإلا فالموت والقتل الاعتيادي موجود في كل زمان وليس بين يدي القائم فقط.

وروى الصدوق بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قدام القائم عليه السلام موتان: موت أحمر وموت أبيض، حتى يذهب من كل سبعة خمسة، فالموت الأحمر السيف، والموت الأبيض الطاعون»^(٢) ولا بد أن يكون السيف هذا

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٧٧ ح ٦١، كتاب الغيبة للطوسي: ٤٣٨.

(٢) كمال الدين: ٦٥٥ ح ٢٧، البحار ٥٢: ٢٠٧.

هو الأسلحة الاستراتيجية وإلا فالأسلحة التقليدية لا يمكن أن يبلغ فيها هذا العدد من القتلى.

والمهم في هذا الحقل رواية الثلثين:

فقد روى الشيخ الصدوق بسنده عن أبي بصير ومحمد بن مسلم قالاً: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس» فقيل له: إذا ذهب ثلثا الناس فما يبقى؟ فقال عليه السلام: «أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي؟!»^(١)، وليس في سند هذا الحديث ما يتوقف في شأنه سوى علي بن الحسين السعد آبادي وهو من مشايخ الإجازة يذهب البعض إلى وثاقته وصحة الحديث الذي يقع فيه، فالرواية تتشبه بالاعتبار على ما يبدو.

ورواها الشيخ الطوسي بسند فيه سهل بن زياد والأمر فيه سهل عن محمد بن مسلم وأبي بصير قالاً سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس» فقلنا: إذا ذهب ثلثا الناس فمن يبقى؟ فقال: «أما ترضون أن تكونوا في الثلث الباقي؟!»^(٢).

والفرق بين الروایتين هو زيادة كلمة «في» في الرواية الثانية التي تدل على بقاء ثلث أهل الأرض والمسلمون من جملة هؤلاء الثلث، فيكون الباقي من المسلمين وغير المسلمين، بينما الرواية الأولى والنقل الأول يدل على بقاء المسلمين فقط لأنه قال: «أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي» يعني أنتم المسلمون كل الثلث الباقي وليس هناك غيركم، ولكن النقل الثاني - أعني نقل الشيخ - أقرب إلى الصواب وله قرائن وشواهد كثيرة في الأخبار، كالأخبار الدالة على قتال المهدي عليه السلام الروم ونزول

(١) كمال الدين: ٦٥٥.

(٢) كتاب الغيبة: ٣٣٩ ح ٢٨٦.

عيسى بن مريم عليه السلام وغيرها.

وقد يكون السبب في هلاك الناس أمرين: أحدهما الحروب والقتل حتى يقتل الثلث الأول، والثاني هو أن يضرب الأرض حجر أو يصيبها آفة سماوية أو أرضية كالوباء والطاعون حتى يموت الثلث الثاني.

يستشعر ذلك مما رواه ابن حماد بسنده عن علي عليه السلام قال: «لا يخرج المهدي حتى يقتل ثلث، ويموت ثلث، ويبقى ثلث»^(١)، تؤيدها الروايات الدالة على الموت بالسيف والطاعون المارة.

الاحتمال الرابع:

ظهور قوم قبل قيام الإمام المهدي عليه السلام عارفين به وبحركته وهم يتمنون ظهوره فيعملون كل ما بوسعهم من أجل تمهيد الأرضية لقدمه والاستعداد له يقال لهم: الموطئون. فتقع مسؤولية التمهيد والتمكين على عاتقهم من دون معرفة الكيفية وما هي مهمتهم التي قد تكون تبليغية تنجح في تعريف قضية المهدي عليه السلام فيتلقاها العالم بالقبول ويطلبون المهدي عليه السلام، كما يمكن أن تكون عسكرية أيضاً بعد إعدادهم العدد الدفاعية التي توقف القوى العظمى عن الحركة الانفعالية الشديدة وتحيل دون استعمال الأسلحة الاستراتيجية الواسعة الدمار فتظل حرباً إعلامية أو حتى نظامية كلاسيكية.

والأخبار تتحدث عن خروج قوم يدعون لآل محمد عليهم السلام وللمهدي عليه السلام قبل ظهوره ويؤطئون له ويمهدون له السبيل وإن كانت هذه الأخبار مختلفة من حيث الألفاظ والأسماء والحال غير أنها تشترك في الدلالة على دعوة قوم

(١) كتاب الفتن: ٢٠٦ عن يحيى بن اليمان، عن كيسان الرواشي القصار وكان ثقة

قال حدثني مولاي قال سمعت علياً عليه السلام يقول، وذكر نص الحديث.

للمهدي عليه السلام قبل ظهوره، فمنها ما هو مطلق ومنها ما هو مقيد.

فمن ذلك المطلق ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن عمار بن ياسر أنه قال في حديث: ويخرج أهل الغرب إلى مصر، فإذا دخلوا فتلك أمانة السفيناني، ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد عليهم السلام...^(١).

وهي تخبر عن خروج القوم الذين يدعون للمهدي عليه السلام قبل دخول أهل الغرب إلى مصر وقبل خروج السفيناني، مما ينبغي أن يكون خروجهم قبل ذلك بزمان معتد به وليس هو السنة والستان لأنه لا يطلق عليه «قبل» في مثل هذه الأخبار التي قد تبلغ الفواصل بين الأحداث المذكورة فيها مئات السنين.

وفي رواية أخرى يرويها الحسن بن محمد القمي عن أبي الحسن الأول عليه السلام: «رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحق»^(٢).

وكذا يروي ابن حماد عن أرطاة أنه قال في حديث: ويظهر بخراسان قوم يدعون إلى المهدي^(٣)، فهي أخص من الرواية الأولى من جهتين: من جهة الدعوة لخصوص المهدي عليه السلام من آل محمد عليهم السلام بينما ذكرت تلك الدعوة لآل محمد عليهم السلام عامة، ومن جهة تخصيص الخارجين الداعين له بأهل خراسان.

ويروي أبو داود عن علي عليه السلام أنه قال: «يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له المنصور، يوطئ أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجب على كل مؤمن نصره، أو قال: إجابته»^(٤).

(١) كتاب الغيبة: ٤٣٦ ح ٤٧٩.

(٢) بحار الأنوار ١٠٩: ١٦٨، مستدرک سفينة البحار ٨: ٥٩٨ عن علي بن عيسى

عن أيوب بن يحيى بن الجنيد عن أبي الحسن الأول عليه السلام.

(٣) كتاب الفتن: ٨٣.

(٤) سنن أبي داود ٢: ٣١١ ح ٤٢٩٠.

يضاف إلى ذلك الرواية المعروفة المروية من طرق العامة والخاصة عن محمد بن الحنفية قل: «تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء فلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح، أو صالح بن شعيب من تميم يهزمون أصحاب السفيناني حتى تنزل بيت المقدس توطئ للمهدي سلطانه...»^(١).

ولكن الحقيقة أنّ دور المهديين مهما كانت فاعليته فهو لا يتجاوز حدود الشرق الأوسط كما هو مستفاد من نفس الأخبار إذ أنها جعلت الغاية القصوى هي بلوغ بيت المقدس فلا يمكن الاعتماد على هذا الاحتمال في تقرير مصير العالم برمته.

الاحتمال الخامس:

وقوع أمور غير مترقبة تؤدي إلى خضوع سكان الأرض من جميع المذاهب والديانات المنتشرة في أقطار الأرض، وكل أبناء الحضارات المختلفة، هي في الحقيقة علائم ظهور المهدي عليه السلام التي تحصل متتالية بحيث لا تعطي أي فرصة للتريديد في اختيار الإسلام ومتابعة المهدي عليه السلام، سنبحثها تباعاً وستجيء تفاصيلها.

أول تلك الأمور هي نهاية غامضة لجيش بيعته أشد أعداء المهدي عليه السلام، أعني السفيناني الأموي الذي سيظهر في الشام وسيطر على ربوعه فبيعت جيشاً إلى العراق وآخر إلى الحجاز حتى يدخلوا المدينة ويعشون بها وبأهلها ثم يخرجون متوجهين نحو مكة بعدما يبلغهم أن المهدي عليه السلام قد خرج من المدينة إلى مكة، فما أن يتوسطوا البيداء التي هي على فرسخ من ذي الحليفة تخسف بهم الأرض وهم أكثر من مائة ألف مقاتل فلا ينجو منهم

(١) كتاب الفتن: ١٨٨.

إلا مخبران أو ثلاثة ويبلغ نبؤهم عبر وسائل الإعلام المتطورة والقوية إلى جميع العالم، عندها يدهش الناس مما حدث إذ لم يعهدوا مشابهاً له ولم يسمعوا بحسف مثل هذا الحسف، مما يجعلهم يتساءلون عن السبب الحقيقي وعن ذلك المنصور الذي بُعث إليه الجيش فنجا منه بهذا النحو، وأعانتة اليد الغيبية أو القوى الطبيعية على حسب معتقدات الناس فيقع التساؤل عن مدى صدق الخبر وعلله وماذا أصاب ذلك الجيش.

فما تخمد تلك التساؤلات ولا تنقطع علامات التعجب المرسومة بعد نقل ذلك الحدث في الصحف والمجلات حتى يستيقظ الناس ليشاهدوا بدنأً بارزاً في عين الشمس وبدأً تشير ومنادٍ ينادي ويهتف بانقضاء مدة الجبارين واقتراب الوعد الحق، مما يثير دهشة الناس ويزداد تعجبهم واستفهاماتهم عما يحدث وعما يراد بأهل الأرض مما يذهلهم عن جميع زخارف الدنيا ويجزمون بعدم تسيب الدنيا وأهلها، بل هم مندوبون لقبول تغيير جاء يزحف وموقف جديد حاسم، تظل أذهانهم مشغولة بهذا الحدث وذاك الحسف.

حتى إذا مضت شهران أو ثلاثة يفاجئون بصيحة في السماء ونداء ينادى في ثلاث ساعات ومنشور يقرأ عليهم بحيث يوقظ النائم ويفزع المستيقظ ويقيم القاعد ويقعد القائم ويخرج الفتاة من خدرها ويسمعه كل صقع بلسانهم يصرح فيه باسم المهدي واسم آبائه عليهم السلام وأن الحق معه وفيه، وأن على الناس متابعتة ونصرتة بحيث لا يبقى أدنى شك لواحد من أبناء البشر ولا يدع أي ترديد، حتى يظهر اسم المهدي عليه السلام على الأفواه، ولا يكون لهم حديث مما سواه، ولا مطلب مما عداه.

وهو معجزة تناسب الشائع في هذه الأزمنة من حكومة التطور الصناعي والتفوق التكنولوجي خصوصاً في مجال الإعلام ووسائل الارتباط العالمي ليأتي هذا النداء فوق كل إعلام وكل تطور وتفوق علمي وصناعي.

ولهذا الحدث نظائر عبر التاريخ، فعندما كان الشائع في زمان النبي موسى عليه السلام هو السحر والشعبنة جاءهم موسى عليه السلام بما يفوق كل سحر وهي العصا التي تصير ثعباناً مخيفاً مهولاً، ثم تعود عصاً، فقام أهل الباطل وفرعون وهامان لمقاومته لما جمعوا السحرة من كل المدن وأعطوهم ما أعطوهم لمقابلة معجزة العصا، فصنعوا حبالاً وعصياً يخيل إلى الناس من سحرهم أنها تسعى وقالوا بعزة فرعون نحن الغالبون، وألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون وعلم السحرة أن معجزة العصا ليست من السحر ولا هي من صنع البشر فوقعوا سلجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون.

فيأتي تدبير القوى العظمى وكل من تفرعن وطمى المسبق بما يمتلكونه من التقدم العلمي والازدهار الصناعي ليكافحوا تلك الصيحة وتلك المعجزة فيحدثوا صيحة من الأرض ونداءً ينلخ فيه بأحقية السفياني أو غيره من مناوئي صاحب الأمر وأعدائه، يرتب عندها المبتلون، وتحدث الشكوك والأوهام.

حتى إذا مضت أيام فإذا بالشمس وقد طلعت من المغرب آية أخرى على ضعف العلوم الحديثة والثوابت العلمية عندها يؤمن جميع البشر على أن لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل، حتى السفياني يبعث إلى المهدي عليه السلام بالبيعة.

فيا ترى هل يبقى من القوى العظمى شيء، وهل بإمكانها تحدي كل تلك المعاجز والدلالات وتبقى لها السيطرة على العالم أو حتى على نفس دولها ورعاياها.

فالجواب نعم إن الشيطان لا يدعهم بل يصعب على رؤوسهم ترك ما توصلوا إليه بشق الأنفس من المناصب العالمية والهيمنة على سكان الأرض وشتى الدول مع امتلاكهم للأسلحة المدمرة والأنظمة الطويلة العريضة المعقدة.

عندها يأتي آخر تدبير إلهي لاستئصال شوكة الجبارين الذين هم من أبناء الديانة المسيحية ممن ابتلع العالم وثوراته وخيراته وملك من أقاصي الشرق إلى أقاصي الغرب، وذلك بنزول النبي عيسى بن مريم عليه السلام ليصلي خلف الإمام المهدي عليه السلام عندها تقتلع تلك الشوكة ولا يبقى لها مقاومة تذكر، سرعان ما يتغلب عليها المهدي عليه السلام بمجنوده، ولا تبقى يد تحرك الماكنة الحربية الاستعمارية إلا وقد خضعت لتلك الآيات أو أصابها التردد بحيث لا تجسر على ضرب الحق وأهله، فتتحقق مصداقية قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(١).

وبهذا يتم الأمر للمهدي المنتظر عليه السلام ولأعوانه بسبب تلك المعاجز العظيمة والحوادث فوق الأرضية الباهرة التي أشرنا إليها بعض الإشارة هنا، لتأتي تفاصيلها وأدلتها في هذا الكتاب وغيره مستوفاة إن شاء الله.

عنده يعلم الدليل على كتابة هذا الكتاب والغور في العلائم لما تملكه من الأهمية التغييرية والقضايا المصيرية بالإضافة إلى معرفة حدود زمانه من تحقق تلك العلائم وتمييزه عن غيره ممن يدعي المهديوية.

الاحتمال السادس:

من المسلم عندنا أرجحية علم الإمام على علوم جميع البشر في جميع المجالات بما يشمل العلوم الحديثة، وقد بينا في كتب أخرى مراراً أن العلم يساوي القدرة، حتى أنه ورد ظهور حرفين من العلم فقط إلى ظهور القائم عليه السلام فإذا ظهر المهدي عليه السلام ظهر على يديه خمس وعشرون حرفاً منه فيتسبب ذلك في تفوق أسلحة جيوشه وكف أسلحة أعدائه.

روي ابن سليمان الحلبي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «العلم

سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام القائم عليه السلام أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبشها في الناس وضم إليها الحرفين حتى يبشها سبعة وعشرين حرفاً^(١).

وهذه الرواية لها أغوار سحيقة نشير إلى بعض شواظها التي منها الدلالة على أن كل التقدم العلمي الذي شهده العالم وسيشهده حتى ظهور القائم عليه السلام، لا يخرج عن إطار الحرفين اللذين يشبه أن يكونا قانونين يتني عليهما كل ما سيعلمه البشر إلى زمان ظهوره عليه السلام، ولعل أحدهما قانون العلية والمعلولية والتأثير والتأثرات المادية، بينما هناك قوانين أخرى تعود إلى الزمان والمكان والحجب والنور وروح القدس وقوانين الروح لم يتوصل إليها البشر ستظهر بعد ظهور القائم المنتظر عليه السلام.

وعندها يتقوى احتمال مجيء القائم عليه السلام وعيسى بن مريم عليه السلام النازل من السماء لنصرته بأسلحة أكثر تطوراً وأعداء مما يمتلكه الأعداء فيحصل التفوق العسكري للقائم عليه السلام وجيوشه فتقهر الأسلحة والقوى التي يمتلكها جيوش الأعداء ويبطل مفعول جميع ما يمتلكونه من الأسلحة الفتاكة والوسائل التقنية الحديثة.

ولذلك شاهد من الأخبار يرويه عبد الرزاق من أن المسلمين يخبرون في آخر المطاف ويقال لهم: «اختاروا بين إحدى ثلاث: بين أن يبعث الله على الدجال وجنوده عذاباً من السماء، أو يخسف بهم الأرض، أو يسلط عليهم سلاحهم ويكف سلاحهم عنكم، فيقولون: هذه يا رسول الله أشفى لصدورنا ولأنفسنا، فيومئذ ترى اليهودي العظيم الطويل الأكل الشروب لا تقل يده سيفه من الرعدة، فيقومون إليهم فيسلطون عليهم^(٢)، وأياً كان الدجال فهو واحد من أقوى أعداء الإمام عليه السلام والمؤمنين سيأتي الكلام عنه، على أن

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١١٧.

(٢) مصنف عبد الرزاق ١١: ٣٩٧ ح ٢٠٨٣٤.

مَكْتَبَةُ الْجَوَائِزِ الْعِلْمِيَّةِ
بِرِيسَةِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَلِيفِ

هذه الرواية بينت أن الاحتمالات تظل مطروحة إلى زمان ظهور الإمام عليه السلام وهي تضيف الشرعية على ما شرحناه من إعطاء الاحتمالات الستة التي طرحناها في مجال تصوير تغلب الإمام عليه السلام على كل التقدم العلمي القائم، وكذا فهي تعطي صورة عن طبيعة الأسلحة التي سيمتلکها جيوش القائم وهي عبارة عن شيء يسبب الرعدة في أفراد العدو بحيث لا يتمكنون معها من الاستفادة من السلاح الذي يمتلكونه.

والأصح من جميع تلك الاحتمالات هو اجتماع جميع تلك الاحتمالات ابتداءً من حصول الضعف والوهن في القوى العظمى والتلاشي من الداخل ووقوف الناس على زيف هذه الحكومات وكذبها وحصول الاشتياق إلى المصلح السماوي، ومروراً بهلاك بعض أطراف الأرض بأي سبب من أسباب الهلاك وظهور من يدعو إلى المهدي ويوطئ له وانهاءً بمشاهدة المعجز العظيمة التي تميز ذلك العاقل المدعوم بقوى السماء وبالنتيجة تفوق أسلحة القائم وجيوشه وقدرته العلمية ثم الانتصار الحاسم.

ما الحكمة في غيبة الإمام المهدي عليه السلام؟

ونحن نتوخى عبر الجواب عن هذا السؤال معرفة حدود ظهوره عليه السلام كعلامة أشمل بعد معرفة الحكمة في غيبته وحصول تلك الحكمة وتحققها وعند تحقق تلك الحكمة وتحقق جميع ماينتظر حصوله من جراء الغيبة ولا يبقى داعٍ لتلك الغيبة أمكن التخرص في زمان ظهوره وهل هو قريب أو بعيد، على أن الحكم التي يمكن تصورها متعددة وفيها احتمالات:

الاحتمال الأول:

هو أن الإمام المهدي عليه السلام يظهر بعد امتلاء الأرض ظلماً وجوراً، فهو منخور لتلك الساعة ولذلك الزمان الذي لا يبقى فيه اسم للعنل ولا من يطالب به ويطبق جميع البشر على الظلم والتعدي والفساد في الأرض بأوسع معانيه.

ذاك المعنى الذي قد يستدل عليه بالروايات الكثيرة الدالة على أن الإمام المهدي عليه السلام يأتي ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، روى ابن حماد بسنده عن رسول الله ﷺ قال: «يخرج المهدي من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»^(١).

(١) كتاب الفتن لابن حماد: ٢٨، بيان الشافعي: ٥١٨، وروى الحاكم في المستدرک ٤: ٤٦٥ عن رسول الله ﷺ: «ينزل بأمّتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه حتى تضيق عليهم الأرض الرحبة، وحتى يملأ الأرض جوراً وظلماً، لا يجد المؤمن ملجأً يلتجئ إليه من الظلم فيبعث الله عزوجل رجلاً من عترتي...» وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

وروى الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة: ١١١ بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إبشروا بالمهدي قال ثلاثاً يخرج على حين اختلاف من الناس وزلزال شديد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

الاحتمال الثاني:

هو ظهور الإمام المهدي عليه السلام بعد استتباب الأمن وحصول إمكان الدعوة إلى الحق والعدل بحيث يجزم الإمام أنه إذا خرج لا يُقتل، بدليل الروايات الكثيرة الدالة على أن الإمام إنما غاب لأنه يخاف القتل، والنتيجة أنه إذا أمن من القتل ظهر ودعا الناس إلى الحق، فقد روى الصدوق بسند معتبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا بد للغلام من غيبة» ف قيل له: ولم يا رسول الله؟ قال: «يخاف القتل»^(١).

الاحتمال الثالث:

المعروف المشهور عدم ظهور الإمام عليه السلام حتى يكمل نصاب أعوانه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً رهبان بالليل ليوث بالنهار مؤمنون حقاً لا تزعزهم الرياح العواصف ولا تأخذهم في الله سبحانه وتعالى لومة لائم يجمعهم الله سبحانه في ليلة، منهم المحمول جواً ومنهم المنقول أرضاً. فقد روى النعماني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه دخل عليه بعض أصحابه فقال له: يا سيدي ما أكثر شيعتكم؟ فقال: «أما لو كملت العدة الموصوفة ثلاثمائة وبضعة عشر كان الذي تريدون، ولكن شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه ولا شحناؤه بدنه...»^(٢) وأخذ بذكر صفات الشيعة، وإنما ذكرنا هذه

(١) علل الشرائع ١: ٢٤٣ ح ١. وفي ج ١ ص ٢٤٦ ح ٩ عن أبي جعفر عليه السلام «إن للقيام غيبة قبل ظهوره، قلت ولم؟ قال: «يخاف وأومئ بيده إلى بطنه قال زرارة: يعني القتل».

(٢) وفي رواية عن الصالح عليه السلام أنه قال في حديث: «إذا اجتمع له العقد وهو أربعة آلاف رجل خرج من مكة، فلا يبقى في الأرض معبود دون الله» انظر مختصر إثبات الرجعة: ٢١٦.

الرواية مع أن روايات الثلاثمائة وبضعة عشر كثيرة لأنها ذكرت توقف ظهوره على ذلك.

الاحتمال الرابع:

أياس الناس من المصلح الأرضي حتى لا يبقى من يدعي أنه لو حكم لعدل، فيحكم كل أصناف الناس، ويتداول على مقاعد السلطة كل من له داعية الحكومة والدولة، وأنه لو حكم لعدل فلا يبقى أحد يقول: لو حكمت لعدلت، ويحصل الملل من تكرار الانتخابات أو الانقلابات التي لا تجدي أبداً سوى أنها تأتي بظالم بعد انتهاء مدة ظالم من سعى إلى أسوأ، هنالك يطلب الناس المنقذ الرباني والمسيحي يطلب نزول عيسى عليه السلام وبهذا تتمهد الأرضية الصالحة لإقامة العدل.

يلفت النظر إلى ذلك ما رواه النعماني بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قل: «ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلا وقد ولوا على الناس حتى لا يقول قائل: لو ولينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحق والعدل»^(١).

الاحتمال الخامس:

انتظاره عليه السلام لتشكيل دول قوية تمتلك حشوداً عسكرية ضخمة بما يعرفهم بالموطئين للمهدي عليه السلام يستعين بقوتهم وأنظمتهم المقتدرة، كدولة الخراساني ودولة اليماني، ثم يظهر اعتماداً على تلك الدول، التي ستأتي تفاصيلها.

الاحتمال السادس:

حصول التمحيص والغربة لتمييز الصالح من الكذاب واختبار إيمان الناس ومدى احتمالهم وصبرهم على تحمل المكاره في سبيل الحق والعدل،

(١) كتاب الغيبة: ٢٧٤ ح ٥٣.

حيث روى الكليني بسنده عن منصور الصيقل قال: كنت أنا والحارث بن المغيرة وجماعة من أصحابنا جلوساً وأبو عبد الله عليه السلام يسمع كلامنا فقال لنا:

«في أي شيء أنتم؟ هيهات هيهات، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تغربلوا، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تمحصوا، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تميزوا، لا والله ما يكون ما تمدون إليه أعينكم إلا بعد آياس، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد»^(١).

وروى الشيخ الطوسي بسند معتبر عن أبي الحسن عليه السلام قال: «والله لا يكون الذي تمدون إليه أعينكم حتى تميزوا أو تمحصوا حتى لا يبقى منكم إلا الأندر، ثم تلا ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ ويعلم الصابرين»^(٢).

كما وينبغي التأمل فيما رواه الشيخ بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام: إن القائم تمتد غيبته ليصرح الحق عن محضه، ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهد القائم ثم تلا هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾^(٣).

الاحتمال السابع:

(١) الكافي ١: ٣٧٠ ح ٦، وروى مثله النعماني في كتاب الغيبة: ٢٠٨ ح ١٦، والشيخ

الصدوق في كمال الدين ٢: ٣٤٦ ح ٣٢.

(٢) الغيبة: ٢٠٤، والآية: ١٦ في سورة التوبة.

(٣) الغيبة: ١٧١ ح ١٢٩، والآية: ١١٠ في سورة يوسف.

هو مجموع تلك الاحتمالات لأنها يكمل بعضها بعضاً إذ لا يطلب الناس المصلح إلا بعد امتلاء الأرض بالظلم والجور وفقدان النظم والأمن والاستقرار النفسي وانتشار الفساد في الأرض مما يعم فساد الهواء والماء والفضاء وفساد الإدارات والحالة الاقتصادية والاجتماعية وانعدام الأمن وغيرها بحيث يعد رفع ذلك مستحيلاً ويحصل اليأس الأكيد.

فيذا حصل هذا التفكير عند الناس وطلبوا المهدي عليه السلام ولو بمساعدة العلامات والمعجز السماوية انكسرت شوكة الظالمين، وصرفَ الناس أنظارهم عنهم، فلا يشكلون بعدها خطراً على حياة الإمام المهدي عليه السلام خصوصاً بعد أن يتميز الصادق من الكاذب، ويجتمع له أصحابه الذين يعتمد عليهم كل الاعتماد، ثم تلتحق به جيوش الدول المهتدة لتشكل قوة يعتد بها بحيث لا تبقى مقاومة مثل السفيناني وقلول الروم خطراً على حياته وحياة دولته الفتية.

ولما سيكون منطلق حركته هو الحجاز وبالأخص مكة والمدينة كما هو شائع ويكون مركز حكومته العراق، فنحن ننتظر تزعزع حكومة البلدين قبل ظهوره عليه السلام إما بحصول الاختلاف بين الحكام أنفسهم ذاك الذي تؤكد عليه الأخبار أو حصول المخالفة الشعبية العارمة أو كلاهما فيحصل خلأ سياسي ملحوظ، فإن الأخبار تؤكد على وصول الحكم إلى من اسمه عبد الله وهو ضعيف لا يستقيم الأمر عنده إلى القائم.

ولا يعدو جميع ذلك من أن يكون مجرد احتمال وبعض الحكمة في غيبته وإلا فالسبب والعلة التامة وحتى الحكمة فهو سر من أسرار الله سبحانه، على ما رواه الصدوق بسنده عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها يرتاب فيها كل مبطل» فقلت له: ولم جعلت فداك؟ قل: «لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم» قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قل: «وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره، كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتته الخضر عليه السلام من

خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلا وقت افتراقهما، يابن الفضل: إن هذا الأمر من أمر الله وسر من سر الله وجهها غير منكشف لنا^(١)، ولكن لا يعني هذا الحديث صرف النظر عن تلك الأحاديث الذاكرة لبعض الحكم بالكلية وإنما يصرفنا عن أخذ النتيجة النهائية فقط.

وينبغي التعلل في مثل قوله عليه السلام في الكتاب الذي كتبه إلى سفيره محمد بن عثمان جاء فيه: «وأما علة ما وقع من الغيبة فإن الله عزوجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ سُسُوكُمْ﴾^(٢) إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج ولا بيعة لأحد الطواغيت في عنقي، وأما وجه الانتفاع بي في غيبي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فاغلقوا أبواب السؤال عما لا يعنيكم، ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا من الدعاء بتعجيل الفرج، فإن في ذلك فرجكم والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى^(٣).

وقد رويت قضية البيعة بطرق أخرى منها المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه»^(٤).

(١) إثبات الرجعة: ٢١٦.

(٢) المائة: ١٠١.

(٣) الاحتجاج ٢: ٢٨٤، الخرائج والجرائح ٣: ١١١٥.

(٤) كمال الدين: ٣٠٣ ح ١٤، إعلام الوری ٢: ٢٢٨.

الظهور قريب أم بعيد؟

متى ظهور القائم عليه السلام هل هو قريب أو بعيد؟ إذا سأل أحد من الناس مثل هذا السؤال، فما يكون الجواب المناسب والسائغ؟ هل يصح التأميل والتقريب أم هل يسوغ التقنيط والتبعيد؟ لهذا السؤال أجوبة محتملة.

١ - التقريب والتأميل والوعد بظهور القائم عليه السلام اليوم أو غداً، أو ما يوحى إلى ذلك من الكلام، كالأمر بالاستعداد وانتظار حدوث حدث قريب يخرج بعده بالسلاح وهكذا.

٢ - التقنيط والإخبار ببعده زمانه وصرفه عن التفكير في ذلك بأنك لا تدركه أو يطول، بل ما تفعل بظهوره إذا قام فليس إلا العلق والعرق، أستم أمينين وهكذا.

٣ - نكتفي بذكر العلائم وملاحقة مصاديقها.

٤ - يتبع حال الشخص، بتفصيل يأتي.

أما الجواب الأول:

هو الذي استوحله المحبون من كل كلام صدر من النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام يرتبط بالمهدي عليه السلام وعلائم ظهوره، خصوصاً الأخلاقية منها، وقد تناقلوا الأخبار الموهمة لذلك، وطبقوها على كل مشابه ومخالف، بل هو مستفاد من أجوبة الأئمة المعصومين عليهم السلام المنقولة.

مثال ذلك عندما يسأل الراوي الإمام عليه السلام ويقول: جعلت فداك إني أخاف أن لا أحج فاعلمني شيئاً إذا كان استريح إليه وأمد إليه عنقي، قال: «السفياني، إذا ملك الكور الخمس يعني الشام، فإذا ظهر على كور الشام

فأقبلوا إلينا» قال، قلت له: في السلاح، قال: «في السلاح»^(١).

فماذا فهم هذا السائل من كلام الإمام؟ هل فهم منه أن الأمر سيطول عشرات القرون أو أن الأمر مترقّب متوقع اليوم أو غداً يظهر السفيناني ويتم الأمر فيخرج هذا السائل في السلاح، لأنه واضح جداً أنه لم يسأل عن حال أحفاده، بل سأل عن حال نفسه، ففهم أن الأمر لا يجاوز مدة حياته.

وانظر إلى الرواية الأخرى التي يسأل فيها الراوي عن قرب هذا الأمر وعدمه فقال أبو عبد الله عليه السلام وحكاه عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أول علامات الفرج سنة خمسة وتسعين ومائة، وفي سنة ست وتسعين يكون الجلاء، فقال: أما ترى بني هاشم قد انقلعوا بأهلهم وأولادهم».

ثم يقول الراوي فقلت له: جعلت فداك إنك قلت لي في عامنا الأول - حكيت عن أبيك - إن انقضاء ملك آل فلان على رأس فلان وفلان ليس لبني فلان سلطان بعدهما، قال: «قد قلت ذاك لك» فقلت: أصلحك الله إذا انقضى ملكهم يملك أحد من قریش يستقيم عليه الأمر؟ قال: «لا» قلت: يكون ماذا؟ قال: «يكون الذي تقول أنت وأصحابك» قلت: تعني خروج السفيناني؟ فقال: «لا» فقلت: قيام القائم، قال: «يفعل الله ما يشاء».

إلى هناك يفهم السائل من كلام الإمام عليه السلام أن الأمر أقرب ما يكون، ليس إلا زوال دولة العباسيين يكون بعده القائم، ولذلك يسأل الراوي بعد ذلك: فأنت هو؟ قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله...»^(٢).

فليس هذا الجواب من الإمام عليه السلام في هذه الرواية والرواية السابقة

(١) الأصول الستة عشرة: ٦٧.

(٢) قرب الاستناد: ٣٧٠.

إلا حكاية أخرى عن قرب ظهور القائم الذي يسأل عنه الراوي، فيتقوى الجواب الأول للمسألة التي طرحناها.

وهناك رواية ثالثة يقول فيها الراوي للإمام عليه السلام: جعلت فداك، إن ثعلبة بن ميمون حدثني عن علي بن المغيرة، عن زيد العمي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «يقوم القائم لموافة الناس سنة» يريد السائل أن يقول: إن هي إلا سنة ويقوم القائم، فكيف لم يقم!؟

فأجابه الإمام عليه السلام وقال: «يقوم القائم بلا سفياني؟! إن أمر القائم حتم من الله، وأمر السفياني حتم من الله، ولا يكون قائم إلا بسفياني» فإن معنى استنكار قيام القائم بدون السفياني هو إرجاع السائل إلى مرتكزاته وما علمه من حديث النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من أن السفياني هو علامة قيام القائم، فيريد أن يقول له: أنت تعلم جيداً أنه يخرج السفياني أولاً ثم يقوم القائم عليه السلام.

ومع ذلك فإن الراوي يطوي كشحاً عن مسألة ظهور السفياني وطول مدته، فيسأل مرة أخرى عن قيام القائم ويقول: جعلت فداك، فيكون في هذه السنة؟ فأجابه الإمام وقال: «ما شاء الله» قلت: يكون في التي يليها؟ قال: «يفعل الله ما يشاء»^(١).

ومعلوم أن حال هذا السائل لا يحتمل أكثر من هذا الجواب، فهو مع علمه بلا بدئية خروج السفياني قبل القائم وطول مدته، يسأل عن قيام القائم في السنة التي هو فيها، ثم يستعمل غاية الصبر ويسأل عن قيامه في السنة التي تليها.

وأوضح من جميع ذلك الخبر الذي يرويه ابن مهزيار عن صاحب الأمر عليه السلام أنه بعد ما ذكر انقضاء ملك بني الشيبان والعلائم على ذلك

تلا قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * أُنَاهَا أَثَرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ﴿١﴾ فقلت: سيدي يا ابن رسول
الله ما الأمر؟ قل: نحن أمر الله وجنوده، قلت: حان الوقت؟ قل: ﴿اِقْتَرَبَتِ
السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(١).

وليست الأخبار الدالة على هذا السنخ من الجواب الذي يفهم منه
السائل أو السامع قرب ظهور الإمام محدودة بهذه الروايات، بل هو شامل
لكل الأخبار التي يقول فيها الإمام: «إذا كان كذا فتوقعوا الفرج أو
انتظروا الفرج أو فارحل إلينا» وكذا الروايات التي يخاطب بها الإمام
الراوي بشخصه بأن يقول له: «يا زارة إذا أدركت هذا الزمان فادع بهذا
الدعاء»^(٢) أو مثل رواية سدير يقول له الإمام عليه السلام: «يا سدير الزم بيتك
وكن حلساً من أحلاسه، واسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغك أن
السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك»^(٣).

فهل ترى أن سدير يفهم من هذا الكلام أن الخطاب متوجه لابنه الأربعين
مثلاً، أو أن الخطاب له بذاته، وإن كانت القرائن تشهد بإرادة سدير النوعي،
أعني عامة المنتظرين لظهوره عليه السلام، ولكن لا يعدو إرادة ذلك النوع الذي أحد
مصاديقه هو سدير نفسه.

وبهذا يكون الجواب الأول هو جواب مأثور ومسموع من الأئمة منقول
في الكتب المعتمدة، فلا تثريب على من أجاب بأن الإمام عليه السلام يظهر اليوم أو

(١) كمال الدين ٢: ٤٦٥ ح ٢٣، الغيبة للشيخ الطوسي: ١٥٩، والآية الأولى في

سورة يونس: ٢٤، والثانية في سورة القمر: ١.

(٢) الكافي ١: ٣٣٧ ح ٥.

(٣) الكافي ٨: ٢٦٤ ح ٣٨٣.

غداً، أو هو قريب جداً، خصوصاً لو شفعنا ذلك الرأي بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ بِرُؤْيُهِ بَعِيدًا * وَنَزَاهُ قَرِيبًا﴾^(١) وهو أمر له حكمه ودواعيه الخاصة به.

وأما الجواب الثاني:

فهو الآخر له دلائله ومسوغاته المستفادة من كلمات المعصومين عليهم السلام المنقولة في شتات الأخبار بحيث يدعو إلى اليأس والانقطاع والتصديق بطول المدة وعدم درك شيء من ذلك.

منها الرواية التي يرويها ابن سليمان الحلبي بسنده عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام كان أبو جعفر عليه السلام يقول: «لقائم آل محمد عليه وعليهم السلام غيبتان واحدة طويلة والأخرى قصيرة» قال فقال لي: «نعم يا أبا بصير إحداهما أطول من الأخرى، ثم لا يكون ذلك حتى يختلف ولد فلان وتضيق الحلقة ويظهر السفيني ويشند البلاء ويشمل الناس موت وقتل يلجئون منه إلى حرم الله وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»^(٢)، فواضح أن أبا بصير يفهم من ذلك بُعد زمان القائم عليه السلام، وعدم دركه لكل تلك العلائم.

ومنها الرواية التي يقول فيها الإمام الباقر عليه السلام: «يا جابر الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك، أولها اختلاف بني العباس وما أراك تدرك ذلك ولكن حدثت به من بعلي عني...».

ومعلوم أن البعيد عند الشخص المنتظر لقيام القائم عليه السلام هو ما بعد مفارقتة الدنيا، ولو كانت بعد أيام من مفارقتة الدنيا فهو عنده بعيد، والقريب هو أن يدرك زمانه ولو بعد خمسين عاماً، فليس قول الإمام (ولا أراك تدرك ذلك) إلا هو حكاية أخرى عن طول المدة وتماديها، وليس هذا

(١) المعارج: ٦ - ٧.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٨.

تأميلاً، بل هو إيجاد يأس وتقنيط.

ومنها روايات التمهيص التي تقدم منها روايتان ونضيف هنا الرواية التي يرويها الشيخ المفيد بسنده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «لا يكون ما تمدون إليه أعناقكم حتى تميزوا وتمحصوا فلا يبقى منكم إلا القليل...»^(١).

والرواية التي يرويها الصدوق - رحمه الله - يقول فيها الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه وهو منصور بزرج: «يا منصور، إن هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد أياس، لا والله، لا يأتيكم حتى تميزوا، لا والله لا يأتيكم حتى تمحصوا، ولا والله لا يأتيكم حتى يشقى من شقى، ويسعد من سعد»^(٢).

والرواية التي يرويها النعماني بسنده عن إبراهيم بن هلال قال، قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك، مات أبي على هذا الأمر وقد بلغت من السنين ما قد ترى، أموت ولا تخبرني بشيء؟! فقال: «يا أبا إسحاق أنت تعجل» فقلت: إي والله أعجل، ومالي لا أعجل وقد كبر سني وبلغت أنا من السن ما قد ترى، فقال: «أما والله يا أبا إسحاق ما يكون ذلك حتى تميزوا وحتى لا يبقى منكم إلا الأقل» ثم صغر كفه^(٣).

فلا يستفاد من ذلك سوى طول المدة وبعُد الأمد وحصول اليأس والتمييز والتمهيص والشقاء والسعادة.

وخطاب الجمع في «لا يأتيكم وتميزوا» يعني الشيعة على مر الزمان، وليس هو خطاب شخص.

ومنها الرواية التي يرويها الشيخ الطوسي يسأل فيها محمد بن بشر

(١) الإرشاد ٢: ٣٧٥.

(٢) كمال الدين: ٣٤٦ ح ٣١.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٠٨ ح ١٤.

محمد بن الحنفية ويقول: قد طال هذا الأمر حتى متى؟ قل: فحرك رأسه ثم قال: أنى يكون ذلك ولم يعض الزمان؟ أنى يكون ذلك ولم يحفوا الإخوان؟ أنى يكون ذلك ولم يظلم السلطان؟ أنى يكون ذلك ولم يقم الزنديق من قزوين فيهتك ستورها^(١)... وما تكرار كلمة «أنى يكون» أربع مرات إلا اقترباً من قوله لا يكون بمعنى اليأس.

ومنها الرواية التي يرويها الشيخ الكليني والشيخ الطوسي بسند عن خالد العاقولي في حديث له عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «فما تمدون أعينكم؟ فما تستعجلون؟ أستم آمنين؟ أليس الرجل منكم يخرج من بيته فيقضي حوائجه ثم يرجع لم يختطف؟ إن كان من قبلكم من هو على ما أنتم عليه ليؤخذ الرجل منهم فتقطع يده ورجلاه ويصلب على جذوع النخل وينشر بالمنشار، ثم لا يعدو ذنب نفسه». ثم تلا هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٢).

ومنها رواية النعماني عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين العرب وقريش إلا السيف، ما يأخذ منها إلا السيف، وما يستعجلون بخروج القائم؟ والله ما لباسه إلا الغليظ، وما طعامه إلا الشعير الجشب، وما هو إلا السيف والموت تحت ظل السيف»^(٣).

(١) الغيبة: ٢٢١.

(٢) الكافي ١: ٣٣٣ ح ١، الغيبة: ٤٥٨ ح ٤٦٩. والآية في سورة البقرة: ٢١٤،

وقوله: لا يعدو ذنب نفسه بمعنى أنه لا يتهم سوى نفسه ولا يرى السبب فيما يصيبه سوى ذنبه وتقصيره.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٣٤ ح ٢١.

ومنها ما رواه النعماني أيضاً عن معمر بن خلاد قال: ذكر القائم عند أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال: «أنتم اليوم أرخى بالاً منكم يومئذ» قالوا: وكيف؟ قال: «لو خرج قائمنا عليه السلام لم يكن إلا العلق والعرق والنوم على السروج، وما لباس القائم عليه السلام إلا الغليظ، وما طعامه إلا الجشب»^(١).

ومنها التوقيع الواصل إلى الشيخ علي بن محمد السمرى جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمرى أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية، فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً...»^(٢).

والرواية الأخرى التي يرويها الكليني بسنده عن الفضل الكاتب قل: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأنه كتب أبي مسلم، فقل: «ليس لكتابك جواب أخرج عنه» فجعل يساراً بعضنا بعضاً، ولعل كتاب أبي مسلم هذا هو الذي بعثه إلى الإمام الصالح عليه السلام عندما أراد الخروج من خراسان بهدف خلع الملك من بني أمية وإعادته في بني هاشم رأى فيه أصحاب الإمام بارقة أمل وتنسموا منه نسيم الفرج وحلول الوعد الصالح وقيام القائم من آل محمد عليهم السلام الذي ينتظرونه على أحر من الجمر وهم في دولة بني أمية أو هو كتاب أبي مسلم ياتر فيه على بني العباس لما رأى ظلمهم وفسادهم فأراد رده في العلويين، فلما سمعوا رد الإمام عليه السلام ورفضه تعجبوا من ذلك وصاروا يتهامون فيما بينهم عن سر ذلك الرفض والسبب في تضييع تلك الفرصة الذهبية.

فقال لهم الإمام عليه السلام: «أي شيء تسارون يا فضل إن الله عز وجل

(١) كتاب الغيبة: ٢٨٥ ح ٥٠.

(٢) كمال الدين: ٥١٦ ح ٤٤.

ذكره لا يعجل لعجلة العباد، وإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقض أجله، ثم قال: إن فلان بن فلان حتى بلغ السابع من ولد فلان... فقد آيسهم الإمام من الفرج وذكر لهم مَنْ سيملك من بني العباس واحداً بعد الآخر حتى بلغ السابع منهم، ولم يذكر من بعدهم وهم كثير؛ تهويناً عليهم من أن يصرفهم عن التفكير في الفرج وتأمله بالكلية، فتبرد عزائمهم الدينية ويزول المقدار المطلوب من التحمس، فهو يرجئهم بقدر أن لا تهبط عزائمهم وتبرد هممهم ولا يدعهم يفقدون الأمل ولذا يسأل الراوي بعد ذلك ويقول: فما العلامة فيما بيننا وبينك جعلت فداك؟ قل: «لا تبرح الأرض يا فضل حتى يخرج السفيناني، فإذا خرج فارحل إلينا - يقولها ثلاثاً - وهو من المحتوم»^(١).

يسأل الراوي ذلك السؤال الأخير وهو بين اليأس والرجاء، بل يتشبث بطحلب بعد الأياس الذي اقتضاه كلام الإمام من عدم انقضاء مدة حكومة بني العباس وصعوبة إزالته حتى أنه أصعب من إزالة الجبال الرواسي فلا يكون جواب الإمام عليه السلام فارحل إلينا ثلاثاً إلا تخفيفاً على ذلك السائل الذي لا يتحمل عدم ظهور القائم ولا يرضى بتحمل ظلم الظالمين طيلة حياته.

ولعل هذه الرواية تفسّر الكثير من التساؤلات التي تُطرح حول أخبار القائم عليه السلام التي تتردد بين التأميل والتقنيط.

وليس هذا التقنيط منحصرأ في الاستفادة من هذه الأخبار، بل هو شامل لجميع الأخبار التي جاء فيها لا يكون ما تأملون، أو لا يظهر القائم حتى يكون كذا وكذا، وهي آتية في غضون المباحث القادمة.

وأما الجواب الثالث:

فهو الجواب الذي أجاب به الإمام الصادق عليه السلام أبا بصير عندما

(١) الكافي ٨: ٢٧٤ ح ٤١٢.

سأله: جعلت فداك متى خروج القائم عليه السلام? فقال: «يا أبا محمد إنا أهل البيت لا نوقت وقد قال محمد صلى الله عليه وآله: كذب الوقاتون، يا أبا محمد إن قدام هذا الأمر خمس علامات...»^(١)، ويلحق به كل الروايات الذاكرة للعلائم عند سؤال الراوي عن الفرج وزمان الظهور.

وأما الجواب الرابع:

فيتبع حال السائل إذا كان قانطاً فلخبد التأميل والتقريب أعني الجواب الأول، وإذا كان السائل مستعجلاً متحمساً أكثر من المقدار المطلوب فالتمهيل وخصوصاً تلك الطائفة التي تنذرع بذلك للخروج على الحكام مع كل خارج، عندما تضرب طبول الحرب وتحديث بعض التغييرات نظير الفترة الانتقالية التي عاشها المسلمون بين الحكومتين الأموية والعباسية وخروج أبي مسلم الخراساني وعرضه الحكومة على الإمام الصالح عليه السلام، وتأمل المنتظرين الفرج أكثر من غيره من الأوقات، فليس أمل الإمام سوى صرفهم عن التحرك وحفظ دمائهم التي لم يقدر لها سوى السفك إذا خرجوا وتحركوا، وإخبارهم بعدم حلول الوقت المعلوم وطول الفترة التي تسبقه.

بينما أولئك الذين نسوا القائم عليه السلام وصارت قلوبهم تبرد بعزلها عن وهج ذلك السراج المنير والقمر الزاهر، فلا يسع المسئول سوى تأميلهم وتقريب زمانه بالإشارة إلى بعض دلائله وعلائمه وآياته.

واليوم يقال لذلك الشخص الذي ترك جدّه وجلده لخوض معترك الحياة اتكالاً على ظهور القائم اليوم أو غداً، خصوصاً أولئك الذين يتركون طلب العلم بجميع أقسامه بذريعة قرب ظهور الإمام عليه السلام وحصول الفرج اليوم أو غداً فيفيض العلم في زمانه وأيامه فلا حاجة للتعلم اليوم يقال لهم: إن الأمر لا يأت إلا بعد الأياس وانقطاع المدة.

(١) كتاب الغيبة: ٢٨٩ ح ٦، البحار ٥٢: ١١٩ ح ٤٨.

ويجب أن يرقب الظالمون قرب عهده وانتصاره للمظلومين كي لا يتمادوا في ظلمهم وجورهم؛ فإن أمره عليه السلام بغتة، يوم لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

أما إذا استتب الإيمان في قلب شخص وصار لا يؤثر فيه قرب العهد وبعده، فلا يسع المسئول سوى ذكر المستفاد من الأخبار بحقيقته وواقعه بعد تخليصها من الشوائب والموهومات كما صنعناه في هذا الكتاب وهو الأمر الذي أخبر به الإمام الغائب عليه السلام آخر وكلائه السمري في الحديث المتقدم.

تقد حديث السبعين

شاع واشتهر بين المسلمين الأوائل أن البلاء الذي كان يصيبهم جراء المحراف مسير الخلافة عن الطريق الذي رسمه النبي الأكرم ﷺ وطمع فيها الذؤبان الطامعون وتسببوا في تشقيق صفوف الأمة وحدث النزاع والصراع الدموي والعقائلي، كل ذلك سينجلي على رأس السبعين من الهجرة النبوية، ويتحقق الفرج بقيام القائم وانجلاء الغبرة، وهم يتناقلون بذلك الأحاديث التي يروونها عن أمير المؤمنين عليه السلام وغيره.

فقد أخبروا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: «إلى السبعين بلاء، وبعد السبعين رخاء»^(١) مما يدل على تكرار هذا القول منه ودوامه بقرينة قول الراوي «كان يقول».

ولا يعني بالرخاء غير الفرج كما حدث بذلك الشيخ الصدوق عن العالم عليه السلام قل: «إن معنى قوله إلى السبعين بلاء أن الله عزوجل وقت للفرج سنة سبعين»^(٢).

وكان يروى عن عبد الله بن عمرو أنه كان يزعم «أن الساعة تقوم على رأس السبعين» وهذا عبد الله بن بشار الشاعر ينشدنا:

| | |
|---------------------------|---|
| إذا كملت إحدى وستون حجة | إلى التسع من بعدهن ضرائح |
| وقام بنو ليث بنصر بن أحمد | يهزّون أطراف القنا والصفائح |
| تعرفهم شعث النواصي يقودها | من المنزل الأقصى شعيب بن صالح |
| وحدثني ذا أعلم الناس كلهم | أبو حسن أهل التقى والمدائح ^(٣) |

(١) انظر الخرائج والجرائح ١: ١٧٨، والبحار ٤: ١٢٠ ح ٦١.

(٢) إثبات الوصية: ١٣١.

(٣) الخرائج والجرائح ٣: ١١٦٧.

فإذا أضيفت التسع إلى الإحدى والستين حجة صارت سبعين عاماً يقوم بعدها القائم من أبناء الرسول ﷺ فينصره بنو ليث يقودهم شعيب بن صالح الذي سيأتي الكلام عنه بعنوان أنه المهد للمهدي ﷺ والقائد لقواته.

كل ذلك بالإضافة إلى تصديق الإمام الباقر والإمام الصادق هذا النبأ كما جاء في الأخبار المعتبرة وغير المعتبرة الأنفة الذكر.

حتى إذا مضى سبعون عاماً ولم يتحقق الرخاء ولم ير الناس الفرج بل اشتد وتعظم الخطر الذي كان يحيط بالمسلمين جراء حكومة بني أمية وصعود يزيد إلى دفة الحكم وقتله الإمام الحسين ﷺ وأصحابه واستباحته المدينة، حدث التساؤل عن ذلك، وهو أمر طبيعي جاء به الخبر المعتبر الذي يرويه الشيخ الطوسي عن أبي حمزة الثمالي قال، قلت لأبي جعفر ﷺ: إن علياً ﷺ كان يقول: إلى السبعين بلاء، وكان يقول بعد البلاء رخاء، وقد مضت السبعون ولم نر رخاء؟

وهذا سؤال محرج بحسب الشرائط الاعتيادية، ولذا لما سئل عبد الله بن عمرو وقيل له: تزعم أن الساعة تقوم على رأس السبعين قال: إنهم يكذبون عليّ، ليس هكذا، ولكن قلت: لا يكون السبعين إلا ما كان عندها من شدائد وأمور عظام.

والمستفاد من هذه الرواية أن النبي حدث عن عبد الله بن عمرو كلامه الأول ليس رجلاً واحداً، بل هم كثير بقريته قوله يكذبون، وما أظنهم كانوا يكذبون، ولكن هذا طريق التخلص من الإحراج الذي يصنع نظيره بعض الرواة كأبي هريرة فإنه كان يرطن بلحشية ويخلص نفسه.

وأنت ترى أن هذا السؤال طرح على الأئمة الباقر والصادق والكاظم ﷺ كما جاء في الخبر الذي رواه الشيخ الطوسي كما مر ويرويه الشيخ الكليني

بسند معتبر عن أبي حمزة يسأل فيه الإمام الباقر عليه السلام عن ذلك، فقال: «يا ثابت، إن الله تبارك وتعالى قد كان وقت هذا الأمر في السبعين، فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض فأنخره إلى أربعين ومائة، فحدثناكم فذعتم الحديث، فكشفتهم قناع الستر، ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا، ويمحو الله ما يشاء، وعنده أم الكتاب».

قال أبو حمزة: وقلت ذلك لأبي عبد الله عليه السلام، فقال: «قد كان ذلك»^(١).

وتقدمت الرواية التي يرويها عن العالم عليه السلام جاء في آخرها: «فلما قتل الحسين عليه السلام غضب الله على أهل ذلك الزمان فأنخره إلى حين»^(٢).

فإن من يعرف البداء لا يشكل عليه هذا الأمر وأمثاله، والله سبحانه وتعالى مختار لا يسلب اختياره شيء، فإنه القائل: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾^(٣).

ولو صرفنا النظر عن ذلك فإننا بعدما علمنا أن الله سبحانه وتعالى لا يجري الأمور إلا بأسبابها التي تشكل وجود المقتضي وتحقق الشرط وارتفاع المانع، فلا يزيد أن يكون الإخبار بتحقيق الفرج على رأس السبعين على تحقق المقتضي لذلك، فيبقى مثل قتل الإمام الحسين عليه السلام هو عدم تحقق الشرط أو هو المانع من تأثير المقتضي.

ولو عدلنا إلى لسان يفهمه العموم، فإن ذلك دليل على عظم المصلحة في قيام القائم عليه السلام الذي هو بمثابة هدية ثمينة جداً يشترط هدايتها

(١) الكافي ١: ٣٦٨ ح ١، الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٦٣، ورواه العياشي ٢: ٢١٨ ح ٦٩

مرسلاً عن أبي حمزة، والنعماني في كتاب الغيبة: ٢٩٣ ح ١٠ بتفاوت يسير.

(٢) إثبات الوصية: ١٣١.

(٣) الأعراف: ١٤٢.

استحقاق المهداة إليه لتلك الهدية، ويبقى على المهدي إليه أن يبرهن على استحقاقها، فما مثابة بعث القائم عليه السلام إلى قوم قتلوا الإمام الحسين عليه السلام إلا كإهداء درة ثمينة لمن لا يعرف قدرها.

وليعلم المنتظرون بل جميع المسلمين، وحتى جميع العللين أن المهدي عليه السلام هو أئمن هدية من الله سبحانه وتعالى للبشر بعد الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله لا يستحقونها أبداً، غير أن الله سبحانه وتعالى لما وعد بذلك، فإنه سيفي بوعدده ولكن يتوقف على أدنى تغيير وتأهيل لذلك في المهدي إليهم يكون حجة وذريعة لإرسالها.

ولقد فرطت هذه الأمة الظالمة بمن سبق من آبائه الأوصياء المعصومين عليهم السلام، فلا يفوتهم آخر فرصة وآخر حجة وهو بقية الله سبحانه وتعالى في أرضه، ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وما أظن أن كلمة «خير» يدرك معناها أحد.

السبب في عدم توقيت الظهور

قد يصعب درك السبب على من كان في زمان المعصومين بصورة عامة، ولكننا اليوم بعد مضي أكثر من أربعة عشر قرناً قد لا يعسر علينا فهم السبب في ذلك، لأجل أن المخاير التي يمكن تصورها قد زال أكثرها وصارت المسألة ممكنة الاستيعاب والتصور.

وما عساه يكون حال السائل عن زمان الفرج إذا أخبره الإمام بأنه سيظهر القائم عليه السلام بعد ألفي عام مثلاً؛ فإن الأمر سيكون عنده أقرب إلى الأسطورة من الواقع، وألصق بالخيال من الحقيقة، فتموت القضية أساساً ولم يبلغنا منها عين ولا أثر، ولا نجد من يتحمس لتحملها وتعيبتها ولا من ينشد إليها ويعطيها أذن صاغية وهمة عالية، ولما توارث المحبون هذا الحب وهذه العلاقة التي شهدناها بالأمس ونشهدها اليوم.

تلك العلاقة والمجبة التي تصنع القضية على مر الزمان وتخلق أنصارها والداعين إليها وتحرسها حتى تجد أنصارها الحقيقيين، فإن تنامي العلاقة وازدياد التقدير لأرباب الديانات بمرور الزمان ملحوظ في كل الأديان.

ومن ناحية ثانية فإن عدم العلم بالشيء الخطير يجعله أقرب إلى الذهن من ذلك الخطير الذي يعلم زمانه؛ فإن التدبير لاستقبال المعلوم أو دفعه يكون محدوداً بوقته المعلوم، وبينما ذلك المجهول يكون التحذّر منه والتدبير له في كل حين وزمان، فيزيد هذا الترقّب والتحذّر والتصور المستمر من وضوح صورته في الأذهان وارتكازها أيما ارتكاز.

ونحن بعد مضي أكثر من أربعة عشر قرناً من يوم تولّد هذه الفكرة لم تُعد لدينا مسألة بُعد زمان الظهور وقربه معضلة في عملية تصعيد العلاقة وتحكيم الرابطة، فإن مرور كل تلك الأعصار يكون قد أثر أثره وتاخم الغاية

المطلوب تحققها بسبب مرور الأعصار والدهور.

فلا يعود هناك فرق من ناحية الأثر الذي يتركه مرور الأيام بين مرور أربعة عشر قرناً أو عشرين قرناً، ولو كان هناك فرق فهو قليل جداً، سواء في مجال توليد عنصر الزمان للمتحمسين أو في مجال تحكيم وجودها في الأذهان، والنتيجة أن كل ما يمكن حصوله نتيجة لمرور الزمان وتماهي العصور فقد حصل.

حتى لو فرضنا أن الذي يحصل من كل ذلك التأخير وطول المدة هو البرود والتمحيص والتخليص والغريبة حتى يتميز الطالب الحقيقي عن غيره وتظهر كوامن النفوس وحقيقة المدعين للقدرة على إقامة الحق والعدل، وتنكشف خبايا المتلبسين بلباس الدين وزبي الناسكين وما اشتملت عليه الصدور، فقد عض الزمان وانكشفت حقائق المدعين وكشفت عورات المستترين، فلم يبقَ من يدعي إقامة الحق والعدل ولم يبقَ جلباب يستر عورة المستترين، فلقد بدت العلامة لتوسمها والحقيقة لناظرها، ولم يبق سوى تجليها أكثر فأكثر.

وكأنني بمن يخلفني بعد عدة قرون - لا قدر الله ذلك - وهو يتعجب من قولي هذا ويقول: ماذا يقول هذا الكاتب لهذه السطور يتحدث عن انهتاك الستائر وكشف ما في الضمائر وتمحيص الناس قبل كذا من القرون، ولو كان في هذا الزمان وما يرى من كلب الناس وحصول اليأس وتكذيب أصل القضية ماذا يقول.

فإنني سأقول له على فرض تماهي المدة وعدم ظهور القائم ومرور القرون إن القضايا قد وجدت مصاديقها، وعرف المتطلعون مضمرة القلوب ونوايا المدعين، فلم تزد عندكم غير اتساعها وانتشارها وخرجت من الخصوص إلى العموم.

ومهما يكن من ذلك فالتمحيص والتمهيد هو السر في عدم التوقيت،

وليس التقية والخوف، فأى خوف في الإخبار بظهور القائم عليه السلام بعد ألفي عام مثلاً، إنما الخوف من ترقب الحكام الظالمين ظهوره في كل حين، يجعلهم يتصدون بقوة لكل حركة وقيام بالسيف، ويجهدون في تنفيذ كل دعوة، ظانين أنها دعوة الإمام المهدي عليه السلام الذي يكون قيامه نهاية لحكومة الظالمين.

نعم يكون لهم رادعاً عن التماهي في القسوة على العلويين تحسباً ليوم أخبر به النبي الأُمي ﷺ تكون الكرة فيه على الظالمين، وهو قد فقد فاعليته بعد زمان المأمون العباسي.

فلم يبق إلا ما ذكرناه من التمهيد والتمحيص الذي يمنع منه انكشاف طول المدة وانتشار ذلك بين عموم الناس.

فلم يحجب الأئمة عليهم السلام عن بيان الوقت سوى خوف الانتشار المؤذي إلى عدم تحقق الهدفين المنشودين.

ولذا لما جاء حمران إلى أبي جعفر عليه السلام وسأله: جعلني الله فداك لو حدثتنا متى يكون هذا الأمر فسررنا به؟

ومعلوم أنه لو أخبره بواقع الحال لاغتم أشد الغم، ومع ذلك فإن الذي منع الإمام من جوابه هو خوف الانتشار، فقد لا يكون حماد ممن يصرفه طول المدة عن هذا الأمر، ولكن تسرب هذا الخبر سيؤثر أثره غير المطلوب، ولذا قال له الإمام عليه السلام: «يا حمران إن لك أصدقاء وإخواناً ومعارف» يريد أنك لا يسعك في الساحة العملية الكتمان عنهم.

ومهما يكن من ذلك فقد ذكر له قصة ظريفة تحمل في طياتها الكثير من المعاني الضخمة قال عليه السلام: «إن رجلاً كان فيما مضى من العلماء، وكان له ابن لم يكن يرغب في علم أبيه ولا يسأله عن شيء، وكان له جار يأتيه ويسأله ويأخذ عنه، فحضر الرجل الموت فدعا ابنه فقال: يا بني إنك قد كنت تزهد فيما عندي وتقلّ رغبتك فيه، ولم تكن تسألني عن شيء،

ولي جار قد كان يأتيني ويسألني ويأخذ مني ويحفظ عني فإن احتجت إلى شيء فأتته، وعرفه جاره، فهلك الرجل وبقي ابنه، فرأى ملك ذلك الزمان رؤيا فسأل عن الرجل فقيل له: قد هلك، فقال الملك: هل ترك ولدًا؟ فقيل له: نعم ترك ابنًا، فقال: انتوني به، فبعث إليه ليأتي الملك، فقال الغلام: والله ما أدري لما يدعوني الملك، وما عندي علم، ولئن سألتني عن شيء لأفتضحت، فذكر ما كان أوصاه أبوه به، فأتى الرجل الذي كان يأخذ العلم من أبيه فقال له: إن الملك قد بعث إليّ يسألني ولست أدري فيم بعث إليّ، وقد كان أبي أمرني أن آتيك إن احتجت إلى شيء، فقال الرجل: ولكني أدري فيما بعث إليك، فإن أخبرتك فما أخرج الله لك من شيء فهو بيني وبينك، فقال: نعم، فاستحلفه واستوثق منه أن يفي له فأوثق له الغلام، فقال: إنه يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أيّ زمان هذا، فقل له: هذا زمان الذئب. فأتاه الغلام فقال له الملك: هل تدري لم أرسلت إليك؟ فقال: أرسلت إليّ تريد أن تسألني عن رؤيا رأيتها أيّ زمان هذا؟ فقال له الملك: صدقت فلخبرني أيّ زمان هذا؟ فقال له: زمان الذئب، فأمر له بجائزة، فقبضها الغلام وانصرف إلى منزله، وأبى أن يفي لصاحبه، وقال: لعليّ لا أنفذ هذا المال ولا آكله حتى أهلك، ولعليّ لا أحتاج ولا أسأل عن مثل هذا الذي سئلت عنه، فمكث ما شاء الله.

ثم إن الملك رأى رؤيا فبعث إليه يدعوه فندم على ما صنع، وقال: والله ما عندي علم آتية به، وما أدري كيف أصنع بصاحبي وقد غدرت له ولم أفر له، ثم قال: لأتيسه على كل حال، ولأعتذرُنّ إليه ولأحلفنّ له فلعله يخبرني، فأتاه فقال له: إنني قد صنعت الشيء صنعت، ولم أفر لك بما كان بيني وبينك، وتفرّق ما كان في يدي، وقد احتجت إليك فأنشدك الله أن لا تخذلني، وأنا أوثق لك أن لا يخرج لي شيء إلا كان بيني وبينك، وقد بعث إليّ الملك ولست أدري عما يسألني، فقال: إنه يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أيّ زمان هذا؟ فقل له: إن هذا زمان الكبش، فأتى الملك فدخل

عليه، فقال: لم بعثت إليك؟ فقال: إنك رأيت رؤيا، وإنك تريد أن تسألني أيّ زمان هذا، فقال له: صدقت: فأخبرني أيّ زمان هذا؟ فقال: هذا زمان الكبش، فأمر له بصلة، فقبضها وانصرف إلى منزله، وتدبّر في رأيه في أن يفي له، فهمّ مرّة أن يفعل ومرّة أن لا يفعل، ثم قال: لعلّي أن لا أحتاج إليه بعد هذه المرة أبداً، وأجمع رأيه على ما صنع على الغدر وترك الوفاء، فمكث ما شاء الله.

ثمّ إن الملك رأى رؤيا فبعث إليه فنقدم على ما صنع فيما بينه وبين صاحبه، وقال: بعد غدر مرتين: كيف أصنع وليس عندي علم، ثم أجمع رأيه على إتيان الرجل، فأتته فناشده الله تبارك وتعالى وسأله أن يعلمه وأخبره أن هذه المرّة يفي منه، وأوثق له وقل: لا تدعني على هذه الحال فإنّي لا أعود إلى الغدر وسأفي لك، فاستوثق منه فقال: إنه يدعوك يسألك عن رؤيا رآها أيّ زمان هذا؟ فإذا سألك فأخبره أنه زمان الميزان، قال فأتى الملك فدخل عليه فقال له: لم بعثت إليك؟ فقال: إنك رأيت رؤيا وتريد أن تسألني أيّ زمان هذا، فقال: صدقت فأخبرني أيّ زمان هذا؟

فقال: هذا زمان الميزان، فأمر له بصلة فقبضها وانطلق بها إلى الرجل، فوضعها بين يديه وقال: قد جئتكم بما خرج لي فقاسمنيه، فقال له العالم: إن الزمان الأوّل كان زمان الذنب وإنك من الذناب، وإنّ الزمان الثاني كان زمان الكبش بهمّ ولا يفعل، وكذلك كنت أنت تهمّ ولا تفي، وكان هذا زمان الميزان وكنت فيه على الوفاء، فاقبض مالك ولا حاجة لي فيه، وردّه عليه^(١).

إذا لم تتحقق العلام

سنستفرغ بعض الوسع في سبيل معرفة العلام الصحيحة على ظهور القائم عليه السلام وسنسلك بذلك طريقة الفقهاء بالاعتماد على الأخبار المعتبرة في أخذ النتائج النهائية وحل التعارضات والمخالفات التي تضمنتها الأخبار الكثيرة المرتبطة بعلام الظهور التي تكاد أن تكون مجراً مواجاً، حينما توسطته لم أر فيه ساحلاً ينقذني ولا مرفأ يعصمني بعد ما لم يسبقني إلى اعتماد الاستدلال الشامل سابق أخطو على آثار خطاه، ولم تعد تنفعني الحلول المقطعية التي تكلفها من سبقني من دون نظرة شاملة تتحد فيها الخطوط العامة التي تسقط في مسارها الفروع الكثيرة المتشعبة.

فاستعملت في ذلك بعض الصبر والتأني وتكرار النظر في الجوامع الحديثة محاولة لتجميع الشتات وتوحيد المسار ثم أخذ النتائج.

ولا أقول إنني بذلت قصارى جهودي ولا بلغت غاية مقصودي، لأنني لم أكن أتحسس الخطر الذي يتحسسه الفقيه عندما يستنبط الحكم الشرعي، فيبذل كل ما بوسعه فراراً من التقصير في معرفة أحكام الله سبحانه وأوامره ونواهيته التي يترتب عليها الثواب والعقاب.

ولهذا فقد سلكت مسلكاً سهلاً في تصحيح الأخبار.

وبعد كل ذلك فإني أريد الإشارة إلى حقيقة خطيرة محصلها أن المصلحة العظمى تكمن في نفس معرفة بعض شروط ظهور القائم عليه السلام وعلامته، والمصلحة التي تأتي بالمرتبة الثانية هي تحقق تلك العلام وترتيب الأثر على ذلك.

وقد تبدو خطورة العمل وصعوبة الموقف إذا تحققت كل تلك العلام أو بعضها ولم يظهر المهدي عليه السلام أو ظهر ولم يتحقق بعض تلك العلام أو

كلها، فإن السبب في ذلك يعود إلى أمرين:

الأمر الأول: هو ضعفي وقصوري قبل تقصيري في استفادة ذلك من المنابع استفادة صحيحة توصلني إلى المقصود الواقعي والمراد الحقيقي منها وتمييز صحيحها من سقيمها.

وليس هذا هو دائي الخاص ومشكلتي بمفردتي، بل هو وباء عام وحالة تنتاب الكثيرين، فقد ترى بعض الناس يسمع حديثاً واحداً في علائم ظهور القائم عليه السلام، فيعتقد به ويستمسك وكأنه العروة الوثقى والغاية القصوى، حتى إذا جلاه لم يجده، ولما تفحصنا عنه وجدناه بنحو آخر.

الأمر الثاني: المرونة التي تتحلى بها هذه القضية المصيرية بحسب ذاتها، آتية من شدة أهميتها وكثرة شروطها ومصيريتها كما هو مستفاد من خبر السبعين وغيره.

حذر من ذلك الأئمة عليهم السلام على ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن أبي عبيدة الخذاء قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذا الأمر متى يكون؟ قال: «إن كنتم تؤمنون أن يجيئكم من وجه، ثم جاءكم من وجه فلا تنكرونه^(١)، يدور هذا الكلام على محاور عديدة تبدأ باسمه عليه السلام وما يُعرف به ومحل خروجه وشعاره وأصحابه ومنها علائمه ودلائل ظهوره، التي قد تبدل وتتغير.

وهذا أمر خطير جداً يجب أن يعيه الجميع، خصوصاً لما كان المبشر به في الكتب السماوية وعرفه الكهان والأخبار والرهبان هو بعثة نبي اسمه أحمد عليه السلام فجاء باسم محمد عليه السلام.

والمنتظر المهدي عليه السلام كذلك لا ينبغي إنكاره إذا خالفت بعض الصفات التي عرفناها وسمعتها أو تخلّفت بعض العلامات التي قرأناها في هذا الكتاب وغيره، وذلك أنه كالشمس الطالعة لا يمكن إنكارها وإن طلعت من مغربها،

بما استلهمناه من الحقائق التي تميزه بحسب الذات عمّن سواه، وترفعه على كل من عاداه.

فإذا حدثتنا الأخبار وجاءت الآثار بظهوره بين الركن والمقام من حرم الله وأمنه ثم يخرج إلى المدينة والشام ثم يفتح الروم، فلا يذهلك خروجه من الكوفة التي هي مقره النهائي على ما هو معروف، أو خروجه من الروم ومن بين الكفار الظالمين؛ لأنه الشمس الطالعة من مغربها كما جاء في الأخبار، ولأن موسى عليه السلام خرج من بيت فرعون، كيف وأم القائم عليه السلام من الروم، فيكون قد خرج في أخواله كما أن عدوه السفيناني يخرج في أخواله كلب على ما يأتي.

وليس ذلك على التعيين والتحقيق، بل هو مجرد التقريب والتمثيل، غير أن أصل التردد في تحقق العلام المستفلة من الأخبار مشفوع بخبر يرويه الشيخ الكليني والشيخ الطوسي والنعمانى بسندهم: عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال، قلت: لهذا الأمر وقت؟ فقال: «كذب الوقيتون، كذب الوقيتون، كذب الوقيتون، إن موسى عليه السلام لما خرج وافداً إلى ربه واعداهم ثلاثين يوماً، فلما زاده الله على الثلاثين عشرًا قال قومه: قد أخلفنا موسى، فصنعوا ما صنعوا، فإذا حدثناكم الحديث فجاء على ما حدثناكم به فقولوا صدق الله، وإذا حدثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به، فقولوا: صدق الله، تؤجروا مرتين»^(١).

وإذا كان الأمر كذلك فما الداعي إلى الكتابة في العلام؟

ما هو الداعي لمعرفتها بصورة كلية؟

لا تظن أنني سأقول لك هو معرفة وقت الظهور وقربه ثم الاستعداد لذلك، أو تمييز الإمام عليه السلام ومعرفته إذا اشتبه الحال أو ادعى المهدي مدعٍ

(١) الكافي ١: ٣٦٨ ح ٥، الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٦١، الغيبة للنعمانى: ٢٩٤ ح ١٣.

وما شاكلها، ولا بناء حكم شرعي يتلخص في جواز القيام والتحرك وعدمه كما هو مفاد: الزم الأرض ولا تحرك ساكناً حتى ترى علامات، ولا هو التنبؤ الذي يشهر صاحبه إذا تحقق وصدق، ولا الترويج على النفس وعلى القارئ، ولا هو إيجاد الرغبة في حكومة العدل وما يترتب على ظهوره وعلى معرفة علائمه وشدة أهميته، ولا ما هو أهم من جميع ذلك وأعظم خطراً أعني دخول معرفة العلائم تحت عنوان انتظار الفرج وهو من أفضل العبادات كما سيأتي الكلام عنه مفصلاً، ولا غير ذلك مما لا استقصيه من الفوائد التي تترتب على الإحاطة بالعلائم ومعرفتها.

وإنما هو شيء واحد وأمر فارد، ألا وهو الحب، وحال أشد من الوقوف على الأطلال وذرف الدموع على آثار النجب والنياق، فعلائم ظهوره هي آثاره وأطلاله، وهي نسيم كماله.

ولست وحدي مغرم مستهيم أو أكلا، بل هو حال جميع المؤمنين الذين عرفوه يتراوح بين ظاهر وكامن، فلا ذاك الذي يطيل النجيب أشد غراماً من ذارف دمعة كراس الذباب وراء الجدار، ولا كمطالع كتابي أو سواء يتنسم عطر ذاك الحبيب.

فما يغفر الشوق والاشتياق إلى تلكم الطلعة الرشيدة، أم كيف تغمض عين المحب وتعرض عن تلكم الغرة الحميدة، ومن يترك التسليم بغير نطق وكلام، وشاهد حاله يظل يقول: السلام عليك يا بقية الماضين، السلام عليك يا بقية الله في الأرضين.

انظر بالله عليك إلى هذين المرويين عن الإمام الباقر عليه السلام أحدهما جميل يقول فيه: «كأنني بالقائم على نجف الكوفة قد سار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، والمؤمنون

بين يديه، وهو يفرق الجنود في البلاء^(١).

والمروي الآخر الذي لا يمكن التشكيك في صدقه حتى لو لم يسند، كيف وقد رواه الشيخ المفيد والشيخ الطوسي رحمهما الله بسندهما عن أبي جعفر عليه السلام قال فيه: «يدخل الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت، فتصفوا له، ويدخل حتى يأتي المنبر فيخطب، فلا يدري الناس ما يقول من البكاء^(٢)».

(١) الإرشاد: ٣٦٢.

(٢) الإرشاد: ٣٦٢، الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٨٠.

فلسفة انتظار الفرج

هل يصح أن يقول الإنسان: إنني انتظر الفرج ولا يتحمل في هذا السبيل المرارة والأذى؟ وهل يصدق الانتظار مع الغفلة واشتغال البال وعدم ترقب ظهوره ~~الذي~~ ومتابعة علائمه والأحداث التي تسبق ذلك الظهور؟

والمعروف أن الانتظار شديد وعسير تطول عنده الساعات ويشد في وقته الألم ويصعب أكثر فأكثر كلما كان المنتظر أكثر محبوبة وأعظم نفعاً؛ خصوصاً إذا كان المنتظر يعيش ظروفاً صعبة وحالة حرجة يعاني فيها أشد المعاناة ينتظر فيها انجلاء تلك المأساة والشدة، ويرقب نهايتها ويتشوف إلى بلوغ المحبوب الذي يتوق إليه، والمطلوب الذي طالما انتظره وترقب حصوله.

فأنت ترى المنتظر المتلهف متحير حزين لا يقر له قرار ولا يستطيع المكث ولا الجلوس في مكان واحد بل ينظر في الأفق ومد الطريق ويرقب دقة الباب أو جرس الهاتف ويتوسم العلام، ويظل ذاهباً جائياً يلحظ في وجناته القلق والأرب، بل في جميع أوصاله.

فلا يسع المنتظرون للإمام المهدي ~~عليه السلام~~ والمترقبون للفرج الذي يكون بفرجه دعوى ذلك حتى يشاهد في وجناتهم ويعرف من حالهم ذلك الانتظار وعدم الاستقرار.

وأجلى مصاديقه هو متابعة العلام والأحداث التي تدل على ظهوره، بعد الإطلاع عليها ومعرفتها من الكتب التي تبين تلك العلام، بل وعلام العلام، والأحداث التي تسبق ظهور القائم ~~عليه السلام~~.

فإذا عرف المؤمن العلام وصار يتابع تحققها ويتحرى مصاديقها ويطبّقها على الأحداث أمكن أن يقال هذا منتظر، وأما إذا غفل عن كل ذلك واشتغل

بأمور المعاش والرياش، فلا يحق له أن يقول: إني أنتظر ظهور القائم عليه السلام.

وإذا أردت أن تعرف حقيقة المنتظر، فهو ذلك الإنسان الذي يسعى على الدوام في تعديل سلوكه وتصحيح أعماله وتطبيقها على ضوء الشريعة الإسلامية تحسباً لظهور القائم عليه السلام الذي لا تنفع التوبة عند ظهوره، ولا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل، حتى إنه قيل: إن التوبة تقبل قبل الموت بساعتين ولا تقبل قبل ظهور القائم عليه السلام بستين وله روايات تدل عليه.

فلا انتظار يلازم الترقب والخشية، بل هو نفس الترقب والخشية وتعديل الأعمال وتصحيح الأفعال والسلوك على ما يقتضيه الشرع المبين، حذر يوم لا ينفع الإنسان الإيمان فيه لم يكن قبله من المؤمنين.

يضاف إلى ذلك الترقب عنصر الصبر، لوضوح أن الانتظار يعني حكومة الظالمين والجبارين وتسلطهم على رقاب المؤمنين والعبث بمقداراتهم والقسوة عليهم والغلظة بما لا يحتمله الإنسان لولا الصبر والانتظار المأمور به، وإمساك الأرض والجلوس في الدار المنسوب إليه.

ولما بلغ الكلام إلى هذا الموضع صار عندي الحافز لأن أبوح بحقيقة خطيرة قد لا يحتملها البعض ولا يرضاها أو لا يصدقها العموم.

وهي الإشارة إلى أن قضية الإمام المهدي عليه السلام والغيبة والانتظار والظهور والفرج يجتمع فيها ثلاثة أمور:

الأول: الغيبة وأسرارها ووجه الانتفاع بالإمام الغائب.

والثاني: انتظار الفرج الذي جاء التعبير في الأخبار بأنه أفضل العبادة.

والثالث: حصول الفرج وظهور الإمام عليه السلام ورفع الظلم ونشر العدل وحصول الفوائد العظيمة بظهوره التي منها حصول الأمن والاستقرار وتحسن الوضع الاقتصادي إلى أقصى الحدود بأن تخرج الأرض خزائنها وكنوزها

ويكثر العمران وتزرع الفلوات حتى أن المرأة تخرج من العراق إلى الشام لا يعترضها معترض ولا تطأ إلا على زرع وخضرة وغير ذلك من الفوائد التي يحتاج الكلام فيها إلى كتاب لسنا بصدها الآن.

فهنالك حكمة ومصلحة عظيمة في ظهور القائم عليه السلام وتحقق حكومة العدل في جميع العالم، كما وأن هناك حكمة ومصلحة في نفس الغيبة وانتظار الفرج.

والحقيقة الخطيرة التي أريد الإفصاح عنها هي أرجحية الحكمة الموجودة في نفس الغيبة والانتظار على الحكمة والمصلحة الموجودة في حصول الفرج وظهور القائم عليه السلام، وربما تكون الفائدة التي يتوخاها الإنسان من وراء ظهور القائم أقل من الفائدة التي يحصل عليها وهو منتظر حزين ومتربح حيران.

لوضوح أن العمل مع الفرح والسرور والدعة أقل قيمة من العمل مع الخوف والاضطراب والقلق وهجوم الشكوك والأوهام، ومواجهة المصاعب ومعاناة الظلم والتقية من الظالمين، لأن الأخير أشد وأحز وهو إيمان السواد على البياض الذي لا ترى فيه معجزة تشد الإيمان ولا تُسمع فيه النصائح التي تنفذ في الأعماق من نفس الإمام، والذي لا يُشاهد فيه عياناً ما يقتدى به من أعماله عليه السلام ليقتدى بخطاه الشريفة.

والدليل على ذلك طول مدة الانتظار وقصر مدة الظهور، فهو يعني أن المصلحة في الانتظار أكثر، وإلا لأظهر الله سبحانه وتعالى القائم عليه السلام.

فأي حكمة هذه وأي مصلحة لم تتفند على مر العصور وتظل باقية عبر القرون، وبها كان الانتظار أفضل العبادة، والعمل معها أفضل العمل.

ولعل أعظم أهداف الخلقة استقلال طائفة من البشر بوظائف العبودية من دون مرشد سماوي ولا قائد رباني مع بقاء الدين وحفظه من التحريف والغلو، ذاك الذي تحقق بعد غيبة الثاني عشر من أوصياء الرسول المصطفى عليه السلام؛

فظل المؤمنون من الشيعة الإمامية على طريق الحق مستقيمين على المنهج المرسوم، ينبع من بينهم العلماء الاتقياء الذين قاموا بحفظ الدين وصيانتته من التحريف والغلو، فتابعهم سائر المؤمنين.

أما أن الانتظار أفضل العبادة فقد دلت عليه الأخبار الكثيرة والروايات العديدة التي تجعله أفضل العبادة وأفضل الجهاد، بل أفضل أعمال الأمة من أول يوم إلى آخر يوم.

وسئل على أن انتظار الفرج عبادة ما رواه الراوندي عن النبي ﷺ قال: «انتظار الفرج بالصبر عبادة»^(١).

وهذا يعني أن الانتظار مما يقصد به القربة إلى الله سبحانه وتعالى كسائر العبادات بل هو أفضلها على ما جاء في الخبر الذي يرويه الشيخ الصدوق بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال، قال رسول الله ﷺ: «أفضل العبادة انتظار الفرج»^(٢).

جاءت هذه الأفضلية من جهة أن الانتظار مر، وهو يعني الصبر، وأفضل الأعمال أمزها، ولأن الانتظار هو انتظار القائم من أهل البيت عليهم السلام وهو يعني الإيمان بهم ومحبتهم وموالاتهم التي تم التأكيد عليها أكثر مما سواها، ولأن الانتظار يعني الحذر وجهاد النفس، بل هو أفضل الجهاد للخبر الذي يرويه ابن شعبة عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضل جهاد أمتي انتظار الفرج»^(٣).

ويمكن استشعار أرجحية فترة الانتظار من الأخبار الدالة على أن انتظار الفرج أفضل الأعمال، فهو يعني أن انتظار الفرج أفضل من الجهاد مع النبي ﷺ لإعلان الدعوة ونشرها وصيانتها، وهو أفضل من الجهاد مع

(١) دعوات الراوندي: ٤١ ح ١٠١، البحار ٥٢: ١٤٥ ح ٦٥: ١٤٥ ح ٦٥.

(٢) كمال الدين: ٢٧٨، كتاب الدعاء للطبراني: ٢٨، ينابيع المودة ٣: ٣٩٧.

(٣) تحف العقول: ٣٧.

المنتظر في مجال إقامة العدل وتأسيس دولته العالمية، وهو أفضل من الصلاة والصيام والحج والزيارة وجميع الأعمال العبادية المستحبة.

وما ذلك الجزم والبت في الأفضلية إلا التأكيد على ذلك في الأخبار والروايات المتعددة المتكثرة بألفاظ متوافقة ومختلفة.

منها الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق بسنده عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج»^(١) ..

وفي رواية أخرى: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عز وجل»^(٢).

وروى الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الجواد عليه السلام أنه قال: «أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج»^(٣).

حيث جعل انتظار الفرج أفضل أعمال الشيعة أو الأمة من أولها إلى آخرها، وليس هناك ما يفوقه من الأعمال مهما عظمت وتخطرت وعظمت نتائجها وآثارها، ولا أفضل منه من الأعمال.

ولم يستثن منها سوى المعرفة، فهي أمر آخر؛ لأنها أساس الدين، فقد روى ابن شعبة عن موسى بن جعفر عليه السلام «أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج»^(٤).

وهناك سر آخر يكمن في انتظار الفرج وفائدة أخرى هي نفس الفائدة المتوخاة من الفرج وظهور القائم عليه السلام حيث عدت الروايات انتظار الفرج

(١) الإمامة والتبصرة: ١٦٣، كمال الدين: ٦٤٤.

(٢) كمال الدين: ٦٤٤ ح ٣.

(٣) كمال الدين: ٣٧٧ ح ١، الصراط المستقيم ٢: ٢٣١.

(٤) تحف العقول: ٤٠٣.

من الفرج، فقد روى الشيخ الطوسي بسنده عن الحسن بن الجهم قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن شيء من الفرج، فقال: «أو لست تعلم أن انتظار الفرج من الفرج»؟! قلت: لا أدري إلا أن تعلمني، فقال: «نعم انتظار الفرج من الفرج»^(١).

وإذا احتملنا الجواز في هذا الكلام فهو ما أشرنا إليه آنفاً من أن انتظار الفرج هو سبب الفرج، وهو يحقق الفرج، ولكن الظاهر أنه نفس الفرج، وفيه تكمن فائدة الفرج، بل ويزيد عليها بفوائد أخرى؛ لذا روي عن علي بن الحسين عليه السلام: «انتظار الفرج من أعظم الفرج»^(٢). كل ذلك لما بينا من أن الانتظار يعني بقاء الأمل وعدم اليأس والقنوط؛ وإيجاد الداعي لاحتمال المصاعب والاستقامة مدة حياة المؤمن.

انتظار الفرج واجب أم مستحب؟

ولكن هل أن انتظار الفرج واجب أم مستحب، وهل يدخل في الأصول أم الفروع، فالروايات وإن أكدت على ذلك وصرح بعضها بوجوبه، كالذي يرويه الشيخ الصدوق بسنده عن عبد العظيم الحسيني قال: دخلت على سيدي محمد بن علي عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غيره فابتدأني فقال لي: «يا أبا القاسم إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته»^(٣).

فقد قال «يجب» وفي رواية أخرى جعله الإمام الصادق عليه السلام من الدين فقال: «من دين الأئمة الورع والعفة والصلاح... وانتظار الفرج بالصبر»^(٤).

(١) الغيبة: ٤٥٩ ح ٤٧١.

(٢) كمال الدين: ٣٢٠، الاحتجاج للطبرسي ٢: ٥٠.

(٣) كمال الدين: ٣٧٧ ح ١.

(٤) الخصال: ٤٧٩ ح ٤٦، البحار ٥٢: ١٢٢.

ولسنا بصدد استفادة حكم شرعي فإن له مجالاً آخر، غير أن الفقهاء لا يستفيدون من أمثال هذا اللحن أكثر من تأكيد الاستحباب والندب، خصوصاً وأن الرواية الأخيرة قد عدته ضمن المستحبات من ورع وعفة و....

عود على بدء!!

ولو رجعنا إلى ما أشرنا إليه من الحقيقة الخطيرة القاضية بأرجحية الانتظار وأفضلية أعمال المنتظرين على أعمال القائمين بالأمر مع الإمام المهدي عليه السلام ورجحان المصلحة في الغيبة والانتظار، وطلبنا لذلك الدليل من الأخبار والروايات في مقام نفي الاستبعاد والاستغراب، ف فيما بين أيدينا..

ما رواه الصدوق بسنده عن أبي خالد الكابلي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «تمت الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده! يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته، المنتظرين لظهوره أفضل أهل كل زمان؛ لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف؛ أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً»^(١).

وفي الجملة فالمهم من بين هذه المباحث هو معرفة أنّ متابعة العلائم ومطالعة الأحداث التي ترتبط بالظهور هو أجلى مصاديق انتظار الفرج بحسب المأنوس في أذهان العرف والمعروف من حال المنتظر لقدم قادم أو عودة مسافر، فهو يتأمل الطريق ويلاحظ العلائم، وإن كان الاستفادة من

الأخبار أن الانتظار هو الصبر وترك التحرك والقيام لما تقدم من رواية الإمام الصادق عليه السلام أنه من الدين انتظار الفرج بالصبر، والرواية الأخرى التي يرويها القاضي النعمان المغربي عن أحمد بن محمد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال سمعته يقول: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج، أما سمعت قول العبد الصالح: ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾»^(١).

وأخيراً!!..

سيطول النقض والإبرام ويتشعب الكلام في الأحداث التي تسبق ظهور القائم في المباحث القلامية، وسيكثر النقاش في مجال أخذ النتائج النهائية المرتبطة بعلائم الظهور المتأخرة وغير المتأخرة بحيث يشعر القارئ بطول المدة وكثرة الأمور التي لم تتحقق لحد الآن بحيث يحتاج تحققها إلى وقت طويل، لأن النقاش فيها قد استغرق مدة طويلة فكيف بتحققها.

ولكن الواقع عدم استغراق تلك الأحداث لفترة طويلة، بل هي نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً، فإن أكثر ما يستغرقه تحقق مجموع العلائم المتأخرة هو ست سنوات وإلا فالباقي لا يتجاوز السنة والستين، حتى أن بعضها لا يمر عليه أكثر من خمسة عشر يوماً.

وهنا يتجلى الدليل في تأكيد الأخبار على أن أمر القائم عليه السلام بفترة، فهو كناية عن سرعة الأحداث المعدودة من العلائم وخفاء بعضها فيكون ظهوره عليه السلام شبه المفاجئة.

فقد روى الشيخ الصدوق بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في القائم: «مثلله، مثل الساعة التي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بفترة»^(٢).

(١) شرح الأخبار ٣: ٥٦٠ ح ١٢١٦ والآية في سورة الأعراف: ٧١.

(٢) كمال الدين ٢: ٣٧٢ ح ٦.

وروى الفضل بن شاذان: «لا يظهر القائم إلا بغتة بين الركن والمقام»^(١) فهي تؤكد ظهوره بغتة من دون تمهيد، لا يكون غير ذلك.

وفي الكتاب الذي بعثه صاحب الأمر إلى الشيخ المفيد: «فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا ويتجنب ما يدينه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة»^(٢)، وغيرها من الروايات.

وروى النعماني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام: «خروج السفيناني واليماني والخراساني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد نظام كنظام الخرز يتبع بعضها بعضاً»^(٣).

وأكثر ما روي من الوقت هي المدة بين خروج شعيب بن صالح وتسليمه الأمر للقائم عليه السلام اثنان وسبعون شهراً على ما جاء في الرواية التي يرويها ابن حماد عن محمد بن الحنفية^(٤)، وإلا فالسفيناني يتصارع على الملك ستة أشهر ويملك حمل امرأة أو حمل ناقة ثمانية أشهر كما يأتي، وليس بين قتل النفس الزكية وخروج القائم سوى خمسة عشر يوم.

(١) كشف النوري: ٢٢٢.

(٢) الاحتجاج: ٤٩٥.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ح ١٣.

(٤) تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح من تميم يهزمون أصحاب السفيناني، حتى تنزل بيت المقدس توطئ للمهدي سلطانه، ويمد إليه ثلاثمائة من الشام، يكون بين خروجه وبين أن يسلم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهراً. كتاب الفتن: ٨٥.

حصر علائم الظهور وتمييزها

ينبغي الالتفات إلى أن المنقول في الأخبار من الأحداث والأمور المهمة التي سلط عليها الضوء وورد التأكيد عليها وتكرر نقلها ليست جميعاً علائم بل هي وقائع مهمة وأمور خطيرة أخبر بوقوعها النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ لعلل وأسباب مختلفة تكون في الغالب هي أهميتها وخطورها، وليس السبب قربها من زمان القائم ولا هي علامة على ظهوره ﷺ، بل هي مجرد تحذير وانفعال من ناظر إلى الأحداث التي تأتي عبر الزمان.

ولو لاحظ الملاحظ كيفية إخبار النبي ﷺ عن وقوعها والحالة التي يخرج بها للتحديث عنها يستشعر أن النبي ﷺ عندها كمن شاهد كل ما يحدث في امتداد الزمن وهو يذكر أهم ما رآه من الحوادث المهمة، وحتى أنه يخرج في بعض الأحوال وكأنه ذلك المشاهد الذي يخرج في وسط المشاهدة ليخبر عن حدث هام شاهده الساعة، فإنه ﷺ قد يخرج وسط الظهيرة عليه آثار الدهشة ليجد بعض أصحابه فيقول: من هذا فلان فلان أو فلان إن السفيناني مثلاً يفعل كذا، أو القائم يفعل كذا، وكأنه خرج في وسط فلم يصور البشرية الذي كان يراه ويشاهده بالعيان.

فقد روى ابن طاووس عن معاذ بن جبل قال: بينا أنا وأبو عبيدة الجراح وسلمان جلوس ننتظر رسول الله ﷺ إذ خرج علينا في المهجر مرعوباً متغير اللون فقال: «من ذا؟ أبو عبيدة، معاذ، سلمان؟» فقلنا: نعم يا رسول الله ﷺ، فذكر الفتن فقال: «تدخل مدينة الزوراء فكم من قتل وقتيلة، ومال منتهب، وفرج مستحل، رحم الله من أوى نسله بني هاشم يومئذ وهن حرمتي...»^(١).

(١) الملاحم والفتن: ١٣٧.

ومعلوم أن مجرد العلم بالشيء لا يؤثر كل ذلك التأثير في الشخص ولا يوجب الرعب وتغيّر اللون، وإنما يؤثره المشاهدة ولس الموقف عن قريب، وما المانع من ذلك وهو يمتلك روح القدس التي يتمكن أن يرى بها كل شيء كما بينا ذلك في كتاب الأسماء.

وإنه ليريبني مثل قول الإمام الصلوق عليه السلام الذي يرويه الكليني: «كأنني بالقائم عليه السلام على منبر الكوفة عليه قباء، فيخرج من وريان قبائه كتاباً مختوماً بخاتم من ذهب فيفكه فيقرؤه على الناس فيجفلون عنه إجمال الغنم فلا يبقى إلا النقباء، فيتكلم بكلام فلا يلحقون ملجأً حتى يرجعوا إليه، وإني لأعرف الكلام الذي يتكلم به»^(١).

أو مثل قول أبي جعفر عليه السلام: «لكنني أنظر إليهم مصعدين من نجف الكوفة ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً...»^(٢)، ولا يقول أحد «لكنني أنظر» إلا إذا تحسس الموقف وشاهده بعينه.

يريبني أن يكون هذا الحديث دليلاً على أن الدنيا هو فلم أعيد بثه، دعوى مدعومة بكل التنبؤات والإخبارات الغيبية مهما كانت، ولكن يهون الخطب ضعف الأحاديث وقوة روح القدس.

ومهما يكن من ذلك فإنه يمكن حصر الأخبار الذاكرة للأحداث التي تسبق ظهور القائم في طوائف معينة ومحدودة قد نستلهم من كل طائفة منها معنى خاصاً ومصداقاً مغايراً يتضح بعض الشيء بعد ذكر الطوائف والحوام حولها.

فمنها: الأخبار الدالة على توقّع الفرج أو انتظاره عند حدوث بعض الحوادث، بل ما يتضمن كلمة الفرج من الأخبار بصورة عامة، فهي في

(١) الكافي ٨: ١٦٧ ح ١٨٥، ومثله في كمال الدين ٢: ٦٧٢ ح ٢٥.

(٢) تفسير العياشي ٢: ٥٦ ح ٤٩.

الغالب لا تعني قيام القائم وظهور المهدي عليه السلام لأن الفرج هو الخلاص من الشدة وإن كنا لا ننفي علائمية الحدث بالمعنى العام الشامل لغير المتأخرة من العلامات.

ومن أمثلتها روايات اختلاف بني العباس واختلاف بني فلان التي منها الرواية التي يرويها النعماني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال فيها: «إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم فعند ذلك فانتظروا الفرج، وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان»^(١).

فإن المقصود من الفرج هو خلاص المخاطبين الذين يعانون من قسوة بني العباس وحيثهم على الشيعة وقتلهم لا شيء بل لأنهم شيعة المعبر عنها بظروف التقية والتخفي بالمعتقد مع إظهار ما يخالفه وينافيه حتى جاءت الفترة التي اختلف فيها العباسيون وقتل المأمون الأمين ليرتفع هذا التشديد وحصل الفرج نوعاً ما وإن بقي التشديد على نفس الأئمة عليهم السلام واستمر هذا الحال إلى أن خرجت الشيعة إلى الميدان وتصدى بعض علمائهم وغيرهم لبعض المناصب كالحمدانيين في الشام والمزيدية في الفرات الأوسط وتشيعت إيران وصار الشيعي مسنود الظهر يتكلم عن مذهبه ودينه بحرية أكثر، وهو فرج آل محمد عليهم السلام.

ولا شك أن هذا هو فرج وإن كان الفرج في اصطلاح اليوم بمعنى ظهور القائم عليه السلام ولكن لم يبلغ حين صدور الرواية إلى مرحلة هجر المعنى اللغوي.

كل ذلك بناءً على إرادة بني العباس من كلمة بني فلان، وبناءً على إرادة الاختلاف الذي طال الدولة العباسية من يوم موت الرشيد حتى أواخر أيامها بحيث صار الولد يقتل أباه.

وهناك احتمال آخر له شواهد وقرائن من الأخبار لتحتمل فيه إرادة تجديد ملك بني العباس بعد زواله، أو إرادة ما سواهم من ملوك عصر الظهور من كلمة بني فلان والبحث فيه موكول إلى محله.

ومن أمثلتها رواية الشيخ الطوسي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «إن من علامات الفرج حدثاً يكون بين الحرمين»، قلت: وأي شيء يكون الحدث؟ فقال: «عصية تكون بين الحرمين، ويقتل فلان من ولد فلان خمسة عشر كبشاً»^(١).

فهي جملة لا تبين أي فرج وهل هو ظهور القائم عليه السلام أو حصول الأمن لآل البيت عليهم السلام وللشيعة والحجاج بحيث يتمكنون من ممارسة أعمالهم كما يريدون وبحسب ما هو مقرر لهم بعد حصول الاختلاف والنزاع بين حكام الحجاز والمتنفذين فيهم نظير ما بدت ملامحه هذه الأيام، وإن كان احتمال إرادة فرج القائم عليه السلام أقوى بحسب متفاهم عرف المؤمنين، غير أن قواعد الاستدلال قد لا تخضع لذلك.

وأوضح من تلك الروايتين رواية الحميري بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أول علامات الفرج سنة خمس وتسعين ومائة، وفي سنة ست وتسعين ومائة تخلع العرب أعتها، وفي سنة سبع وتسعين ومائة يكون الفناء، وفي سنة ثمان وتسعين ومائة يكون الجلاء، فقال أما ترى بني هاشم قد انقلعوا بأهلبيهم وأولادهم»^(٢)، فهل ترى أن ما يحدث في سنة خمس وتسعين ومائة أو حتى سنة المائتين هو علامة على ظهور القائم عليه السلام أو هو علامة على فرج الشيعة ورفع الخناق عنهم بوقوع الخلاف بين العباسيين، وخصوصاً النزاع الذي حدث بين الأمين والمأمون.

(١) الخرائج والجرائح ٣: ١١٧٠.

(٢) الغيبة: ٤٤٨، وانظر قرب الإسناد: ٣٧٠ ح ١٣٢٦.

ومنها: الروايات الدالة على أن بعض الأمور هي أمور محتومة لا بد من تحققها ووقوعها من دون التعرّض لأنها علامة على ظهور المهدي عليه السلام، فتكون حتمية التحقق من دون دلالة على أنها علامة قريبة على ظهور القائم، منها الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق عن أبي حمزة الثمالي قال، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: «إن خروج السفيناني من الأمر المحتوم» قال لي: «نعم، واختلاف ولد العباس من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وخروج القائم عليه السلام من المحتوم»^(١).

وحتمية تحقق الشيء ليس فيه أدنى دلالة على كونه علامة على خروج القائم عليه السلام، خصوصاً وأن هذه الرواية عدّت من جملة الأحداث خروج القائم الذي لا يعقل معه أن يكون المراد من قولهم «من المحتوم» هو من العلامات المحتومة، لأن خروج القائم لا يكون من العلامات المحتومة على خروجه، وهو واضح أجلى وضوح، بحيث يصرفنا عن استفادة علانمية اختلاف ولد العباس على ظهور القائم عليه السلام من هذه الرواية وأمثالها، فيبقى كحدث سابق على ظهور القائم قد يسبقه بألف عام ولكن لا بد من تحققه.

ونظير هذا اللسان الروايات المتضمنة لـ«اللابدية» مثل ما يروي من قول الإمام الصادق عليه السلام لزرارة: «لا بد من قتل غلام بالمدينة» قلت: جعلت فداك أليس يقتله جيش السفيناني؟ قال: «لا، ولكن يقتله جيش بني فلان يخرج حتى يدخل المدينة فلا يدري الناس في أي شيء دخل، فيأخذ الغلام فيقتله، فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لم يمهلهم الله عزوجل فعند ذلك فتوقعوا الفرج»^(٢).

وأياً كان بنو فلان فهي لا تدل على علانمية قتل الغلام على ظهور

(١) كمال الدين: ٦٥٢ ح ١٤.

(٢) كمال الدين: ٣٤٢.

القائم عليه السلام وإن كان قتله مما لا بد منه ويعقبه هلاك بني فلان أو انتزاع السلطة منهم ويكون فرجاً لسكان الحجاز على الأقل بارتفاع ظروف التقية وحلول الديمقراطية وحصول تفهم المذاهب بارتفاع المستوى الثقافي لنسل الحجاز القادم الذي يجعله أكثر استيعاباً للأمور وأقل وحشية، فهو فرج لآل محمد وشيعتهم المتغيين في تلك الديار.

وهذا لا يعني أننا ننفي علائمية قتل الغلام على خروج القائم عليه السلام إذ استفيد من دليل آخر، غير أن هذه الرواية لا تدل على ذلك.

ومنها الروايات التي يقول الإمام فيها «لا ترون ما تحبون حتى يكون كذا» فهي الأخرى مجملة لا تدل على أكثر من سبق ذلك الحدث، منها رواية الكليني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا اختلفوا طمع الناس وتفرقت الكلمة»^(١).

وبعد إجمال كلمة «ما تحبون» التي قد تعني الأمن والخير والحرية وإظهار المعتقد كما قد تعني خروج القائم عليه السلام فهي لا تدل على أن اختلافهم علامة متاخمة على ظهوره، وإنما هو حدث سابق لا يسبقه ظهور القائم، وقد يتخلف عنه بمئات السنين، خصوصاً وأن هذه الرواية دلت على أن الذي يعقب اختلافهم هو تفرق الكلمة الذي قد يعني تقسيم الأمة الإسلامية وطمع الناس الذي قد يعني مطامع المستعمرين بعد كشف البترول وغيره الذي يصاحب صرف النظر عن ملاحقة الشيعة بما هم شيعة فيتسنى لهم إظهار المذهب الحق وارتفاع المخاوف، وحصول الأمن النسبي على الأقل.

ومنها: روايات السكون والجلوس في الدار وملازمته حتى تتحقق

علامات مثل ما رواه الشيخ الطوسي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات، أذكرها لك وما أراك تدركها: اختلاف بني فلان، ومناد ينادي من السماء، ويحييكم الصوت من ناحية دمشق بالفتح...»^(١).

فهي لا تدل على أكثر من التحذر الشديد وترك التحرك والتحرز قبل حصول الأمور المذكورة في الخبر التي منها مجيء الصوت من دمشق بالفتح، فالرواية تتكلم عن حدود زمان التقية الشديدة ولزوم التخفي بالمعتقد، وترك العمل السياسي بصورة كلية حتى تتحقق هذه الأمور، ولا تدل على ظهور القائم عند تحقق هذه العلائم، وليس هي علائم ظهوره، وإنما هي علائم زوال التقية ومشروعية العمل السياسي الهادف للتمهيد للمهدي عليه السلام مثلاً.

ومنها الروايات الذاكرة لعلامات الساعة، أعني الساعة الثالثة التي هي ساعة القيامة مثل رواية الشيخ الطوسي بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عشر قبل الساعة لا بد منها: السفيناني، والدجال، والدخان، والدابة، وخروج القائم، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى عليه السلام وخسف بالشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر»^(٢).

فلا دلالة فيها على أن المذكورات هي علائم خروج القائم عليه السلام وإن كانت هي علائم في واقع الحال، غير أن هذه الرواية وحدها لا تدل على ذلك، خصوصاً وقد ذكرت في العلائم خروج القائم، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر.

ومنها: الروايات التي لسانها قدام هذا الأمر وقبل هذا الأمر حتى

(١) الغيبة: ٤٤١ ح ٤٣٤.

(٢) الغيبة: ٤٣٦.

لو كان الأمر هو ظهور القائم عليه السلام ولكن لا دلالة فيها على العلامية ولا المتأخة مثل رواية النعماني بسنده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: «قبل هذا الأمر السفيناني واليماني والرواني وشعيب بن صالح، فكف يقول هذا هذا» فإن قبله لا يعني الاتصال به، فقد يكون قبله بفترة طويلة.

ورواية الشيخ المفيد عن أبي عبد الله عليه السلام: «إن قدام القائم عليه السلام لسنة غيداة يفسد فيها الثمار والتمر في النخل فلا تشكوا في ذلك»^(١). وكذا روايته الأخرى عنه عليه السلام: «إن قدام القائم بلوى من الله» قلت: ما هو جعلت فداك... قال: «الخوف من ملوك بني فلان، والجوع من غلاء الأسعار ونقص من الأموال...»^(٢).

فإن قدام قد لا تعني الاتصال وقرب العهد، فقد يكون قدامه بفترة طويلة، لكن الإنصاف استشعار القرب والاتصاق؛ لعدم صدق كلمة «قدام القائم» على ما يحدث قبل مئات السنين.

ومنها الروايات الدالة على عدم تحقق الظهور قبل تحقق أمور مثل عبارة «أنى يكون ذلك» أو «لا يكون ذلك» الواردة في مثل رواية أبي بصير قال، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: «لقائم آل محمد عليه السلام غيستان: واحدة طويلة والأخرى قصيرة» قال: «نعم يا أبا بصير أحدهما أطول من الأخرى، ثم لا يكون ذلك حتى يختلف ولد فلان وتضيق الحلقة ويظهر السفيناني و...»^(٣).

فإن عدم كينونة الظهور قبل هذه الأمور لا يعني اتصالها به والتصاقها وقرب عهدها، بل ليس فيها دلالة أكثر من لابدية تحققها، وأما زمانه فقد

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ح ١٢

(٢) الإرشاد ٢: ٣٧٧. وغيداة تعني كثيرة المطر.

(٣) الإرشاد ٢: ٣٧٧.

(٤) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٥.

يقرب وقد يبعد، فلا يثبت كونها علامة من هذا الخبر وحده، ويكون حالها حال روايات المحتومية واللابدية.

ورواية الشيخ الطوسي عن محمد بن الحنفية يسأله محمد بن بشر فقال: قد طال هذا الأمر حتى متى؟ قال: فحرك رأسه ثم قال: أنى يكون ذلك ولم يعض الزمان... أنى يكون ذلك ولم يقم الزنديق من قزوين^(١).

ومنها: الروايات الدالة على علامات نزول عيسى عليه السلام.

فهي وإن كانت لا تدل بالمطابقة على العلامية ولكن تدل بالالتزام بعد ثبوت تقارن نزول عيسى عليه السلام مع ظهور القائم عليه السلام أو تأخره عنه بقليل.

ومنها: الروايات الشرطية التي تشترط ظهور القائم بتحقيق أمور مثل الرواية التي يسأل فيها السائل: متى يظهر قائمكم فيقول: «إذا تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وركب ذوات الفروج السروج...»^(٢) فهي لا تدل على أكثر من أن ظهور القائم لا يسبق تحقق هذه الأمور من دون دلالة على مباشرة ظهوره عند تحقق أول مصاديقها.

ومنها: الروايات المفصلة للوقائع من يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وآله أو من يوم صدور الخبر، أو من يوم زوال دولة بني العباس وحتى من يوم ظهور من يدعو للمهدي عليه السلام فهي لا تتضمن أكثر من سرد وقائع تحدث قبل قيام القائم قد لا تكون متاخمة ولا هي علامة، مثل ما يرويه النعماني بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا اختلف الرحمان بالشام لم تنجل إلا عن آية من آيات الله، قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون بالشام يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على

(١) الغيبة: ٤٤١.

(٢) مختصر إثبات الرجعة: ٢١٧ ح ٢٠.

الكافرين، فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب المحذوفة والرايات الصفر تقبل من المغرب...»^(١).

والرواية الأخرى: «إن دولة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان ولها أمارات، فإذا رأيتم فالزموا الأرض وكفوا حتى تجيء أماراتها، فإذا استثارت عليكم الروم والترك، وجهزت الجيوش وملت خليفتمكم الذي يجمع الأموال، واستخلف بعده رجل صحيح، فيخلع بعد سنتين من بيعته، ويأتي هلاك ملكهم من حيث بدأ، ويستخالف الترك والروم، وتكثر الحروب في الأرض، وينادي مناد على سور دمشق ويل...»^(٢).

ويدخل فيها الروايات الدالة على علامات خروج القائم ولكن فيها كلمة «أولها كذا ثم كذا» فهي علائم متسلسلة قد يفصل بينها قرون.

ومنها: الروايات المتضمنة لعلامات بعض العلائم، مثل الروايات القائلة: «ويخرج أهل الغرب إلى مصر فإذا دخلوا فتلك أمانة السفيناني»^(٣).

ومنها: الروايات المتضمنة للفظ علامة وعلامات وأريد بها علامة قيام القائم إما بالتصريح أو بالقرينة، فهي تتكلم عن أحداث متاخة لظهور القائم لا محالة؛ لعدم معقولية كون ما يحدث قبل ألف سنة علامة على ظهوره عليه السلام ولا حتى مائة سنة، وإنما هو ما يتصل بزمانه ولا تكون بينها فاصلة أو تكون بينهما فاصلة قليلة لا تجوز الأيام والشهر أو الشهرين، وإذا تنزلنا فلا تبلغ السنة، لجميء التعبير بسنة ظهور القائم.

وقولنا يتصل بزمانه يعني استمرار ذلك الحدث حتى ظهوره وإن كان شروعه قد يسبق بأكثر من سنة، فإذا قلنا إن خروج السفيناني من العلائم

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٥.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤١ ح ٤٣٢، البحار ٥٢: ٢٠٧ ح ٤٥.

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٦٣ ح ٤٧٩، البحار ٥٢: ٢٠٧ ح ٤٥.

فهو لأجل بقاء السفيناني إلى ظهور القائم عليه السلام وإن كان خروجه قبل أكثر من سنة وما كان فصله بقليل كالصيحة في رمضان والآية في رجب ليعقبها ظهور القائم عليه السلام في المحرم مثلاً.

ويضاف إلى ذلك الأخبار التي تدل على متاخمة بعض الأمور لظهور القائم عليه السلام بالقرائن والشواهد وإن لم تتضمن لكلمة علامة.

والحصيلة :

فليس جميع المذكور في الأخبار هو من العلامات على ظهور المهدي عليه السلام خصوصاً إذا جاء التعبير بقولهم قبل قيام القائم كذا وكذا، بخلاف ما إذا قال خمس علامات أو عشر علامات، لأن العلامات أمور تحدث قبيل ظهور القائم تتصل بعضها ببعض، نظام كنظام الخرز تختم بظهوره عليه السلام فلا وجه لتطبيقها على حوادث سابقة أو حوادث مفردة غير متصلة بباقي العلامات كما اتفق لكثير عن سبقي في هذا الميدان، فلما تقدم الزمن بان خطأ ما فسر به وما طبقه.

ويمكن حصر المذكور في عامة الأخبار في ثلاث طوائف.

الطائفة الأولى: هي أمور وحوادث تحدث في الفترة ما بين صدور الخبر إلى زمان قيام القائم عليه السلام أو حتى الساعة.

الطائفة الثانية: الأمور التي تطرح كعلامات لظهور القائم بمعنى أنها تكون قبل قيامه ولو بفاصلة زمنية كبيرة تحصل بالتدرج تشد الناس بقضية المهدي عليه السلام على مر الزمان.

الطائفة الثالثة: هي علائم متاخمة لظهور الإمام المهدي عليه السلام يتصل بعضها ببعض، نظام كنظام الخرز كما جاء التعبير عنها في الأخبار، بل تكون متزامنة في الغالب، يجيء التعبير عنها علة بخمس علامات أو عشر علامات، وهي تنقسم إلى حتمية وغير حتمية.

ونحن نستعرض الطائفة الأخيرة، أعني العلامات المتأخة المحصورة والمتكرر ذكرها في الأخبار، ثم نعطف الكلام على الطائفة الثانية إذا سنع الوقت وامكتنا الفرصة وأما الطائفة الأولى فلا يهمننا البحث عنها في هذا الكتاب.

العلائم المتأخة :

أول ما نستعرض منها تلك العلائم التي جاءت بعد قولهم خمس علامات وهي روايات متعددة يتفاوت المذكور فيها ويتبدل لتزيد في المجموع على خمس علائم.

الرواية الأولى: يرويها الكليني بسند معتبر عن عمر بن حنظلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة، والسفياني، والخسف، وقتل النفس الزكية، واليماني»^(١)، ليس الترتيب المذكور فيها هو الترتيب الحقيقي لاختلاف الأخبار في التقديم والتأخير اختلافاً فاحشاً كما سيظهر.

الرواية الثانية: رواية الصدوق بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»^(٢).

الرواية الثالثة: يرويها النعماني بسنده عن عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله عليه السلام: «للقائم خمس علامات: السفياني، واليماني، والصيحة من السماء، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»^(٣).

(١) الكافي ٨: ٣١٠ ح ٤٨٣، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن

علي بن الحكم، عن أبي أيوب الخزاز، عن عمر بن حنظلة.

(٢) كمال الدين ١: ٦٥٠ ح ٦.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٥٢ ح ٩.

الرواية الرابعة: يرويها الشيخ الطوسي بسنده عن عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خمس قبل قيام القائم من العلامات: الصحيحة، والسفياني، والخسف بالبيداء، وخروج اليماني، وقتل النفس الزكية»^(١).

فهذه الروايات الأربع تتفق في العلامات وإن اختلفت في الترتيب بينها مما يبدو أنها رواية واحدة مروية بطرق متعددة عن عمر بن حنظلة عن الصفاق عليه السلام.

الرواية الخامسة: رواية النعماني بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك متى خروج القائم عليه السلام؟ فقال: «... يا أبا محمد إن قدام هذا الأمر خمس علامات: أولاهن النداء في شهر رمضان، وخروج السفياني، وخروج الخراساني، وقتل النفس الزكية، وخسف بالبيداء»^(٢) فقد اختلفت مع الروايات السابقة بذكر الخراساني مكان اليماني، وبهذا صارت العلامات ستة.

الرواية السادسة: يرويها الطبري بسنده عن عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قبل القائم خمس علامات: السفياني، واليماني، والرواني، وشعيب بن صالح، وكف تقول هذا هذا»^(٣).

وهذه الأخرى أضافت الرواني وشعيب بن صالح، والكف التي تشير إلى العلامات الستة فصارت تسعة.

الرواية السابعة: يرويها النعماني عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «علامة خروج المهدي كسوف الشمس في شهر رمضان في ثلاثة عشرة وأربع عشرة منه»^(٤).

وبذلك تتم عشر علامات مصرّح في الأخبار بأنها علامة على خروج

(١) الغيبة: ٤٣٦ ح ٤٢٧.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٨٩ ح ٦.

(٣) دلائل الإمامة: ٤٨٧.

(٤) كتاب الغيبة: ٢٧٢ ح ٤٧.

صاحب الأمر ~~عليه السلام~~، ويبقى هناك علامات مصرح بكونها علامات تتردد بين أن تكون بلسان علامات الفرج أو علامات قدام القائم أو من العلامات المسلسلة التي هي حوادث متعاقبة قد يفصل بينها مئات السنين، كما أن هناك روايات تدل على قرب وقوع بعض الحوادث من ظهور القائم أو في عام الفتح واردة في خبر واحد أو خبرين من دون ذكر تفصيل سنعرض لها بعد إتمام العلائم المتأخرة، أي علامات الخروج التي هي نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً أو يتزامن مع البعض.

وأما العلائم المتأخرة فسنعرض لها بالنحو التالي ليكون أول العلائم هو أول عدد في العد التنازلي المشار إليه في عنوان الكتاب أعني عشرة، والعلامة الثانية بمثابة العدد الثاني في العد التنازلي أعني تسعة وهكذا.

١ - الخراساني

٢ - شعيب بن صالح

٣ - اليماني

٤ - المرواني

٥ - السفيني

٦ - الخسف بالبيداء

٧ - طلوع كف في عين الشمس

٨ - الصيحة في رمضان

٩ - قتل النفس الزكية

١٠ - الكسوف في نصف رمضان

وإذا سنح الوقت فسنخوض في العلائم غير المتأخرة مما صرح بكونها علائم أو دلت القرائن على قرب وقوعها من زمان الظهور.

ملاحظة

لما طال الكلام والنقض والإبرام في العلام وهناك
من لا يرغب في التفصيل قدمنا خلاصة لكل مبحث
يكتفي بها من يكتفي ومن شاء التفصيل يقرأ أصل
المبحث وكل ما جاء فيه من الأخبار والجمع والنقض
والأبرام.

العلامة الأولى
الخراساني

خلاصة الكلام في الخراساني

جاء التركيز في الأخبار على منطقة الشرق التي تعني إيران وما حولها يومَ صدور الأخبار على أنها أرض البشارة والدعوة إلى الحق والمطالبة بحقوق المظلومين في نقاط العالم المختلفة.

كما تم التأكيد على أن أهل المشرق هم أول من يتحسس الظلم المبطن والمعلن، وأول من يفكر في حل البشرية السيء، وما يصيب العالم من الدمار والاستعباد والاستعمار بشيابه المتنوعة.

فتكون أول دعوة لهم هي الدعوة إلى الحق، وأول مطالبة عندهم هي المطالبة به، على أن الحق هو معنى كلي له مصاديق لانهاية لها.

فتستمر هذه المطالبة حتى يتبلور السبيل لتحقيق ما يطالبون به، ويتبرهن لديهم أن السبيل واحد، والطريق منحصر، وأنه ليس سوى المتقد السماوي القوي الساعد، فتتحول هذه الدعوة من المفهوم الكلي إلى المصداق، وتكون دعوتهم هذه المرة إلى المهدي المنتظر عليه السلام المخزون لإقامة العدل، والمذخور لأن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ما ملئت ظلماً وجوراً.

بيد أن هذه الدعوة تقوم بمهمة إعلامية في بادئ الأمر وتبقى بثوبها الإعلامي لمدة مديلة وسنوات عديدة وتطول وتمتد من دون أن تجد أذناً صاغية ولا من يسمعها بين ضوضاء الظالمين المالكين لأجهزة الإعلام الطاغية على العالم، والتي تأخذ بمسامع أهله أين كانوا.

فلا يجدون بُدأً من تغيير الدعوة السلمية وتبديلها إلى تحركات عسكرية متميزة ببراياتها السوداء الخريشة، فيضعون أسلحتهم على عواتقهم، وهم قلوب

كزبر الحديد، على أن انطلقتهم الأولى ستبدأ من خراسان بقيادة رجل خراساني من بني هاشم في يده اليمنى خل، جاء التأكيد في الأخبار على نصرته وإتيانه ولو حبواً على الثلج.

فيخرج ذلك الخراساني من أقصى المشرق ويقوم بتجهيز الجيوش وتحريك العساكر، ويجعل على مقدمته رجلاً من بني تميم اسمه شعيب بن صالح منعوت بالشجاعة والحنكة، فيسير بتلك الجيوش للسيطرة على جميع أرض إيران واسترجاعها من أنصار السفيناني وفلول بني العباس.

ويكون أول مشروع له خارج إيران هو الانقضاض على حكومة العباسيين في بغداد وفي المرحلة الثانية مواجهة عساكر السفيناني في الكوفة وحدثت المعارك الضارية التي تنتهي بإنكسار جيش السفيناني واستخلاص الأسرى والمسجونين من أهل الكوفة من يده.

وهناك رواية تفصل المعارك التي يخوضها الخراساني مع جيش السفيناني الذي يدخل أرض إيران ويكون له معارك مع قوى محلية هنا وهناك، حتى يظهر الخراساني ويقبل بالرايات السود فيكون أول اشتباك لهم مع جنود السفيناني في تخوم خراسان، ويسير الهاشمي الخراساني إلى طهران ويبعث بشعيب والجيش إلى اصطخر ليكون أول لقاء حاسم في حوالي مدينة يزد في العمق الإيراني، تقع بين الجيشين ملحمة عظيمة تكثر فيها القتلى حتى يأتي جيوش الخراساني المدد من سجستان عليها رجل من بني علي، فينتصر الخراساني، ويهرب جيش السفيناني، على أنه أول نصر حاسم تتوالى بعده الانتصارات ويتراجع السفيناني ليكون ثاني التقاء لهم في حوالي طهران، يتراجع بعدها السفيناني إلى المدائن في الحدود العراقية ثم يتقاتلون في عقروق الواقعة في شمال العراق، وتقع في بابل مذبحاً عظيمة، ويتراجع الجيش الأموي إلى أرض نصيبين داخل الأراضي السورية ليتحقق فيها آخر اشتباك.

ولكن الأخبار الأخرى تدل على أن السفيناني لا يدخل أرض إيران ولا

يتجاوز حدود العراق، ويكون أول اشتباك لهم في حوالي الكوفة تكون فيه الغلبة الساحقة للرايات السود بحيث لا يسمحون لجيش السفيناني بأن يخلي الأسرى والمسجونين من السلاطة والعلوين، ويُقتل الكثير من جنود السفيناني. فيبعث السفيناني الجيش إلى المدينة لقتل بني هاشم انتقاماً مما صنعه الهاشمي بجيشه والبلاء الذي أصابهم منه.

وهناك أخبار عديدة تذكر تحركات الخراساني وجيوشه الواسعة التي تشمل العراق والشام وحتى بيت المقدس في مجال التمهيد لحكومة الإمام المهدي عجل الله فرجه.

ولكن سنترك الخوض في التفاصيل ونحيل الكلام إلى التقاء الخارجين من المشرق بالإمام المهدي عليه السلام وما يتفق عنده من الأحداث.

فهناك رواية تتحدث عن خروج الحسيني من نحو الديلم لم تصرّح بأن هذا الخارج هو ذلك الخراساني أو هو رجل يخرج بعد خروج الخراساني.

فهذا الخارج من الديلم تصفه الرواية بأنه جميل جداً، وجهه كدارة البدر يربيع الناس جمالاً، فيصبح بصوت فصيح يأل أحمد أجيوا الملهوف والنلدي من حول الضريح، فتجيبه كنوز الله بالطالقان، كنوزاً وأي كنوز ليست من فضة ولا من ذهب، بل رجال كزبر الحديد على الآليات العسكرية وفي أيديهم الأسلحة يتعاونون شوقاً للحرب كما تتعاونى الذئاب، أميرهم رجل من بني تميم، وهو شعيب بن صالح الذي تقدم ذكره، فيسير الحسيني بتلك الرايات حتى يرد الكوفة ويجعلها معقلاً.

فيينا هو في الكوفة وقد استتب له الأمر يأتيه الخبر بأن جيشاً صغيراً قد نزل قريباً منهم، فيقولون: يا ابن رسول الله من هذا الذي نزل بساحتنا؟

فيقول: اخرجوا بنا إليه حتى ننظر من هو وما يريد، وهو يعلم أنه الإمام المهدي عليه السلام وأصحابه، وأنه ليعرفه إما لاتصاله المسبق به أو لسبب

آخر، ولكن يريد أن يعرفه لأصحابه، فيقبل الحسيني حتى ينزل بالقرب من الإمام المهدي عليه السلام، ثم يقول لأصحابه: اسألوا عن هذا الرجل من هو وماذا يريد، فيخرج بعض أصحاب الحسيني إلى عسكر المهدي عليه السلام ويقول: يا أيها العسكر الجميل من أنتم حياكم الله، ومن صاحبكم هذا؟ وما تريدون؟

فيقول أصحاب المهدي عليه السلام: هذا ولي الله مهدي آل محمد، ونحن أنصاره، فيتعجب أصحاب الحسيني ويصيبهم الدهشة، فيقولون للحسيني: ياسيدنا ما تسمع مايقول هؤلاء في صاحبهم.

فيقول الحسيني: خلوا بيني وبين القوم، فيخرج الحسيني من عسكره ويخرج المهدي عليه السلام ويقفان بين العسكرين، فيقول له الحسيني: إن كنت مهدي آل محمد فأين هراوة جندك رسول الله صلى الله عليه وآله وخاتمه وبرده ودرعه، فيحضر المهدي السفط الذي فيه تلك الأشياء.

فيقول الحسيني: أنا أسألك أن تغرس هراوة جندك رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحجر وتسال الله أن ينبتها فيها، وهو لا يريد بذلك إلا أن يُري أصحابه فضل المهدي عليه السلام حتى يطيعوه ويبايعوه، فيأخذ المهدي عليه السلام الهراوة بيده ويغرسها في الحجر فتنبت فيه وتعلو وتورق، فيقول الحسيني: الله أكبر، مد يدك يا ابن رسول الله حتى أبايعك، فيمد يده فيبايعه، ويبايعه سائر عسكر الحسيني.

هذه خلاصة الكلام في العلامة الأولى من علائم ظهور الإمام المهدي عليه السلام، اختصرناها، لمن لا يرغب في التفصيل، ولا يجب الخوض في النقض والابرام والنقاش الطويل.

على أن هذا هو المستفاد من مجموع الأخبار ضعيفة ومعتبرة، والثابت من خصوص الأخبار المعتبرة منها هو أصل خروج الخراساني وإقبال الرايات السود إلى الكوفة.

العلامة الأولى:

الخراساني

الحديث عن الخراساني بحاجة إلى شيء من الصبر والتأمل والمتابعة ثم فرز البحوث المتشابكة بطي المراحل المتعددة؛ وذلك لأن الكلام الوارد في الخراساني مصاحب لعدة كلمات واصطلاحات يحكي كل واحد منها عن أحداث لها دور في ما نرمي إليه ونقصه من وراء البحث في علائم الظهور بصورة عامة، وفي الخراساني بصورة خاصة.

فمن تلك الكلمات والاصطلاحات أهل المشرق والشرق وما يحدث فيه من الانطلاقات الهامة التي تختم بحدوث تغييرات عملاقة تشمل منطقة الشرق الأوسط، بل المناطق الإسلامية جمعاء، كالتي حدثت عند خروج أبي مسلم الخراساني على الحكم الأموي وأدى إلى الإطاحة به ومجيء العباسيين الذين حكموا البلاد الإسلامية لعدة قرون.

واليوم نتحدث عن انطلاقة أخرى من جهة الشرق تمهد في المرحلة الأولى لتغيير أعمق ومتفاوت مع تلك الانطلاقة السابقة، ولعل تفاوتها هو التفاوت بين الباطل والحق المتمثل في منقذ البشرية ذاك الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، تبدأ بالتمهيد له والتوطئة الإعلامية ويعقبها التحركات العسكرية التي تشمل العراق والشام وحتى بيت المقدس، ومن ثم المشاركة الأكبر في تأسيس دولة المهدي المنتظر عليه السلام التي هي الأخرى تشمل منطقة الشرق الأوسط بالمرحلة الأولى، ثم تتسع لتشمل العالم أجمع.

١٠٦ العد التنازلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

والاصطلاح الآخر هو الرايات السود التي هي علامة تتميز بها حركة الخراساني وأهل الشرق وصفتها المشخصة لها، فهو اصطلاح آخر كان له الدور في الحركة الأولى وله دور في الحركة الثانية، للخبر الذي يرويه جميع الفرق الإسلامية: فتخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء و... يأتي الكلام عنها.

والمصطلح الثالث هو خراسان الوارد في الأخبار التي تركّز وتؤكد على الحركة الخراسانية من بين تحركات أهل المشرق وجميع حوادث الشرق الكبير الذي لا ينحصر بخراسان مهما عظمت وشملت للكثير من أرض المشرق بحسب المصطلح عليه في ذلك الزمان.

والمصطلح الرابع هو الهاشمي الخارج من المشرق الذي يقاتل السفيناني ويلتقي بالمهدي عليه السلام.

والمصطلح الخامس هو الحسيني المنعوت بالجمال والقوة يخرج من نحو الديلم يقاتل السفيناني ويسلمها للمهدي المنتظر عليه السلام بعد مناظرة ودلائل يطلبها منه.

والمصطلح السادس هو الحسيني الخارج من ناحية المشرق.

والأخير هو شعيب بن صالح الذي يكون خروجه إحدى علائم الظهور المستقلة، لما لخروجه من الأهمية البالغة بحيث تتمحور عليه تحركات المهدي عليه السلام ومن سبقه من الخارجين من المشرق.

ونحن نحاول إفراز البحث عن كل واحد من تلك المصطلحات مع بيان المشتركات التي تؤدي إلى التطابق، أو الفوارق التي تؤدي إلى الاختلاف وعدم التطابق.

والأهم من ذلك التمييز بين ما يرتبط بحركة العباسيين وبين ما يرتبط بحركة الهاشميين الطالبين الخارجين في المشرق قبل قيام الإمام المهدي عليه السلام

وبين حركتهم بقيادة شعيب بن صالح المتاخمة لظهور الإمام المهدي عليه السلام والتي تنتهي بتسليمه القدرة والنزول على حكمه، مما يدخل في عملنا الشاق عند الجمع بين شتات الأخبار الواردة في حركة الخراساني.

أهل المشرق والرايات السود:

تكرر ذكر أهل المشرق في الأخبار التي تعكس تحركاتهم وحضورهم الفاعل في الساحة السياسية قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام، وإن كان التحقيق عدم إرادة طائفة معينة أو بلاد خاصة فهي في الغالب تعني أهل خراسان وإيران عامة، وقد تعني أهل العراق أو من في العراق من القوات المجتمعة فيه، وحتى قد تعني أهل مشرق الأرض.

فمن الروايات التي يراد بها أهل خراسان أو إيران الحالية المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث: «تجيء رايات سود من قبل المشرق كأن قلوبهم زبر الحديد، فمن سمع بهم فليأتهم ولو حبواً على الثلج»^(١). ورواه ابن ماجه بنحو آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قل: «يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم»^(٢).

ومعلوم أن الرايات السود هي رايات الخراسانيين كما سيأتي. ويؤكد إرادة أهل خراسان رواية حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال بعد ذكر دخول السفيناني الكوفة: «ف عند ذلك تخرج راية من المشرق يقودها رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح فيستتقذ ما في أيديهم من سبي الكوفة ويقتلهم»^(٣).

(١) بيان الشافعي: ٤٨٩.

(٢) سنن ابن ماجه ٢: ١٣٦٧ ح ٤٠٨٤.

(٣) جامع البيان للطبري ١٥: ١٧.

وشعيب هو قائد جيش الخراساني على ما سيأتي تفصيله، دلت هذه الرواية على اشتباكه مع جيش السفيناني في العراق واستنقاذ سبي أهل الكوفة من يده، ومنه يعلم أن المراد من أهل المشرق في رواية ابن حماد عن ابن مسعود قال في الحديث: «السفيناني بالعراق يقاتل أهل المشرق»^(١) هم الخراسانيون.

ولكن هناك رواية أخرى لا يعلم منها ذلك يرويها ابن حماد عن كعب قال فيها: «ثم يخرج عند ذلك السفيناني فيقتلهم - أهل المغرب - حتى يدخلهم مصر، ثم يرجع فيقاتل أهل المشرق حتى يردّهم إلى العراق»^(٢)، لا يعلم المراد فيها من أهل المشرق هل هم الخراسانيون أو أهل العراق. وماذا يفعل الخراسانيون أو أهل العراق في الشام ستأتي الإشارة إلى ذلك في معرض الحديث عن الخراساني والسفيناني.

وكذا الرواية التي يرويها ابن حماد أيضاً عن كعب قال فيها: «ويخرج بفلسطين رجل يظهر على من ناواه على يديه هلاك أهل المشرق يملك حمل امرأة، يخرج له ثلاث جيوش»^(٣).

وسيأتي أن الذي يملك حمل امرأة - أي تسعة أشهر - هو السفيناني، وكيف يكون المراد بأهل المشرق الذين يقتلهم السفيناني هم الخراسانيون؛ لأن الروايات الأخرى تدل على أن أهل المشرق هم الذين يقتلون جيش السفيناني إلا أن تكون معارك مختلفة أو يكون المراد خصوص أهل المشرق المتواجدين في الشام بقريئة ما رواه ابن حماد عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال فيه: «يبعث السفيناني على جيش العراق رجلاً من بني حارثة له غدירתان يقال

(١) كتاب الفتن: ٥٩.

(٢) كتاب الفتن: ٩١، وروى ابن حماد مثله عن محمد بن الحنفية في ص ٧١.

(٣) كتاب الفتن: ٧٧.

له ثمر بن عباد رجلاً جسيماً على مقدمته رجل من قومه قصير أصلع عريض المنكبين فيقاتله من بالشام من أهل المشرق وفي موضع يقال له الثنية وأهل حمص في حرب المشرق وأنصارهم وبها يومئذ جند عظيم تقاتلهم فيما يلي دمشق كل ذلك يهزمهم، ثم ينحاز من دمشق وحمص مع السفيناني ويلتقون وأهل المشرق في موضع يقال له المدين مما يلي شرق حمص فيقتل بها نيف وسبعون ألفاً ثلاثة أرباعهم من أهل المشرق، ثم تكون الدبرة عليهم، ويسير الجيش الذي بعث إلى المشرق حتى ينزلوا الكوفة...»^(١).

ومهما يكن من ذلك فإن صح هذا الحديث فمن العسير فهم المراد من أهل المشرق وهل هم أهل خراسان أو من عداهم، أو هي حروب في أزمنة متفاوتة تكون الغلبة فيها لأهل المشرق مرة وللسفنياني أخرى.

أردنا بذلك إعطاء فكرة كلية عن أهل المشرق المتكرر ذكرهم في الأخبار وبيان أن المراد منهم في الغالب هم أهل خراسان، نحتمة برواية يروها ابن حماد عن كعب قال: «إذا ملك رجل الشام وآخر مصر، فاقتتل الشامي والمصري وسبا أهل الشام قبائل من مصر وأقبل رجل من المشرق برايات سود صغار قبل صاحب الشام فهو الذي يؤدي الطاعة إلى المهدي»^(٢).

على أن نذكر أخيراً على أن جميع الروايات الذاكرة لأهل الشرق مما لا نتحقق صحة أسنادها ولم يثبت عندنا شيء منها.

وأفضلها سنداً ما رواه النعماني بسنده عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «كأنني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على

(١) كتاب الفتن: ٨١.

(٢) كتاب الفتن: ٨٥.

عواتقهم، فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتى يقوموا، ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم، قتلاهم شهداء، أما إنني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر^(١).

وفي طريقها الحسين بن موسى وهو ممن لم يثبت توثيقه ولا ورد فيه مدح في الجملة وإن روى عنه الثقات، فهي لا تثبت حكماً شرعياً.

والمهم أنها تحدثت عن قوم يخرجون بالشرق يكون خروجهم بشكل مطالبة حق، بمعنى أنها ليست حركة عسكرية ولا مسلحة، بل هي حركة سلمية للمطالبة ببعض الحقوق المصادرة والمسحوقة، تتكرر وتطول، حتى تتخذ موقفاً معادياً، فيتحملون السلاح ويستعدون لخوض الحرب والاشتباكات العسكرية، فيعطون تلك الحقوق أو يوعدون بالإصلاحات فلا يقبلونه حتى يحصل القيام العام بالأسلحة وغيرها ليمتد هذا القيام وهذه الحركة إلى ظهور القائم عليه السلام، لا يرضيهم شيء سوى تسليمها إلى القائم المنتظر عجل الله تعالى فرجه.

وأهم ما في هذا الحديث هو الحكم بأن قتلاهم شهداء، تعبيراً عن صحة تلك الحركة وصحة نوايا المقتولين فيها، ولكنه مفضول، والأفضل منه استبقاء النفس لصاحب الأمر كناية عن قرب عهده عندها، وإمكان ذلك زمانه وأيامه، كما أنها تعني عدم وجوب مواكبة ذلك التحرك، خصوصاً في مظان القتل.

ومعلوم أن حركة الخراساني الحسيني القادمة ستكون امتداداً لهذه الحركة، لأنه هو الذي يدفعها إلى المهدي عليه السلام ويسلمها إليه من بين الخارجين من المشرق.

الحركة الخراسانية بصورة عامة:

أصل الحركة الخراسانية وتحرك أهل خراسان مذكور في الأخبار المتعددة على أنها حركة ثانية ترتبط بظهور القائم المهدي عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد حركتهم الأولى التي انتهت بتأسيس دولة بني العباس الظلمة الذين ملأوا البلاد ظلماً وجوراً، وإن كانت هي نهاية لحكومة الأمويين الجبابرة، فهذه الحركة الخراسانية الأخرى ستجابه الحركة الأموية الشامية بقيادة السفيناني تنزع منه الملك لتسلمه إلى أهله من آل بيت الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله.

يدل على أصل خروجهم الثاني الرواية المعروفة التي يرويها محمد بن الحنفية قال: «تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء فلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب من تميم يهزمون أصحاب السفيناني حتى ينزل ببيت المقدس ويوطئ للمهدي سلطانه»^(١).

فأول ما يهمننا في هذا المقام هو أصل الخروج والتغلب على خراسان نفسها وإقامة دولة تحمل الفكرة المهدوية وتكنّ العداء للحركة الأموية، وتتجهز شيئاً فشيئاً لخوض غمار الحروب الضارية.

يدل على احتمالهم لتلك الفكرة والقيام بالدعوة لها الرواية التي يرويها ابن حماد عن أرطاة قال: «ويظهر بخراسان قوم يدعون إلى المهدي»^(٢).

ويدل على تجهيزهم الجيوش وتحركهم العسكري على أنه علامة على ظهور المهدي المنتظر عليه السلام ما جاء في الخطبة التي خطبها أمير المؤمنين عليه السلام المسماة بالتطنجية قال فيها: «إذا صاح الناقوس وكبس الكابوس - إلى أن قال - وتحركت عساكر خراسان، ونبع شعيب بن صالح التميمي من بطن

(١) كتاب الفتن لابن حماد: ١٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ٨٤.

الطالقان و... فتوقعوا ظهور مكلم موسى من الشجرة على الطور...»^(١) مما يدل على أن جيش خراسان جيش عظيم بل هو جيوش وعساكر جرارة؛ وإن كانت في بدايتها حركة ضعيفة لا ينظر إليها ولكنها ستحقق انتصارات حاسمة وتتعاظم شيئاً فشيئاً كما دل على ذلك الخبر الذي يرويهِ ابن حماد عن ربيعة بن سيف تبيع قال: فتخرج الرايات السود من خراسان معهم قوم ضعفاء يجتمعون يؤيدهم الله بنصره»^(٢).

حتى أن رواية ابن الحنفية دلت على أنهم يهزمون جيش السفيناني المعروف بالقسوة والشدة، بل إن بعض الأخبار تدل على زحفهم المتواصل وعدم توقفهم حتى يبلغوا تخوم الشام، ففي رواية يرويها ابن حماد عن عمرو ابن مرة الجملي صاحب رسول الله ﷺ يقول: لتخرجن من خراسان راية سوداء حتى تربط خيولها بهذا الزيتون الذي بين بيت لها وحرستا»^(٣).

(١) مشارق البرمسي: ١٦٦.

(٢) كتاب الفتن: ١٨٩.

(٣) كتاب الفتن: ١٩٠.

أسماء الخراساني

هناك أربعة أسماء مذكورة في الأخبار وهي تحمل معنى رجل من آل البيت عليه السلام يخرج من المشرق أو خراسان أو الطالقان أو قم أو قزوین أو الديلم بما يعني إيران الحالية وأطرافها، وهي: الخراساني والهاشمي والحسني والحسيني، وقد يقارن هذه الأسماء عبارة الرايات السود التي تحت الأخبار على إتيانها ولو حبواً على الثلج إذا ظهرت، وأن فيها المهدي عليه السلام أو فيهم من أصحاب المهدي عليه السلام، كما يذكر البعض منها صحبة قائد عظيم اسمه شعيب بن صالح.

والمهم أولاً معرفة أن هذه الأسماء هل هي أسماء متعددة لرجل واحد وشخصية فاردة، أو هي أسماء لأشخاص مختلفين متزامنين أو غير متزامنين، وما هي ماهية هذه الحركة وحقيقتها.

ونحن ندرس صفات وحركات كل اسم ثم لمجمع بينها:

الخراساني:

هو الخارج من منطقة خراسان التي هي بلاد واسعة أول حدودها بما يلي العراق وآخر حدودها بما يلي الهند، ومن أمهات بلادها نيسابور وهراة ومرو وبلخ وطالقان وسرخس وما تحلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون وتشمل خوارزم وآمل وبخارى وسمرقند فجميع ذلك وما والاه كان مضموماً إلى خراسان في زمان صدور الأخبار فهي تعني أكثر دولة إيران وأفغانستان وبعض بلاد القفقاز.

ومن ذلك يعلم إذا نسب الشخص في الأخبار إلى خراسان في رواية، وفي أخرى إلى الطالقان أو مرو أو سمرقند لا يكون هناك تنافي.

ومهما يكن من ذلك فقد دلت الأخبار على ظهور هذه الشخصية

الرواية ضعيفة السند بعلي بن أبي حمزة، ومضطربة المتن لأنه ذكر أولى العلامات ولم يذكر الثانية والثالثة، أي لم يقل ثانيهن، ولكن بينا كفاية الرواية المارة المعتبرة سنداً في الدلالة على ذلك.

وهناك قرائن وشواهد أخرى يمكن استفادتها من الأخبار تدل على أن خروج الخراساني من علامات ظهور المهدي كالرواية التي تعدّ شعيب بن صالح قائد قوات الخراساني من العلامات كما سيأتي.

صفات الخراساني:

الأخبار الواردة في صفات الخراساني وخصائصه قليلة جداً، نعم روى ابن حماد بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قل: يخرج شلب من بني هاشم بكفه اليمنى خال من خراسان برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح يقاتل أصحاب السفيناني فيهمهم^(١).

فأول صفة مهمة للخراساني دل عليها هذا الخبر هو انتسابه إلى بني هاشم الأمر الذي سيأتي له مؤيدات بل أدلة.

وثاني صفاته المهمة خروجه برايات سود مهما كان المراد منها فهو مذكور في الأخبار الكثيرة كعلامة مشخصة لرايات الخراسانيين الأولى والثانية المأمور بإتيانها ولو حبواً على الثلج أو أن فيها الخليفة المهدي عليه السلام.

وثالث صفاته المهمة خروج شعيب بن صالح معه أو يكون قائداً لقواته، فهي أهم العلامات الثلاث التي ينفع جميعها في بيان اتحاد العناوين التالية أعني الهاشمي والحسني وغيرهما.

ثم إن هذه الرواية ذكرت الخال التي بيده كعلامة مشخصة له تميزه عن غيره من الخارجين من خراسان، غير أن هذه العلامة ليست بتلك الأهمية

(١) كتاب الفتن: ٨٤.

الرواية ضعيفة السند بعلي بن أبي حمزة، ومضطربة المتن لأنه ذكر أولى العلامات ولم يذكر الثانية والثالثة، أي لم يقل ثانيهن، ولكن بينا كفاية الرواية المارة المعتبرة سنداً في الدلالة على ذلك.

وهناك قرائن وشواهد أخرى يمكن استفادتها من الأخبار تدل على أن خروج الخراساني من علامات ظهور المهدي كالرواية التي تعدّ شعيب بن صالح قائد قوات الخراساني من العلامات كما سيأتي.

صفات الخراساني:

الأخبار الواردة في صفات الخراساني وخصائصه قليلة جداً، نعم روى ابن حماد بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قل: يخرج شلب من بني هاشم بكفه اليمنى خال من خراسان برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح يقاتل أصحاب السفيناني فيهمهم^(١).

فأول صفة مهمة للخراساني دل عليها هذا الخبر هو انتسابه إلى بني هاشم الأمر الذي سيأتي له مؤيدات بل أدلة.

وثاني صفاته المهمة خروجه برايات سود مهما كان المراد منها فهو مذكور في الأخبار الكثيرة كعلامة مشخصة لرايات الخراسانيين الأولى والثانية المأمور بإتيانها ولو حبواً على الثلج أو أن فيها الخليفة المهدي عليه السلام.

وثالث صفاته المهمة خروج شعيب بن صالح معه أو يكون قائداً لقواته، فهي أهم العلامات الثلاث التي ينفع جميعها في بيان اتحاد العناوين التالية أعني الهاشمي والحسني وغيرهما.

ثم إن هذه الرواية ذكرت الخال التي بيده كعلامة مشخصة له تميزه عن غيره من الخارجين من خراسان، غير أن هذه العلامة ليست بتلك الأهمية

(١) كتاب الفتن: ٨٤.

لتواجدها في الكثيرين .

وفي رواية أخرى يرويها ابن حماد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «يلتقي السفيناني والرايات السود، فيهم شاب من بني هاشم في كفه اليسرى خل، وعلى مقدمته رجل من بني تميم يدعى شعيب بن صالح فيهزم أصحابه^(١)، فهذه تدل على أن هناك خالاً في كفه اليسرى بعدما دلت الرواية الأولى أن هناك خالاً في يده اليمنى، ولعل له خالان إحداهما في كفه اليمنى والأخرى في اليسرى ولا يكون بين الروایتين تعارض، وإن استشعرنا ذلك بل فهمناه بعض الشيء.

وقد يرتفع هذا التنافي بملاحظة رواية ابن حماد الثالثة يرويها بسنله عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: فتخرج رايات سود تقاتل السفيناني فيهم شاب من بني هاشم في كتفه اليسرى خل، وعلى مقدمته رجل من بني تميم، يدعى شعيب بن صالح فيهزم أصحابه^(٢)، مع الالتفات إلى أن كلمة كفه وكلمة كتفه متقاربة في الكتابة يحتمل معها التصحيف فلو كانت بدل كلمة كفه في الرواية السابقة كلمة كتفه كان أبعد من التعارض والتنافي، ويكون له شامتان واحدة في كفه اليمنى والأخرى في كتفه اليسرى، كما يمكن أن تكون الروايات على حالفها ويكون له ثلاث شامات واحدة في كفه اليمنى والأخرى في كفه اليسرى والثالثة في كتفه اليسرى، فهو كثير الشامات على ما يبدو.

والأهم من جميع ذلك الذي تشترك فيه الروايات الثلاثة المارة كعلامة مميزة له من سواه وهو قتاله السفيناني، ولكن قد تفقد هذه العلامة بعض الأهمية في مجال إثبات اتحاد العناوين الأربعة وعدمها بعد الإمام بقتال السفيناني لكثيرين .

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ٨٥.

حركة الخراساني:

الخراساني كما هو معلوم من اسمه من أهل خراسان وبالطبع سيكون خروجه منها، بل من أقاصيها على ما جاء في بعض الأخبار.

فقد روى ابن حماد أن السفيناني يبعث خيله وجنوده فيبلغ عامة المشرق من أرض خراسان وأرض فارس فيثور بهم أهل المشرق فيقاتلونهم ويكون بينهم وقعتات في غير موضع فإذا طال عليهم قتالهم إياه بايعوا رجلاً من بني هاشم، وهم يومئذ في آخر الشرق، فيخرج بأهل خراسان على مقدمته رجل من بني تميم...^(١).

فهي وإن تضمنت لمواضيع عديدة منها بلوغ جند السفيناني عامة المشرق أو يبلغ خبره دون جيشه على الأظهر، ويكون بينه وبين أهل المشرق وقعتات وحروب ولكن الذي يهمننا هنا هو وقوع بيعة الخراساني في آخر الشرق وإن كان تحديد غير ميسور بعد ما عرفنا أن خراسان كانت تشمل مما يلي الهند من أفغانستان وما والاها من الدول، ولكن الأظهر إرادة خراسان المعروفة بهذا الاسم اليوم وبعد اليوم لأن هذه الأخبار إنما تنفع من تلحق زمانه زمان القائم عليه السلام مع أنها القدر المتيقن؛ لأنها المنطقة التي يطلق عليها اسم خراسان في زمان النبي صلى الله عليه وآله وزماننا، وإن كانت في زمان النبي صلى الله عليه وآله تشمل غيرها من البلاد، خصوصاً مع الالتفات إلى أن الشرق كان يطلق على نجد، وإذا بالغ القائل أراد العراق، فيكون الأقصى هو أرض خراسان الحالية، مع أننا لا نمانع من إرادة مثل أفغانستان خصوصاً المناطق الشيعية منها.

فلو صحت هذه الرواية لدلت على خروج الخراساني من خراسان وخصوص الشرق منها وإنما تكون البيعة هناك.

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

على أنها بيعة اضطرارية بعد حصول المضايقة والملاحقة من جيوش السفيناني، فتكون مبايعة الهاشمي من أجل توحيد الصفوف وقاتال السفيناني ودفع شره، أو لأجل التخوف منه فقط من دون أن يصل إليهم أو يوصل إليهم أقل أذى، أو يكون تحركهم مجرد فزعة لأهل العراق الذين يفعل بهم السفيناني الأفاعيل، فتزحف عساكر خراسان باتجاه العراق ويكون محل الالتقاء الحاسم هو اصطخر.

وهناك معارك أخرى قبل معركة اصطخر كما جاء في بعض الأخبار التي منها ما رواه ابن حماد بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «بيث السفيناني جنوده في الآفاق بعد دخوله الكوفة وبغداد فيبلغه فزعة من وراء النهر من أهل خراسان فيقتل أهل المشرق عليهم قتلاً ويذهب جهم، فإذا بلغه ذلك بعث جيشاً عظيماً إلى اصطخر عليهم رجل من بني أمية فتكون لهم وقعة بقومش، ووقعة بدولات الري، ووقعة بتخوم زرع، فعند ذلك يأمر السفيناني بقتل أهل الكوفة وأهل المدينة، وعند ذلك تقبل الرايات السود على جميع الناس شاب من بني هاشم بكفه اليمنى خال يسهل الله أمره وطريقه، ثم تكون له وقعة بتخوم خراسان ويسير الهاشمي في طريق الري فيسرح رجلاً من بني تميم من الموالي يقال له شعيب بن صالح إلى اصطخر إلى الأموي، فيلتقي هو والمهدي والهاشمي ببيضاء اصطخر، فتكون ملحمة عظيمة...»^(١).

وهذه الرواية وإن كانت مضطربة المتن، غير أنها تفرّدت بتفصيل دخول السفيناني أرض إيران ووقوع معارك في مركزها وحتى أقاصيها مع قوات محلية ثم تكون المعركة الحاسمة في اصطخر مع الخراساني وجيشه بقيادة شعيب بن صالح.

والمقصود من اضطرابها هو ذكرها دخول السفيناني الكوفة وبغداد الموصوف كما سيأتي بالقسوة والشدة من يوم دخوله، بينما المستفاد من هذا الخبر أنّ الأمر بقتل أهل الكوفة بعد بثه الجنود ودخوله أرض إيران وحصول المعارك بقومس ودولات الري وتخوم زرع، وقومس هي منطقة دامغان، ودولات الري هي قرية من قراه، فهذا هو العمق الإيراني، بينما المستفاد من سائر الأخبار عدم تجاوزه حدود العراق وحتى عدم وصوله البصرة.

وكذا ما جاء في أولها «فيلغفه فزعة من وراء النهر من أهل خراسان فيقتل أهل المشرق عليهم قتلاً ويذهب جهم» فإن الفزعة تعني الإغاثة والنجدة أو الالتجاء من وراء النهر الذي دلت هذه الرواية على إرادة خراسان منه، فتكون الفزعة لأهل العراق من أهل خراسان.

ولكن يبقى تعيين المقتول من أهل المشرق هل هم أهل خراسان أو أهل العراق الذين هم شرق الشام فالأقوى إرادة أهل خراسان لأنه يذكر بعدها الأمر بقتل أهل بغداد والكوفة، على أن كلمة جهم تعني الغلظة والشدة.

والأولى إرادة الفزعة من أهل خراسان أو أهل المشرق المتواجدين في الشام أيام ظهور السفيناني لأي سبب كان، فيقاتلهم ويقتل منهم الكثير ثم يدخل العراق ويأمر بقتل أهل بغداد والكوفة.

والمحصل أن الجمع بين أول هذه الرواية وآخرها مما يحتاج إلى مؤونة زائدة وقرائن خارجية وإلا فهي تبدو مضطربة متهافئة ولا تستحق كل ذلك الكلام لضعف سندها ومخالفة باقي الأخبار لها، وإن اتفقت مع غيرها في بعض الأمور كمعركة اصطخر الحاسمة غير أنها اختلفت معها مرة أخرى بذكر المعارك بعد معركة اصطخر حيث جاء فيها بعد ذكر معركة اصطخر: «ثم تكون وقعة بالمدائن بعد وقعتي الري، وفي عاقرقوفا وقعة

صليمية يخبر عنها كل ناج، ثم يكون ذبح عظيم ببابل، ووقعة في أرض نصيبين، ثم يخرج على الأخص قوم من سوادهم، وهم العصب، عامتهم من الكوفة والبصرة حتى يستنقذوا ما في يديه من سي كوفان^(١).

مما يدل على عدم حسم الموقف في اصطخر، ويكون أول انكسار لجيش السفيناني، يليه تراجع وانكسارات متوالية كانكساره في المدائن التي هي داخل العراق وعاقرقوفا التي في شمال العراق وفي بابل ذبح عظيم وأخيرها في أرض نصيبين التي هي من أرض الشام، وإنما تبدأ الانكسارات بعد حضور الإمام المهدي عليه السلام في اصطخر الذي هو أول لقاء له بجيش الخراساني وأول معاركه مع السفيناني حسب ما جاء في الرواية.

ولو صحت هذه الرواية لدلت على تشكيل السفيناني لامبراطورية عظيمة تشمل الشام برمته والعراق وإيران والحجاز.

فلا بد من مطالعة باقي الأخبار ومعرفة مدى صحة هذا الخبر.

روى الطبري عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في كلام طويل مفصل: «إذا خرج السفيناني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق، فلا يأتي عليه شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفاً، فيبعث جيشاً إلى العراق فيقتل بالزوراء مائة ألف، وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها، فعند ذلك تخرج راية من المشرق يقودها رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح فيستنقذ ما في أيديهم من سي أهل الكوفة ويقتلهم، ويخرج جيش آخر من جيوش السفيناني إلى المدينة^(٢)».

فهي تفرض حصول الاشتباك الأول داخل العراق ذاك الاشتباك الذي يتلخص بتخليص الأسرى الذين وقعوا بيد جيش السفيناني ولم تتحدث

(١) تنمة الرواية في كتاب الفتن: ٨٦.

(٢) جامع البيان للطبري ١٥: ١٧.

عن حصول اشتباك في إيران.

فإذا قيل بأن تلك الرواية مفصلة وهذه غير مفصلة ولا تنافي بينهما؛ فإننا سنردف الأخيرة بالرواية التي يرويها النعماني بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قل: «لا بد أن يملك بنو العباس، فإذا ملكوا واختلفوا وتشتت أمرهم خرج عليهم الخراساني والسفياياني هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان، هذا من ههنا وهذا من ههنا حتى يكون هلاكهم على أيديهما، أما أنهما لا يبقون منهم أحداً أبداً»^(١).

والاستباق إلى الكوفة لا يتلائم مع وقوع تلك المعارك داخل الأراضي الإيرانية التي تبدأ من تخوم خراسان إلى دامغان إلى الري إلى اصطخر يزد وما حولها ثم المدائن وعارقوفا ونصيبين، فليس هذا استباق إلى الكوفة فضلاً عن الاستباق كفرسي رهان.

وأوضح من جميع ذلك الرواية المعتبرة المروية بعنة طرق عن أبي جعفر عليه السلام التي أولها: «يا جابر الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات» جاء فيها: «ويبعث السفياياني جيشاً إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفاً فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً فبينما هم كذلك إذ أقبلت رايات من قبل خراسان وتطوي المنازل طياً حثيثاً، ومعهم نفر من أصحاب القائم، ثم يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء فيقتله أمير الجيش السفياياني بين الحيرة والكوفة، ويبعث السفياياني بعثاً إلى المدينة...»^(٢).

فإن طي المنازل طياً حثيثاً لا يجتمع مع وقوع المعارك الضارية كمعركة اصطخر وغيرها، وهي تدل بوضوح على انتهاء غائلة السفياياني في العراق وتوجهه إلى المدينة بعد ذلك.

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٩.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٧٩.

معركة اصطخر :

تحدثت بعض الأخبار العامية عن وقوع معركة ضارية في اصطخر التي هي منطقة من بلاد فارس تشمل مدينة يزد؛ تكون بين الهاشمي من خراسان وبين السفيناني الأموي تتصف بالشدة والضراوة، وذلك أن السفيناني يبعث الجيش إلى اصطخر بعدما يجد مقاومة محلية في قومس التي تعني دامغان والري التي هي متصلة بطهران وتخوم زرع.

عند ذلك تقبل الرايات السود ويكون لهم وقعة أولى في تخوم خراسان على أن يكون اللقاء الحاسم في اصطخر.

ونحن بصدد إثبات أصل معركة اصطخر، وذكر الأخبار الدالة على ذلك وهي متعددة، ثم الخوض في بعض تفاصيلها.

فقد روى ابن حماد عن علي عليه السلام قال: «إذا خرجت خيل السفيناني إلى الكوفة بعث في طلب المهدي، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود على مقدمته شعيب بن صالح، فيلتقي هو وأصحاب السفيناني بلب اصطخر، فتكون بينهم ملحمة عظيمة، فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفيناني فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه»^(١).

الرواية تتحدث عن وقعة عظيمة كناية عن كثرة أعداد الجيوش المتحاربة والأسلحة المدمرة التي أول حصيلة لها هي كثرة القتلى والجرحى في باب كورة اصطخر ومدخلها.

وقد فصلت رواية ابن حماد الأخرى بعض التفصيل، لأن فيها: «ويسير الهاشمي في طريق الري فيسرح رجلاً من بني تميم من الموالي يقال له شعيب بن صالح إلى اصطخر إلى الأموي، فيلتقي هو والمهدي والهاشمي ببيضاء اصطخر، فتكون بينهما ملحمة عظيمة حتى تطأ الخيل الدماء إلى أرضها، ثم تأتيه

(١) كتاب الفتن لابن حماد: ١٩٢، كنز العمال ١٤: ٥٩٠.

جنود من سجستان عظيمة عليهم رجل من بني عدي فيظهر الله أنصاره وجنوده^(١).

أضافت الرواية مسير الهاشمي والخراساني إلى الري، وبعثه شعيب بن صالح إلى اصطخر إلى الأموي وبلحق هو به ليلتقي هو وشعيب مع المهدي عليه السلام في مدينة بيضاء التي هي من مدن كورة اصطخر، ثم تكون المعركة العظيمة التي تسيل فيها الدماء وتطأ الخيل والآليات العسكرية الدماء إلى أرصاعها التي هي لغة في الأرساغ بمعنى الموضع المستلق الذي بين الحافر وموصل الوظيف من اليد أو الرجل^(٢)، وهو كناية عن كثرة القتلى يحدث ذلك من دون تحقيق أي نصر حتى يأتي المدد من سجستان بقيادة رجل من بني عدي يكون وصولهم واشتراكهم في المعركة هو اللحظة الحاسمة التي ينكسر فيها جيش السفيناني انكساراً عظيماً تذهب معها هيمنته وسلطته فتأخذ المدن والبلدان الأخرى بالتححرر من تحت سيطرته كما جاء في آخر رواية ابن حماد عن أبي جعفر عليه السلام قال بعد ذكر معركة اصطخر: «ثم تكون وقعة بالمدائن بعد وقعتي الري، وفي عاقروفا وقعة صيلمية يخبر عنها كل ناج...».

ومع كل ذلك بين تصديق هذين الخبرين، وبين طرحهما وقفة للمتأمل توقفه القرائن المحتشلة من الطرفين ومقاد الأخبار التي تخبر عن حصول معركة بين الخراساني والسفيناني في الجملة ينهزم فيها جيش السفيناني وبين الأخبار التي تحصر عمل الخراساني في دخول العراق بالقهر والغلبة ليستخلص الأسراء والسبايا الذين وقعوا بأيدي السفيناني أو تكون المهمة لذلك فقط، ويكون المباشرون هم جيش العصب الذين يخرجون من الكوفة والبصرة.

(١) كتاب الفتن: ١٩٢، وفي طبعة أخرى ص ٨٦.

(٢) انظر الصحاح ٤: ١٣١٩، مجمع البحرين ٢: ١٧٦.

فمن الأول رواية ابن حماد عن ضمرة بن حبيب وصاحبيه المتقدمة، جاء فيها: فيلقتي - يعني شعيب بن صالح - هو وخيل السفياي فيهمهم ويقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم تكون الغلبة للسفياي ويهرب الهاشمي...^(١)، مما يدل على وقوع معارك ضارية يتناوبون فيها النصر، وليس الأمر مجرد استخلاص أسرى وسبأء.

ويؤيده رواية ابن حماد الأخرى عن أبي جعفر عليه السلام قال: يخرج شاب من بني هاشم بكفه اليمنى خال من خراسان برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح، يقاتل أصحاب السفياي فيهمهم^(٢) حيث دلت على حدوث قتال نهايته هي هزيمة جيش السفياي، وكذا روايته الثالثة عن علي عليه السلام قال: يخرج رايات سود تقاتل السفياي فيهم شاب من بني هاشم في كتفه اليسرى خال وعلى مقدمته رجل من بني تميم يدعى شعيب بن صالح فيهم أصحابه^(٣).

ومن الطائفة الثانية رواية حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء فيها بعد ذكر الحدار جيش السفياي إلى الكوفة: فعند ذلك تخرج راية من المشرق يقودها رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في أيديهم من سبي أهل الكوفة ويقتلهم^(٤)، حيث حصرت مهمة الخراساني في دخول العراق واستنقاذ سبي أهل الكوفة من يد السفياي وجيشه وقتلهم بحيث يستفاد منها فقدان التوازن بين القوى وإنما يدخل شعيب بالقهر والغلبة ليعبث بجيش السفياي كيف أراد.

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ٨٤.

(٣) كتاب الفتن: ٨٥.

(٤) جامع البيان للطبري ١٥: ١٧.

ورواية ابن حماد عن محمد بن الحنفية المعروفة قال فيها: «ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء فلانسهم سود وثيايهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب من تميم يهزمون أصحاب السفيناني حتى تنزل بيت المقدس»^(١).

فهو مجرد إرعاب وهزيمة من دون أن يكون قتال، خصوصاً وفي بعض الأخبار القادمة التي تتحدث عن شعيب أنه لا يلقي أحداً إلا فله بمعنى ضربه وهزمه.

الهاشمي والخراساني:

الاسم الآخر المطروح في الأخبار هو الهاشمي، وإن كان هذا لقب كل من ينتسب إلى هاشم بن عبد مناف جد النبي ﷺ، ولكن إذا ورد في روايات علامات الظهور يراد به الخراساني الذي تقدم بقرائن عديدة تأتي تصاحب ذكره.

ولم يذكر على إطلاقه في شيء من الأخبار فقد قيله بالخروج من المشرق في رواية ابن حماد التي يرويها عن أبي قبيل قال: «بيعت السفيناني جيشاً إلى المدينة، فيأمر بقتل كل من كان فيها من بني هاشم حتى الحبالى، وذلك لما يصنع الهاشمي الذي يخرج على أصحابه من المشرق، يقول ما هذا البلاء كله وقتل أصحابي إلا من قبلهم»^(٢).

فهذا الهاشمي الذي يتحدث عنه في هذا الخبر يشترك مع الخراساني في الخروج من المشرق وقاتل السفيناني وقتل أصحابه.

وتقيده الرواية الأخرى التي يرويها ابن حماد عن علي بن يقطين

(١) كتاب الفتن: ١٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ٨٩.

كثيرة قال: «إذا خرجت خيل السفيناني بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود، على مقدمته شعيب بن صالح، فيلتقي هو وأصحاب السفيناني بباب اصطخر، فتكون بينهم ملحمة عظيمة...»^(١).

وكل هذه الأوصاف التي تضمنها هذا الخبر من التقييد بالخروج من خراسان في طلب المهدي والرايات السود وشعيب بن صالح وفتال السفيناني بباب اصطخر كلها أوصاف الخراساني، فلا شك أن المراد بهذا الهاشمي هو الخراساني الذي ذكرنا أنه من بني هاشم.

وفي رواية ثالثة لابن حماد عن أبي جعفر عليه السلام قل: «بيث السفيناني جنوده في الأفق - إلى أن قال - ويسير الهاشمي في طريق الري فيسرح رجلاً من بني تميم من الموالي يقال له شعيب بن صالح إلى اصطخر إلى الأموي، فيلتقي هو والمهدي والهاشمي ببيضاء اصطخر...»^(٢)، فهي صفات الخراساني وأعماله.

هذا عن اسم الهاشمي وأما التعبير عن رجل من بني هاشم في الأخبار فقد يراد به المهدي نفسه بقريته قوله يملأ الأرض قسطاً وعدلاً أو غيرها، وبين أن يراد به الخراساني الهاشمي وهو الغالب، كمقارنة ذكره في الأخبار مع أوصاف الخراساني وتحركاته وخصوصاً شعيب بن صالح ستعرض لهذه الأخبار عند الخوض في تفصيل تحركات الخراساني.

ولا يبعد أن يكون المراد منه الخراساني حتى في مثل الرواية القائلة: «ينزل رجل من بني هاشم بيت المقدس حرسه اثنا عشر ألفاً»^(٣) لما دل على أن الخراساني أو رايته تنصب في إبلياء القدس.

(١) كتاب الفتن: ٨٦.

(٢) كتاب الفتن: ١٩٢، وفي طبعة أخرى ص ٨٦.

(٣) كتاب الفتن: ١٠٦ عن كعب.

الحسني والخراساني:

بعدهما عرفنا أن الخارج في خراسان من بني هاشم لكن لم نتعرف على أنه من أي بني هاشم، وهل هو حسني أو حسيني أو غير ذلك، خصوصاً وقد جاءت أخبار عن خروج الحسني من المشرق أيضاً تتفاوت بعض صفاته ومحل خروجه ويتفق بعض أعماله وأحواله مع الخراساني ناسب البحث عنه بشكل مستقل ثم البت في التطابق وعدمه.

فقد جاء في رواية المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام بعد ذكر الزوراء وما يحدث فيها من الفتن والخراب والدمار حتى يمر المار فيقول ههنا كانت الزوراء قال المفضل: ثم ماذا يا سيدي؟ قال: «ثم يخرج الحسني الفتى الصبيح من نحو الديلم يصيح بصوت فصيح يا آل أحمد أجيئوا الملهوف والمنادي من حول الضريح، فتجيبه كنوز الله بالطالقان كنوزاً وأي كنوز ليست من فضة ولا من ذهب بل هي رجال كزبر الحديد كأنني أنظر إليهم على البراذين الشهب في أيديهم الحراب يتعاونون شوقاً للحرب كما تتعاونى الذئب، أميرهم رجل من تميم يقال له شعيب بن صالح، فيقبل الحسني إليهم وجهه كدارة البدر يربيع الناس جمالاً أنيقاً، فيعني على أثر الظلمة، فيأخذ بسيفه الكبير والصغير، والعظيم والوضيع، ثم يسير بتلك الرايات كلها حتى يرد الكوفة وقد صفا أكثر الأرض فيجعلها معقلاً، ويتصل به وبأصحابه خبر المهدي عليه السلام فيقولون: يا ابن رسول الله من هذا الذي نزل بساحتنا. فيقول: اخرجوا بنا إليه حتى ننظر من هو وما يريد، والله ويعلم أنه المهدي، وأنه يعرفه، وأنه لم يرد بذلك الأمر إلا له، فيخرج الحسني في أمر عظيم بين يديه أربعة آلاف رجل وفي أعناقهم المصاحف وعلى ظهورهم المسوح الشعر يقال لهم الزيدية، فيقبل الحسني حتى ينزل بالقرب من المهدي، ثم يقول الرجل لأصحابه اسألوا عن هذا الرجل من هو وما يريد، فيخرج بعض أصحاب الحسني إلى عسكر المهدي عليه السلام، ويقول:

يا أيها العسكر الجميل من أنتم حيّاكم الله، ومن صاحبكم هذا، وما تريدون؟
 فيقول: أصحاب المهدي عليه السلام: هذا ولي الله مهدي آل محمد، ونحن أنصاره
 من الملائكة والإنس والجن، فيقول: أصحاب الحسيني: يا سيدنا ما تسمع
 ما يقول هؤلاء في صاحبهم. فيقول الحسيني: خلوا بيني وبين القوم فأنا أتي
 على هذا حتى انظر وينظروا، فيخرج الحسيني من عسكره، ويخرج المهدي عليه السلام
 ويقفان بين العسكرين، فيقول له الحسيني: إن كنت مهدي آل محمد فأين
 هراوة جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وخاتمه وبردته ودرعه الفاضل، وعمامته
 السحاب وفرسه اليربوع، وناقته العضباء، وبغلته الدلدل وحماره اليعفور
 ونجيبة البراق، وتاجه السني والمصحف الذي جمعه أمير المؤمنين عليه السلام بغير
 تبديل ولا تغيير. فيحضر له السفظ الذي فيه جميع ما طلبه.

قال المفضل: يا سيدي فهذا كله في السفظ! قال: يا مفضل وتركات
 جميع النبيين حتى عصاة آدم وآلة نوح وتركة هود وصالح، وجمع إبراهيم،
 وصاع يوسف، ومكائيل شعيب وميراثه، وعصا موسى وتابوته الذي فيه
 بقية مما ترك آل موسى، وآل هارون تحمله الملائكة، ودرع داوود وعصاته،
 وخاتم سليمان وتاجه، وأنجيل عيسى، وميراث النبيين والمرسلين في ذلك
 السفظ.

فيقول الحسيني: هذا بعض ما قد رأيت وأنا أسألك أن تغرس هراوة
 جدك رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحجر الصفا وتسال الله أن ينبت فيها، وهو
 لا يريد بذلك إلا أن يري أصحابه فضل المهدي إليه التسليم حتى يطيعوه
 ويبايعوه، فيأخذ المهدي الهراوة بيده ويغرسها في الحجر فتنبت فيه، وتعلو
 وتورق حتى تظل عسكر المهدي والحسيني. فيقول الحسيني: الله أكبر مد يدك
 يا ابن رسول الله حتى أبايعك، فيمد يده فيبايعه، ويبايعه سائر عسكر
 الحسيني إلا الأربعة آلاف أصحاب المصالحف والمسوح الشعر، المعروفين بالزيدية،
 فيقولون: ما هذا إلا سحر عظيم، فتختلط العسكران ويقبل المهدي عليه السلام على

الطائفة المنحرفة فيعظهم ويدعهم ثلاثة أيام، فلم يزدادوا إلا طغياناً وكفراً، فيأمر بقتلهم، كأني أنظر إليهم وقد ذبحوا على مصاحفهم، وتمرغوا بدمائهم، فيقبل بعض أصحاب المهدي لأخذ تلك المصاحف فيقول لهم المهدي عليه السلام: دعوها تكون عليهم حسرة كما بدلوها وغيروها ولم يعملوا بما فيها^(١).

إن رواية هذه الرواية وغيرها من روايات المفضل بن عمر يتهمون بالغلو والكفر والإيمان بربوبية الأئمة عليهم السلام ويرون أنفسهم رسلاً لهم وأنبياء وغير ذلك من التهم التي هي عادة أهل العراق وخصوصاً أهل الكوفة من المبالغة في الطعن والتنقيص حتى أن الشخص إذا روى رواية واحدة مما لا تحتمله عقولهم قالوا: هذا كافر يقول بربوبية الأئمة، ولو شاهدوا التقدم العلمي اليوم بحيث يمكن الاتصال بجميع بقاع العالم ورؤية أهل المشرق والمغرب عبر الوسائل الحديثة ما رموا أحداً بالغلو، ولأذعنوا بإمكان ما يروى وينقل من قدرات النبي والأئمة عليهم السلام لما يمتلكونه من روح القدس التي يستطيع أن يحيط من خلالها بجميع ما يحدث في الأرض بل ينال ما أراد.

ومهما يكن من ذلك فإن هذه الرواية وروايات المفضل الأخرى تحتشد فيها من العلوم التي تصدقها العلوم الحديثة بحيث يدعن من له أقل اطلاع بصدورها من إمام معصوم ومن هو فوق مستوى البشر، وكذا إخباراتها عما يحدث في المستقبل وقد تحقق الكثير منها خصوصاً الفتن التي تكون في الزوراء وما يجلب بها من الدمار والقتل والسلب والنهب من يوم دخول هولاء إلى يومنا هذا وبعد اليوم كما تنذر به الأحداث.

فلا يسعني رد هذه الرواية بالكلية وإن أمكن المناقشة في بعض بنودها وتفصيلها بعد استعراض أكثر ما فيها وفتح بعض مغالقه.

فإن الحديث الذي يخصنا منها هو حديث الحسيني التي وصفته هذه

(١) الهداية الكبرى للخصيبي: ٤٠٣، مختصر بصائر الدرجات: ١٩٠.

١٣٠ العدد التنازلي في علانم ظهور المهدي عليه السلام

الرواية بعد ما نصت على أنه حسني بأنه «فتى»، والفتى كما ذكرنا في كتاب الأسماء يقال لمن يقوم بعمل تغيير عظيم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله «أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى» عنى بذلك نفسه الشريفه، وأبه إبراهيم عليه السلام الذي كسر الأصنام وحاج الملوك، وأخاه أمير المؤمنين حينما نادى المنادي لا فتى....

فالحسني هو الفتى الذي يقوم بعمل تغيير عظيم يتمثل بالتمهيد والتمكين لآل محمد عليهم السلام وللحجة المنتظر عليه السلام وغير ذلك كما سنعرض له.

والصفة الثانية أنه صريح جميل الوجه مما يدل على أن جماله بمرتبة عالية حتى كان له صفة مشخصة بحيث أن الرواية تصفه بأنه كدارة البدر يربيع الناس جمالاً أيقاً.

والصفة الثالثة أنه فصيح اللسان الدالة على أنه يتكلم بالعربية لأن الغالب في استعمال كلمة الفصاحة في الكلام العربي وإن كان متصوراً بالنسبة لغير العربي، والأفضل إرادة الفصاحة في اللغة العربية والفارسية بمعنى إجمال الكلمات والحروف وإخراجها من مخارجها الصحيحة.

وأما نداؤه يا آل أحمد أجيئوا الملهوف والمنادي من حول الضريح قد يعني نفسه، لأنه متلهّف لنصرة الحق وللإمام المهدي عليه السلام لما علم بظهوره أو شاهد علاماته.

والطالقان هي مدينة قرب طهران باتجاه الحدود العراقية قد تجتمع فيها القوات كما قد يعني بها كل المنطقة بما فيها طهران التي تكتظ بالسكان الذين سيكون بينهم شباب مؤمنون أقوياء في إيمانهم راسخ اعتقادهم بالمهدي المنتظر عليه السلام ويلزوم نصرته، تجيب ذلك النداء وتجتمع وتتهياً له.

كما يمكن أن يكون المراد بالملهوف هو صاحب الأمر عليه السلام الذي طال انتظاره وقد حانت الفرصة لأخذ النار ونشر العدل وهو ينادي من ضريح

الرسول ﷺ قبل انتقاله إلى مكة، وإن كان الناس لا يعرفونه حينها. والمعنى الأول هو الأقرب، فيكون المراد بالضريح هو أشهر ضريح في إيران وأعرفه وهو ضريح الإمام الرضا عليه السلام وقد يكون غير ذلك.

وأما البراذين الشهب فهي في اللغة البغال القوية التي يغلب فيها البياض كما يحتمل إرادة لون الأرض لأن الشهباء تقال للأرض الخالية من الخضرة، فهي تتكلم عن براذين كلها بلون واحد لا يمكن تصوره إلا في الآليات العسكرية التي تصبغ بلون واحد مهما تطورت وتعقدت فهي في الغالب تكون كذلك.

والحراب كناية عن السلاح الذي يمسك باليد ويقتل على البعد لأن الحربة تُرمى، وإن كان خلاف الظاهر الذي يبدو ويظهر في الحربة المستعملة في تلك الأزمنة، لكن القرائن والشواهد تصرفها عن ذلك الظهور لاستحالة تراجع العلم والتقدم العلمي على ما يبدو.

ويزحف الحسيني من الطالقان نحو الكوفة وهو يقتل الظلمة سواء كان ذلك خلال قتال ومعارك دامية أو مجرد زحف عسكري لا يقاومه شيء يذكر.

والمهم ورود الكوفة وتكون معقله ومقره وقد صفا أكثر الأرض من الديلم والطاقان إلى الكوفة ولا أظن أن المراد جميع الأرض.

فبينما هو وأصحابه في الكوفة يقبل المهدي عليه السلام مع أصحابه إلى الكوفة ولكن لا بعنوان أنه المهدي عليه السلام.

يظهر ذلك من عدم معرفة أصحاب الحسيني به وبحركته عليه السلام، بل كأنه سياسي ظهر على الساحة وصارت له جماعة وحركة يستولي عندها على مكة والمدينة ويتجه نحو الكوفة من دون تمهيد وإعلام.

عندها يسأل جيش الحسيني «يا ابن رسول الله من هذا الذي قد نزل بساحتنا» والحال أن الحسيني يعلم أنه المهدي عليه السلام ويعرفه، فهو من الرموز

التي ينبغي حلها.

لعل معرفته تتصل بلقاء مسبق وتمهيد مخطط له قام به قائد القوات شعيب بن صالح الذي ذكرت الأخبار تحركاته واتصاله بالمهدي عليه السلام وخروجه معه من الكوفة عند إقبال جيش السفيناني إليها وغير ذلك، ويكون جهل أصحاب الحسيني به عليه السلام لأن دخوله الكوفة هذه المرة بعد خروجه الأول غير المعلن من مكة والمدينة.

كما ويحتمل معرفة الحسيني بذلك من خلال وقوفه على أوضاع السياسة العالمية وكل ما يحدث ويدور في المنطقة، فلعله علم بأن هذا الخارج مما هو خارج عن تلك الحسابات والتمهيدات التي تدبرها القوى العظمى والمستعمرون بآخِر قناع لهم.

كما يدل على أن حركة المهدي عليه السلام تكون غامضة في بادئ الأمر بحيث تخفى على المنتظرين، وإنما يعلمها أرباب السياسة.

وتكون محمداً من الخفاء والالتباس لا يجليها إلا المعجزة والدلائل والشواهد التي يطلبها الحسيني من الإمام من أجل اتضاح الأمر على أصحابه دونه، فيكون أول إعلان للظهور في الكوفة لأنه الشمس الطالعة من مغربها.

ويمكن أن تكون هذه الرواية التي نتحدث عنها هي المرشدة للحسيني والمبينة له كيف يتصرف عندما يلتقي بالمهدي عليه السلام حتى يؤمن أصحابه ويعتقدون به.

ولما كان الشيعة الإمامية قد سمعوا الكثير عن معجزات الأئمة عليهم السلام لا يروعهم أن يروا العصا وهي تورق وتعظم حتى تغطي الجيشين بل هم ينتظرون ذلك ويرغبون في مشاهدته على خلاف الزيدية الذين هم كالعامّة في هذا الجانب يكون مشاهدة ذلك لهم أكبر مفاجئة بحيث يعجزون عن تفسيرها ولا يرونها إلا سحراً، بينما يرى البعض أن المراد من الزيدية هم

الذين يحملون عقيدة الزيدية القائلة بإمامة كل من يخرج بالسيف من آل محمد وإن لم يكونوا زيدية بالاسم لعدم تواجدهم في إيران.

فلا يبقى سوى حكاية السفظ الذي يخرج منه آثار رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء مع أن السفظ شيء صغير يعبى به الطيب وما أشبهه من أدوات النساء، يعني كالحقيرة النسائية والمحفظة.

وأعجب ما في ذلك تحدث هذه الرواية عن إخراج ناقة رسول الله وبغله وحماره اللواتي ماتت في زمانه أو بعده، فهو إلى الأسطورة أقرب منه إلى الحقيقة فقد يكون المراد إرائة صورة تلك الأشياء دون أعيانها كالذي نشاهده اليوم بواسطة الأقراص، وإن كنت لا استبعد استخراج الأعيان منه، فإن العلم يفعل كل شيء، فإذا كان الإنسان القديم لا يصدق الطيران في الهواء والوصول إلى القمر ويراها مستحيلاً فإن تصديقه وعدمه لم يغير من الواقع شيئاً، والإمام يحمل من العلم ما لا يحمله البشر - رغم كل تقدمهم إلى يوم ظهوره - ولا معشار ما يحتمله.

على أن ذلك جميعه لا يهمنا التعرض له ولا فتح أبوابه بعدما عنوننا البحث في الحسيني والخراساني ومدى اتحادهما وعدمه فهو من المعضلات، لأن الرواية تذكر خروج الحسيني من نحو الديلم، والديلم تتردد بين أن تكون جيل من الناس سمو بأرضهم وهم في جبال قرب جيلان كما في مرصد الاطلاع^(١) وبين أن يكونوا هم الترك، والأول أعرف.

بينما الخراساني يخرج من خراسان وإن كانت خراسان بمعناها الواسع قد تشمل الديلم وجيلان، خصوصاً والرواية ذكرت أنه يخرج من نحو الديلم، أي على مقربة منه.

والذي ينفي الشك هو اتحاد القائد الذي يقود الجيش، أعني شعيب

بن صالح فهو قائد قوات الخراساني وهو قائد قوات الحسيني، وإن كان احتمال معاصرة شعيب لقائدين هما الخراساني والحسيني موجوداً، ولكن الروايات لما ذكرت أن الخراساني يستبق إلى الكوفة هو والسفياني ويكون زمان الحسيني هو زمان السفياني كما هو مستفاد من هذا الخبر، فلا يحصى عن قبول الاتحاد، والالتزام بخروج الخراساني ثم استقراره قريباً من الديلم أينما كان.

فهي تدل على أن الخراساني هو حسني من أبناء الحسن عليه السلام، وليس من أبناء الحسين عليه السلام.

الحسني والحسيني :

جاء في بعض الأخبار اسم الحسيني فهل هو تصحيف الحسني أو أن الحسني تصحيف الحسيني، أو هما متغايران، ومن الذي يسلمها للمهدي عليه السلام.

فقد روى الشيخ الصدوق في الحديث القدسي عن ابن عباس قال قل رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر حديث المعراج وما أخبره الله سبحانه بشأن الأئمة الذين أخرجهم المهدي يملأ الأرض عدلاً، إلى أن قل: «يكون ذلك إذا رفع العلم... وخروج رجل من ولد الحسين بن علي»^(١)، ولكن الرواية مرفوعة.

وفي رواية أخرى يرويها ابن مسكويه جاء فيها أن بني هاشم كتبوا إلى المأمون يسألونه أن يبائع لولده العباس بولاية العهد ويعاتبونه على مبايعته لعلي بن موسى الرضا عليه السلام، فكتب في جوابهم: «فأما إن أبيتم إلا كشف الغطاء وقشر العصا، فإن الرشيد أخبرني عن آبائه وعماء وجد في كتاب الدولة وغيرها أن السابع هو الذي لا يقوم لبني العباس بعده، ولا تزال النعمة متعلقة عليهم بحياته، وإذا ودع فودعها، وإذا فقدتم شخصي

فاطلبوا لأنفسكم معقلاً، وهيهات مالكم إلا السيف يأتيكم الحسيني الثائر فيحصدكم حصداً والسفياي المرغم، والقائم المهدي عليه السلام، وعند القائم المهدي عليه السلام تحقن دماؤكم إلا بحقها^(١).

أخطأ المأمون في تطبيق الرواية على زمانه، ولعله لم يخطئ في أصل النقل عن الرشيد عن آبائه لترتيبه الأثر عليها بتولية الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام تحسباً لحيي الحسيني الثائر، والقائم المهدي عليه السلام فيكون قد تقرب بهذا العمل من الحسينيين بحسب الظاهر، مما يدل على أن إحدى فوائد خفاء زمان ظهور المهدي عليه السلام هي عدم تملكي الخلفاء والسلاطين في متابعة العلويين وقتلهم تخوفاً من ظهور الحسيني أو القائم الذي لا محالة في ظهوره لإخبار النبي صلى الله عليه وآله بذلك وروايته من طريق العباسيين أنفسهم، يكون قد أبقى لنفسه مخرجاً ولو محتملاً عند قيام الحسيني أو القائم.

ومهما يكن من ذلك فالرواية ذكرت الحسيني الثائر من دون تعيينٍ لمحل خروجه ولا مبلغ حركته وحقيقتها.

ولكن هناك رواية أخرى عينت خروجه من المشرق يرويه ابن حماد عن عبد الله بن عمر قال: يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق لو استقبلته الجبال لهدمها واتخذ فيها طرقاتاً^(٢).

المشرق الذي هو محل خروج الخراساني الحسيني على ما يبدو، فهل وقع في رواية الحسيني تصحيف أو وقع في رواية الحسيني التصحيف والخطأ في النقل أو الكتابة أو هما شخصان يختلف زمانهما وعملهما؟

والمرجح مع الحسيني إذا كان الشخص واحداً لأن نظير هذه الرواية الأخيرة يرويه البعض عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: يخرج رجل

(١) غاية المرام: ١١٩.

(٢) كتاب الفتن: ١٠٢.

من ولد الحسن من قبل المشرق لو استقبل به الجبال لهدها فلا يؤخذ فيها طريق^(١).

والمرجح الآخر الرواية المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقوله: «كأنني بالحسيني والحسيني وقد قادها، فيسلمها إلى الحسيني فيبايعونه» قال أبو جعفر عليه السلام في تامة هذه الرواية: «فإذا كانت الجمعة الثانية قال الناس: يا ابن رسول الله الصلاة خلفك تضاهي الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله...»^(٢).

ظاهاها إرادة القائم المهدي عليه السلام من الحسيني، والذي يسلمها للمهدي هو الحسيني؛ لعدم معقولة قول الرسول صلى الله عليه وآله: «كأنني بالحسيني والحسيني وقد قادها».

والمرجح الثالث: رواية عقد الدرر عن أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيها بعد ذكر من يلتحق بالمهدي عليه السلام ويكون معه: «ويلحقه هناك ابن عمه الحسيني في اثني عشر ألف فارس، فيقول: يا ابن عم أنا أحق بهذا الجيش منك، أنا ابن الحسن وأنا المهدي، فيقول المهدي عليه السلام: بل أنا المهدي، فيقول الحسيني: هل لك من آية فنبايعك؟ فيومئ المهدي إلى الطير فتسقط على يده، ويغرس قضيباً في بقعة من الأرض فيخضر ويورق، فيقول له الحسيني يا ابن عم هي لك، ويسلم إليه جيشه ويكون على مقدمته واسمه على اسمه»^(٣).

تؤكد هذه الرواية على أنه حسني بحيث لا يحتمل التصحيف والخطأ في النقل بعد المقابلة بينهما هذا يقول أنا ابن الحسن والآخر يقول أنا المهدي عليه السلام غير أن قوله بعد ذلك واسمه على اسمه يرجح إرادته أن الحسن

(١) تلخيص المتشابه ١: ٤٠٧.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٨١.

(٣) عقد الدرر: ٩.

هو اسم أبيه المباشر وليس المقصود الإمام الحسن عليه السلام فيكون اسمه واسم أبيه مطابقاً لاسم المهدي عليه السلام وبهذا يدعي المهديّة، وبذلك تكون هذه الرواية قد عرّفنا اسم الحسيني، أعني أن اسمه هو اسم المهدي عليه السلام.

والمرجح الرابع: خطبة البيان التي خطبها أمير المؤمنين عليه السلام على ما يروى جاء فيها عند الحديث عن المهدي عليه السلام: «ثم يسير بلجيوش حتى يصير إلى العراق والناس خلفه وأمامه، وعلى مقدمته رجل اسمه عقيل، وعلى ساقته رجل اسمه الحارث، فيلحقه رجل من أولاد الحسن عليه السلام في اثني عشر ألف فارس، ويقول: يا ابن العم، أنا أحق منك بهذا الأمر، لأنني من ولد الحسن عليه السلام وهو أكبر من الحسين عليه السلام، فيقول المهدي عليه السلام: إني أنا المهدي، فيقول له: هل عندك آية أو معجزة أو علامة، فينظر المهدي عليه السلام إلى طير في الهواء فيومئ إليه، فيسقط في كفه، فينطق بقدره الله تعالى، ويشهد له بالإمامة، ثم يغرس قضيباً يابساً في بقعة من الأرض ليس فيها ماء فيخضر ويورق، ويأخذ جلموداً كان في الأرض من الصخر، فيفركه بيده ويعجنه مثل الشمع، فيقول الحسيني: الأمر لك، فيسلم وتسلم جنوده»^(١).

فلا يبقى مع هذه الرواية أقل ترديد في إرادة الحسيني الذي هو من نسل الإمام الحسن عليه السلام، خصوصاً بعد استدلاله بأن الحسن عليه السلام أكبر من الحسين عليه السلام، وكذا قوله في هذه الرواية والرواية السابقة: «ابن العم» مما يتم معه الدلالة ويبقى سند هذه الروايات وحال رواتها فهي غير معتبرة على ما يبدو، أفضلها سنداً رواية الشيخ، وهي الأخرى يشتمل سندها على المجاهيل.

والنتيجة النهائية عدم ثبوت خروج الحسيني أو الحسيني بهذا الاسم ولا تعيين حال الخراساني الثابت خروجه هل هو حسيني أو حسيني أو غير ذلك من

(١) إلزام الناصب ٢: ١٧٨.

الأخبار المعتبرة، كما لا يمكن قطع النظر عن الأخبار المتعددة الدالة على خروج حسني أو حسيني من إيران يسلمها إلى المهدي عليه السلام مع وروده من طرق العامة والخاصة، ولما لم يثبت أن الحسيني والحسيني هما شخص واحد، تحتم المصير إلى أن الحسيني غير الحسيني وإن كان خروجهما من مبدأ واحد وهو الشرق، وأن الذي يسلمها إلى المهدي عليه السلام على الأرجح هو الحسيني ولعله هو الخراساني لوجود بعض المشتركات واتحاد زمان الخروج - أعني زمان السفينائي - وقد يكون الحسيني من الذين حكموا إيران في زمان سابق على ذلك.

العلامة الثانية

شعيب بن صالح

خلاصة الكلام في شعيب بن صالح

يُعدّ خروج شعيب بن صالح العلامة الثانية على ظهور الإمام المهدي عليه السلام، وليس هو ملكاً ولا رئيساً وإنما هو أحد القلاة العسكريين الذين يقودون الجيوش ويخوضون المعارك، وقد جاء التأكيد عليه من أجل انصباب تحركاته في مصب التمهيد والتوطئة لظهور الإمام المهدي عليه السلام قبل ظهوره، وليكون بعد ظهوره عليه السلام أحد قواده، بل وزيره في بعض الشؤون العسكرية والسياسية على ما يبدو.

وهو شعيب بن صالح التميمي الذي يعني أنه من بني تميم الموالي؛ رجل ربة أسمر الوجه أصفر كوسج خفيف اللحية ثيابه بيض وقلنسوته سوداء.

ويمتاز بالشجاعة الفائقة والصبر والاستقامة في الحروب بحيث لو قاتل الجبال لهدّها واتخذ فيها سبلاً، والروايات تزخر بالتعابير الممجدة به حتى تقرنه بجبرئيل وميكائيل.

هذا، وينبغ شعيب بن صالح من الطالقان أو طهران وبترع وع وينشأ هناك، ثم يخرج في خراسان مرة مع الخراساني وفي طهران مع الحسيني الخارج من نحو الديلم، يقاتل فلول العباسيين مرة ويشتبك مع جيوش السفيناني في حوالي الكوفة فينتصر عليها ويقتلهم ليستنقذ الأسرى من أيديهم تارة أخرى.

حتى يلتقي جيش الحسيني وجيش الإمام المهدي عليه السلام فيسلمها الحسيني ويكون شعيب بن صالح قائداً للإمام المهدي عليه السلام ووزيراً له.

كما تشهد الأخبار بتواجهه في العراق والشام والحجاز سواء كان تواجداً عسكرياً أو غيره في مجال التمهيد للمنتظر ودولته، ويستشعر منها دوره الفاعل في تحرير بيت المقدس، وفتح فلسطين وغيرها. وهناك قرائن حاكية عن اتصاله

١٤٢ العد التنازلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

المسبق بالإمام المهدي عليه السلام قبل التقاء الجيشين، وعندما حاولنا كشف القناع عنها تبلور لنا سر آخر وواقعة أخرى تتلخص بتحقيق ظهورين للإمام المهدي عليه السلام وقيامه بتحريكين بين الحجاز والعراق أحدهما مع الخواص والآخر معن.

وذلك عند توجه الجيوش الخراسانية والرايات السود، فإن تلك الجيوش تفقد قائدها وتتحير لأنه يسبقهم إلى الكوفة ليخرج هو والإمام متخفياً إلى المدينة بعد وصول جيش السفيناني، وقدومه إليها بهدف القبض على الإمام عليه السلام والقضاء على حركته.

وعندما يصل إليها السفيناني ويعلم بخروج الإمام عليه السلام مع شعيب إلى المدينة يبعث السفيناني جيشاً آخر في أثرهما إلى المدينة، وتظل بقية جيشه التي لم تترك الكوفة في صراع مع جيوش خراسان، حتى ينتصر عليهم الجيش الخراساني ويخرجهم عنها ليستقر هو الآخر فيها إلى قدوم الإمام عليه السلام مرة أخرى.

ولما يصل جيش السفيناني الثاني إلى المدينة يكون الإمام المهدي عليه السلام وشعيب قد خرجا منها إلى مكة، فيبعث السفيناني الجيش في أثرهما حتى إذا توسط البيداء خُسف به.

هناك يجتمع أصحاب الإمام الثلاثمائة وبضعة عشر فيبايعونه بين الركن والمقام ويلتحق به من يلتحق، ثم يتجه نحو المدينة فيجعل عليها رجل من أصحابه ويسير عليه السلام هو وأصحابه إلى الكوفة ليلتقي بجيش الحسيني الذي استتب له الأمر فيها وخضعت له أطراف البلاد فيسلم الحسيني الجيش إليه فيسير الإمام عليه السلام والجيوش على أثر ذلك إلى الشام وبيت المقدس.

هذا هو المستفاد من مجموع الأخبار، والمستفاد من خصوص المعبرة منها أصل خروج شعيب بن صالح وعلائمته مع شيء من الإغماض.

العلامة الثانية:

شعيب بن صالح

تكرر ذكر شعيب بن صالح خلال البحوث السابقة مصحوباً بذكر بعض صفاته وتحركاته العسكرية وغير العسكرية التي تنبئ عن محورية هذا القائد العظيم في فترات متفاوتة عندما يظهر الخراساني ويتحرك الحسني ويتواجد ما بين خراسان والكوفة إلى مكة والمدينة وحتى إيلياء القدس ليكون في نهاية المطاف وزيراً للإمام المهدي عليه السلام وقائداً لقواته، مما يحكي عن شجاعة تفوق التصور وتدبير حكيم يعجز عن دركه أكبر القواد وأحنكهم كما يحكي عن إيمان عميق ومستحکم لا يحصل فيه أقل خلل وفتنة مما يجعله الأفضل على الدوام وإن كان مرؤساً لمثل الخراساني.

فهو القطب الذي تدور عليه رحا الأحداث السريعة التي تسبق ظهور المهدي عليه السلام وتنتهي إلى تشكيل دولته جهد الإمكان.

اسمه ونسبه:

هو شعيب بن صالح بن بني تميم من الموالي كما جاء في كثير من الأخبار والروايات المصرحة باسمه من دون ترديد يدعو كثرتها إلى قطع النظر عن الرواية التي يتردد فيها الراوي بين شعيب بن صالح وصالح بن شعيب نسياناً، ويجعلنا نتركها كرواية شاذة، وهي رواية ابن حماد عن محمد بن الحنفية جاء فيها: فتخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء فلانسهم سود، وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن

صالح أو صالح بن شعيب من تميم يهزمون أصحاب السفيناني حتى تنزل بيت المقدس توطئ للمهدي سلطانه^(١).

بدأنا بهذه الرواية الشاذة لوجود كلام فيها يورث التردد والشك، وهو قوله «يقال له شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب» فإن كلمة «يقال له» قد تعني أن هذا ما يشتهر ويعرف به وليس هو اسمه الحقيقي، وإلا لقال اسمه كذا، ولم يقل يقال له، يدعم ذلك روايات أخرى فيها يقال له أو يدعى، والباقية خالية من هذا الكلام.

ومهما يكن من ذلك فهو يعرف بشعيب بن صالح وهو من بني تميم، كما يمكن أن يكون لقبه هو التميمي أيضاً لقول رسول الله ﷺ المروري في بعض الأخبار: «ثم يقبل الرجل التميمي شعيب بن صالح»^(٢) وفي خبر آخر: «فعليناكم بالفتى التميمي فإنه يقبل من المشرق وهو صاحب راية المهدي»^(٣)، وإن كان احتمال إرادة نسبته إلى تميم فقط من دون أن يكون لقبه هو التميمي.

وإذا قلنا من الموالي فلورود الرواية التي يرويها ابن حماد عن أبي جعفر عليه السلام قل فيها: «ويسرح الهاشمي في طريق الري، فيسرح رجلاً من بني تميم من الموالي يقال له شعيب بن صالح إلى اصطخر»^(٤).

بينما تذكر الأخبار اسماً آخر لشعيب، ألا وهو المنصور يستفاد ذلك من مثل ما رواه ابو داود عن علي عليه السلام أنه قل: «يخرج رجل من رواء النهر يقال له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له المنصور يوطئ ويمكن

(١) كتاب الفتن: ٨٤.

(٢) الملاحم والفتن: ١٣٧.

(٣) المعجم الأوسط للطبراني ٤: ٢٥٦، مجمع الزوائد ٧: ٣١٨.

(٤) كتاب الفتن: ١٩٢.

لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله ﷺ وجب على كل مؤمن نصره^(١) ومعلوم أن القائد الخارج من وراء النهر ليس هو اليماني الذي هو الآخر يسمى بالمنصور، وليس سوى شعيب بن صالح، وهو المأمور بنصرته.

محل خروج شعيب وولادته:

فالروايات اختلفت في تعيين محل خروجه بين ما تعينه بسمرقند، كرواية الشيخ الطوسي التي جاء فيها: «ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند»^(٢)، المشفوع بالرواية التي تسميه السمرقندي^(٣)، والأخرى الدالة على خروجه من وراء النهر الذي يعني سمرقند وبخارى، وإن كانت إرادة وراء نهر دجلة مما يعني إيران الحالية غير بعيدة، فيكون ذكر سمرقند مجرد تفسير من الراوي لقوله وراء النهر في الرواية.

هذا والروايات الأخرى تدل على نبوعه من الطالقان، كما جاء في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام المسماة بالتطنجية قال فيها: «وتحركت عساكر خراسان، ونبع شعيب بن صالح من بطن الطالقان»^(٤)؛ المشفوع برواية: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حولها، وعلى أبواب أنطاكية وما حولها، وعلى باب دمشق وما حولها، وعلى أبواب الطالقان وما حولها ظاهرين على الحق لا يبالون بمن خذلهم ولا من نصرهم حتى يخرج الله كنزه من الطالقان، فيحیی به دينه كما أميت من قبل»^(٥)، وإن

(١) سنن أبي داود ٤: ١٠٨ ح ٤٢٩٠، كنز العمال ١٤: ٥٧٢ ح ٣٩٦٣٨.

(٢) الغيبة: ٤٤٤.

(٣) كشف الحق: ١٥٣، قال فيها: «فبيننا هم كذلك إذ يخرج عليهم السمرقندي من خراسان برايات سود والسفياني من الوادي اليابس».

(٤) مشارق البرسي: ١٦٦.

(٥) تهذيب ابن عساكر ١: ٥٦، كنز العمال ١٢: ٢٨٣ ح ٣٥٠٥٤.

كان المفسر به كنز الطالقان بشباب كزبر الحديد.

وقد يفرق بين النبوع الذي يعني الولادة والنشأة، وبين الخروج الذي يعني شروع التحرك العسكري والتنظيم السياسي، الذي لو تم للد على تغيير الحال التي عليها اليوم لأنها لا تسمح بحصول نهضة دينية في دول الاتحاد السوفياتي وسمرقند بالذات.

ولكن هناك رواية ثالثة تدل على خروجه بالري، رواها ابن حماد عن الحسن قال: يخرج بالري رجل ربعة أسمر مولى لبني تميم كوسج يقال له شعيب بن صالح في أربعة آلاف ثيابهم بيض وراياتهم سود، يكون على مقدمة المهدي لا يلقاه أحد إلا فله^(١).

فهي بين أن تكون معارضة لرواية سمرقند، وبين أن يكون لشعيب خروجان، أحدهما مع الخراساني من سمرقند، والآخر مع الحسيني من الري، خصوصاً والرواية الأولى لم تذكر خروجه مع المهدي عليه السلام، ولكن الرواية الأخيرة، أعني رواية خروجه من الري ذكرت ذلك، ويهون الخطب ضعف جميع الروايات فلا يثبت شيء من ذلك سوى ما اتفقت عليه جميع الروايات من خروجه من الشرق من خراسان وما حولها.

صفاته:

قد تفاوتت الأخبار الذاكرة لصفاته في الألفاظ وبعض الصفات وتركها، ولكن اجتماعها يحكي أنه غلام حديث السن ربعة كوسج خفيف اللحية أصفر أسمر ثيابه بيض وقلنسوته سوداء على أنها متفقة في شجاعته ورسالته.

فمن تلك الأخبار ما يرويه ابن حماد عن الحسن قال: يخرج بالري رجل ربعة أسمر مولى لبني تميم كوسج يقال له شعيب بن صالح في أربعة

آلاف ثيابهم بيض وراياتهم سود يكون على مقدمة المهدي لا يلقاه أحد إلا فله^(١).

مما يحكي عن زيّ موحد كالذي يعتاد لبسه العساكر غير أنه أبيض مع قلنسوة سوداء، تذكره هذه الرواية التي تضمنت أكثر صفاته بحيث لو أضيفت إليها رواية ابن حماد الثانية عن سفيان الكعبي لتمت لأنه قال: يخرج على لواء المهدي غلام حديث السن خفيف اللحية أصفر لو قاتل الجبال لهما حتى ينزل إيليا^(٢).

أضافت إلى الرواية السابقة أنه غلام حديث السن، بعدما عبرت الأولى بأنه رجل.

على أن الروايات الذاكرة لصفاته كلها ضعيفة السند، لم يثبت شيء مما ذكرنا من الروايات المعتمدة غير أصل خروج شعيب وشجاعته.

خروج شعيب من العلانم :

أما أصل خروج شعيب بن صالح فقد دلت عليه الرواية التي يرويها النعماني بسند معتبر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قل: قبل هذا الأمر السفيناني، واليماني، والمرواني، وشعيب بن صالح، فكف تقول هذا هذا^(٣)، فيكون خروجه ثابت بالخبر المعتبر.

وأما كونه من العلامات على خروج القائم فقد صرحت بذلك بعض الأخبار، التي فيها الخبر الذي يرويه الطبري بسند ليس فيه ما يتوقف في شأنه سوى محمد بن خالد التميمي الذي لم يوثق وليس ما يدل على وثاقته

(١) كتاب الفتن: ٨٤.

(٢) كتاب الفتن: ٨٥.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ج ١٢.

سوى وقوعه في أسناد كامل الزيارات ولعله يكفي في المقام.

يروى ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام قل: «قبل قيام القائم خمس علامات: السفيناني، واليماني، والمرواني، وشعيب بن صالح، وكف تقول: هذا هذا»^(١).

ويبدل على ذلك أيضاً ما رواه الشيخ الطوسي مرسلأً عن حذلم بن بشير قال: قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام: صف لي خروج المهدي وعرفني دلأله وعلاماته؟ فقال: «يكون قبل خروجه خروج رجل يقال له عوف السلمي بأرض الجزيرة، ويكون مأواه تكريت وقتله بمسجد دمشق، ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند، ثم يخرج السفيناني الملعون...»^(٢)، جعلت من علامات خروج القائم ودلأله خروج شعيب بن صالح، كما دلت على أن خروج شعيب بن صالح بعد قتل الشخص الذي يكون مأواه تكريت ومقتله مسجد دمشق.

وكذا ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الحسين عليه السلام قل: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أبي بن كعب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: مرحبأً بك يا أبا عبد الله يا زين السماوات والأرض، قال أبي: كيف يكون غيرك يا رسول الله زين السماوات والأرض - فذكر له فضل الأئمة حتى بلغ المهدي عليه السلام فقال - يخرج وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وشعيب بن صالح على مقدمته...»^(٣)، وهي مشتملة على بعض الجاهيل

(١) دلأئل الإمامة: ٤٨٧.

(٢) الغيبة: ٤٤٤ ح ٤٣٧.

(٣) كمال الدين: ٢٦٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥٩ ح ٢٩. بإسناده عن أحمد

بن ثابت الدواليبي، عن محمد بن الفضل النحوي، عن محمد بن علي بن عبد

الصمد الكوفي، عن علي بن عاصم عن محمد بن علي بن موسى عن آبائه عليهم السلام،

عن الحسين بن علي عليهما السلام.

في سندها، فلا تزيد على كونها مؤيدة، وهناك أخبار كثيرة واردة من طرق العامة سنعرض لها.

عظمة شعيب بن صالح:

الروايات تزخر بالتعابير الممجلة بهذه الشخصية الفذة التي منها أنه لا يلقي أحداً إلا فله، أو لا يلقاه أحد إلا قتله، أو لو قاتل الجبال لهرها أو لهدها، أو لو استقبلته الجبال الرواسي لهدها، وأنه صاحب راية المهدي عليه السلام، وحتى التعبير بأنه وزيره^(١).

وأفضل من ذلك كله مقارنته مع جبرئيل وميكائيل في الحديث السابق المروي عن النبي صلى الله عليه وآله حيث يقول: يخرج وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وشعيب بن صالح على مقدمته، فأنعم به من مقام سام وكم هو وجود مبارك عندما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «سقى الله بلاد شعيب»^(٢).

وروي عن عبد الله بن بشار رضيع الحسين عليه السلام شعراً:

| | |
|------------------------------|---|
| إذا كملت إحدى وستون حجة | إلى التسع من بعدهن ضرائح |
| وقام بنو ليث بن نصر ابن أحمد | يهزون أطراف القنا والصفائح |
| تعرفهم شعث النواصي يقودها | من المنزل الأقصى شعيب بن صالح |
| وحدثني ذا أعلم الناس كلهم | أبو حسن أهل التقى والمدائح ^(٣) |

تحركات شعيب بن صالح :

تنقسم تحركات شعيب إلى قسمين، القسم الأول ما كان تحت لواء

(١) انظر كتاب الفتن لابن حماد: ٨٤ و ٨٥، الملاحم والفتن: ٥٣، مجمع الزوائد ٧: ٣١٧

(٢) الملاحم والفتن: ١٣٧.

(٣) الخرائج والجرائح ٣: ١١٦٧.

الخراساني الحسيني وقد تقدم أكثر الكلام عنها في بحث الخراساني، والقسم الثاني هي تحركاته مع الإمام المهدي عليه السلام، وقد يضاف إليها تحركاته الفردية التي تدخل في إطار التمكين والتوطئة للإمام المهدي عليه السلام.

ولعل أهم تحركاته من القسم الأول هو الغلبة على جيش السفيناني ودخوله العراق لتخليص الأسرى والسبايا من يده، فأصل دخوله يرويه الشيخ الطوسي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام: «تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان إلى الكوفة، فإذا ظهر المهدي بعث إليه بالبيعة»^(١)، فهي تذكر مجرد النزول من دون ذكر قتال.

وروى ابن حماد عن علي عليه السلام قال: «تخرج رايات سود تقاتل السفيناني فيهم شاب من بني هاشم في كتفه اليسرى خال، وعلى مقدمته رجل من بني تميم يدعى شعيب بن صالح فيهزم أصحابه»^(٢).

وفي رواية أخرى يرويها عن أبي جعفر عليه السلام: «يخرج شاب من بني هاشم بكفه اليمنى خال من خراسان برايات سود بين يديه شعيب بن صالح يقاتل أصحاب السفيناني فيهزمهم»^(٣)، وهناك رواية ثالثة أضافت استخلاص سبي أهل الكوفة يرويها حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث طويل جاء فيه: «خروج السفيناني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق، فلا يأتي عليه شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفاً، فيبعث جيشاً إلى العراق فيقتل بالزوراء مائة ألف، وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها، فعند ذلك يخرج دابة من المشرق يقودها رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح فيستنقذ ما في أيديهم من سبي أهل الكوفة ويقتلهم»^(٤).

(١) الغيبة: ٤٥٢، وانظر الخرائج والجرائح ٣: ١١٥٨.

(٢) كتاب الفتن: ٨٥.

(٣) كتاب الفتن: ٨٥ وفي ص ١٨٩ عن ربيعة بن سيف تبع مثله.

(٤) الداني: ١٠٤، جامع البيان للطبري ١٥: ١٧.

مما يدل على سرعة عمل شعيب وجيشه بحيث لا يعطي لجيش السفيناني الفرصة في تخلية السبايا والأسرى، هذا المعنى الذي تؤيده رواية استباق الخراساني والسفيناني إلى الكوفة مما يظهر سبق جيش السفيناني إليها ووصول جيش الخراساني بعد فترة وجيزة، ولكن الصحيح أن دور جيش الخراساني هي هزيمة جيش السفيناني وإنما يكون تخليص السبي على يد أهل الكوفة والبصرة أنفسهم مما يسمى جيش العصب رواه ابن حماد عن أرطاة قال فيه: «ويظهر بخراسان قوم يدعون إلى المهدي - إلى أن قال - وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء، فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفيناني نزولهم فيهربون، ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم، ويخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم العصب ليس معهم سلاح إلا قليل وفيهم نفر من أهل البصرة، فيدركون أصحاب السفيناني فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي»^(١).

حركة شعيب باتجاه الشام :

ذكرت الأخبار مسير شعيب بن صالح والرايات السود إلى الشام أو بيت المقدس، وهي متعددة مضطربة غامضة من ناحية الدلالة على تحقق ذلك بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام وبقيادته، أو قبل ظهوره مما يدخل في التمكين له والتوطئة لدولته.

روى ابن حماد عن عمرو بن الجملي صاحب رسول الله ﷺ يقول: لتخرجن من خراسان راية سوداء حتى تربط خيولها بهذا الزيتون الذي بين بيت لهما وحرستا، قلنا: ما بين هاتين زيتونة؟! قال: سينصب بينهما زيتون حتى ينزلها أهل تلك الولاية فتربط خيولها بها^(٢)، ظاهرها دخول

(١) كتاب الفتن: ٩٣.

(٢) كتاب الفتن: ١٩٠.

الراية السوداء الشام بمفردها وليست ضمن جيوش المهدي عليه السلام.

وفي رواية محمد بن الحنفية: «تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء فلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب من تميم، يهزمون أصحاب السفيناني حتى تنزل بيت المقدس توطئ للمهدي سلطانه ويمد إليه ثلاثمائة من الشام يكون بين خروجه وبين أن يسلم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهراً»^(١).

ظاهر هذه الرواية أن دخول شعيب بيت المقدس يدخل في التوطئة للمهدي عليه السلام قبل ظهوره غير أنها دلت على ذلك بعد ظهور السفيناني وختم غائلته مما يوكد إشكالاً من ناحية دلالة الأخبار على أن المهدي عليه السلام هو الذي يقاتل السفيناني ويقضي عليه كما سيأتي.

المؤيد لدخول شعيب الشام بل الدليل عليه هو ما رواه ابن حماد عن سفیان الكلبي قال: يخرج على لواء المهدي غلام حديث السن خفيف اللحية أصفر لو قاتل الجبال لهزها حتى ينزل إيلياء^(٢)، مما يدل على عدم نزوله بمفرده وباستقلاله إنما يكون تحت لواء المهدي عليه السلام.

هذا كله مع قطع النظر عن مصير فلسطين وخصوص بيت المقدس ومن الذي يقوم بتحريره قبل خروج السفيناني والذي يأتي كلام عنه. وهناك رواية تذك على دخول شعيب بيت المقدس بمفرده خفية بالمرحلة الأولى لفرش الأرضية والتمهيد لقدوم المهدي عليه السلام ثم دخوله بيت المقدس بجيشه بعد هزيمة السفيناني وقتله وقتل أصحابه.

رواها ابن حماد عن جماعة منهم ضمرة بن حبيب قالوا بعد ذكر

(١) كتاب الفتن: ١٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ١٨٩.

خروج شعيب فيلتقي هو وخيل السفيناني فيهزمهم ويقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم تكون الغلبة للسفيناني ويهرب الهاشمي، ويخرج شعيب بن صالح مختفياً إلى بيت المقدس يوطئ للمهدي منزله إذا بلغه خروجه إلى الشام^(١).

خالفت الروايات السابقة في الدلالة على غلبة السفيناني بالمرحلة الثانية، وهروب الخراساني، الذي يحتمل أن يراد به التوقف في حدود الشام أو الكوفة من دون تحقيق أي نصر بعد دخولها أو حتى قد يحصل انكسار، ولكن لا يعني استحلال السفيناني الكوفة مرة أخرى، لعدم ذكره في الأخبار، ولا دلت عليه هذه الرواية.

نعم هناك رواية يرويها ابن حماد عن أبي قبيل يقول فيها: «يملك رجل من بني هاشم فيقتل بني أمية فلا يبقى منهم إلا اليسير لا يقتل غيرهم، ثم يخرج رجل من بني أمية فيقتل بكل رجلين حتى لا يبقى إلا النساء، ثم يخرج المهدي»^(٢) وواضح أن المراد بذلك الهاشمي هو العباسي لأنهم من بني هاشم، فالسفاح قتل بني أمية، والثاني هو السفيناني يقتل بني هاشم عامة، سواء بني العباس أو أبي طالب.

ولكن لما كان خروج الخراساني مزامناً لخروج السفيناني، فقد صار من الصعب تصوّر وصوله إلى القدس بعدما سنعرف أن المهدي ~~هو~~ هو الذي سيقتل السفيناني وهو الذي يثور سراياه إلى جهة الشام لهزيمة السفيناني وأخذه وقتله على الصخرة كما سيجيء.

فيبقى الأمر بين أن يكون دخول شعيب بيت المقدس قبل خروج الخراساني والسفيناني المؤيد بقتال السفيناني عند خروجه لجيش المشرق المتواجد في الشام كما سيأتي، فلعله هو الجيش المخر للقدس بقيادة

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ٧٥.

شعيب، ثم رجوعه إلى خراسان لينضم إلى قوات الخراساني بعد خروجه وزحفه نحو الكوفة ليبايع الإمام المهدي عليه السلام هذه المرة.

وبين أن يكون دخول شعيب بن صالح بيت المقدس كقائد لقوات الإمام المهدي عليه السلام بعدما يقضي على قوات السفيناني وينهزم جيشه ويؤخذ السفيناني ويقتل على الصخرة.

وهذا الأخير - أعني دخول شعيب مع قوات المهدي عليه السلام - مسلم، ويبقى ذلك الزحف الأول والدخول السابق مجرد احتمال، وإن كانت بعض الروايات تشعر به.

مثل رواية: «تجيء رايات سود من قبل المشرق كأن قلوبهم زبر الحديد، فمن سمع بهم فليأتهم ولو حبواً على الثلج حتى يأتوا مدينة دمشق فيهدمونها حجراً حجراً» وواضح أن المراد به رايات أبي مسلم الذي أطاح بالدولة الأموية ودخل دمشق وفعل ما فعل، حصل فيه الخلط من قبل الرواة أو التحريف من قبل المتزلفين لبني العباس، ولعمري هذا أوضح من أن يخفى.

فلا يثبت من هذه الرواية وأمثالها دخول الخراساني أو شعيب بن صالح الشام وفلسطين.

نعم جنود المشرق وبالذات إيران هم الذين سيحررون بيت المقدس إذا كان المقدر ذلك وسيأتي الكلام فيه.

شعيب بن صالح والإمام المهدي عليه السلام :

القرائن والشواهد تحكي عن اتصال شعيب بن صالح بالمهدي عليه السلام قبل ظهوره، أعني الظهور العلن واجتماع أصحابه، للدلالة بعض الأخبار على تواجد المهدي عليه السلام والمنصور الذي يعني شعبياً في المدينة عند بعث السفيناني الجيش إليها فيخرج هو والمنصور منها إلى مكة، بل في بعض الأخبار دلالة على التقائهما في الكوفة وهروبهما معاً منها بعدما تقبل خيل السفيناني لتطلب أهل خراسان.

فقد روى ابن حماد عن أرطاة قال: يدخل السفيناني الكوفة فيسببها ثلاثة أيام ويقتل من أهلها ستين ألفاً، ثم يمكث فيها ثمانية عشر ليلة يقسم أموالها، ودخوله مكة بعدما يقاتل الترك والروم بقرقيسيا، ثم يفتق عليهم خلفهم فتق فيرجع طائفة منهم إلى خراسان فتقبل خيل السفيناني وتهدم الحصون حتى تدخل الكوفة وتطلب أهل خراسان ويظهر بخراسان قوم يدعون للمهدي، ثم يبعث السفيناني إلى المدينة فيأخذ قوماً من آل محمد عليهم السلام حتى يرد بهم الكوفة، ثم يخرج المهدي والمنصور من الكوفة هاربين ويبعث السفيناني في طلبهما، فإذا بلغ المهدي ومنصور مكة نزل جيش السفيناني البيداء فيخسف بهم، ثم يخرج المهدي حتى يمر بالمدينة فيستنقذ من كان فيها من بني هاشم، وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفيناني نزولهم فيهربون، ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم ويخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم العصب ليس معهم سلاح إلا قليل، وفيهم نفر من أهل البصرة فيدركون أصحاب السفيناني فيستنقذون ما في أيديهم من سي الكوفة، وتبع الرايات السود بالبيعة إلى المهدي^(١).

(١) كتاب الفتن: ٨٣.

ولا تزال هذه الرواية مضطربة غامضة تحتاج إلى شيء من التفسير والتفحص في أطرافها، خصوصاً المراحل التي تذكرها.

فهي تذكر دخول السفيناني الكوفة وسببه وقتله ومكثه ثمانية عشر يوماً فيها.

ثم تذكر دخول شخص مكة بعدما يقاتل الترك والروم بقرقيسياء، فلما كان الكلام السابق يدور حول السفيناني وهو المصرح باسمه يكون معنى دخوله هو دخول السفيناني مكة، خصوصاً وأن معركة قرقيسياء هي معركة السفيناني نفسه مع الترك والروم أو غيرهم. ولكن دخوله مكة لم يذكره واحد من الأخبار.

والأوهن من ذلك تعقيبه بقوله ثم يفتق عليهم خلفهم فتق فيرجع طائفة منهم إلى خراسان، وليس خراسان خلف السفيناني وإنما هي خلف الخراساني وشعيب، فهو قرينة على أن الكلام حول شعيب أو الخراساني وهو الداخل مكة، ولكن ليس هناك ما يدل على قتاله الترك والروم بقرقيسياء.

ثم إنها ذكرت دخول السفيناني الكوفة مرة أخرى لقوله: فتقبل خيل السفيناني وتهدم الحصون حتى تدخل الكوفة وتطلب أهل خراسان.

وفي المرحلة اللاحقة تذكر خروج قوم من خراسان يدعون للمهدي عليه السلام، ومن بعده بعث السفيناني إلى المدينة فيأخذ قوماً من آل محمد عليهم السلام حتى يرد بهم الكوفة، وبعدها خروج المهدي ومنصور من الكوفة هاربين والروايات تذكر هروبهما من المدينة دون الكوفة، وهو المعقول، لقوله بعد ذلك، فإذا بلغ المهدي ومنصور مكة نزل جيش السفيناني البيداء وحسف بهم، ورجع المهدي عليه السلام إلى المدينة لاستنقاذ من فيها من بني هاشم.

وفي النهاية تجعل ورود الرايات السود ونزولها على الماء بعد الحسف

بجيش السفيناني ولا يكون في الكوفة حينها سوى قليل من قوات السفيناني التي تهرب عند سماعها بتزول الرايات السود على الفرات.

ثم تقول: «ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم» ولم تذكر من هو النازل، ولعله المهدي عليه السلام أو قائد جيش الخراساني كما مر. والمهم في الرواية دلالتها على خروج الإمام المهدي عليه السلام وشعيب هاربين من الكوفة، من دون تفصيل ذلك، وأنه بعد ظهور الإمام عليه السلام المعلن أو قبله.

فإننا إذا سلمنا تحرك شعيب نحو الشام وبيت المقدس قبل ظهور القائم فله تفاصيله التي مرت أو تأتي.

وإذا لم نسلم ذلك فيما أن نركن إلى الرواية القائلة بخروج المنصور والمهدي عليه السلام من الكوفة خفية سواء بعد انكسار جيش الخراساني عقب ظفره أو من دون انكساره، إذ يترك شعيب الجيش ويخرج مع القائم إلى الحجاز لتمهيد خروج الإمام في المدينة أولاً ثم في مكة بعد الحسف بالجيش أو قبله، فالأخبار بين أن تذكر دخول جيش ما إلى الكوفة ثم يفقدون قائدهم ويتحير ذلك الجيش.

وبين أن تذكر خروج المهدي عليه السلام ومنصور من الكوفة؛ لأنه جاء في خبر ابن حماد «ثم يخرج المهدي ومنصور من الكوفة هاربين»، وبين أن تذكر خروج شعيب إلى بيت المقدس خفية؛ لأن في خبر ابن حماد الآخر: «ويخرج شعيب بن صالح مختفياً إلى بيت المقدس يوطئ للمهدي منزله إذا بلغه خروجه إلى الشام»^(١)، وبين أن تذكر خروجه والمهدي من المدينة إلى مكة كرواية ابن حماد: «بيعت السفيناني بجيش إلى المدينة، فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد عليهم السلام ويقتل من بني هاشم رجال ونساء، فعند ذلك يهرب

المهدي عليه السلام والمبيض من المدينة إلى مكة^(١) والمبيض هو شعيب لما مر أن ثيابه بيض وهناك رواية أخرى معتبرة يرويها النعماني عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال فيها: «ويبعث بعناً إلى المدينة فيقتل بها رجلاً ويهرب المهدي ومنصور منها»^(٢).

فلا شك أن هناك خبراً وحدثاً يكون بالكوفة يحتاج إلى بعض الفحص وتتبع خيوطه الأولى التي تبدأ بظهور الإمام المهدي عليه السلام في الكعبة ثم إقباله إلى المدينة ثم الكوفة ثم يختفي مرة أخرى، للرواية التي يرويها الشيخ الطوسي عن حذلم بن بشير عن علي بن الحسين عليه السلام قال فيها: «ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند، ثم يخرج السفيناني الملعون من الوادي اليابس وهو من ولد عتبة بن أبي سفیان، فإذا ظهر السفيناني اختفى المهدي ثم يخرج بعد ذلك»^(٣).

وذلك بعدما يبايعه أصحابه الثلاثمائة وبضعة عشر ليقدم معهم إلى المدينة ثم الكوفة فيكون إقدام السفيناني إلى الكوفة في الحقيقة هو في طلب المهدي عليه السلام فيخرج المهدي والمنصور - أعني شعيباً - إلى المدينة كما جاء في ذلك الخبر، ثم يبعث السفيناني الجيش في أثرهما إلى المدينة فيخرجان منها إلى مكة كما جاء في رواية ابن حماد، ثم وقوع البيعة له بمكة كرهاً لما روي من أنه: «يقع اختلاف عند موت خليفة فيخرج المهدي من المدينة وهو من أهلها هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام»^(٤)، وفي رواية أخرى تذكر دخول

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧٩ ح ٦٧، تفسير العياشي: ١: ٦٤ ح ١١٧.

(٣) الغيبة: ٤٤٤.

(٤) القول المختصر: ٥ ح ١٣.

السفياي المدينة وهروب بني هاشم منها قال: «ويتفرقوا منها هارين إلى البوادي والجبال وإلى مكة حتى نساؤهم، يضع جيشه فيهم السيف أياماً ثم يكف عنهم فلا يظهر منهم إلا خائف حتى يظهر أمر المهدي بمكة اجتمع كل من شذ منهم إليه بمكة»^(١).

وفي رواية ثالثة عن النبي ﷺ يذكر الخسف بجيش السفياي ثم يقول: «ويأتي البشير المهدي وهو بمكة، فيخرج معه اثنا عشر ألفاً فيهم الأبدال»^(٢).
فهذا الاجتماع وهذه البيعة غير تلك البيعة الأولى.

ويؤيد ذلك ما رواه السيد علي بن عبد الحميد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يباع القائم بمكة على كتاب العز وجل وسنة رسوله ﷺ، ويستعمل على مكة ثم يسير نحو المدينة، فيبلغه أن عامله قتل فيرجع إليهم فيقتل المقاتلة ولا يزيد على ذلك، ويخرج إلى المدينة فيقيم بها ما شاء، ثم يخرج إلى الكوفة ويستعمل عليها رجلاً من أصحابه، فإذا نزل الشفرة جاءهم كتاب السفياي إن لم تقتلوه لأقتلن مقاتليكم ولأسبين ذراريكم، فيقبلون على عامله فيقتلونه، فيأتيه الخبر فيرجع إليهم فيقتلهم ويقتل قريشاً حتى لا يبقى منهم إلا أكلة كبش، ثم يخرج إلى الكوفة، فيقبل وينزل النجف»^(٣).

فهي تدل على مسير القائم إلى الكوفة مرتين، مرة تبليغية في الغالب وأخرى عسكرية على ما يبدو تكون في المرة الأولى بعد دخول جيش الخراساني الكوفة، وفي الثانية بعد الخسف بجيش السفياي وحصول البيعة الجماعية، أو يظهر أساساً في الكوفة على خلاف ما هو معروف لأنه الشمس الطالعة من مغربها على ما يأتي.

(١) عقد الدرر: ٥٦.

(٢) البدء والتاريخ ٢: ١٧٨.

(٣) عنه في البحار ٥٢: ٣٠٨ ح ٨٣.

ولعل من هذا البيان يعلم السر في الخبر الذي يرويه ابن حماد عن أرطاة حيث جله فيه بعد ذكر خبر الصخري الذي يراد به السفيناني على ما يبدو: «وتخرج رايات من المشرق مسودة فتنزّل الكوفة فيتوارى رئيسهم فيها، فلا يدري موضعه، فيتحير ذلك الجيش، ثم يخرج رجل كان مختفياً في بطن الوادي فيلي أمر ذلك الجيش، وأصل مخرجه غضب مما صنع الصخري بأهل بيته فيسير بجنود المشرق نحو الشام ويبلغ الصخري مسيره إليه فيتوجه بجنود أهل المغرب إليه، فيلتقون بجبل الحصى فيهلك بينهما عالم كثير ويولي المشرقي منصوراً...»^(١).

وقد مر أنّ قائد جيش المشرق والرايات السود هو شعيب بن صالح، فلعل السر في تواريه هو خروجه مع المهدي عليه السلام من الكوفة إلى المدينة ثم إلى مكة في مجال التمهيد للخروج الآخر المعلن.

وإنما ذكرنا ذلك لأجل الجمع بين شتات الأخبار وتناثرها، وإلا فجميع الروايات ضعيفة السند سوى رواية خروج الإمام المهدي عليه السلام والمنصور من المدينة الذي يحتاج إلى طائفة من البحث وله محل آخر.

محل بيعة شعيب وجيشه :

فالذي يبدو لي أن شعيب من الأوائل، أعني الثلاثمائة وبضعة عشر الذين يجتمعون عند الإمام المهدي عليه السلام بأي نحو كان، يجتمعون إليه من مختلف بلدان العالم، فتكون بيعته بين الركن والمقام.

وكذا الخراساني إذا ثبت أنه من قوّه عليه السلام كما جاء في بعض الأخبار ودلالة الخبر المفصل على التقاء جيشه بجيش القائم وأنه يعرف شخصه وإنما يطلب منه الآية ليتعرف أصحابه وجيشه عليه، فلعل معرفته السابقة

معلولة لبيعته له بين الركن والمقام، أو بتدبير من شعيب بن صالح الذي يبايعه مع من يبايعه بين الركن والمقام، فيخبر الخراساني بذلك فيبعث إليه بالبيعة.

وأما الجيش فإن ظاهر رواية البيعة التي تقدمت في بحث الحسيني أن البيعة تقع في الكوفة؛ لأن فيها: «ثم يسير - الحسيني - بتلك الرايات كلها حتى يرد الكوفة وقد صفا أكثر الأرض فيجعلها معقلاً، ويتصل به وبأصحابه خبر المهدي عليه السلام فيقولون يا ابن رسول الله من هذا الذي نزل بساحتنا، فيقول: اخرجوا بنا إليه حتى ننظره من هو وما يريد، والله ويعلم أنه المهدي وأنه يعرفه، وأنه لم يرد بذلك الأمر إلا له...»^(١).

فهي تدل على أن البيعة إنما تكون في الكوفة؛ لدلالة الرواية على استقرار القوات بالكوفة، وقولهم من هذا الذي نزل بساحتنا.

وهناك رواية أخرى تدل على وقوع البيعة في وادي القرى يعني مكة، وهي رواية عقد الدرر عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال فيها: «وتسير الجيوش حتى تصير بوادي القرى في هدوء ورفق، ويلحقه هناك ابن عمه الحسيني في اثني عشر ألف فارس فيقول يا ابن عم أنا أحق بهذا الجيش منك...»^(٢).

فهذه وإن كانت أصرح في تعيين محل البيعة غير أن الرواية الأولى هي رواية المفضل أقرب إلى الصواب من هذه الرواية، وإن كان هناك احتمال إرادة حسني آخر غير الخراساني من هذه الرواية الأخيرة، يؤيد هذا الاحتمال الرواية الدالة على خروج الإمام المهدي عليه السلام مع اثني عشر ألف من الحجاز.

(١) الهداية الكبرى للخصيبي: ٤٠٢، مختصر بصائر الدرجات: ١٨٨.

(٢) عقد الدرر: ٩٠.

ويؤيد الرواية الأولى خطبة البيان التي جاء فيها: « ثم يسير بالجيوش حتى يصير إلى العراق والناس خلفه وأمامه، وعلى مقدمته رجل اسمه عقيل، وعلى ساقته رجل اسمه الحارث، فيلحقه رجل من أولاد الحسن عليه السلام في اثني عشر ألف فارس، ويقول: يا ابن عم أنا أحق منك بهذا الأمر لأنني من ولد الحسن عليه السلام وهو أكبر من الحسين عليه السلام... »^(١).

فهي تدل على وقوع البيعة بالعراق مما يؤيد رواية الكوفة، مع أن هذه الروايات الثلاث متطابقة في الآية والتفاصيل التي تلي هذا الكلام، غير أن الروايتين الأخيرتين لم تتعرضا لمجيب الحسيني من المشرق ولا فيهما من حديث الرايات السود عين ولا أثر.

العلامة الثالثة

اليمني

خلاصة الكلام في اليماني

تعتمد حركة الإمام المهدي عليه السلام على ظهور قطبين في البلاد الإسلامية، واحد في إيران والآخر في اليمن.

فنحن بانتظار ذلك الخليفة اليماني الذي يخرج من اليمن عندما يكون قائدها ورئيسها القحطاني الظالم قد خرج بالجيش إلى الشام في مهمة قتالية، وواقعة تجتمع فيها الجيوش من مختلف البلدان الإسلامية، لينتهز اليماني الفرصة ويتغلب على مقعد الحكم في اليمن، حتى إذا رجع ذلك القحطاني الظالم نشب بينهما القتال، فيتغلب اليماني ويقتل القحطاني ويستتب الأمر لليماني الخارج، وهو من أبناء زيد بن علي واسمه حسين أو حسن أبيض الوجه أو السريرة يخرج في نفس السنة التي يخرج فيها الخراساني والسفياني وتكون رايته أهدى الرايات لأنه يوالي علياً، ويهدي إلى الحق، ويدعو إلى صاحب الأمر، المهدي المنتظر عليه السلام.

مما يبدو أن خروجه يكون بعد حصول التغيير في اليمن التي يغلب فيها مذهب الزيدية، فيكون خروجه على أثر ميول أهلها إلى التشيع والأئمة من أهل البيت عليهم السلام خصوصاً الإمام المهدي عليه السلام، ولا أقل من حصول الدعوة إلى الحق مهما كان من دون تعصب، بخلاف الملحوظ عند أكثر سكان الحجاز.

ثم إن اليماني بعد سيطرته على اليمن يعبئ الجيوش ليكون له حضور في الشام والجزيرة من أجل الدفاع عن الإسلام والأمة الإسلامية مقابل الجيوش التي تبغي السيطرة عليها ومحو معالم الدين، عندها يظهر السفياني ويقع بينهما القتال، فيتراجع اليماني، ويدخل السفياني الكوفة، ثم

المدينة، يكون بينه وبين اليماني استباق عليها يسبق إليها السفيناني.
ولما يُخسف بجيش السفيناني يكون بين اليماني والخراساني سبق آخر،
ولكن لا لأجل القتال هذه المرة، بل لأجل نصرة الحق والإمام المهدي عليه السلام،
يستبقان إلى الكوفة، حيث تُقبل خيل اليماني والخراساني كأنهما فرسي رهان،
وهم شعث غبر جرد يقول أحدهم: لاخير في مجلسنا بعد يومنا هذا، اللهم
فإننا التائبون، عندها يكون اليمانيون والإيرانيون هم الأبدال الذين
وصفهم الله في كتابه العزيز، وخاطب العرب: ﴿إِلَّا تَتُوبُوا يُعَذِّبَكُمُ
عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾^(١).

العلامة الثالثة:

اليمني

عدت الأخبار من علامات ظهور المهدي (عج) خروج رجل من اليمن يبدو أن لخروجه دوراً هاماً في عملية التغيير والتحول الجارية إبان ظهور الإمام المهدي (عج) حتى أنه كان يعرف قبل بعثة النبي ﷺ ويحدث عنه مثل سطيح الكاهن، إذ روى البرسي في مشارق الأنوار عن كعب بن الحارث قال: «إن ذا جدن الملك أرسل إلى سطيح لأمر شك فيه، فلما قدم عليه أراد أن يجرب علمه قبل حكمه فخبأ له ديناراً تحت قدمه ثم أذن له فدخل، فقال له الملك: ما خبأت لك يا سطيح؟

فقال سطيح: حلفت بالبيت والحرم، والحجر الأصم، والليل إذا أظلم، والصبح إذا تبسّم، وبكل فصيح وأبكم، لقد خبأت لي ديناراً بين النعل والقدم.

فقال الملك: من أين علمك هذا يا سطيح؟! فقل: من قبل أخ لي حتى ينزل معي إن نزلت.

فقال الملك: أخبرني عما يكون في الدهور؟ فكان فيما قال: يخرج ملك من صنعاء اليمن، أبيض كالقطن اسمه حسين أو حسن، فيذهب بخروجه غمر الفتن، فهناك يظهر مباركاً زكياً، وهادياً مهدياً، وسيداً علوياً، فيفرح الناس إذا أتاهم بمن الله الذي هداهم، فيكشف بنوره الظلماء، ويظهر به

الحق بعد الخفاء...»^(١).

معلوم أن الكهان كانوا يأخذون علمهم من الجن الذين تصعدوا في السماء وقعدوا مقاعد للسمع، فاسترقوا أخبار السماء كما جاء في سورة الجن وغيرها، مما يدخل في التدبير الإلهي لبعثة النبي صلى الله عليه وآله وفي هذا النص إخبار بظهور القائم المنتظر عليه السلام، بعد خروج ملك من صنعاء اليمن.

ولما لا نحاول النزوع إلى عملاقة القضايا التي نطرحها نركن بعض الشيء إلى الأخبار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام وأصحابه.

حيث يروي النعماني بسند عن جابر بن عبد الله الأنصاري قل: وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله أهل اليمن، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «جاءكم أهل اليمن ييسون بيساً» فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «قوم رقيقة قلوبهم، راسخ إيمانهم، ومنهم المنصور يخرج في سبعين ألفاً ينصر خلفي وخلف وصيي، حمائل سيوفهم المسك»^(٢).

وييسون بمعنى يزجرون نياقهم مسرعين^(٣) كناية عن إيمان صادق واعتقاد جازم يدفعهم بكل عنف نحو أفضل غاية وخير مخلوق، عندها يبشر النبي صلى الله عليه وآله بخروج رجل منهم يسميه المنصور وهو ناصر ينصر خلف النبي وخلف وصيه وهو المهدي عليه السلام.

يكون بذلك التعبير قد أعطى زحماً لليماني يجعله أكثر من أن يكون علامة بل هو علامة وناصر.

وانطلاقاً من الدوافع الأولى أعني الحوم حول علائم الظهور نعطف

(١) البحار ٥١ : ١٦٢.

(٢) كتاب الغيبة: ٣٩.

(٣) انظر تاج العروس ٤ : ١١٠.

على التركيز على هذا الجانب نستقي ذلك من الأخبار.

ففي الروايات عن الباقر والصلح عليهما السلام عندما قيل له: يا ابن رسول الله متى يخرج قائمكم؟ قل: «إذا تشبه الرجال بالنساء... وخروج السفيناني من الشام، واليماني من اليمن، وخسف بالبيداء، وقتل غلام من آل محمد عليه السلام بين الركن والمقام اسمه محمد بن الحسن...»^(١).

فإذا لم تصرح هذه الرواية بكون خروج اليماني علامة على ظهور المهدي (عج) فقد جاء في روايات عديدة التصريح بذلك حيث جاء فيها:

«إن من علامات خروجه خروج السفيناني من الشام، وخروج اليماني من اليمن، وصيحة من السماء في شهر رمضان، ومناد ينادي باسمه واسم أبيه»^(٢).

وخصوصاً الرواية المعتبرة التي يرويها الكليني وغيره عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة والسفيناني والخسف وقتل النفس الزكية واليماني»^(٣).

وبعد ورود ذكر اليماني في الأحاديث المعتبرة لا يبقى مجال للسؤال سوى عن حتميته وعدمها والظاهر أنه من المحتوم لورود ذلك في الأخبار المعتبرة وغيرها أيضاً.

فقد روى الشيخ الصدوق بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسفيناني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»^(٤).

(١) مختصر إثبات الرجعة: ٢١٧، كمال الدين: ٣٣٠، إعلام الوري: ٤٣٣، كشف الغمة ٣: ٣٢٤.

(٢) كمال الدين ١: ٣٢٧، أعلام الوري: ٤٠٣، كشف الغمة ٣: ٣٣٠.

(٣) الكافي ٨: ٣١٠ ح ٤٨٣، كتاب الغيبة للنعماني: ٢٥٢، وفيه للقائم خمس علامات، وسائل الشيعة ١٥: ٥٢ ح ١٩٩٧٠.

(٤) كمال الدين: ٦٥٠ ح ٦.

صفات اليماني وأحواله:

لم تتعرض الروايات للحديث عن صفات اليماني وأحواله كثيراً غير أنها أشارت إلى نقطتين أساسيتين، الأولى هي موالاته أمير المؤمنين علياً عليه السلام بحيث جعلتها مشخصة له ومايزاً من بين من يخرج من اليمن، وذلك لما روي بسند عن أبي عبد الله عليه السلام أنه لما خرج طالب الحق، قيل لأبي عبد الله عليه السلام نرجو أن يكون هذا اليماني، فقال: «لا، اليماني يتوالى علياً وهذا يبرأ منه»^(١).

كما يبدو أن اليماني كان معروفاً آنذاك في أوساط المسلمين بحيث يترقبون خروجه، وخصوصاً أهل اليمن كما يبدو من رواية أخرى، بالإضافة إلى دلالة هذه الرواية على العلامة التي يعرف بها اليماني.

والنقطة الثانية التأكيد على أن راية اليماني هي أهدي الرايات، ورد ذلك في الخبر الدال على تزامن خروج السفيناني والخراساني واليماني، ففي الرواية التي يرويها الشيخ الطوسي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خرج الثلاثة الخراساني والسفيناني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني يهدي إلى الحق»^(٢).

والذي يثير الدهشة والتعجب هو تفضيل راية اليماني على راية الخراساني مع ورود المدح المعتد به لراية الخراساني.

بل في رواية أخرى الدلالة على دعوته إلى صاحب الأمر، ومن ثم التحريض على القيام مع اليماني متى ما ظهر، يرويها الشيخ الطوسي والنعمانى وغيرهما بعدة طرق منها المعتبر عن محمد بن مسلم عن أبي

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ٦٦١، البحار ٥٢: ٢٧٥ ح ١٧٠.

(٢) الغيبة: ٤٤٧ ح ٤٤٣، البحار ٥٢: ٢١٠ ح ٥٢، مختصر إثبات الرجعة: ١٧،

جعفر عليه السلام أنه قال: «خروج السفيناني واليماني والخراساني في سنة واحدة في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناوهم، وليس في الرايات راية أهدي من راية اليماني، هي راية هدى لأنه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم، وإذا خرج اليماني فانهض إليه، فإن رايته راية هدى، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار؛ لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم»^(١).

ولعل كل هذا التفضيل لراية اليماني على سائر الرايات ينبع من صدق النية وصلاح السريرة الذي لا يمازجه نفاق، وعدم إضماره لما يخالف الظاهر، بخلاف غيرها من الرايات التي طغت عليها الحنكة السياسية القائلة إن الهدف يبرر الوسيلة.

وإذا كان هناك مدح لبعض الرايات وتمجيد فهو لبعض التابعين من ذوي العقائد الصادقة دون المتبوعين.

تحركات اليماني :

هذا الجانب هو الآخر لم يُلَقَ عليه الضوء ولم تتعرض له الأخبار بشكل مفصل وواسع سوى الإعلان عن خروج اليماني كما جاء في الأخبار المارة.

وفي المرحلة الثانية تسجل بعض الأخبار حضوراً لرجل يمني في الشام تعبر عنه بالقحطاني إلا أن الاستفادة منها مغايرته لليماني المبحوث عنه؛ لأنها تدل على أنه ظالم، فقد روي في عقد الدرر عن كعب الأخبار قال: لا بد من نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض، ولا بد أن يظهر بين يديه علامات وفتن،

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ٢٧٤، كتاب الغيبة للنعماني: ٢٥٣ - ٢٥٦ ذح ١٣،

فأول ما يخرج ويغلب على البلاد الأصهب، يخرج من بلاد الجزيرة، ثم يخرج من بعده الجرهمي من الشام، ويخرج القحطاني من بلاد اليمن.

قال كعب الأحبار: بينما هؤلاء الثلاثة قد تغلبوا على مواضعهم بالظلم، وإذ قد خرج السفياي من دمشق^(١).

فهي تلد على خروج القحطاني من بلاد اليمن وتصفه بالظلم، بينما اليماني المتحدث عنه يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

ويدل على التغير بين اليماني والقحطاني بوضوح وحضور الأخير في الشام رواية الخاتون آبادي عن الفضل بن شاذان عن زرارة بن أعين عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قل: «استعيذوا بالله من شر السفياي والدجال وغيرهما من أصحاب الفتن» وقيل له: يا بن رسول الله أما الدجال فعرفته، وقد بين من مضامين أحاديثكم شأنه، فمن السفياي وغيره من أصحاب الفتن وما يصنعون؟ قال عليه السلام: «أول من يخرج منهم رجل يقال له أصهب بن قيس يخرج من بلاد الجزيرة له نكاية شديدة في الناس وجور عظيم، ثم يخرج الجرهمي من بلاد الشام، ويخرج القحطاني من بلاد اليمن، ولكل واحد من هؤلاء شوكة عظيمة في ولايتهم، ويغلب على أهلها الظلم والفتنة منهم، فبيناهم كذلك إذ يخرج عليهم السمرقندي من خراسان مع الرايات السود، والسفياي من الوادي اليابس من أودية الشام... وقد يكون خروجه وخروج اليماني من اليمن مع الرايات البيض في يوم واحد وشهر واحد وسنة واحدة، فأول من يقاتل السفياي القحطاني فينهزم ويرجع إلى اليمن فيقتله اليماني...»^(٢).

مما يبدو أن القحطاني غير اليماني يظهر قبل اليماني ويأتي الشام

(١) عقد الدرر: ٧٩.

(٢) كشف الحق: ١٥٣.

لأي سبب كان بقرينة قوله: «فأول من يقاتل السفيناني القحطاني فينهزم ويرجع إلى اليمن»، إذا جمع مع قوله: «ويخرج عليهم السفيناني من الوادي لباس من أودية الشام» فهو يدل على أن قتالهم إنما يكون في الشام.

وبهذا يكون خروج اليماني من اليمن هو ثورة على القحطاني الظالم، فيقتله بظلمه بعد عودته منكسراً من الشام إلى اليمن.

ولا يبقى بعد أصل الخروج من تحركات اليماني المشهورة سوى إقباله الذي يرويه الشيخ الكليني بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل: متى فرج شيعتكم قال عليه السلام: «إذا اختلف ولد العباس، ووهى سلطانهم، وطمع فيهم من لم يكن يطمع فيهم، وخلعت العرب أعتتها، ورفع كل نبي صيصية صيصيته، وظهر الشامي، وأقبل اليماني، وتحرك الحسني، وخرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكة بتراث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...»^(١).

كما يشعر بأن إقباله له دور في خروج صاحب الأمر عليه السلام أو هو أمر يلفت أنظار المجتمع الدولي كحدث هام يكون علامة لحدوث تغيير جلا وشامل.

بينما تصف روايات أخرى إقبال اليماني بأنه سبق ففي رواية الشيخ الطوسي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اليماني والسفيناني كفرنسي رهان»^(٢)، ورواه النعماني بطريق آخر^(٣).

فيبقى الكلام في الهدف الذي يستبقان إليه والغاية التي يتسابقان عليها بعد الوقوف على أن حركة السفيناني إنما تكون بالدرجة الأولى نحو العراق والمدينة، فهل المستبق إليه هو العراق أو المدينة.

والظاهر إذا لاحظنا أن هناك سابقاً آخر هو سبق الخراساني والسفيناني

(١) الكافي ٨: ٢٢٤ - ٢٢٥ ح ٢٨٥، البحار ٥٢: ٣٠١ ح ٦٦.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ٦٦١، البحار ٥٢: ٢٧٥ ح ١٧٠.

(٣) كتاب الغيبة: ٣٠٥، البحار ٥٢: ٢٥٣.

نحو العراق، تعين إرادة استباق اليماني والسفياني نحو المدينة ومكة، يستبقان كفرسي رهان، بينما هناك رواية تدل على أن السباق نحو الجزيرة، وهي رواية الشيخ الطوسي عن عمار بن ياسر أنه قال في حديث: «ويخرج أهل الغرب إلى مصر، فإذا دخلوا فتلك أمانة السفياني، ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد عليهم السلام، وتنزل الترك الحيرة، وتنزل الروم فلسطين، ويسبق عبد الله عبد الله حتى يلتقي جنودهما بقرقيسيا على النهر، ويكون قتال عظيم، ويسير صاحب المغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء ثم يرجع في قيس حتى ينزل الجزيرة السفياني، فيسبق اليماني ويجوز السفياني ما جمعوا، ثم يسير إلى الكوفة فيقتل أعوان آل محمد عليهم السلام»^(١). وفي رواية أخرى: «حتى ينزل الجزيرة إلى السفياني، فيتبع اليماني فيقتل قيساً بأريحا ويجوز السفياني ما جمعوا»^(٢) وإذا كانت الجزيرة هي الجزيرة العربية فإنه يثبت ما استظهرناه، ولكن باعتقادي أن هذه الرواية فيها تقديم وتأخير فالحش كل جملة منها تتحدث عن واقعة على حدة فقله: «ينزل الجزيرة السفياني» واقعة على حدة يراد بها ما بين دجلة والفرات، وقوله: «يسبق اليماني» أي يسبق السفياني اليماني الذي هو عبارة أخرى عن قولهم واليماني والسفياني كفرسي رهان مع الإخبار عن سبق السفياني، وقوله «يجوز السفياني ما جمعوا» هو النهب الذي يقوم به جيش السفياني عند دخوله المدينة وغيرها المتحدث عنه في الأخبار، فليس ثمة جديد في هذا الخبر سوى سبق السفياني بينما هناك روايات تتحدث عن حدوث صدام بين اليماني والسفياني.

يروى ذلك ابن حماد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا ظهر الأبقع من قوم ذوي أجسام فتكون بينهم ملحمة عظيمة، ثم يظهر الأخصوص

(١) الغيبة: ٤٦٤ ح ٤٧٩، البحار ٥٢: ٢٠٨ ح ٤٥.

(٢) كتاب الفتن: ٨٢.

السفياني عليهما جميعاً، ثم يسير إليهم منصور اليماني من صنعاء بجنوده وله فورة شديدة يستقل الناس قبل الجاهلية، فيلتقي هو والأخوص وراياتهم صفراء وثيابهم ملونة، فيكون بينهما قتال شديد، ثم يظهر الأخوص السفياني عليه، ثم يظهر الروم...^(١).

فهي تدل على مقاتلة اليماني للسفياني بنفسه مع اتسام هذا القتال بالشدّة بحيث يتبين من مجموعته أهمية اليماني وعلّة تأكيد الرواية عليه.

وفي رواية أخرى لابن حماد عنه رضي الله عنه: «إذا ظهر السفياني على الأبقع والمنصور اليماني خرج الترك والروم فظهر عليهم السفياني»^(٢) هي الأخرى تتحدث عن تصدي اليماني بنفسه لقتال السفياني، إلا أن يكون القحطاني المار الذكر من قواده.

والخطوة الثالثة لليماني هو استيافته مع الخراساني لنصرة المهدي رضي الله عنه وتشكيل النواة الأولى لجيشه يدك عليه الخبر المروي عن أمير المؤمنين رضي الله عنه يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني - إلى أن قال - وتقبل رايات من شرقي الأرض غير معلّمة، ليست بقطن ولا كتان ولا حرير، محتوم في رأس القناة بخاتم السيد الأكبر، يسوقها رجل من آل محمد تظهر بالشرق، وتوجد ريجها بالمغرب كالمسك الأذفر يسير الرعب أمامها بشهر حتى ينزلوا الكوفة طالبين بدماء آبائهم، فبينما هم على ذلك إذ أقبلت خيل اليماني والخراساني يستبقان كأنهما فرسي رهان، شعث غير جرد أصلاب نواطي وأقداح إذا نظرت أحدهم برجله باطنه فيقول: لا خير في مجلسنا بعد يومنا هذا اللهم فإننا التائبون، وهم الأبدال الذين وصفهم الله في كتابه العزيز إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ونظراؤهم من آل محمد»^(٣).

(١) كتاب الفتن: ٧٨.

(٢) كتاب الفتن: ٥٩.

(٣) البحار ٥٢: ٢٧٤ ح ١٦٧.

هم الأبدال الذين قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يَعْذِبِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾^(١)، عندما تخلل أكثر العرب خصوصاً بعض عرب الجزيرة كما هو مشهود اليوم وسنشهده غداً أكثر فأكثر، بعداً لهم وسحقاً وسيستبدل الله سبحانه بهم أهل المشرق أي الإيرانيين وغيرهم، وأهل اليمن، فيأتون لنصرة الحق شعناً غبراً جرداً حكاية عن سرعة النهضة والإقدام من دون تأني.

بمنطق صائب واستدلال حكيم بعد رؤيتهم لزيف الدنيا وعبث أفعالها بجميع زخارفها فيقولون لا خير في مجلسنا بعد اليوم لا خير في الجلوس والتأخر، ولا أفضل من التوبة واللحاق بولي الله، عندها يتجلى معنى قول النبي صلى الله عليه وآله على ما روي عن أنس: «دعائم أمتي عصائب بساحل اليمن»^(٢)، وكذا المروي من قوله صلى الله عليه وآله: «والإيمان يمانِي، والحكمة يمانية»^(٣).

فنحن نهيب بأهل اليمن وحركتهم بمقدار ما نستحقر تخلل أكثر العرب وابتعادهم عن الدين الحق والطريقة المثلى، وقد مجد لهم الرسول صلى الله عليه وآله ذلك على ما يرويه حذيفة قال في حديث:

«ويبعث إمامهم إلى اليمن أعينوني، فيقبل سبعون ألفاً من اليمن على قلائص عدن، همائل سيوفهم المسد، ويقولون: نحن عباد الله حقاً حقاً لا نريد عطشاً ولا رزقاً، حتى يأتوا المهدي بعمق أنطاكية، فيقتل الروم والمسلمون قتالاً شديداً فيستشهد من المسلمين ثلاثون ألفاً، ويقتل سبعون أميراً نورهم يبلغ إلى السملاء»^(٤).

(١) التوبة: ٣٩.

(٢) الفردوس ٢: ٣٦ ح ٢٢٢٤.

(٣) الكافي ٨: ٦٩ ح ٢٧.

(٤) جامع البيان للطبري ١٥: ١٧، كما في الداني: ١٠٤ - ١١٣.

بقي أمران:

الأمر الأول: هناك أخبار تدل على خروج المهدي عليه السلام من اليمن كالمروي عن النبي صلى الله عليه وآله يذكر فيه الأوصياء حتى يبلغ الثاني عشر ويذكر غيبته فيقول: «فيخرج من اليمن من قرية يقال لها أكرعة على رأسه عمامة متلرع بدرعي متقلد بسيفي ذي الفقار ومنادٍ ينادي هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه»^(١).

فهو لا يدل على أن اليماني المتحدث عنه هو المهدي عليه السلام، ولعل المراد به إن صح الخبر هو خروجه عليه السلام من آخر محل اختفائه الذي هو اليمن وقرية أكرعة ودخوله مكة التي هي محل الظهور.

وكذا المروي عن أروطة قل: «على يد ذلك الخليفة اليماني الذي تفتح القسطنطينية ورومية على يديه، يخرج الدجال في زمانه، وينزل عيسى بن مريم عليه السلام في زمانه، على يديه تكون غزوة الهند وهو من بني هاشم»^(٢)، لو صح هذا الخبر إنما يكون فتح القسطنطينية وغيرها على يديه كقائد من قواد جيوش المهدي عليه السلام لا أنه هو المهدي، كما يستشعر من رواية حذيفة المارة.

الأمر الثاني: تتحدث الأخبار عن قحطاني يأتي بعد المهدي عليه السلام ويحكم عشرين عاماً يسير سيرته فإن ثبت ذلك فهو لا ارتباط له ببحثنا الذي يدور حول علائم الظهور، ولكن له المعارضة مع الروايات القائلة بأن القحطاني هو المهدي، فيطرح الجميع خصوصاً مع ضعف أساندها.

المنصور:

أطلق المنصور على اليماني وهي تطلق في الأخبار على ثلاثة: الأول هو المهدي المنتظر عليه السلام والثاني هو شعيب بن صالح قائد قوات المهدي عليه السلام، والثالث هو اليماني، وقد يقيد بالمنصور اليماني كما مر.

(١) كفاية الأثر: ١٤٧.

(٢) كتاب الفتن لابن حماد: ١١٣.

اليمني من النرية :

جاءت روايات عن عبد الله بن عباس وغيره تدل على أنه من بني هاشم منها قولهم: «ومنا قائم آل محمد الذين أكرم الله به نبيه، ومنا المنصور»^(١)، وقيل هو من نسل زيد بن علي عليه السلام^(٢).

(١) الإرشاد ١: ٣٧، البحار ٣٧: ٤٨.

(٢) انظر الغيبة للشيخ الطوسي: ١٨٩.

العلامة الرابعة

المرواني

خلاصة الكلام في المرواني

لعل المرواني هو رئيس إحدى دول الشام الأربع من الذين يقاتلهم السفياني قبل توجهه نحو العراق، في مجال بسط السيطرة على جميع دول الشام.

والمستفاد من الأخبار أن المرواني المتحدث عنه رجل قوي وله أعوان من عشائر بني مروان، بحيث يقاوم تهاجم جيوش السفياني لمدة ثلاثة أشهر بعد التعب المفرط والإنهاك الذي أصابه في ملحمة قرقيسياء العظيمة لأن له فيها السهم الأكبر، غير أن السفياني يتصر عليه بالنتيجة ويقتلهم، ثم يتبع بني مروان فيقتلهم، ويقبل بعدها على أهل المشرق وبني العباس.

كما يقتل ابن ذلك المرواني الذي يؤهل نفسه للقيام مقام أبيه بعد ما يقتل، كي يصفو له الجو في الشام، ولا يبقى له منازع.

العلامة الرابعة:

المرواني

لم تعط الأخبار تفصيلاً عن حركة المرواني ولا ماهيتها وحقيقتها، غير أنها جعلتها من العلام على ظهور القائم من بين الأحداث التي تحدث قبل قيامه من دون تعليل لذلك ولا بيان لوجه الأهمية بالدقة. غاية ما بلغنا عن ذلك أمور نعرض لها بالتدرج:

أولها: خروجه قبل قيام القائم كما جاء في الخبر المعتبر الذي يرويه النعماني عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: «قبل هذا الأمر: السفياي، واليمني، والمرواني، وشعيب بن صالح، وكف تقول: هذا هذا»^(١)، بناءً على أن المراد بهذا الأمر هو القائم كما هو منصرف إلى الذهن عند استعماله في أخبار العلام وبقرينة الأمور الأربعة المذكورة في هذه الرواية حيث إن جميعها من علامات ظهوره عليه السلام، وبدلالة الرواية الأخرى التي يرويها الطبري بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قبل القائم عليه السلام خمس علامات: السفياي، واليمني، والمرواني، وشعيب بن صالح: وكف تقول: هذا هذا»^(٢).

فهي تدل على أن المراد بهذا الأمر هو ظهور القائم لأنها لم تقل قبل

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ح ١٢، ورواه عنه في إثبات الهداة ٣: ٧٣٥ ح ٩٧ إلا أن

فيه: فكيف يقول هذا هذا، مما يدل على اختلاف النسخ فيما بينها، ولعل

الأصح كلمة «كف».

(٢) دلائل الإمامة: ٤٨٧.

هذا الأمر وقالت قبل القائم وأضاف ما هو أهم من ذلك وهو كونه من العلامات على قيام القائم عليه السلام، الأمر الذي دعانا إلى عد خروج المرواني من العلامات المتأخرة بالإضافة إلى القرائن والشواهد الأخرى الآتية، ولو تم سند هذه الرواية لتم ما أردناه وحققناه غير أن في سندها محمد بن خالد التميمي الذي لم يذكر في توثيقه ومدحه سوى رواية الأجلة عنه، مما يجعلها غير قابلة للطرح كما أنها غير قابلة للتصديق.

ومهما يكن من ذلك فغاية ما بلغنا من التفصيل هو ما رواه ابن حماد عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: «يقتل أربعة نفر بالشام كلهم ولد خليفة: رجل من بني مروان، ورجل من آل أبي سفيان، قل: فيظهر السفياي على المروانيين فيقتلهم، ثم يتبع بني مروان فيقتلهم ثم يقبل على أهل المشرق وبني العباس حتى يدخل الكوفة»^(١).

فهذه الرواية تدل على وجود أربعة خلفاء في الشام ولعله كناية عن الدول الأربع، القائمة في الشام، لأنه قال: «يقتل أربعة كلهم ولد خليفة» مما يدل على أن الآباء هم خلفاء بالفعل، لا أنهم كانوا خلفاء؛ لعدم وضع اللفظ لما انقضى عنه التلبس بالمبدأ.

ولا يُعد في ذلك بعد تقسيم الشام إلى أربع دول، والمهم أن أحدهم من بني مروان والآخر من آل أبي سفيان وثالث عباسي كما مر.

ولعل المرواني الذي نتحدث عنه هو الخليفة الأب دون الابن المقتول، تكون الحكومة في بلده وزمانه لبني مروان، لأن كل رئيس يقرب أهله وعشيرته.

ثم إن هذا الخليفة الأب هو الذي يقاتل السفياي وينازعه على الملك، لأنه جاء في الرواية: «ثم فيظهر السفياي على المروانيين فيقتلهم ثم يتبع

بني مروان فيقتلهم ثم يقبل على أهل المشرق وبني العباس حتى يدخل الكوفة.

يؤيد ذلك ما رواه ابن حماد أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ينازع السفيني بدمشق أحد بني مروان فيظهر على المرواني فيقتله، ثم يقتل بني مروان ثلاثة أشهر، ثم يقبل على أهل المشرق حتى يدخل الكوفة»^(١)، فإنها دلت على أن المرواني هو أحد أولئك الذين يقاتلهم السفيني قبل حركته نحو العراق والمشرق، مما يحتمل مشاركتهم في كل معركة يخوضها السفيني حتى معركة قرقيسياء التي تذكرها رواية النعماني عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «إن لولد العباس والمرواني لوقعة بقرقيسياء يشيب فيها الغلام الحزور، ويرفع الله عنهم النصر، ويوحى إلى طير السماء وسباع الأرض اشبعي من لحوم الجبارين ثم يخرج السفيني»^(٢)، مما يدل على أن المرواني هو أحد أطراف النزاع فيها كما أن السفيني كذلك وكذا بنو العباس وغيرهم مما تقدم الكلام فيه مفصلاً، حاصله أن السفيني هو واحد من المشاركين فيها دون أن يكون له تلك المعروفة والشهرة، فإذا رجع منها وقتل كل منائيه الثلاثة الذين هم الأصهب والأبقع والمرواني الذي نتحدث عنه دانت له الدنيا، واشتهر أمره وتعاضم خطرته، فيدخل العراق. هذا غاية ما وجدته من الأحاديث عن المرواني مع ضعف أكثرها سنداً، سوى رواية قبل هذا الأمر، ومع التسامح رواية خمس علامات.

(١) كتاب الفتن: ١٧١.

(٢) كتاب الغيبة: ٣٠٣.

العلامة الخامسة

السفياني

خلاصة الكلام في السفيناني

إن خروج السفيناني هو أهم العلائم على ظهور الإمام المهدي عليه السلام بحيث لا يقاس معه شيء من العلائم الأخرى، ولعل العلائم الأخرى تكسب علائمتها منه، فلا يكون الخارج من خراسان هو الخراساني العلامة إلا إذا قاتل السفيناني، ولا يكون الخارج من اليمن هو اليماني إلا إذا قاتل السفيناني، وكذا لا يكون الخسف في البيداء علامة على ظهور القائم إلا إذا كان هو الخسف بجيش السفيناني، ولا تكون الصيحة والنداء هي العلامة إلا إذا أعقبها النداء باسم السفيناني، وهكذا الرواني وشعيب بن صالح، ولا يكون المبايع بين الركن والمقام هو القائم المهدي عليه السلام إذا لم يخرج قبله السفيناني.

ولعلك تدرك مدى أهمية خروج السفيناني والسر في التأكيد على خروجه في الأخبار، بعد معرفة أن العلامة التي يتميز معها صلح المدعي للمهدوية وكذبه، وبه نتحقق صلح الخارج باسم الخراساني والحسني واليماني وغيره.

والسفيناني هو عثمان بن عنبسة، يرجع نسبه إلى أبي سفيان، وقيل: هو من ولد يزيد بن معاوية، وقيل من نسل عتبة بن أبي سفيان، والمسلم أن أمه من بني كلاب وهم العشائر المنتشرة في الشام.

وهو رجل ربعة وحش الوجه ضخمة الهامة وبوجهه أثر الجدري وفي عينه خلل إذا رأته حسبته أعور، فهو قبيح المنظر بشع الصورة رغم أنه أحمر أشقر أزرق العينين، وما فائدة ذلك وخبثه يظهر على وجهه وفي جميع فعاله.

ينشأ السفيناني وترعرع في الشام على ما يبدو، مع احتمال ترعرعه

في الغرب وفي بلد الروم.

والمهم أنه يُظهر الزهد ويتقشف، ويبذل الأموال، فيجذب قلوب الجهال والأراذل حتى يصبح شخصية مرموقة، ورمزاً دينياً منظوراً إليه، رغم أنه لم يعبد الله قط ولم ير مكة والمدينة، وهو متأثر بالثقافة الغربية إلى آخر الحدود، ولعله يكون من صنع أيديهم!!

حتى إذا عمّت البلاد الفتن، وتسبب الصراع بين القوى المتواجدة في الشام في حصول التشويش والاضطراب الشديدين، وأصاب أهل الشام الندى والهوان وتمادت الفتنة وطال العناء، صار أهل الشام يفكرون في استعادة أمجادهم، وتتولد عندهم فكرة مستجدة أو سابقة تتجلى في ذلك الحال، وهي أن الشام لا تستعيد مجدها إلا على يد أموية فيقولون: اطلبوا ملك الأول، ويخطر في أذهانهم ذلك الأموي المتقشف والرمز المصنوع، فيأتون إليه ويطلبونه بالخروج، وهو يومها في قرية حريستا القريبة من دمشق، فإذا أحس بهم هرب إلى أخواله كلب وذلك دهاء منه، فيبقى في الوادي اليابس الذي لا يعلم موضعه بالدقة، ولعله في فلسطين وقيل: قرب دمشق.

ولما كان السفيناني معروفاً بين أهل الشام لأجل ما بذله من الأموال وما أظهره من الزهد والتقشف يأتيه جماعة من أهالي الوادي اليابس فيقولون له: يا هذا ما يحل لك أن تضيع الإسلام، أما ترى ما الناس فيه من الهوان والفتن، أما تنصر دينك وأنت من قريش من أهل بيت الملك القديم؟!

فيستجيب لهم ويخرج راغباً في الأموال والعيش الرغد، ويتبعه ناس من قرى الوادي اليابس، حتى يأتي دمشق، ويتجه نحوها بمجموعة قليلة في وقت عصيب قد اشتبكت فيه قوات الشام مع قوات المغرب التي جاءت لاستحلال الشام بعد ما استحلّت مصر.

ولما يسمع حاكم دمشق العباسي بالخبر، يخرج إليه بمن معه من القوات ليلقه ويقاتله، ولكن لحظة تلاقيهما ينهزم جيش الحاكم وجموعه، حتى يأتي السفينياني دمشق في يوم جمعة من شهر رجب، ويستوي على منبرها ويخطب فيأمرهم بالجهاد ويباعهم على أن لا يخالفوا له أمراً رضوه أم كرهوه.

فما يبرح حتى يجتمع إليه الناس وتتلاحق به أهل الضغائن، ثم يبعث إلى قبائل كلب فيأتيه منهم مثل السيل، فيجمع الجيوش حتى تنتظم ويبعث بها إلى قوات المغرب ورجال البربر الذين يقاتلون رجال الملك المنحى من ولد العباس والتي هي قوات أجنبية، فيفاجئهم السفينياني في عصاب أهل الشام، ويقع القتال الشديد بين الأقطاب الثلاثة في بطن الأردن وتتوالى المعارك حتى يخرج السفينياني من هذه المعارك منتصراً، ويقضي على جنود المغرب ويفرق جموعهم، فيلتحق به طائفة منهم ويهرب الباقون إلى مصر والحجاز، ويستتب له الأمر بالشام، ويعدل بين الناس، ويسير فيهم بما هو خيرهم وصلاحهم حتى يقول القائل: والله ما كان يقال فيه إلا كذب.

فيكون في أرض الشام بعد ذلك ثلاث دول غير دولة السفينياني يعرف رئيس أحدها بالأبقع والثانية بالأصهب، والثالثة بالمرواني، فيتجه السفينياني إلى قتال الأبقع، ويقع بينهما القتال، فينتصر عليه السفينياني ويقتله ومن تبعه، ثم يتوجه إلى الأصهب، وينتصر عليه ويقتله، وهكذا المرواني حتى يسيطر على جميع بلاد الشام، المعبر عنها بكور الشام الخمس، ويقوم بإخراج جميع القوات المجتمعة فيها كقوات اليمن وأهل المشرق والقوات الأجنبية.

ثم لا يكون له همة بعد ذلك سوى التوجه نحو الشرق، أي العراق حيث اجتمعت فيه قوات متعددة من الترك والروم بالإضافة إلى تواجد قوات مشرقية إيرانية أو غيرها يعطف عليها ويقع القتال بينهم، فتراجع أمامه

تلك القنات، حتى تجتمع جميعها في منطقة قرقيسياء الواقعة عند ملتقى نهر الخابور والفرات، التي تنشب فيها الحرب المعروفة بمعركة قرقيسياء ويكون السفيناني أحد المساهمين وأحد الأطراف المتنازعة فيها.

وقد تحدثت الأخبار عن حدوث حرب لم يكن مثلها منذ خلق الله تبارك وتعالى السماوات والأرض، ولا يكون مثلها ما دامت السماوات والأرض، فتكون مأدبة للطير تشيع منها سباع الأرض وطيور السماء من لحوم الجبارين.

فيبلي السفيناني في هذه الحرب بلاءً عظيماً، وتظهر قوته وقسوته لجميع العالم، يقوم فيها بقتل الترك والروم وجنود المشرق، فيداخل الناس عنده الجزع والخوف، ثم يرجع إلى دمشق وقد دان له الخلق، واعترف به العالم.

حتى أنه يرسل إلى رؤساء الدول الغربية ويطلبهم باسترجاع من هرب إلى بلادهم من العلويين وغيرهم فيحصل عندهم التردد في تسليمهم ثم يسلمونهم إليه فيأخذهم ويقتلهم.

وتستحكم الروابط بينه وبين الدول الغربية، خصوصاً بعد ما يحاول الدخول إلى العراق وتتصدى له جنود المشرق والرايات السود الخراسانية ويقع القتل في قواته حتى يعجز أمام تلك القوات مما يضطره إلى الذهاب إلى الدول الغربية ويطلب منهم المساعدات والأسلحة، وإذا به يرجع من تلك الدول وقد صار نصرانياً وفي عنقه الصليب، ليكشف عن حقيقته وعمالته المسبقة.

ثم يتجه نحو العراق ولا يعبر الفرات إلا وهو كافر قد سلب الله الرحمة من قلبه فيأتي إلى مدن العراق واحدة بعد واحدة فيخربها ويكثر فيها القتل حتى يدخل بغداد، فكم من قتيل وقتيلة ومال منتهب وفرج مستحل.

ثم تنحدر قواته إلى الكوفة والتجف، فلا يدعون أحداً إلا قتلوه، وإن الرجل منهم ليمر بالدرة المطروحة العظيمة فلا يتعرض لها، ويرى الصبي الصغير فيلحقه ويقتله، وحتى النسوة لا يدعهن بل يقتل منهن ويسبي بعضهن، ثم يترك بعض قواته فيها ويأمر البعض الآخر بالتوجه إلى المدينة ويرسل إليهم التعزيزات العسكرية والقوات الإضافية ليشكل جيشاً جديداً ثانياً في غاية الاستعداد.

وفي ذلك الحال تقبل الرايات السود الخراسانية حتى تنزل على الماء، ويبلغ من بالكوفة من أصحاب السفيناني نزولهم فيهربون، ثم ينزلون الكوفة ليستنقذوا من فيها من المسجونين من بني هاشم وغيرهم.

ويخرج في هذا الحال قوم من سواد الكوفة يقل لهم العصب ليس معهم سلاح إلا قليل وفيهم نفر من أهل البصرة فيدركون أصحاب السفيناني ويستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة.

ثم يتوجه الجيش الآخر من جيوش السفيناني نحو المدينة المنورة التي يتواجد فيها الإمام المهدي عليه السلام يومئذ، فيجيء الجيش حتى يدخل المدينة ويقتل فيها الرجال ويقرر بطون النساء، ويأمر بقتل كل من كان فيها من بني هاشم حتى الحبالى، وذلك لما يصنع الهاشمي الذي يخرج على أصحابه من المشرق، فيهرب الناس ويتفرقون في الجبال والبوادي، ويخرج الإمام المهدي عليه السلام وصاحبه منها إلى مكة.

ويعت السفيناني الجيش إلى مكة في أثرهما، حتى إذا توسطوا البيداء خسفت بهم الأرض على ما سيأتي الكلام فيه.

فلا ينجو منهم سوى شاهدين أو ثلاثة فيجيء اثنان منهم إلى السفيناني ويخبرانه الخبر، فيمتعظ ويكون له عبرة، خصوصاً وأنه حينما يدخل الكوفة يقتل الأطفال ويغلي لهم الزيت، ويأخذ اثنين منهم اسمهما حسن وحسين فيصلبهما على مسجد الكوفة، فتغلي دماؤهما كما غلى دم يحيى بن زكريا عليه السلام، فإذا رأى

ذلك الدم وسمع بخبر الخسف أيقن بالهلاك، فيعتكف على شرب الخمر والمعاصي ويأمر أصحابه بذلك كحالة هستيرية، ويأخذ امرأة حامل في وسط الطريق ويدفعها إلى بعض أصحابه ويقول: افجر بها في وسط الطريق، ثم يبقر بطنها فيسقط الجنين من بطن أمه، ولا يقدر أحد أن يغير ذلك وتضطرب الملائكة في السماء، فيأمر الله عزوجل جبرئيل عليه السلام ليصيح على سور دمشق، ألا قد جاءكم الغوث يا أمة محمد، قد جاءكم الفرج وهو المهدي عليه السلام.

عندها يكون المهدي عليه السلام قد ظهر بمكة وجاء بالأصحاب إلى الكوفة لتبایعه جيوش خراسان وسير الجميع نحو الشام.

فيقول السفيناني: لعمر الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة بعثت إليه ما بعثت فسلخوا في الأرض، إن هذا لعبرة وبصيرة، ويكون حوله جماعة هم الآخرون قد اعتبروا بذلك فيصرون عليه ويجرونه على النزول على حكم الإمام، فيضطر إلى بعث البيعة إلى الإمام، ويؤدي إليه الطاعة.

ثم تأتيه قبائل كلب فيقولون: ما صنعت؟ انطلقت إلى بيعتنا فخلعتها وجعلتها له، فيقول: ما أصنع قد أسلمني الناس، فيقولون: إنا معك، فيقول: ما ترون، استقبله البيعة؟ فيقولون: نعم، فيأتيه ويقول: ألقني البيعة، فيقبله الإمام عليه السلام ويقول: «هذا رجل قد خلع طاعتي» ويعود السفيناني إلى أصحابه وقد استعدوا للقتل فتدور بين الجيشين المعارك وينشب بينهما القتل، وسرعان ما يتكسر جيش السفيناني ويقتل أصحابه، ويؤتى بالسفيناني وقد جعلت عمامة في عنقه وسحب حتى يقف بين يدي الإمام عليه السلام.

فيقول السفيناني للمهدي عليه السلام: يا ابن عمي من علي بالحياة أكون سيفاً بين يديك وأجاهد أعدائك، والمهدي جالس بين أصحابه وهو أحى من العذراء، فيقول: «فخلوه».

عندها يعترض أصحاب الإمام المهدي عليه السلام ويقولون يا ابن بنت رسول

الله تمنّ عليه بالحياة وقد قتل أولاد رسول الله ﷺ ما نصبر على ذلك.
 فيقول: «شأنكم وإياه، اصنعوا به ما شئتم» وقد كان خلّاه وأفلته،
 فيلحقه رجل من الإيرانيين فيأخذه ويقتله.

ويكون قبل خروج السفيناني أمور وأحداث تتحدث الأخبار عن أنها
 علامة على خروج السفيناني منها اختلاف بني العباس، وخروج اليماني، وإقبال
 الترك والروم إلى المنطقة، وخروج أهل المغرب إلى مصر والشام، والاختلاف
 في الشام، والانتخابات في بغداد، وسقوط طائفة من مسجد دمشق، وظهور
 الأبقع، وخروج رجل عباسي في الشام، وفتنة بين أهل المشرق والمغرب،
 وخراب الشام، والخسف بقرية الجابية وحريستا، ورجفة تكون في الشام
 يهلك فيها الكثير، وغيرها.

العلامة الخامسة:

السفياني

لعل خروج السفياني هو المحور الذي تدور عليه رحى العلامت والأحداث السريعة التي تسبق ظهور القائم عليه السلام، وبه تتميز عن نظائرها ومشابهاتها؛ لأنها بين أن تكون طرف الصراع معه كالخراساني واليماني والرواني، وبين أن تكون واقعة تصيب جيشه وأتباعه كالخسف بجيشه وعساكره، أو ترتبط به كالنداء الثاني الذي يكون باسمه، ولا أقل من أن تقارنه في الوجود أو تحدث في زمان خروجه كقتل النفس الزكية من العلائم، أو تختم بذلك كزوال بني فلان الذي يأتي الكلام عنه.

والأهم من جميع ذلك اهتمام النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بهذه العلامة أشد الاهتمام، فما أن يسأل السائل عن العلامة القطعية لظهور القائم إلا ويكون جوابهم عليهم السلام هو خروج السفياني، أو يقول ماهي العلامة بيننا وبينكم؟ فيأتيه الجواب إذا خرج السفياني فاقبل إلينا بالسلح، أو الزم الأرض وكن حلساً من أحلاس بيوتك حتى يبلغك أن السفياني قد خرج.

وما أن يوقت السائل ويقول يخرج القائم عليه السلام هذه السنة أو كان المقرر أن يظهر في هذه السنة إلا ويواجه الجواب الاعتراضي القائل أيقوم القائم بغير سفياني؟!

وهكذا فإن المتحمسين كانوا يأتون الأئمة عند حصول كل حركة ويقولون كنا نقدر أن هذه الحركة هي حركتكم وتنتهي بدولتكم أو يبعثون

إليهم بالرسائل يجرسونهم على استغلال الفرصة والخروج بالسيف فكان الجواب الذي لا يتوقعونه على الرغم من العلم به هو أن يقول الإمام أما علمتم أنه إنما يقوم السفيناني، ولا يقوم القائم من دون خروج السفيناني. كل ذلك حتم علينا أن نستوفي الكلام في هذه العلامة أكثر مما عداها ونسلط عليها الضوء أكثر من العلامات الأخرى.

اسمه ونسبه:

ليس من المستحسن البت في اسم السفيناني ولا غيره ممن سيأتي زمانه كما علمنا التاريخ، والمهم هو معرفته بجامع صفاته وعلائمه. ومع ذلك فقد ورد في أكثر من رواية أن اسمه عثمان بن عنبسة، أفضلها سنداً ما رواه الشيخ الصدوق عن محمد بن علي ماجيلويه قل: حدثني عمي محمد بن أبي القاسم، عن محمد بن علي الكوفي، عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن أذينة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام قال أبي عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس وهو رجل ربعة وحش الوجه ضخمة الهامة بوجهه أثر الجدري إذا رأيته حسبته أعور اسمه عثمان وأبوه عنبسة وهو من ولد أبي سفينان حتى يأتي أرضاً ذات قرار ومعين فيستوي على منبرها»^(١)، ومحمد بن علي الكوفي مرمي بالضعف والكذب والغلو، وأكثر ما يتهم به هو الغلو والارتفاع غير أنني أتردد في تضعيف مثله. وفي رواية المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام: «هو عثمان بن عنبسة الأموي من ولد يزيد بن معاوية»^(٢) وهي ضعيفة السند غير أنها مشحونة

(١) كمال الدين ٦٥١ ح ٩، البحار ٥٢: ٢٠٥ ح ٣٦، ورواه في إعلام الوری ٢: ٢٨٢

مرسلاً عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن الصفاق عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام وفيه: وأبوه عنبسة، وفي إثبات الهداة ٣: ٧٢١ «وأبو عنبسة».

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ١٨٤، البحار ٥٣: ٨.

بالعلم لا يصدر متنها إلا من إمام معصوم.

ويؤيد ذلك أمران:

الأول: الروايات الواردة في الصيحة الثانية، وهو نداء إبليس من الأرض: «ألا أن الحق مع عثمان وشيعته»^(١) إذا جمع مع ما رواه الصدوق بسند معتبر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «ينادي مناد من السماء أول النهار ألا إن الحق في علي وشيعته، ثم ينادي إبليس - لعنه الله - في آخر النهار: ألا أن الحق في السفيناني وشيعته فيرتاب عند ذلك المبطلون»^(٢) ومع ذلك لا يكون نداء «ألا إن الحق في علي وشيعته» قرينة على إرادة عثمان بن عفان؛ لأن نداء «ألا إن الحق في السفيناني وشيعته» تعيين لما هو المراد، ويكون المراد بعثمان المنادى باسمه هو السفيناني عثمان بن عتبة.

الثاني: تكرّر اسم عثمان بن عتبة في شجرة بني أمية، منهم عثمان بن عتبة بن أبي سفينان ذكره في تاريخ مدينة دمشق وقال: وهو ابن أخي معاوية وابن أخت ابن الزبير أرادت بنو أمية أن تبايعه بالخلافة يوم ملت معاوية بن يزيد بن معاوية فأبى ذلك^(٣).

ومنهم عثمان بن عتبة الأصغر بن عتبة بن عثمان بن عتبة بن أبي سفينان أبو العباس الأموي العنبيسي ذكره ابن عساکر^(٤).

وعليه فما جاء في مرسله عقد الدرر المفصلة من أن اسمه حرب بن عتبة بن مرة بن كلب بن سلمة بن يزيد بن عثمان بن خالد بن يزيد بن معاوية

(١) الإرشاد للمفيد ٢: ٣٧١، الغيبة للطوسي: ٤٣٥، كمال الدين: ٦٥٢.

(٢) كمال الدين: ٦٥٢ ح ١٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٠: ١٤، وله قصة مفصلة أخرى في ج ٣١: ٣، من شاء فليطلع عليها.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٠: ١٨ رقم ٤٦٢٨.

بن أبي سفيان، لا يعتمد عليه^(١).

وأما نسبه، فقد تقدم في رواية المفضل أنه من ولد يزيد بن معاوية، ولكن روى الشيخ الطوسي وغيره عن حذلم بن بشير عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه من ولد عتبة بن أبي سفيان^(٢)، وهي مرسله على ما يبدو، بينما الأولى مسندة، تدعمها مرسله عقد الدرر.

ومهما يكن من ذلك فالروايات متفقة على أنه من ولد أبي سفيان وإن اختلفت في غيره من آبائه.

صفاته:

جاء في رواية عمر بن أذينة التي تقدم الكلام في سندها: فيخرج ابن آكلة الأكباد من الواحي اليابس وهو رجل ربعة وحش الوجه، ضخم الهامة، بوجهه أثر الجذري إذا رأيته حسبته أعور^(٣) وآكلة الأكباد هي هند زوجة أبي سفيان التي لاكت كبد حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله، مما يدعم أنه من ولد أبي سفيان.

ولا ينافي بشاعة وجهه ما ورد من أن السفياني أحمر أشقر أزرق لم يعبد الله قط ولم ير مكة ولا المدينة^(٤)...، لما ورد بسند معتبر عن عمر بن يزيد قال: قل لي أبو عبد الله الصلح عليه السلام: «إتتك لو رأيت السفياني لرأيت أنحبث الناس أشقر أحمر أزرق يقول: يا رب نارٍ نارٍ ثم النار، وقد بلغ من خبثه أنه يدفن أم ولد له وهي حية مخافة أن تذل عليه...»^(٥).

(١) عقد الدرر: ٩٠.

(٢) الغيبة: ٤٤٣ ح ٤٣٧، الخرائج والمخارج ٣: ١١٥٥ وفيه: قيل لعلي بن الحسين عليهما السلام.

(٣) كمال الدين: ٦٥١ ح ٩٠٩، الربعة: الوسيط القامة، أنظر كتاب العين ٢: ١٣٣.

(٤) كتاب الغيبة للنعمان: ٣٠٦، البحار ٥٢: ٢٥٤.

(٥) كمال الدين: ٦٥١، البحار ٥٢: ٢٠٥ ح ٣٧.

فهو يدلّ على أن الخبث والوحشة في فعّاله بحيث يظهر الشر على وجهه وإن كان أزرق العينين أحمر الوجه وأشقر، ينضاف إلى ظهور خبثه على وجهه الخلل الموجود في عينيه بحيث إذا رأته حسبته أعور، وكذلك أثر الجدرى وضخامة الرأس، مما يجعله مخوفاً مهولاً.

ومهما اختلفت صفاته فالراجع أنه أحمر أشقر أزرق؛ لورود ذلك في الخبر المعتبر وتكرر نقله.

منشأ حركة السفيناني:

إذا استدامت أمور الدنيا على ما هو عليه اليوم فلا بد أن نطلب لحركة السفيناني أصابع غريبة تدعمها وتمدها بالأيدولوجية والثقافة التي تسود في الغرب الذي يعبر عنه في الروايات ببلاد الروم.

فقد روى الشيخ الطوسي بسننه عن بشر بن غالب قل: يقبل السفيناني من بلاد الروم متنصراً في عنقه صليب وهو صاحب القوم^(١).

مما يدل على أن له قوماً يسيرونه وله ثقافة غريبة ولا يتيسر التعبير عنها في ذلك الزمان سوى بالتنصر أي النصرانية والمسيحية الغالبة - ولو بالاسم - في بلاد الغرب، وكذلك فإن الصليب هو علامة على ذلك.

ولو صح هذا الخبر فهو يدل على ترعرع السفيناني في الغرب وانتهاله من ثقافتهم وذوبانه في أيدولوجيتهم.

يؤيد ذلك ما ورد في خبر آخر يجعل من علامات ظهور القائم:

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٦٢ عن قرقارة، عن أبي النصر إسماعيل بن عبد الله بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجلي، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن جعفر بن سعد الكاهلي، عن الأعمش، عن بشر بن غالب.

خروج السفيناني براية خضراء وصليب من ذهب^(١)، مما يدل على ثقافته ودعمه بالمال المستفاد من قوله صليب من ذهب، ولا أقل من مصانعته ومعاملته مع الغريبيين من أجل إمداده بالسلاح وتقويته للتغلب على منائيه، خصوصاً الخراساني القوي الشوكة، حتى جاء في رواية الخاتون آبادي عن الإمام الصادق عليه السلام: «ثم يبعث السفيناني جيوشاً إلى الأطراف ويسخر كثيراً من البلاد ويبالغ في القتل والفساد، ويذهب إلى الروم لدفع الملك الخراساني ويرجع منها متنصراً في عنقه صليب»^(٢).

فإن هاتين الروايتين وإن كانتا ضعيفتي السند، لكن يساعدها الوضع الحاكم في الدنيا اليوم ورجحان ثباته على ما سيأتي.

ولو فرضنا عدم ثباته واختلاف أمور الدنيا بزوال الدول الأوربية أو زوال هيمنتها بحصول خلاف بينها أو حجر يضرب الأرض يهلك فيه أكثر أهلها كما يشعر به بعض الأخبار.

فالذي يظهر من الأخبار الذاكرة لأعمال السفيناني وإباحتيه هو تأثره العميق بتلك الثقافة وتكون حركته ناشئة عن الانفلات السياسي الحاصل أثر ذلك.

ومهما يكن من ذلك فإن ثقافة السفيناني الحقيقية لا تمنع من أن يظهر الزهد ويكون له موقع ديني أو ثقافي كما يأتي.

منطق السفيناني:

المستفاد من الأخبار التي منها خبر عمر بن يزيد المعتبر المار أن السفيناني إنما يجيء لطلب الثأر وهدفه الانتقام فإن فيها: «إنك لو رأيت السفيناني لرأيت

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٩.

(٢) كشف الحق (أربعين الخاتون آبادي): ١٥٣.

أخبت الناس، أشقر أحمر أزرق يقول: يا رب ثاري ثاري ثم النار^(١) وفي رواية أخرى يقول: «يا رب ثاري والنار، يا رب ثاري والنار»^(٢)، مما يدل على أن ثاره قول وليس ثأراً حقيقياً لأنه قل: «يقول» فهو مجرد قول وادعاء، ويؤيده كلمة أخبت الناس الدالة على اصطناع الفتن وإظهار خلاف ما في الضمير، وكذلك قوله «ثم النار» ويدل على علمه بزيغ دعوته وبطلان دعواه.

وتكرار كلمة ثاري يدل على طول مدة المطالبة بذلك والتأكيد عليه.

ولما سيأتي أن السفيناني سيصب حم غضبه على العراق والحجاز بعد السيطرة على الشام بأكمله فإن ذلك يحكي عن وجود نفرة وعداوة من ناحية الغرب لسكان هذين المصرين بعدما يحدث فيها ما ينافي مصالحهم بحيث يضطرون من أجل بسط السيطرة عليها إلى تشكيل دولة قوية في الشام، حيث إن الشام تخضع بطبعها لرؤسائها مهما كانوا، وبواسطتها تحاول السيطرة على هذين البلدين.

كما لا يبعد أن تحدث في منطقة الشرق الأوسط عموماً والعراق والحجاز والشام ولبنان وفلسطين تحركات طائفية، وحركات متشددة تنتمي إلى نزعات أموية تمهد الأرضية المناسبة لتنامي الفكر الانتقامي الذي يدعو إليه السفيناني، وهناك رواية تدلّ على أن الأمويين يصيبهم الويلات من ناحية الهاشمي الذي

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٥١ ح ١٠ عن أحمد بن زياد جعفر الهمداني عن

علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم عن محمد بن أبي عمير

عن حماد بن عثمان عن عمر بن يزيد قال: قال أبو عبدالله عليه السلام

(٢) الغيبة للنعماني: ٣٠٦ ح ١٨ عن أحمد بن محمد بن سعيد بن حميد بن زياد عن

علي بن الصباح ابن الضحك عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبي أيوب

الحزاز عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في هذا السند علي بن

الصباح مهمل لم يتعرض له الرجاليون في كتبهم.

يخرج من المشرق، من إيران أو العراق وتكون أعمالهم كرد فعل على تلك المضايقات كما سيأتي في سبب دخول المدينة واستباحتها وقتل الهاشميين فيها.

والأولى من جميع ذلك دخول أعماله في طريق التدبير المسبق من القوى العظمى للدحض حركة القائم في نظفتها أو قبل قيامها لعلمهم بمجيء مصلح يكون مركزه العراق وينتظره الشيعة الإمامية حتى ورد أن السفيناني يقتل كل شعبي وكل من اسمه حسن أو حسين وأمثاله كما يأتي.

بل إن الاستفادة من بعض الأخبار أن قيام السفيناني إنما يكون بعد ظهور القائم فيختفي القائم حتى يحسف بالجيش بالبيداء كما يأتي.

على أن لا يعني كل ذلك عدم إعلان الأهداف الجذابة والهاثفات المضللة بحيث يصعب تمييز حقيقة الدعوة الجديدة والتباس الأمر على بعض أهل الحق بحيث إنهم لولا عصمة الله سبحانه لهم لزالوا معها ودخلوا تحت رايتها كما جاء في بعض الأخبار.

ومنها المروي في عقد الدرر مرسلأ عن أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيه: «فيغلب السفيناني، وإنه ليعدل فيهم حتى يقول القائل: والله ما كان يقال فيه إلا كذب، والله إنهم لكاذبون، لو يعلمون ما تلقى أمة محمد صلى الله عليه وآله منه ما قالوا ذلك، فلا يزال يعدل حتى يسير ويعبر الفرات، وينزع الله من قلبه الرحمة...»^(١)

ومنها ما رواه النعماني بسنده عن علي عليه السلام وفيه: «وإذا كان ذلك خرج السفيناني فيملك قدر حمل امرأة تسعة أشهر، يخرج بالشام فينقاد له أهل الشام إلا طوائف من المقيمين على الحق يعصمهم الله من الخروج معه...»^(٢)

(١) عقد الدرر: ٩٠.

(٢) غيبة النعماني: ٣٠٥، البحار ٥٢: ٢٥٢ والسند هكذا علي بن أحمد عن عبيد

الله بن موسى العلوي عن عبد الله بن محمد عن محمد بن خالد عن الحسن بن المبارك عن أبي اسحاق الهمداني عن الحارث الهمداني عن علي عليه السلام.

بل ورد عن الصادق عليه السلام أنه قال في حديث: «وهذا الملعون يظهر الزهد قبل خروجه، ويتقشف، ويتقنع بحبز الشعير والملح الجريش، ويبتذل الأموال فيجلب قلوب الجهال والأراذل، ثم يدعي الخلافة فيبايعونه ويتبعهم العلماء الذين يكتمون الحق ويظهرون الباطل فيقولون: إنه خير أهل الأرض»^(١).

وأكثر من ذلك فإن الأخبار دلت على أن الناس هم الذين يأتونه ويطلبون منه القيام والانتصار للدين فيقول: لست بصاحبكم، مما يدل على أن له موقفاً دينياً أو ثقافياً مرموقاً وعالياً، وإن كانت حقيقته هي الثقافة الغربية كما مر.

فقد جاء في عقد الدرر المار عن أمير المؤمنين عليه السلام: «فتضطرب الشام وفلسطين فتجتمع رؤساء الشام وفلسطين فيقولون اطلبوا ملك الأول فيطلبونه فيوافونه بغوطة دمشق بموضع يقال لها حرستا، فإذا أحس بهم هرب إلى أخواله كلب، وذلك دهاء منه، ويكون بالوادي اليابس عدة عديدة فيقولون له: يا هذا، ما يحل لك أن تضع الإسلام، أما ترى ما الناس فيه من الهوان والفتن؟! فاتق الله واخرج، أما تنصر دينك؟! فيقول: لست بصاحبكم، فيقولون: ألسنت من قریش من أهل بيت الملك القديم، أما تغضب لأهل بيتك وما نزل بهم من الذل والهوان؟!»

ويخرج راغباً في الأموال والعيش الرغد فيقول: اذهبوا إلى خلفائكم الذين كنتم تدينون لهم هذه المدة، ثم يجيئهم في يوم جمعة فيصعد منبر دمشق، وهو أول منبر يصعد، فيخطب ويأمرهم بالجهاد ويبايعهم على أنهم لا يخالفون له أمراً رضوه أم كرهوه»^(٢).

وهذا الحديث وغيره يدل على حقيقة خطيرة يجب الالتفات إليها محصلها أن السفيناني لا يأتي باسم السفيناني، ولا يأتي بعنوان حاكم جائر، وإنما يأتي

(١) كشف الحق للخاتون آيادي: ١٥٣.

(٢) عقد الدرر: ٩٠، وانظر الزام الناصب ٢: ١٧٨.

٢٠٦ العد التنازلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

بصفة دينية وحتى أنه يعمل بالعدل مدة بحيث يؤدي إلى التباس الأمر بالكلية فقد جاء في موضع آخر من الرواية المارة:

«وإنه ليعدل فيهم حتى يقول القائل: والله ما كان يقال فيه إلا كذب، والله إنهم لكاذبون، لو يعلمون ما تلقى أمه محمد عليه السلام منه ما قالوا ذلك، فلا يزال يعدل حتى يسير ويعبر الفرات، وينزع الله من قلبه الرحمة...».

فهي تصرّح بذلك، وتدل على أن التغير أو إظهار الكفر والفسق أو ظهور حقيقته يكون بعد عبوره الفرات، فهي وإن كانت ضعيفة السند إلا أن هناك رواية أخرى تدعمها.

فقد ورد: «أن السفيناني لا يعبر الفرات إلا وهو كافر»^(١).

محل خروج السفيناني:

المؤكد أن السفيناني إنما يخرج في الشام، فقد عدت الروايات الكثيرة في علامات خروج القائم خروج السفيناني من الشام^(٢).

كما عينت الروايات خروجه من الوادي اليابس وهي كثيرة.

ومنها ما رواه حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وآله ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب قل: «فينا هم كذلك يخرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق»^(٣).

ومنها ما رواه النعماني بسند عن علي عليه السلام: «فانظروا خسف قرية من دمشق يقال لها حرستا، فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي

(١) عقد الدرر: ٧٩.

(٢) كمال الدين: ٣٢٨، ٣٣١، البحار: ٥٠ : ٢١٨.

(٣) البحار: ٥٢ : ١٨٦.

اليابس حتى يستوي على منبر دمشق^(١).

ومنها رواية الشيخ الطوسي بسند عن علي عليه السلام قال في حديث: «إذا كان ذلك فانتظروا ابن آكلة الأكباد بوادي اليابس»^(٢).

ومنها رواية حذلم بن بشير عن علي بن الحسين عليهما السلام وفيها: «ثم يخرج السفيناني الملعون من الوادي اليابس...»^(٣).

ومنها رواية عمر بن أذينة التي تقدم الكلام عن سندها: «يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس...»^(٤).

ومنها ما رواه الخاتون آبلدي في كتاب كشف الحق عن الفضل بن شاذان يروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في حديث: «بيننا م كذلك إذ يخرج عليهم السمرقندي من خراسان مع الرايات السود والسفيناني من الوادي اليابس من أودية الشام وهو من ولد عنبسة بن أبي سفيان»^(٥).

ولم تذكر المعاجم حدود الوادي اليابس غير أن المستفاد من بعض الأخبار أنه في فلسطين؛ ففي رواية الفضل عندما يذكر الصحيحة الأولى والثانية يقول: «إذا زالت الشمس للغروب صرخ صارخ من مغاربها يا معاشر الخلائق لقد ظهر ربكم من الوادي اليابس من أرض فلسطين وهو عثمان بن عنبسة الأموي...»^(٦).

(١) غيبة النعماني: ٣٠٥ ب ١٨ ح ١٦. ومثله في ب البدء والتاريخ ٢: ١٧٧.

(٢) الغيبة: ٢٧٧.

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٤، الخرائج والجرائح ٣: ١١٥٥ وفيه: قيل لعلي بن الحسين صف لنا متى خروج المهدي.

(٤) كمال الدين: ٦٥١، البحار ٥٢: ٢٠٥ ح ٣٦.

(٥) كشف الحق: ١٥٣.

(٦) الهداية الكبرى للخصيبي: ٣٩٧.

ولكن يرى البعض أن الوادي اليابس قرب دمشق أو في منطقة حوران ودرعا قرب الأردن^(١).

ولم يزد الحموي على قوله: وادي اليابس نسبة إلى رجل، قيل: منه يخرج السفيناني في آخر الزمان^(٢).

وقصبة فلسطين كما ذكر البشاري هي الرملة ومدنها بيت المقدس، بيت جبريل، غزة، ميماس، عسقلان، يافه، أرسوف، قيسارية، نابلس، أريحا، عمان^(٣)، فلا بعد في كون الوادي اليابس يقع فيما يسمى قصبة فلسطين آنذاك وهو اليوم فيما يسمى الأردن؛ لأن الكتب ذكرت عمان من جملة مدن فلسطين، ومن هذا الجمع يعلم حدود الوادي اليابس.

مركز حكومته:

وأما مركز حكومته على ما يبدو فهي مدينة دمشق كما دلت عليه رواية حذيفة المارة، وما رواه النعماني فإن فيها: «حتى يستوي على منبر دمشق» الذي هو كناية عن الملك والسلطة.

وروى ابن حماد بسنده عن كعب في حديث أنه قل: «ويجلس ابن آكلة الأكباد على منبر دمشق، ويخرج البربر إلى سرّة الشام، فهو علامة خروج المهدي»^(٤).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث: «فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق فيعت جيشين...»^(٥).

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ١: ٤١٩.

(٢) معجم البلدان ٥: ٤٨٦.

(٣) أحسن التقاسيم: ١٣٦.

(٤) كتاب الفتن: ٥٧.

(٥) تفسير الطبري ٢٢: ٧٢، الكشاف ٣: ٤٦٧، مجمع البيان ٤: ٣٩٨، البحار ٥٢: ١٨٦.

ونزوله مدينة دمشق وبعثه الجيش منها آية صيرورتها مركز حكومته.
وروي عن علي عليه السلام: «السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان،
رجل ضخام الهامة بوجهه آثار جدري، وبعينه نكتة بياض، يخرج من ناحية
مدينة دمشق في وادٍ يقال له وادي اليباس»^(١).

وفي رواية عقد الدرر عن علي عليه السلام بعد ذكر حروب السفياني يقول:
«ثم يرجع إلى دمشق وقد دان له الخلق في جيش جيشين...»^(٢).

ولكن ليس في هذه الروايات مما يوثق بسنده، وأفضلها سنداً رواية
النعمانى المازة بسنده عن المغيرة بن سعيد، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن أمير
المؤمنين عليه السلام ... والمغيرة بن سعيد ملعون.

فإن استغنيا بتعدد الطرق وإلا فالمسلم أن مركز حكومته الشام.

بقي أنه ورد في بعض الأخبار: «أن السفياني يخرج من الوادي اليباس
حتى يأتي أرض قرار ومعين فيستوي على منبرها»^(٣)، فإذا جمع مع رواية النعماني
فهو يعني دمشق.

استقرار حكومة السفياني:

المستفاد من الأخبار أن استقرار حكومة السفياني بتسلطه على كور
الشام الخمس، فقد روى النعماني بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
«السفياني من المحتوم وخروجه في رجب، من أول خروجه إلى آخره خمسة

(١) كتاب الفتن: ٧٥، عقد الدرر: ٧٢، كنز العمال ١١: ٢٨٤.

(٢) عقد الدرر: ٩٢، الزام الناصب ٢: ١٧٨.

(٣) البحار ٥٢: ٢٠٥، عن ما جيلويه عن عمه عن الكوفي عن ابن أبي عمير عن
أبن اذينة قال ابو عبدالله عليه السلام...

٢١٠ العد التنازلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

عشر شهراً ستة أشهر يقاتل فيها، فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً^(١).

مما يبدو أن المقصود بكور الشام الخمس هو جميع الشام، بدليل ما ورد في الأصول الستة عشر عن جعفر بن محمد عليه السلام: «السفياني إذا ملك الكور الخمس يعني الشام، فإذا ظهر على كور الشام فاقبلوا إلينا»^(٢).

وأما أسماء الكور الخمس فيدل عليه ما رواه الصدوق بسنده عن عبد الله بن أبي منصور قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اسم السفياني فقال: «وما تصنع باسمه؟ إذا ملك كور الشام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطين، والأردن، وقنسرين فتوقعوا عند ذلك الفرج»^(٣).

وقد بين البشاري مدن كل كور وقصيته فقال: فأما قنسرين فقصبتها حلب ومن مدنها: أنطاكية، بالس، السويدية، سميساط، منبج، بيّاس،

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٠، البحار ٥٢: ٢٤٨ ح ١٣٠، والسند فيه أخبرنا أحمد بن

محمد بن سعيد بن عقلة قال: حدثني محمد بن الفضل بن إبراهيم بن قيس بن رمانه من كتابه في رجب سنة خمس وستين ومائتين قال: حدثنا الحسن بن علي بن فضال قال: حدثنا ثعلبة بن ميمون أبو إسحاق، عن عيسى بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام...

(٢) الأصول الستة عشر: ٦٧، والسند فيه عن جعفر بن محمد بن محمد بن تسريح عن أسعر (أسفر) بن عمرو الجعفي عن محمد بن تسريح، وأسعر أو أسفر لم يذكر في كتب الرجال.

(٣) الإمامة والتبصرة: ١٣٠، كمال الدين: ٦٥١، والسند فيه حدثني أبي ومحمد بن الحسن فلا حدثنا محمد بن أبي القاسم ماجيلويه عن محمد بن علي الكوفي عن الحسين بن سفيان عن قتيبة بن محمد عن عبد الله بن أبي منصور البجلي وهذا الأخير لم يذكر في كتب الرجال.

التيينات، قنسرين، مرعش، اسكندرونة، لجون، ريفية، جوسية، حماة، شيوز، وادي بطنان، معرة النعمان، معرة قنسرين.

وأما حمص فاسم القصبية، ومن مدنها: سلمية، تدمر، الخناصره، كفر طاب، اللاذقية، جبلة، انطرسوس، بلنياس، حصن الخوابي.

وأما دمشق فاسم القصبية أيضاً ومدنها: بانياس، صيدا، بيروت، أطرابلس، عرقة، وناحية البقاع مدينتها: بعلبك، ولها كامد، عرجموش، الزبداني. ولدمشق ستة رساتيق: الغوطة، حوران، البشنة، الجولان، البقاع، الحولة.

وأما الأردن، فقصبته طبرية ومن مدنها: قدس، صور، عكا، اللجون، كابل، بيسان، أذرعاع.

وأما فلسطين فقصبته الرملة، ومدنها: بيت المقدس، بيت جبريل، غزة، ميماس، عسقلان، يافه، أرسوف، قيسارية، نابلس، أريحا، عمان^(١).

ذكر ذلك وأضاف كور سارس وهو الشراة وذكر من مدنه تاب ومعان وتبوك.

والمهم بيان أن المراد بالكور الخمس ما يشمل دول الشام الكبرى عامة والتأكيد على سيطرة السفيناني على الكور الخمس لعلم النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام بتحول الشام إلى دول متعددة بحيث يُعدّ اجتماعها ورجوعها دولة واحدة أكبر علامة بل هي أهم من اسم السفيناني، فلذا يقول: وما تصنع باسمه إذا ملك كور الشام الخمس..

والأهم من ذلك دخول فلسطين الحالية بمدنها في دولة السفيناني مما يدل على زوال الدولة الصهيونية قبل ظهوره أو إبانه، مما سيأتي الكلام عنه.

غير أن بعض الأخبار دلت على أن استقرار حكومته واعتراف العالم بها إنما يكون بعد معركة قرقيسيا فقد جاء في رواية عقد الدرر عن أمير المؤمنين عليه السلام بعد بيان معاركه في الشام وتسلطه عليها كما سيأتي قال: «ثم يسير إلى الموضع المعروف بقرقيسيا فيكون له بها وقعة عظيمة، ولا يبقى بلد إلا بلغه خبره، فيدخلهم من ذلك الجزع، ثم يرجع إلى دمشق وقد دان له الخلق»^(١).

زمان خروج السفيناني:

المستفاد من الأخبار أن خروج السفيناني في شهر رجب، فقد روى الشيخ الصدوق، عيسى بن أعين، عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن أمر السفيناني من المحتوم، وخروجه في رجب»^(٢).

وفي المعلى بن خنيس كلام، وثقه بعض وضعفه آخر، ولكن وردت روايات تدل على أنه من أهل الجنة^(٣)، كما أن الأرجح في الحسين بن الحسن بن أبان قبول روايته^(٤).

وروى النعماني بسنده عن معلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام: «من الأمر محتوم، ومنه ما ليس بمحتوم، ومن المحتوم خروج السفيناني في

(١) عقد الدرر: ٩٠.

(٢) كمال الدين: ٦٥٠، ٦٥٢ ح ١٥ و ١٥، والسند فيه محمد بن الحسن بن الحسين بن الحسن بن أبان عن الحسين بن سعيد عن صفوان بن يحيى عن عيسى بن أعين، عن المعلى بن خنيس...

(٣) انظر منتهى المقال ٦: ٣٩٢ / ٣٠١١، ومعجم رجال الحديث ١٨: ٢٣٧ / ١٢٤٩٦، وقد وثقه السيد الخوئي (قدس سره)

(٤) انظر منتهى المقال ٣: ٢٧ / ٨٥٦، وفيه قد وثقه بعض مثل ابن داود وغيره...

رجب»^(١).

فقد دلت على أن خروجه في رجب من المختوم الذي لا تبديل فيه.

ويذكر على ذلك ما رواه النعماني أيضاً عن محمد بن همام، عن جعفر بن محمد بن مالك، عن عبد بن يعقوب، عن خلاد الصائغ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «السفيناني لا بد منه، ولا يخرج إلا في رجب»^(٢).

وخلاد الصائغ لم يذكر في كتب الرجال، فقد يكون تصحيف الصفار أو الصيرفي، ومهما يكن من ذلك فالروايتان ضعيفتا السند.

وروى الشيخ بسنده عن خلاد عن جعفر بن محمد عليه السلام قل: «السفيناني لا بد منه ولا يخرج إلا في رجب»^(٣)، والسند يشتمل على بعض الجاهيل، كمحمد بن إسماعيل بن حيان الوراق.

بقي أمران:

الأول: أن المروري أن خروج السفيناني واليمني والخراساني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً فيكون

(١) الغيبة: ٣٠٠، والسند فيه أحمد بن محمد بن سعيد عن القاسم بن محمد بن الحسين بن حازم في كتابه قال حدثنا عبيس بن هشام عن محمد بن بشر الأحول عن عبد الله بن جبلة عن عيسى بن أعين عن المعلی بن خنيس...

(٢) الغيبة: ٣٠٢، البحار ٥٢: ٢٩٤ ح ١٣٥.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ٦٩٧ والسند: الحسين بن إبراهيم القزويني عن محمد بن وهبان عن أبي عيسى محمد بن إسماعيل بن حيان الوراق عن أبي جعفر محمد بن الحسين بن حفص الخثعمي الأسدي عن أبي سعيد عباد بن يعقوب الأسدي، عن خلاد...

البأس من كل وجه، ويل لمن ناوهم^(١).

وروى الشيخ عن الفضل، عن سيف بن عميرة، عن بكر بن محمد الأزدي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خروج الثلاثة: الخراساني والسفياني واليماني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني يهدي إلى الحق^(٢)»، ورواه الشيخ المفيد في الإرشاد عن ابن عميرة عنه^(٣).

والرواية معتبرة على ما يبدو، ولكن يشكل تعقل خروج الثلاثة في يوم واحد إذا كان المراد بالخروج هو شروع الحركة والقيام بالسلاح، خصوصاً وقد روى الشيخ نفسه عن الفضل عن ابن فضل، عن ابن بكير، عن محمد بن مسلم، قال: «يخرج قبل السفياني مصري ويماني^(٤)». وهي معتبرة أيضاً، فلا بد أن يكون المراد تزامن حروبهم وتحركاتهم العسكرية.

وروى النعماني بسننه عن عبيد بن زرارة قال: وذكر عند أبي عبد الله عليه السلام السفياني فقال: «أنى يخرج ذلك ولم يخرج كاسر عينه بصنعاء^(٥)».

(١) رواه النعماني في الغيبة: ٢٥٦، عن ابن عقدة عن أحمد بن يوسف بن يعقوب أبي الحسن الجعفي من كتابه عن إسماعيل بن مهران عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه وهيب بن حفص عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام، والحسن بن علي بن أبي حمزة لا يعتمد على روايته.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٦ ح ٤٤٣، البحار ٥٢: ٢١٠ ح ٥٢.

(٣) الإرشاد ٢: ٣٧٥.

(٤) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٧ ح ٤٤٤، البحار ٥٢: ٢١٠ ح ٥٣.

(٥) الغيبة: ٢٧٧ ح ٦٠، البحار ٥٢: ٢٤٥ ح ١٢٣، والسند فيه علي بن الحسين عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن محمد بن حسان الرازي عن محمد بن علي الكوفي عن محمد بن سنان عن عبيد بن زرارة.

كما أن بعض الروايات دلت على أن سنة خروج القائم عليه السلام هي سنة خروج السفيناني وحتى أنه يستفاد من بعضها أسبقية خروج القائم عليه السلام، ومعلوم أن خروج القائم لا يصح التوقيت فيه على ما يأتي، فلا يمكن تعيين سنة خروج السفيناني.

فقد روى النعماني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام أنه قل: «السفيناني والقائم في سنة واحدة»^(١).

الثاني: المستفاد من بعض الأخبار أن السفيناني يخرج وملك بني العباس قائم فقد روى النعماني بسند عن الحسن بن الجهم قال قلت للرضا عليه السلام أصلحك الله إنهم يتحدثون أن السفيناني يقوم وقد ذهب سلطان بني العباس، فقال عليه السلام: «كذبوا إنه ليقوم وإن سلطانهم لقائم»^(٢).

ومعلوم أن سلطان بني العباس قد زال على أيدي التتر، ولكن الأخبار تتحدث عن عود ملكهم من جديد.

فقد روى النعماني عن محمد بن همام، عن الفزاري، عن الحسن بن علي بن يسار، عن الخليل بن راشد، عن البطائي قل: رافقت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام من مكة إلى المدينة فقل يوماً لي: «لو أن أهل السماوات والأرض خرجوا على بني العباس لسقيت الأرض بدمائهم حتى يخرج السفيناني» قلت له: يا سيدي أمره من المحتوم؟ قل: «من المحتوم»، ثم أطرق، ثم رفع رأسه وقال: «ملك بني العباس مكر وخدعة يذهب بحيث لم يبق منه شيء، ويتجدد حتى يقل: ما مر به شيء»^(٣).

ووردت أخبار عن أبي جعفر عليه السلام يخبر بملك بني العباس يقول: «لا بد

(١) الغيبة: ٢٦٧، البحار ٥٢: ٢٣٩ ح ١٠٦.

(٢) الغيبة: ٣٠٣ ح ١١، البحار ٥٢: ٢٥١ ح ١٣٩.

(٣) الغيبة: ٣٠٢ ح ٩، البحار ٥٢: ٢٥٠ ح ١٣٧.

أن يملك بنو العباس، فإذا ملكوا واختلفوا وتشتت أمرهم خرج عليهم الخراساني والسفياي هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان هذا من ههنا وهذا من ههنا حتى يكون هلاكهم على أيديهما، أما أنهما لا يبقون منهم أحداً أبداً^(١)، فهي تدل بوضوح على بقاء ملك بني العباس إلى خروج السفياي، ويكون هلاكهم على يديه وعلى يد الخراساني، غير أن الروايات ضعيفة السند لا يمكن الاعتماد عليها مع وجود الروايات الكثيرة المنافية لذلك.

فلا يخلو الأمر من ثلاثة أحوال:

١ - كون الملوك الذين حكموا الدول الإسلامية وخصوصاً بغداد بعد الدولة العثمانية والاستعمار البريطاني وغيره من بني العباس وإن لم يشتهر ذلك ولم يعرفه الناس، كملوك الحجاز والعراق، وليس ذلك مستبعداً لوجود بني العباس في هذه البلدان ووجود نخوة الملك والسيطرة موروثه في أنفسهم ويطمعون في ذلك مهما كلف الثمن، وجدهم القائل الملك عقيم.

٢ - تجدد ملكهم في المستقبل، وظهور دعوتهم من جديد بعنوان بني العباس وحكومتهم لجميع البلاد الإسلامية، وهو بعيد. نعم قد يحكمون بعض البلاد بدليل المروي عن كعب الأحبار أنه قال: إذا ملك رجل من بني العباس يقال له عبد الله وهو ذو العين^(٢) بها افتتحوا وبها يخرمون، وهو مفتاح البلاء وسيف الفناء، فإذا قرئ له كتاب بالشام من عبد الله أمير

(١) الغيبة للنعماني: ٢٥٩ ح ١٢، البحار ٥٢: ٢٣٤ ح ١٠١، السند فيه أحمد بن محمد

بن سعيد عن أبي عبد الله يحيى بن زكريا بن شيان عن أبي سليمان يوسف بن كليب عن

الحسن بن علي بن أبي حمزة عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي. والرواية

لا يعتمد عليها لوجود الحسن بن علي بن أبي حمزة.

(٢) أي أن اسمه يبتلى بالعين.

المؤمنين لم تلبثوا أن يبلغكم أن كتاباً قرئ على منبر مصر من عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين.

وفي حديث آخر قل: الملك لبني العباس حتى يبلغكم كتاب قرئ بمصر من عبد الله بن عبد الرحمن أمير المؤمنين، وإذا كان ذلك فهو زوال ملكهم وانقطاع مدتهم، فإذا قرئ عليكم أول النهار لبني العباس من عبد الله أمير المؤمنين فانتظروا كتاباً يقرأ عليكم من آخر النهار من عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين، وويل لعبد الله من عبد الرحمن^(١).

ومعلوم أن آخر ملوك بني العباس هو عبد الله المستعصم غير أن التفاصيل الأخرى لم تستحق، فيكون المراد عبد الله آخر يحكم في الشام كدولة ولها دولة مناوئة في مصر، مما يدل على تجدد ملكهم وحكمهم على بعض البلاد، لكن الخبرين ضعيفان جداً.

٣ - عدم الاعتماد على هذين الخبرين وأمثالهما، والالتزام بعدم عود ملكهم وإنما زال وتشتت وتفرق أمر السلطة في العراق وغيره إلى ظهور السفيناني وهو المستفاد من كثير من الأخبار.

منها: ما رواه النعماني عن ابن عقلة عن أحمد بن يوسف، عن إسماعيل بن مهران، عن ابن البطائي ووهيب، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ثم يملك بنو العباس، فلا يزالون في عنفوان من الملك وغضارة من العيش حتى يختلفوا فيما بينهم، فإذا اختلفوا ذهب ملكهم، واختلف أهل المشرق وأهل المغرب نعم وأهل القبلة، ويلقى الناس جهد شديد مما يمر بهم من الخوف، فلا يزالون بتلك الحال حتى ينادي مناد من السماء»^(٢)

(١) البحار ٥٢: ٢١٣ ح ٦٤.

(٢) الغيبة: ٢٧٠، بحار ٥٢: ٢٣٥ ح ١٠٣، في الرواية الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائي وهو لا يعتمد عليه.

فهي تدل على خلاف الشرق والغرب وبتبعهم المسلمون بعد زوال دولة بني العباس وهو الذي شاهدناه من عمالة الدول الإسلامية للشرق والغرب...

وروى النعماني بسنده عن يعقوب بن السراج قل قلت لأبي عبد الله عليه السلام: متى فرج شيعتكم قل: «إذا اختلف ولد العباس وهى سلطانهم وطمع فيهم من لم يكن يطمع وخلعت العرب أعنتها، ورفع كل ذي صيصية صيصيته وظهر السفيناني واليماني...»^(١)، فهي تفرض وقوع حوادث ومرور زمان بعد سقوط الدولة العباسية إلى زمان ظهور السفيناني واليماني.

وفي رواية أخرى معتبرة رواها الكليني والنعماني عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا جابر الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها، أولها اختلاف بني العباس، وما أراك تدرك ذلك، ولكن حدثت به من بعدي عني، ومند ينلني من السماء، ويحيثكم الصوت من ناحية دمشق وتحسف قرية من قرى الشام تسمى الجابية، وتسقط طائفة من مسجد دمشق الأيمن، ومارقة تمرق من ناحية الترك، ويعقبها هرج الروم، وستقبل اخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة وستقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة فتلك السنة يا جابر اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض تحرب أرض الشام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات راية الأصهب وراية الأبقع وراية السفيناني...»^(٢).

وغيرها من الروايات الكثيرة الآتية الدالة على الوقائع والأحداث

(١) الغيبة: ٢٧٠، البحار ٥٢: ٢٤٢ ح ١١٢ والصيصية شوكة الديك وقرن البقر والظباء والحصن وكلما امتنع به ودُفع به العدو، أي أظهر كل ذي قوة قوته، والسند فيه علي بن أحمد البندنيجي، عن عبيد الله بن موسى العلوي عن محمد بن موسى عن أحمد بن أبي أحمد الوراق عن يعقوب بن السراج...

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٧٩، البحار ٥٢: ٢٣٧ ح ١٠٥، مستدرک الوسائل ١٢: ٣٧ ح ١١.

الكثيرة وتشنت الملك الذي هو كناية عن تقسيم الدول الإسلامية بعد سقوط دولة العباسيين وقبل السفيناني وظهور القائم.

وبعارض رواية خروج السفيناني عليهم رواية حذيفة بن اليمان: أن النبي ﷺ ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب قال: «بيننا هم كذلك يخرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس»^(١)، فهي تدل على أن السفيناني إنما يخرج على أهل المشرق والمغرب دون العباسيين.

وأما تلك الروايات الدالة على تجدد ملكهم وبقائهم إلى خروج السفيناني فمنشؤها ما كان شائعاً في تلك الأزمنة بين العامة أو عامة الناس من أن بني العباس يحكمون مرتين ولهم رايتان. فقد روى علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن الفضيل، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قلت له: جعلت فداك بلغنا أن لآل جعفر راية ولآل العباس رايتين فهل انتهى إليك من علم ذلك شيء؟ قال: «أما آل جعفر فليس بشيء ولا إلى شيء، وأما آل العباس فإن ملكهم مبطناً يقربون البعيد ويباعدون فيه القريب وسلطانهم عسير ليس فيه يسير حتى إذا أمنوا مكر الله وأمنوا عقابه صبح فيهم صيحة لا يبقى لهم مناد يجمعهم ولا يسمعهم وهو قول الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا...﴾ الآية»^(٢).

ورواه النعماني بسنده عن محمد بن الحنفية إلا أن فيه آل مرداس بدل آل عباس^(٣).

فهاتان الروايتان تدلان على وجود شائعة وخبر ينقل بين الناس يدل

(١) البحار ٥٢: ١٨٦.

(٢) تفسير القمي ١: ٣١٠، وعنه البحار ٥٢: ١٨٤ والآية ٢٤ من سورة يونس.

(٣) الغيبة للنعماني: ٢٩١.

٢٢٠ العد التنازلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

على حكومة بني العباس مرتين بالإضافة إلى حكومة آل جعفر حتى عبر عنه السائل بقوله «بلغنا»، ورد الإمام عليه السلام هذه الشائعة وفندها بانكار قيام دولة لبني جعفر، وإعراضه عليه السلام عن الكلام في تجدد ملك العباسيين إلى ذكر طول مدة حكومتهم وظلمهم.

فهاتان الروايتان تدلان على ما نريد إثباته من ناحيتين، الأولى: عدم ذكر الإمام تجدد ملكهم بعدما أنكر أن تكون لآل جعفر دولة، مع أنه بين حال دولة العباسيين من ابتدائها إلى انتهائها.

والثانية: قوله عليه السلام «لا يبقى لهم مناد يجمعهم ولا يسمعهم» فكيف تتجدد دولتهم أو تبقى مع عدم بقاء مناد يجمعهم ولا يسمعهم.

ونضيف أن الأخبار الذاكرة لبقاء بني العباس إلى زمان السفيناني صادرة من الإمام الباقر عليه السلام قبل تحقق دولتهم، فكلامه في الحقيقة ناظر بالدرجة الأولى إلى ما يحول في أذهان الناس من كيفية ظهور القائم مع تحقق هذه الدولة وطول بقائها، دون التفصيل فيما يحدث عقب زوالها.

مع أن الروايات الواردة في زمانهم وبعد تسلطهم وظلمهم لا تعكس أكثر من رؤية الناس الفرج بزوال دولة بني العباس القوية، ولذا عدت إحدى علامات الظهور هو اختلاف بني العباس وبعده ظهور السفيناني من دون التفات إلى الزمان الدقيق والحال القائمة بين العلامتين.

فقد روى النعماني بسند عن محمد بن الصامت عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما من علامة بين يدي هذا الأمر؟ فقال: «بلى»، قلت: ما هي؟ قال: «هلاك العباسي، وخروج السفيناني، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء، والصوت من السماء»^(١).

(١) الغيبة: ٢٦٢، البحر: ٥٢: ٢٣٥ ح ١٠٢ والسند فيه أحمد بن محمد بن سعيد عن القاسم

بن محمد عن عيسى بن هشام عن عبد الله بن جبلة عن أبيه عن محمد بن الصامت...

والروايات بهذا المعنى كثيرة قد تختلف في تقديم اختلاف بني العباس على ظهور السفيناني بالذكر وتأخيره، كما يمكن أن يكون المراد من العباسي في هذه الرواية هو حاكم مكان خاص وليس حاكماً عاماً للبلاد الإسلامية، إذا أريد المباشرة، وإن كان الأقوى إرادة الجنس، أي جنس الحاكم العباسي الذي هو كناية عن انقراض دولتهم على يد هولاء.

وأخيراً نذكر على أن هناك روايات كثيرة تعبّر ببني فلان والمظنون فيها إرادة بني العباس وهي مختلفة الدلالة فبعض دال على بقاء ملكهم حتى ظهور السفيناني، وبعض دال على عدم بقاءه غير أن بعضها يراد به غير بني العباس بحسب القرائن والشواهد، كما أن بعض الرواة يعبّر ببني فلان بدل اسم كان قد ذكره الإمام ظناً من الراوي أن الاسم المجهول صدر تقية حذراً من التصريح باسم بني العباس، بينما هو اسم لحكام يأتون بعد زوال ملك بني العباس.

فمن تلك الروايات التي يراد بها بنو العباس ما رواه الشيخان عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام وهي رواية الكليني والنعمانى عن جابر المارة إلا أن فيها: «إلزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك، وما أراك تدرك ذلك: اختلاف بني فلان...» وقرينة إرادة بني العباس هو ورود «بني العباس» بدل «بني فلان» في رواية الكليني والنعمانى.

ومن الروايات التي لا يراد بها بنو العباس ما رواه النعماني بسنده عن عباية بن ربيعي عن أمير المؤمنين عليه السلام وفيه: «إلا أخبركم بآخر ملك بني فلان؟ قلنا: بلى يا أمير المؤمنين قل: قتل نفس حرام في يوم حرام في بلد حرام عن قوم من قريش والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لهم ملك بعده غير خمسة عشر ليلة قلنا: هل قبل هذا من شيء أو بعده؟ فقال: صيحة في شهر رمضان تفزع السيقظان وتوقظ النائم، وتخرج الفتاة من

خدرها»^(١).

وإثبتنا أن ملك بني العباس لا يبقى إلى الصيحة، ولا يعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام يتحدث عن ملك بني العباس، وإنما يتحدث عن ملك بني أمية المبتلى به حينذاك، ولا يعقل سؤال أصحابه عما سواه، وكذا فإن السفيناني الذي من بني أمية يكون هو الحاكم عند الصيحة كما مر وبأني.

حتمية السفيناني :

الأخبار الواردة في حتمية السفيناني قد تصل حد التواتر منها ما رواه الشيخ بسند معتبر عن أبي نصر، عن عامر بن واثلة، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عشر قبل الساعة لا بد منها: السفيناني، والدجال و...»^(٢) والرواية معتبرة إلى أبي نصر فيبقى أبو نصر، وعامر بن واثلة، فالأخير لا بأس به ولكن أبا نصر مهمل.

وروى الحميري بسند معتبر عن ابن عيسى، عن ابن أسباط قال قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك إن ثعلبة بن ميمون حدثني عن علي بن المغيرة، عن زيد العمي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: يقوم قائمنا لموافاة الناس سنة، قال: «يقوم القائم بلا سفيناني؟! إن أمر القائم حتم من الله، وأمر السفيناني حتم من الله، ولا يكون قائم إلا بسفيناني»^(٣).

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٥٨، البحار ٥٢: ٢٣٤ ح ١٠٠ والسند فيه أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثني علي بن الحسن، عن علي بن مهزيار، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن عبدالرحمن بن سيابة عن عمران بن الهيثم عن عباية.. وفيه أن ابن الهيثم لم يمدح ولم يخدش ولم يوثق.

(٢) الغيبة: ٤٣٦ ح ٤٣٦.

(٣) قرب الإسناد: ٣٧٤، البحار ٥٢: ١٨٢.

مما يدل على تحريف الأخبار الواردة في علائم الظهور ووقته نتيجة لرغبة الناس في تعجيل الفرج ولذلك يسأل في آخر هذه الرواية فيقول، قلت: جعلت فداك فيكون في هذه السنة؟ قال عليه السلام: «ما شاء الله»، قلت: يكون في السني يليها؟ قال: «يفعل الله ما يشاء»، ونحن بدورنا اليوم نعلم الوجه في عدم جواب الإمام الصريح وفراره عن الجواب البات؛ لعلمه بطول المدة، كما نعلم الوجه في جعل السفيناني علامة على القائم، وذلك عندما يطلب الناس من الإمام القيام والتحرك وإلحاقهم على ذلك، يكون الجواب أن القيام إنما يكون بعد السفيناني وعلامات أخرى، ولا يكون قائم إلا بسفيناني.

وكذلك يتم بذلك تحديد هوية التحرك والقيام من قبَل شدّاذ بني هاشم وصرف أنظار العامة عنهم لعدم استيفاء العلائم، وعدم خروج السفيناني.

فقد روى الكليني عن حميد بن زياد، عن عبيد الله بن أحمد الدهقان، عن علي بن الحسن الطاطري، عن محمد بن زياد، عن أبان، عن صباح بن سيابة، عن المعلى بن خنيس قال: ذهبت بكتاب عبد السلام بن نعيم وسدير وكتب غير واحد إلى أبي عبد الله عليه السلام حين ظهر المسودة قبل أن يظهر ولد العباس بأن قد قدرنا أن يؤول هذا الأمر إليك، فما ترى؟ قال: «فضرب بالكتب الأرض، قال: أف أف ما أنا لهؤلاء بإمام، أما يعلمون أنه إنما يقتل السفيناني»^(١).

فقد دلت على مدى إلحاح الشيعة وإصرارهم على استلام السلطة، كما دلت على حتمية السفيناني وأنه لا بد منه مهما توفرت الشرائط

(١) الكافي ٨: ٣٣١ ح ٥٠٩، الوسائل ١٥: ٥٣ ح ١٩٩٧١ وقال السيد الخوئي في معجم رجال الحديث ٩: ٣٩ الرواية ضعيفة ولا أقل من جهة صباح بن سيابة.

للحكيم بحيث صار علم الشيعة به من روايات النبي صلى الله عليه وآله وغيره أكبر ذريعة لصرفهم عن التحرك وعن مطالبة الإمام بذلك.

ويبدل على المطلب الثاني - أعني صرف الشيعة عن التحرك قبل السفيناني - ما رواه الكليني أيضاً بسند معتبر عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن الفضل الكاتب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأتاه كتاب أبي مسلم، فقال: «ليس لكتابك جواب، أخرج عنا» فجعلنا يساراً بعضنا بعضاً، فقال: «أي شيء تسارون يا فضل، إن الله عزوجل ذكره لا يعجل لعجلة العباد، وإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقض أجله» ثم قال: «إن فلان بن فلان حتى بلغ السابع من ولد فلان» قلت: فما العلامة فيما بيننا وبينك جعلت فداك؟ قال: «لا تبرح الأرض يا فضل حتى يخرج السفيناني، فإذا خرج السفيناني فأجيبوا إلينا - يقولها ثلاثاً - وهو من المحتوم»^(١).

ومهما يكن من ذلك فإن الروايات الدالة على حتمية السفيناني كثيرة جداً نذكر طائفة منها.

١- روى الصدوق عن محمد بن الحسن، عن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان بن يحيى، عن عيسى بن أعين، عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن أمر السفيناني من الأمر المحتوم، وخروجه في رجب»^(٢).

وروى أيضاً عن محمد بن موسى بن المتوكل، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن أبي

(١) الكافي ٨: ٢٧٤ ح ٤١٢.

(٢) كمال الدين: ٦٥٠ ح ٥، وص ٦٥٢ ح ١٥ الكلام فقط في الحسن بن أبان

ولكن وثقه الشهيد والتفريحي، انظر منتهى المقال ٢: ٣٥٤.

حمزة الشمالى قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام إن أبى جعفر عليه السلام كان يقول: «إن خروج السفيايى من الأمر المحتوم» قال: «نعم»^(١). والسند معتبر.

وروى النعمانى عن على بن أحمد البندىجى عن عبيد الله بن موسى العلوى، عن يعقوب بن يزيد، عن زياد بن مروان، عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله عليه السلام. أنه قال: «النساء من المحتوم، والسفيايى من المحتوم، واليمانى من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وكف يطلع من السماء من المحتوم...»^(٢).

وروى أيضاً عن أحمد بن محمد بن سعيد، عن على بن الحسن، عن يعقوب بن يزيد، عن زياد القنلى، عن غير واحد من أصحابه، عن أبى عبد الله عليه السلام، أنه قال: قلنا له: السفيايى من المحتوم؟ فقال: «نعم وقتل النفس الزكية من المحتوم، والقائم من المحتوم...»^(٣).

وروى أيضاً بسنده عن عيسى بن أعين عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: «السفيايى من المحتوم وخروجه فى رجب...»^(٤).

وروى بسنده عن معلى بن خنيس قال: سمعت أبى عبد الله عليه السلام يقول: «من الأمر محتوم، ومنه ما ليس بمحتوم، ومن المحتوم خروج السفيايى فى

(١) كمال الدين: ٦٥٢ ح ١٤، البحار: ٥٢: ٢٠٦ ح ٤٠.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥٢ ح ١١، البحار: ٥٢: ٢٢٢ ح ٩٨ الكلام فقط فى البندىجى فقال عنه ابن الغضائرى ضعيف متهافت لا يلتفت إليه، كما نقله التفرشى فى نقد الرجال (٢: ٢٢٩).

(٣) كتاب الغيبة: ٢٥٧ ح ١٥ والرواية مرسلة.

(٤) الغيبة: ٣٠٠ والسند فيه أحمد بن محمد بن سعيد عن محمد بن المفضل بن إبراهيم بن قيس بن رمانة عن الحسن بن على بن فضال عن ثعلبة بن ميمون أبى إسحاق، عن عيسى بن أعين والسند فيه معتبر.

رجب^(١).

وروى بسنده عن خلاد الصائغ عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قل: «السفياني لا بد منه ولا يخرج إلا في رجب^(٢)».

وروى بسنده عن علي بن أبي حمزة قل: زاملت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام بين مكة والمدينة فقال لي يوماً: «يا علي لو أن أهل السماوات والأرض خرجوا على بني العباس لسقيت الأرض بدمائهم حتى يخرج السفياني»، قلت له: يا سيدي أمره من المحتوم؟ قل: «نعم»^(٣).

وروى الشيخ الطوسي عن أحمد بن إدريس، عن علي بن محمد بن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي قل قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: «خروج السفياني من المحتوم، والفساء من المحتوم، والنداء من المحتوم، وطلوع الشمس من المغرب من المحتوم، وأشياء كان يقولها من المحتوم» فقال أبو عبد الله عليه السلام: «واختلاف بني فلان من المحتوم...»^(٤)، والسند معتبر إذا ثبتت رواية ابن محبوب عن أبي حمزة.

وروى الشيخ عن الفضل، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن

(١) الغيبة: ٣٠٠ ح ٢ والسند فيه أحمد بن محمد بن سعيد عن القاسم بن محمد بن الحسن بن حازم عن عبيس بن هشام عن محمد بن بشر الأحول عن عبدالله بن جبلة عن عيسى بن أعين عن معلى بن خنيس، والرواية ضعيفة بجهالة القاسم بن محمد.

(٢) الغيبة: ٣٠٢ ح ٧ والسند فيه محمد بن همام عن جعفر بن محمد بن مالك عن عباد بن يعقوب عن خلاد الصائغ.

(٣) الغيبة: ٣٠٢ ح ٩ والسند فيه غير معتبر بعلي بن أبي حمزة.

(٤) الغيبة: ٤٣٥ ح ٤٢٥.

محمد بن مسلم قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن السفيناني يملك بعد ظهوره على الكور الخمس حمل امرأة ثم قال عليه السلام: أستغفر الله حمل حمل، وهو من الأمر المحتوم الذي لا بد منه»^(١)، والسند معتبر.

وروى النعماني، عن ابن عقدة، عن علي بن الحسن، عن عباس بن عامر، عن عبد الله بن بكير، عن زرارة بن أعين، عن عبد الملك بن أعين قل: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فجرى ذكر القائم عليه السلام فقلت له: أرجو أن يكون عاجلاً، ولا يكون سفيناني، فقل: «لا والله إنه لمن المحتوم الذي لا بد منه»^(٢).

ويبقى الكلام في المحتوم وهل هو قابل للتغيير، وهل فيه المشيئة مع العلم بأننا نعتقد بالبداء، وهل يبدو لله في المحتوم، أو لا يبدو كالوعيد؛ فإن الله سبحانه لا يخلف الميعاد؟؟

الظاهر من كلمة المحتوم عدم حصول البداء فيه ولا فيه المشيئة، وإلا لما كان بين المحتوم والموقوف فرق أبداً.

ومع ذلك فقد روى النعماني، عن محمد بن همام، عن محمد بن أحمد بن عبد الله الخالنجي، عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، قل: كنا عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام فجرى ذكر السفيناني وما جاء في الرواية من أن أمره من المحتوم فقلت لأبي جعفر عليه السلام: هل يبدو لله في المحتوم؟ قال: «نعم» قلنا له: فنخاف أن يبدو لله في القائم، فقال: «إن القائم من الميعاد، والله لا يخلف الميعاد»^(٣).

(١) الغيبة: ٤٤٩ ح ٤٥٢، البحار ٥٢: ٢١٥ ح ٧٢.

(٢) الغيبة: ٣٠١، البحار ٥٢: ٢٢٩ ح ١٣٢ الكلام فقط في (عبد الملك بن أعين)

لم يوثق ويحكم بقبول الرواية بناءً على كون الرواي عنه زرارة وهو من أصحاب الایجام الذين أجمعت العصاة على تصحيح ما يصح عنه. مضافاً إلى ان الإمام قد ترجم عليه فالرجل ممدوح في الجملة.

(٣) الغيبة: ٣٠٣.

ولو صحّت هذه الرواية فلا تعارضها الروايات السابقة الدالة على أنه من المحتوم، بل تكون هي الحاكمة عليها والمفسرة لها، ومعه يشكل تصور معنى المحتوم، بل ويكون بمعنى غير المحتوم، ولكن الرواية في طريقها محمد بن أحمد بن عبد الله أحدهم البصري الملقب بالفجع وهو ممدوح، والآخر محمد بن أحمد بن عبد الله بن قضاة بن صفوان بن مهران الجمال ويعرف بالصفواني وهو ثقة، والثالث ابن مهران بن خابنة الكرخي ثقة أيضاً، ورابع يلقب بالرازي وهو مهمل، وخامس يلقب بالكاتب أيضاً مهمل، وليس للقب الخالنجي عين ولا أثر، فلا يمكن الاعتماد عليها في مقابل المعنى اللغوي للمحتوم ومسلمية صدق الأئمة في إخبارهم، ومع كل ذلك التأكيد وأنه لا بد منه أو المحتوم الذي لا بد منه.

ولو قطعنا النظر عن سندها فهي معارضة برواية أخرى

رواها النعماني عن ابن عقلة، عن علي بن الحسين، عن محمد بن خالد الأصم، عن عبد الله بن بكير، عن ثعلبة بن ميمون، عن زرارة، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّىٰ عِنْدَهُ﴾ قل: «إنهما أجلان: أجل محتوم، وأجل موقوف، قال له حمران: ما المحتوم؟ قل: الذي لا يكون غيره، قل: وما الموقوف؟ قل: هو الذي لله فيه المشيئة» قال حمران: «إني لأرجو أن يكون أجل السفيناني من الموقوف، فقال أبو جعفر عليه السلام: «لا والله إنه لمن المحتوم»^(١).

فإن ظاهر هذه الرواية أن أمر السفيناني من المحتوم الذي ليس لله فيه المشيئة وهو كالميعاد.

وهذه الرواية كمعارضتها ضعيفة السند فتساقطان وتبقى الروايات

(١) الغيبة: ٣٠١، البحار ٥٢: ٢٤٩ ح ١٣٣، والآية ٢ من سورة الأنعام.

المستفيضة الدالة على حتمية أمر السفيناني - وفيها المعتبرة - خاضعة للمعنى اللغوي من الحتمية واللابدية، ولا يبقى أي مجال للتشكيك في السفيناني وأن أمره من المحتوم بعد تواتر الروايات الواردة في خروجه وحتميته وزمانه ومدته ومكانه وتحركاته والخسف بحيشه وقتله وغيرها مما ينقله كتب جميع الفرق الإسلامية، بل مجيء الإشارة إليه في القرآن في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾^(١) كما سيأتي.

السفيناني واحد أو اثنان:

قد يستفاد من بعض الأخبار أن السفيناني شخصان.

فقد روى ابن حماد عن أرطاة أنه قال: «إذا اجتمع الترك والروم، وخسف بقرية بدمشق، وسقط طائفة من غربي مسجدها رفع بالشام ثلاث رايات: الأبقع والأصهب والسفيناني، ويحصر بدمشق رجل فيقتل ومن معه، ويخرج رجلاً من بني أبي سفيان فيكون الظفر للثاني»^(٢).

وهي لا تدل على حكومة اثنين من بني أبي سفيان، وإنما دلت على خروجهما وإنما يكون الحكم والظفر لواحد.

وروى السيد ابن طاووس عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في خطبة يذكر فيها الفتن: «أولها السفيناني وآخرها السفيناني» ف قيل له: وما السفيناني والسفيناني؟ فقل: «السفيناني صاحب هجر والسفيناني صاحب الشام»^(٣).

وهذا لا يدل على أن السفينانيين يكونان في آخر الزمان ويحتمل إرادة

(١) سورة ق: ٤٢.

(٢) كتاب الفتن: ٧٦، معجم أحاديث الإمام المهدي ١: ٣٢٩.

(٣) الملاحم والفتن: ١٣٦.

٢٣٠ العد التنازلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

معاوية من السفيناني الأول فهو أول الفتن ويكون السفيناني الثاني هو السفيناني المعروف حيث إنه آخر الفتن، لأن هجر هي قرية قريبة من المدينة^(١).

وروي في بيان الأئمة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث: «اتق السفيناني» قيل: السفيناني سفينانيان بأيهما تنظر؟ قال: «السفيناني الذي يأتي من الشام»^(٢).

ومنه يعلم أن السفيناني الآخر يأتي من غير الشام كالحجاز.

والذي يهون الخطب أن هذه الروايات ضعيفة السند جداً لا يمكن التعويل عليها، وضعيفة الدلالة كما بينا فلا يثبت وجود سفينانيين يحكمان وإن كان ممكناً على كل حال.

علامات خروج السفيناني:

١ - اختلاف بني فلان

فقد روى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا اختلفوا طمع الناس وتفرقت الكلمة وخرج السفيناني»^(٣).

ويروي النعماني بسند عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أنه قل في حديث: «إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم، فعند ذلك فانتظروا الفرج، وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان، فإذا اختلفوا فتوقعوا الصيحة في شهر رمضان

(١) معجم البلدان ٥: ٣٩٣.

(٢) بيان الأئمة ١: ٢٥٠.

(٣) الكافي ٨: ٢٠٩ ح ٢٥٤.

وخروج القائم ~~الفلان~~، إن الله يفعل ما يشاء، ولن يخرج القائم ولا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا كان كذلك طمع الناس فيهم واختلفت الكلمة، وخرج السفياي.

وقال: «لابد لبني فلان من أن يملكوا، فإن ملكوا ثم اختلفوا تفرق ملكهم وتشتت أمرهم حتى يخرج عليهم الخراساني والسفياي، هذا من المشرق، وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان، هذا من هنا وهذا من هنا حتى يكون هلاك بني فلان على أيديهما، أما إنهم لا يبقون منهم أحداً، ثم قل: خروج السفياي واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً، فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناوهم، وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني...»^(١).

من هم بنو فلان؟

ظاهر الأمر هم بنو العباس لأن أبا جعفر ~~الفلان~~ أدرك الدولة الأموية والعباسية وظاهر قوله «لابد لبني فلان» أن يملكوا، إرادة بني العباس، فيكون هذا القول منه في زمان بني أمية. ويكون الوجه في قوله «بني فلان» بدل «بني العباس» هو التقية من بني أمية، أو غيره الرواة تقية من بني العباس.

كما يحتمل إرادة غير بني العباس وتبديله إلى بني فلان من قبل الرواة لعدم معرفتهم بهم أو تصورهم إرادة بني العباس وأن تغيير الاسم وقع تقية فتكون يدهم مفتوحة في تبديلها بكلمة فلان، وقد تقدم الكلام في بعض ذلك.

ومهما يكن من ذلك فالرواية لا تدلّ على المباشرة، ولكن هو أول

(١) الغيبة: ٢٥٣ - ٢٥٦ ح ١٣، والرواية ضعيفة بالحسن بن علي بن أبي حمزة.

العلائم الملموسة لمن كان في فترة الإمام الباقر عليه السلام حيث إنه لا يفكر في شيء سوى حكومة بني العباس وانتهاء حكمهم ليتسنى للإمام المهدي عليه السلام الظهور وبسط العدل، كما يحتمل قوياً أن يكون عدم المباشرة والتأخير داخل في البداء لعدم تعيين الزمان ورفضهم التوقيت، كما يستفاد ذلك من بعض الأخبار.

ويدل على إرادة بني العباس ما رواه النعماني أيضاً بسند عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام أنه سمعه يقول: «لا بد أن يملك بنو العباس، فإذا ملكوا واختلفوا وتشتت أمرهم خرج عليهم الخراساني والسفياي هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان، هذا من ههنا، وهذا من ههنا حتى يكون هلاكهم على أيديهما، أما إنهما لا يبقون منهم أحداً أبداً»^(١).

فالرواية لما تطابقت بالألفاظ مع الرواية السابقة دلت على أن المراد ببني فلان هم بنو العباس، ولكن لو صحّت هذه الرواية لدلت على بقاء حكم بني العباس إلى ظهور السفياي أو تجده؛ لأن ظاهر قوله «خرج عليهم» إرادة بني العباس لعدم مرجع للضمير غيرهم، ولكن لا التحق ذلك واحتمل إرادته عليه السلام ناساً آخرين من ضمير عليهم، خصوصاً وأن الرواية السابقة دلت على عدم المباشرة وقد تقدم منّا استبعاد بقاء ملك بني العباس إلى ذلك الحين أو تجده.

ويهون الخطب ضعف الروايات واضطرابها.

(١) الغيبة: ٢٥٩ والسند فيه أحمد بن محمد بن سعيد عن أبي عبدالله يحيى بن زكريا ابن شيبان عن أبي سليمان يوسف بن كليب عن الحسن بن علي بن حمزة عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي والرواية ضعيفة بالحسن بن علي بن أبي حمزة.

٢ - خروج اليماني

وهو من العلامات على خروج السفيناني، بدليل ما رواه النعماني بسند عن محمد بن سنان عن عبيد بن زرارة قل: ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام السفيناني فقال: «أنى يخرج ذلك ولما يخرج كاسر عينيه بصنعاء»^(١).

ولكن هذه العلامة هي من العلامات الأخيرة والقرية جداً لما دل على أن خروج السفيناني واليماني والخراساني في سنة واحدة.

ولكن يشكل أن هذه الروايات دلت على خروجهم في شهر واحد وفي يوم واحد، وقد ذكرنا سابقاً إرادة تزامن حركاتهم العسكرية دون يوم الخروج، فإن تزامنه من المستبعد وتنفيه الرواية السابقة.

٣ - إقبال الترك والروم

فقد روى الشيخ الطوسي بسند عن عمار بن ياسر أنه قال في حديث: «فيذا استشارت عليكم الروم والترك وجهزت الجيوش، وماتت خليفتمكم الذي يجمع الأموال... ويتخالف الترك والروم وتكثر الحروب في الأرض ويناهي منا من سور دمشق: ويل لأهل الأرض من شر قد اقترب، ويخسف بغربي مسجدها حتى يخر حائطها، ويظهر ثلاثة نفر بالشام كلهم يطلب الملك رجل أبقع، ورجل أصهب، ورجل من أهل بيت أبي سفیان...»^(٢)، مهما

(١) الغيبة: ٢٧٧، والسند فيه علي بن الحسين عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن حسان الرازي عن محمد بن علي الكوفي عن محمد بن سنان عن عبيد بن زرارة قال.. وفيه محمد بن حسان الرازي لم يوثق وضعفه لم يثبت (معجم رجال الخوئي ١٦: ٢٠٣)، ووثقه الوحيد في تعليقه.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٦٨.

فسرت كلمة استشارت فهي تعني إقبال الترك والروم بنفسها أو بعمالها وحلفائها.

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود: «إذا ظهر الترك والخزر بالجزيرة وأذربايجان، والروم بالعمق وأطرافها قاتل الروم رجل من قيس من أهل قنسرين والسفياي بالعراق يقاتل أهل المشرق»^(١)، والجزيرة هي ما بين فرات ودجلة، أو هي الجزيرة العربية.

وروي النعماني عن أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد، عن محمد بن المفضل وسعدان بن إسحاق بن سعيد، وأحمد بن الحسين بن عبد الملك، ومحمد بن أحمد بن الحسن جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدم عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في حديث: «وسيقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة، وسيقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة، فتلك السنة يا جابر فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض تخرب أرض الشام ثم يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياي فيلتي السفياي بالأبقع فيقتتلون، فيقتله السفياي ومن تبعه، ثم يقتل الأصهب، ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق...»^(٢).

ولا يشكل في سندها سوى عمرو بن أبي المقدم ففيه خلاف، في اسمه وفي وثاقته وقد اختار البعض وثاقته^(٣)، وكذا جابر بن يزيد الجعفي فالأرجح وثاقته، وبهذا تكون الرواية كافية في المقام، وهي طويلة مفصلة يروها الشيخ الكليني بثلاث طرق عن الحسن بن محبوب بعضها معتبر^(٤).

(١) ابن حماد: ٥٩.

(٢) الغيبة: ٢٧٩.

(٣) انظر معجم رجال الحديث ١٣: ٧٤، ومنتهى المقال ٥: ٩٨/٢١٤٦.

(٤) انظر طرق سند الرواية في الغيبة: ٢٧٩، والبحار ٥٢: ٢٣٧.

ورواها الشيخ المفيد عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر الجعفي^(١).

ورواها الشيخ عن الفضل بن الحسن بن محبوب عن عمرو بن أبي المقدام عن جابر^(٢).

ثم ما المقصود بإخوان الترك؟

فالترك جيل معروف بلادهم تحدها بلاد الروم من الغرب والجنوب والرس - أي الروس - من الشمال، والصين وتبت من الشرق، وبلاد الهند وفارس والعراق من الجنوب، وهم يسكنون ويتمركزون في منطقة الخزر.

وقد تطلق على التتر والمغول الذين غزوا العراق.

وأما اسم الجزيرة فهو يطلق على الأرض التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر ومن أمهات مدنها حران والرها والرقعة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك، فهي تعني شمال العراق وغربه.

ويرى البعض أن الجزيرة هي جزيرة العرب سميت جزيرة لأن دجلة والفرات وبحر فارس وبحر الحبش قد أحاطت بها.

وأما كلمة إخوان فهي مجملة، ومن هم إخوان الترك؟ هل هم حلفائهم كأمریکا، أو الروس المجاورين لهم، أو آخرون لا نعلمهم، أو المقصود هم التتر والمغول الذين غزوا إيران والعراق برمتهم، ولكن تخصيصه بالجزيرة يدل على تمركزهم فيها لدواعي اقتصادية أو غيرها كالبترول.

خصوصاً مع مقارنته بنزول مارقة الروم الرميطة أو الرملة الموقع الآخر للنفط في العراق.

(١) الاختصاص: ٢٥٦.

(٢) الغيبة: ٤٤٢ ح ٤٣٤، وانظر البحار ٥٢: ٢٢٢ ح ٨٧.

فالمارق هو الخارج في غير منخله يراد بهم من خرج من الروم من غير منخلهم إذا كان دخولهم من الشرق أي الشام وغيرها فيكون المراد خروجهم من الغرب وسكونتهم الأطراف كعامة الدول الأوروبية وحتى الأمريكية، فكلهم مارقة الروم.

فالمحتمل أن المراد بالترك هم المغول بقريئة ما رواه الشيخ بسند عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «تاركوا الترك ما تركوكم؛ فإن أول من يسلب أمتي ملكها وما خولها الله لبنو قنطور بن كركر وهم الترك»^(١)، فإنهم بلغوا أطراف الشام.

كما أن المحتمل إرادة حلفاء الترك كما بينا بقريئة ما رواه الشيخ بسند عن عمار بن ياسر قال: «إن دولة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان ولها أمارات، فإذا رأيتهم فالزموا الأرض وكفوا حتى تجيء أماراتها، فإذا استشارت عليكم الروم والترك، وجهزت الجيوش وملت خليفتمك الذي يجمع الأموال، واستخلف بعله رجل صحيح، فيخلع بعد سنين من بيعته، ويأتي هلاك ملكهم من حيث بدأ، ويتخالف الترك والروم، وتكثر الحروب فإذا دخلوا فتلك أمارة السفيناني، ويخرج من قبل ذلك من يدعو لآل محمد عليهم السلام»^(٢).

فهي تدل على دخول الروم والترك معاً وتجهيز الجيوش كالذي حدث أخيراً في العراق، فليس هو جيش واحد كجيش هولاكو.

والأقوى من ذينك الاحتمالين إرادة الدولة العثمانية وتسلطهم على كل جزيرة العرب بقريئة كلمة إخوان التي قد تعني أنهم مسلمون، وحروبهم مع الروم.

وأقوى من الجميع إرادة نزول ترك تركيا فيما بعد بقريئة ما جاء في

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ٦، الوسائل ١٥: ٥٧ ح ١٩٩٨٢.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٦٣ ح ٢٧٩.

آخر الرواية السابقة: فإن فيها بعد قوله فتلك أمانة السفيناني قل: ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد ﷺ وتنزل الترك الحيرة؛، وتنزل الروم فلسطين ويسبق عبد الله عبد الله.

فهي تدل على أن نزول الترك الحيرة عند خروج من يدعو لآل محمد ﷺ وفي زمان نزول الروم فلسطين.

٤ - خروج أهل الغرب إلى مصر

فقد روى الطوسي بسنده عن عمار بن ياسر قل: «يظهر ثلاثة نفر بالشام كلهم يطلب الملك: رجل أبقع، ورجل أصهب، ورجل من أهل بيت أبي سفينان يخرج في كلب ويحضر الناس بدمشق، ويخرج أهل الغرب إلى مصر، فإذا دخلوا فتلك أمانة السفيناني»^(١).

٥ - حكومة الظلمة

فقد ورد عن الإمام الباقر ﷺ: «لا يخرج السفيناني حتى يرقى الظلمة»^(٢).

٦ - اختلاف رحمان بالشام

٧ - رجفة بالشام

٨ - اقبال الرايات الصفر إلى الشام

فقد روى النعماني بسند عن الباقر ﷺ أنه قال قال أمير المؤمنين ﷺ: «إذا اختلف الرحمان بالشام لم تنجل إلا عن آية من آيات الله، قيل: وما

(١) الغيبة: ٤٦٣ ح ٤٧٩، البحار ٥٢: ٢٠٨ ح ٤٥.

(٢) الملاحم والفتن: ٧٧، كتاب الفتن لابن حماد: ٩١ عن يحيى بن اليمان، عن هارون بن هلال عن أبي جعفر ﷺ.

هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون بالشام يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين، فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب المخدوفة والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحمل بالشام وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر، فإذا كان ذلك فانظروا إلى خسف قرية من قرى دمشق يقال لها حرستا، فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق، فإذا كان ذلك فانظروا خروج المهدي عليه السلام (١)، ورواه الشيخ بسندين عن الباقر عليه السلام (٢).

فقوله: «لم تنجل» يشعر بطول اختلاف الرمحين الذي يعني الحرب والطعن والمناوشات دون الحرب الرسمية، فهي تشبه النزاع الدائر بين اليهود والعرب، لا ينجلي إلا عن هلاك جمع كبير من اليهود يضطرمهم للهجرة وترك الأرض. والرجفة قد تعني انفجار هائل أو انفجارات متوالية.

والمغرب كما قلنا هو مغرب الأرض وإن كان يطلق على الشام ومصر والمغرب العربي في زمان صدور الخبر.

٩ - خروج رجل من أهل السفح

فقد روى السيد ابن طاووس في كتاب اليقين بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن أنس بن مالك، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال في كلام الحباب الراهب: «ستبني على جنب مسجلك هذا - مسجد برانا - مدينة وتكثر

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٥ وفي طريقه المغيرة بن سعيد وهو ضعيف وأيضاً إسماعيل بن

عياش ومهاجر بن حكيم وكتب الرجال خالية منهما.

(٢) الغيبة: ٤٦١ ح ٤٧٦ وفيهما إسماعيل بن عياش ومهاجر بن حكيم لم يتعرض

لهما الرجاليون في كتبهم.

الجبابة فيها ويعظم البلاء حتى أنه ليركب فيها كل ليلة جمعة سبعون ألف فرج حرام، فإذا عظم بلاؤهم شدوا على مسجدك بفضوة... فإذا فعلوا ذلك منعوا الحج ثلاث سنين واحترقت خضرهم وسلط الله عليهم رجل من أهل السفح لا يدخل بلداً إلا أهلكه وأهلك أهله، ثم ليعد عليهم مرة أخرى، ثم يأخذهم القحط والغلاء ثلاث سنين حتى يبلغ بهم الجهد ثم يعود عليهم.

ثم يدخل البصرة فلا يدع فيها قائمة إلا سخطها وأهلكها وأسخط أهلها وذلك إذا عمرت الخربة وبني فيها مسجد جامع، فعند ذلك يكون هلاك البصرة، ثم يدخل مدينة بناها الحجاج يقال لها واسط فيفعل مثل ذلك، ثم يتوجه نحو بغداد فيدخلها عفواً، ثم يلتجئ الناس إلى الكوفة، ولا يكون بلد من الكوفة تشوش الأمر له، ثم يخرج هو والذي أدخله بغداد نحو قبري لينبشه فيتلقاهما السفيناني فيهزمهما ثم يقتلها ويوجه جيشاً إلى الكوفة...^(١)

أما السفح فهو الموضع القريب من الجبل الذي يسفح فيه الماء، فيكون مما يقرب من شمال العراق فيكون أهل شمال العراق هم أهل الجبل، بينما المدن القريبة منه هم أهل السفح.

وبدل هذا الحديث على تسلطه على العراق ثلاث مرات يكون خراب البصرة على يديه في المرة الثالثة.

١٠ - الانتخابات في بغداد

فقد روى السيد ابن طاووس، عن محمد بن عبد الله، عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال في حديث: «ويعود دار الملك إلى الزوراء وتصير الأمور شورى، من غلب على شيء فعله، فعند ذلك خروج السفيناني...»^(٢).

كما يمكن أن تكون هي الشورى المشار إليها فيما روي عن النبي ﷺ

(١) اليقين: ٤٢٣، البحار ٥٢: ٢١٩.

(٢) الملاحم والفتن: ١٤٤ ب ٥٤.

٢٤٠ العد التنازلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

أنه قال: «الويل الويل لأمتي من الشورى الكبرى والشورى الصغرى»، فسل عنهما، فقال: «أما الشورى الكبرى فتتعد في بلدتي بعد وفاتي لغصب خلافة أخي، وغصب حق ابنتي، وأما الشورى الصغرى فتتعد في الغيبة الكبرى في الزوراء لتغيير سنتي وتبديل أحكامي»^(١).

غير أنها ضعيفة السند جداً، ضعيفة المتن ولا يشبه شيئاً من كلام الرسول صلى الله عليه وآله إلا أن تكون نقلاً بالمعنى متأخر.

١١ - سقوط طائفة من مسجد دمشق

فقد روى ابن حماد عن أرطاة: إذا اجتمع الترك والروم، وخسف بقرية بدمشق، وسقط طائفة من غربي مسجدنا رفع بالشام ثلاث آيات: الأبقع والأصهب والسفياني^(٢).

ومثله عن عمار بن ياسر^(٣).

١٢ - ظهور الأبقع

فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إذا ظهر الأبقع مع قوم ذوي أجسام فتكون بينهم ملحمة عظيمة، ثم يظهر الأخوص السفياني الملعون فيقاتلها جميعاً فيظهر عليهما»^(٤).

١٣ - خروج رجل عباسي في الشام

فقد ورد: «تختلف ثلاث آيات: آية بالمغرب ويل لمصر وما يحل بها

(١) بيان الأئمة ١: ٢٩٥، نقلاً عن مناقب العترة لابن فهد الحلبي.

(٢) كتاب الفتن لابن حماد: ٧٦، معجم أحاديث الإمام المهدي ١: ٢٣٩.

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٦٨، كتاب الفتن لابن حماد: ٩٢.

(٤) كتاب الفتن لابن حماد: ٧٨ عن سعيد أبي عثمان، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام،

معجم أحاديث الإمام المهدي ٣: ٢٧٦.

منهم، وراية بالجزيرة، وراية بالشام تدوم الفتنة بينهم سنة، ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام، حتى يكون منهم مسيرة ليلتين، فيقول أهل المغرب: قد جاءكم قوم حفاة أصحاب أهواء مختلفة، فتضطرب الشام وفلسطين فتجتمع رؤساء الشام وفلسطين فيقولون اطلبوا ملك الأول^(١) يعني السفيناني كما يظهر من تتمتها^(٢).

١٤ - فتنة بين أهل المشرق والمغرب

فقد روى حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قل: «فبينا هم كذلك يخرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس»^(٣). غير أن الرواية ضعيفة السند، والفتنة تأتي بمعنى الاضطراب ولبلة الأفكار فيشبهه أن يكون المراد به ما يعبر عنه بالحرب الباردة أو التهديدات، وكما تأتي أيضاً بمعنى قيام جماعة لقلب النظام القائم، والأول أقرب. وأما أهل المشرق والمغرب فيحسب ظاهر اللفظ إرادة أهل مشرق الأرض وأهل مغرب الأرض وإن كان هذا المعنى في زمان صدور الخبر ينصرف إلى أهل خراسان وأهل الشام والكل محتمل.

١٥ - وقعة قرقيسية

فقد روى النعماني بسند ضعيف عن أبي جعفر عليه السلام: «إن لولد العباس والمرواني لوقعة بقرقيسية يشيب فيها الغلام الحزور، ويرفع الله عنهم النصر، ويوحى إلى طير السماء وسباع الأرض: اشبعي من لحوم الجبارين، ثم يخرج السفيناني»^(٣).

وقرقيسية بلد على الخابور عند مصبه، وهي على الفرات، جانب

(١) عقد الدرر: ٩٠، الزام الناصب ٢: ١٧٨، معجم أحاديث المهدي ٣: ٩١.

(٢) البحار ٥٢: ١٨٦.

(٣) الغيبة: ٣٠٣ ح ١٢، والحزور الغلام القوي الذي كاد أن يدرك.

منها على الخابور وجانب على الفرات فوق رحبة مالك بن طوف.

ويقابل هذه الرواية الروايات الدالة على أنّ معركة قرقيسياء هي معركة السفيناني نفسه مع الترك أو الروم أو مع العباسيين على اختلافها كما سيأتي، ولكن الأصح أنها معركة متعددة الأطراف يشارك فيها أكثر من فئتين فواحدة هي فئة ولد العباس وأخرى فئة المرواني وثالثة فئة السفيناني وغيرها كما سيأتي.

١٦ - خروج الشيصباني

فقد روى النعماني بسند ضعيف عن جابر الجعفي قل: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن السفيناني فقل: «وأنى لكم بالسفيناني حتى يخرج قبله الشيصباني يخرج من أرض كوفان ينبع كما ينبع الماء فيقتل وفدكم فترجعوا بعد ذلك السفيناني وخروج القائم»^(١).

وهي ضعيفة السند لا شتمالها على المجاهيل وحتى الضعفاء.

١٧ - خروج شعيب بن صالح

فقد روى الشيخ الطوسي عن حنم بن بشير قال قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: صف لي خروج المهدي وعرفني دلالة وعلاماته؟ فقال: «يكون قبل خروجه رجل يقال له عوف السلمي بأرض الجزيرة ويكون مأواه تكريت وقتله بمسجد دمشق ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند، ثم يخرج السفيناني الملعون من الوادي اليابس وهو من ولد عتبة بن أبي سفيان...»^(٢).

وتأخر خروج السفيناني عن شعيب بن صالح بقرينة كلمة «ثم» الدالة على التعقيب.

(١) الغيبة: ٣٠٢ ح ٨.

(٢) الغيبة: ٤٤٣ ح ٤٣٧، البحار: ٥٢: ٢١٣ ح ٦٥.

١٨ - خراب الشام

فقد ورد:

«سقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة وسقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة فتلك السنة يا جابر فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب فأول أرض تخرب أرض الشام ثم يختلفون عند ذلك على ثلاثة رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفيناني...»^(١).

وفي رواية أخرى يرويها العلامة الحلبي جاء فيها: «واختلاف كثير عند ذلك في كل أرض حتى يخرب الشام ويكون سبب خرابها اجتماع ثلاث رايات فيها: راية الأصهب وراية الأبقع وراية السفيناني»^(٢)، وهي تنافي الرواية الأولى؛ لأنها جعلت سبب الخراب اجتماع الرايات الثلاث التي منها راية السفيناني، بينما جعلت الأولى الخراب علامة على اختلاف الرايات، وهذه الرواية الثانية أكثر معقولة؛ لأن الاختلاف عادة هو سبب الخراب.

١٩ - إقبال أصحاب البراذين إلى الشام

جاء في خبر رواه النعماني بسند عن المغيرة بن سعيد عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: بعد ذكر اختلاف أهل الشام وحصول الرجفة: «فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب المذوفة والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر، فإذا كان

(١) الغيبة للنعماني: ٢٨٠ ح ٦٧ والسند فيه معتبر عن أحمد بن محمد بن سعيد عن محمد بن الفضل وسعدان بن إسحاق بن سعيد وأحمد بن الحسين بن عبد الملك ومحمد بن أحمد بن الحسن جميعاً عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن أبي المقدام عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام.

(٢) المستجد من الإرشاد: ٢٥٩، عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن أبي المقدام عن جابر....

ذلك فانظروا خسف قرية من قرى دمشق يقال لها حرستا، فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق^(١).

وأما البراذين المحذوفة، فهي البغال المقطوعة الأذان والذنب فالمقصود به كل دابة أو آلة تعمل عملها.

وتقييدها بكونها جميعها صفرأً بصرفها عن البغال المعروفة ويقرب كونها مصنوعة مصبوغة.

٢٠ - خروج المصري

فقد روى الشيخ الطوسي، عن الفضل، عن ابن أبي نجران، عن محمد بن سنان، عن الحسين بن المختار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قل: يخرج قبل السفيناني مصري ويماني^(٢).

ولكن في سندها ضعف من ناحية ابن سنان ففيه كلام وثقه الشيخ المفيد وضعفه الآخرون، يبدو أن ضعفه من ناحية التخليط ورواية ما فيه من غلو، وهذا ما لا يضر في بحثنا.

قصة خروج السفيناني:

روى في عقد الدرر مرسلأً عن أمير المؤمنين عليه السلام رواية مفصلة في قصة خروج السفيناني جاء فيها: تختلف ثلاث رايات راية بالمغرب وبل لمصر وما يحل بها منهم، وراية بالجزيرة، وراية بالشام، تدوم الفتنة بينهم سنة، ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام، حتى تكون منهم مسيرة

(١) الغيبة: ٣٠٥، البحار ٥٢: ٢٥٣ ح ١٤٣ والسند في طريقه المغيرة بن سعيد

وهو ضعيف.

(٢) كتاب الغيبة: ٤٤٧ ح ٤٤٤.

ليلتين فيقول أهل المغرب: قد جاءكم قوم حفاة أصحاب أهواء مختلفة، فتضطرب الشام وفلسطين، فتجتمع رؤساء الشام وفلسطين، فيقولون اطلبوا ملك الأول: فيطلبونه فيوافونه بغوطة دمشق، بموضع يقال لها حرستا، فإذا أحس بهم هرب إلى أخواله كلب، وذلك دهاء منه.

ويكون بالوادي اليابس عدة عديدة فيقولون له: يا هذا، ما يجلب لك أن تضيع الإسلام، أما ترى ما الناس فيه من الهوان والفتن؟ فاتق الله واخرج، أما تنصر دينك؟ فيقول لست بصاحبكم، فيقولون: ألسنت من قریش، من أهل بيت الملك القديم، أما تغضب لأهل بيتك وما نزل بهم من الذل والهوان؟

ويخرج راغباً في الأموال والعيش الرغد، فيقول: اذهبوا إلى حلفائكم الذين كنتم تدينون لهم هذه المدة، ثم يجيئهم فيخرج في يوم جمعة فيصعد منبر دمشق وهو أول منبر يصعده، فيخطب ويأمرهم بالجهاد، ويباععهم على أنهم لا يخالفون له أمراً، رضوه أم كرهوه.

فقام رجل فقال: ما اسمه يا أمير المؤمنين؟ فقال: «هو حرب بن عنبسة بن مرة بن كلب بن سلمة بن يزيد بن عثمان بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، ملعون في السماء، ملعون في الأرض، أشر خلق الله عزوجل أباً، وألعن خلق الله جداً، وأكثر خلق الله ظلماً».

قال: «ثم يخرج إلى الغوطة، فما يبرح حتى يجتمع الناس إليه، وتتلاحق به أهل الضغائن، فيكون في خمسين ألفاً، ثم يبعث إلى كلب فيأتيه منهم مثل السيل، ويكون في ذلك الوقت رجال البربر يقاتلون رجال الملك من ولد العباس، فيفاجئهم السفياي في عصائب أهل الشام، فتختلف الثلاث رايات رجال ولد العباس هم الترك والعجم، وراياتهم سوداء وراية البربر صفراء وراية السفياي حمراء، فيقتتلون ببطن الأردن

قتالاً شديداً، فيقتل فيما بينهم ستون ألفاً، فيغلب السفيناني، وإنه ليعدل فيهم حتى يقول القائل: والله ما كان يقال فيه إلا كذب، والله إنهم لكاذبون، لو يعلمون ما تلقى أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم منه ما قالوا ذلك.

فلا يزال يعدل حتى يسير ويعبر الفرات، وينزع الله من قلبه الرحمة، ثم يسير إلى الموضع المعروف بقرقيسيا، فيكون له بها وقعة عظيمة، ولا يبقى بلد إلا بلغه خبره، فيداخلهم من ذلك الجزع.

ثم يرجع إلى دمشق، وقد دان له الخلق، فيجيش جيشين جيش إلى المدينة، وجيش إلى المشرق، فأما جيش المشرق فيقتلون بالزوراء سبعين ألفاً، ويبقرون بطون ثلاثمائة امرأة، ويخرج الجيش إلى الكوفة، فيقتل بها خلقاً. وأما جيش المدينة إذا توسطوا البيداء صاح بهم صائح، وهو جبريل عليه السلام فلا يبقى منهم أحد إلا خسف الله به، ويكون في أثر الجيش رجلان يقال لهما بشير ونذير، فإذا أتيا الجيش لم يريا إلا رؤوساً خارجة على الأرض، فيسألان جبريل عليه السلام ما أصاب الجيش؟ فيقول: أنتما منهم؟ فيقولان: نعم. فيصيح بهما، فتتحول وجوههما القهقري، ويمضي أحدهما إلى المدينة وهو بشير، فيبشرهم بما سلمهم الله عز وجل منه، والآخر نذير، فيرجع إلى السفيناني فيخبره بما نال الجيش عند ذلك.

قال: وعند جهينة الخبر اليقين، لأنهما من جهينة.

ثم يهرب قوم من ولد رسول الله ﷺ إلى بلد الروم، فيبعث السفيناني إلى ملك الروم: رد إلي عبيدي، فيردهم إليه، فيضرب أعناقهم على الدرج شرقي مسجد دمشق فلا ينكر ذلك عليه.

ثم يسير في سبعين ألفاً نحو العراق، والكوفة والبصرة. ثم يدور الأمصار والأقطار، ويحل عرى الإسلام عروة بعد عروة، ويقتل أهل العلم ويحرق المصاحف ويحرب المساجد ويستبيح الحرام، ويأمر بضرب الملاهي والمزامر

في الأسواق، والشرب على قوارع الطرق، ويحلّل لهم الفواحش، ويحرم عليهم كل ما افترضه الله عزّوجلّ عليهم من الفرائض، ولا يرتدع عن الظلم والفسجور بل يزداد تمرداً وعتوّاً وطغياناً، ويقتل من كان اسمه محمداً، وأحمد، وعلياً وجعفرأً وحمة، وحسناً، وحسيناً، وفاطمة، وزينب، ورقية، وام كلثوم، وخديجة، وعاتكة، حنقاً وبغضاً لبيت آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثمّ يبعث فيجمع الأطفال، ويغلي الزيت لهم، فيقولون: إن كان أبأؤنا عصوك فنحن ما ذنبنا؟ فيأخذ منهم اثنين اسمهما حسن وحسين فيصلبهما، ثم يسير إلى الكوفة، فيفعل بهم كما فعله بالأطفال، ويصلب على باب مسجدها طفلين أسماؤهما حسن وحسين فتغلي دماؤهما كما غلى دم يحيى بن زكريا عليه السلام، فإذا رأى ذلك أيقن بالهلاك والبلاء، فيخرج هارباً منها، متوجهاً إلى الشام فلا يرى في طريقه أحداً يخالفه، فإذا دخل دمشق اعتكف على شرب الخمر والمعاصي، ويأمر أصحابه بذلك.

ويخرج السفيناني وبينه حربة فيأخذ امرأة حاملاً فيدفعها إلى بعض أصحابه ويقول: افجر بها في وسط الطريق. فيفعل ذلك، ويبقر بطنها، فيسقط الجنين من بطن أمه، فلا يقدر أحد أن يغير ذلك، فتضطرب الملائكة في السماء فيأمر الله عزوجل جبريل عليه السلام فيصيح على سور مسجد دمشق: ألا قد جاءكم الغوث يا أمة محمد، قد جاءكم الغوث يا أمة محمد، قد جاءكم الفرج، وهو المهدي عليه السلام خارج من مكة فأجيبوه. ثم قال عليه السلام: ألا أصفه لكم، ألا وإن الدهر فينا قسمت حدوده، ولنا أخذت عهده، وإلينا ترد شهوده، ألا وإن أهل حرم الله عزوجل سيطلبون لنا بالفضل، من عرف عودتنا فهو مشاهدنا، ألا فهو أشبه خلق الله عزوجل برسول الله صلى الله عليه وآله واسمه على اسمه، واسم أبيه على اسم ابته، من ولد فاطمة ابنة محمد صلى الله عليه وآله، من ولد الحسين، ألا فمن توالى غيره لعنه الله.

ثم قال عليه السلام: فيجمع الله عزوجل أصحابه على عدد أهل بدر وعلى عدد أصحاب طالوت، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، كأنهم ليوث خرجوا من غابة، قلوبهم مثل زبر الحديد، لوهموا بإزالة الجبال لأزالوها عن موضعها، الزبي واحد، واللباس واحد، كأنما آباؤهم أبٌ واحد^(١).

فهذه الرواية وإن لم تكن مسننة ولم ترد في مصادر متعددة غير أنا سنشير إلى مقاطعها التي وردت في أخبار آخر.

أما تواجده في غوطة دمشق المذكور فيها فلم تذكره الروايات ولم تشر إليه، وكذا شيوع هذا المنطق، أعني طلب ملك الأول والنزعة الأموية وتفكر أهل الشام واعتقادهم بعدم عود عزمهم إلا على يد أموية فهو الآخر لم تشر إليه الأخبار وليس منه عين ولا أثر، وهكذا موافاته في غوطة الشام، أي قرية حرستا، وكذا هروبه إلى أخواله من كلب.

أما خروج السفيناني من الوادي اليابس فقد دلت عليه روايات متعددة مرت الإشارة إلى بعضها، وامتازت هذه الرواية بتفصيل سبب خروجه من الوادي اليابس وهو طلب عدة عديدة منه القيام والخروج وامتناعه، ثم موافقته بهدف دنيوي ورغبة في الأموال والعيش الرغد، بعد تفلته من الأمر ولو بحسب الظاهر وإرجاعهم إلى حلفائهم السابقين.

وهناك رواية تذكر سبب خروجه بنحو آخر يرويها ابن حماد عن أبي مريم عن أشياخه قل: يؤتى السفيناني في منامه فيقال له: قم فلتخرج، فيقوم فلا يجد أحداً، ثم يؤتى الثانية، فيقال له مثل ذلك، ثم يقال له في الثالثة: قم فلتخرج فانظر من على باب دارك، فينحدر في الثالثة إلى باب داره، فإذا هو بسبعة نفر أو تسعة ومعهم لواء، فيقولون: نحن أصحابك، فيخرج فيهم ويتبعهم ناس من قرى الوادي اليابس، فيخرج إليه صاحب دمشق ليلقاه

ويقاتله، فإذا نظر إلى رايته انهزم^(١).

وإثبات خصوصيات كهذه بهذا الخبر أو ملاحظة انطباقها في الخارج مما لا يتيسر.

غير أن باقي الروايات ذكرت خروجه من الوادي اليابس بقوة قاهرة بحيث يهرب أمير دمشق عند سماعه به.

وأما صعوده منبر دمشق فقد ورد في الأخبار ونصت عليه الروايات غير أن البعض عبّر مكان كلمة دمشق بأرض ذات قرار ومعين.

يستفاد منها أن لصعوده منبر دمشق انعكاساً وصدى وأثراً هاماً تكشف هذه الرواية عن بعض حقائقه التي منها أخذ البيعة والطاعة وأن لا يخالفوا له أمراً حتى لو كرهوه مما يدل على إضماره مالا يليق بشؤون الإسلام ولا يتلائم معه بحيث يستنكره جمهور المسلمين، ومنها أمرهم بالجهاد وتحريضهم على القتال الذي تبثني عليه قواعد ملكه.

وأما اسمه فقد خالفت باقي الروايات إذ جعلت اسمه حرباً وباقي الروايات تجعله عثماناً، وغيرها من الروايات العامة جعلته عبد الله بن يزيد^(٢)، وقد بينا أن الأرجح عثمان كما مر.

ثم إن رجوع نسبه في هذه الرواية إلى يزيد بن معاوية دلت عليه بعض الأخبار المارة كرواية المفضل وإن كان الأكثر على أنه ابن عتبة بن أبي سفيان أو عنبسة بن أبي سفيان.

والغوطة هي الكورة التي منها دمشق استدارتها ثمانية عشر ميلاً^(٣).

(١) كتاب الفتن: ٧٥، عقد الدرر: ٧٢.

(٢) كتاب الفتن لابن حماد: ٧٤، معجم أحاديث الإمام المهدي ١: ٤١٩.

(٣) معجم البلدان ٤: ٢٤٨ / ٨٩٤٨.

كما أنها تكل على سرعة التفاف أهل الشام حوله لوجود أسباب اللذ والهوان أو وجود المغريات.

وهنا يأتي التركيز على كلب في هذا الخبر وغيره من الأخبار بحيث يكون أكثر جيشه منهم، وإن لم يكونوا هم النواة الأولى بينما دلت هذه الرواية وغيرها على أن كلب هم أخواله.

ثم تحكي هذه الرواية تواجد البربر عندها في الشام وهم يقاتلون بقايا بني العباس أو رجلاً من بني العباس يكون حاكماً على الشام أو دمشق أو غيرها ثم تقول: إن رجالهم هم الترك والعجم مما ليس له في الأخبار منه عين ولا أثر، يترجح كونه خلطاً من الروات بين مسألة زوال دولة بني العباس التي رجالها العجم والترك على يد المغول وبين زوال الأصبه والأبقع على يد السفيناني، أو يراد بها مجيء الروم والترك بحكام من بني العباس يحكمون العراق بمدونهم بلجيوش وهو احتمال غير مستبعد.

كما وتحدثت عن قتال في بطن الأردن وقتل ستين ألفاً وغلبة السفيناني فهذا أيضاً مما ليس منه عين ولا أثر في باقي الروايات.

وأهم ما في هذه الرواية الإشارة إلى عدل السفيناني في الناس في بادئ الأمر، وزعم البعض كذب الروايات الدائمة له، ثم تكذيب الإمام زعمهم بصورة باتة وقاطعة مع الإشارة إلى جهلهم مما له مؤيد في الأخبار الدالة على أنه يوشك أن ينخرط معه أهل الحق لولا عصمة الله سبحانه لهم تكلمنا عنه في عنوان منطق السفيناني على أنه أمر معقول جداً يضطره إلى ذلك التدبير من أجل تثبيت ملكه وبسط سيطرته إلى استعفاف الناس وكسب ودّهم حتى يعبر الفرات حيث تبدو منه القسوة وتظهر حقيقته وواقعه مؤيداً بالأخبار التي منها أن السفيناني لا يعبر الفرات إلا وهو كافر.

وأما حروب السفيناني وبعثه الجيش إلى العراق فسيأتي تفصيلها.

وأما معركة قرقيسياء فهي تتردد بين أن تكون قبل السفياني وبين أن تكون معركته الخامسة، كما أن هناك ترديداً فيمن يقاتلهم عندها، فالملروي أن القتال فيها بين المرواني وبني العباس أو بينه وبين الروم والترك، إلا أن يكون المرواني من حكام بعض دول الشام يشارك السفياني فتكون متعددة الأطراف، وهو ليس بعيد.

ثم لمعركة قرقيسياء الطاحنة أكبر الصلدى لانتشار خبر السفياني ولفت أنظار العالم إليه كما تضمنه هذا الخبر وهو طبيعي جداً، فإن معركة كهذه كيف لا تعطف أنظار العالم وإن لم تذكر الأخبار هذا الجانب، خصوصاً إذا شاهدوا بلاء السفياني فيها وتوفيقه الأكبر من بين المشاركين في هذه المعركة.

حروب السفياني ومعاركه:

تنقسم حروب السفياني ومعاركه إلى قسمين القسم الأول حروب تشكيل الدولة، والقسم الثاني حروب الغزو.

ولما كانت حركة السفياني تتفجر من حوالي دمشق وأطرافها وخصوص الوادي اليابس كما يستفاد من مجموع الأخبار غير أن هناك ترديداً في تعيين موضع الوادي اليابس الذي يخرج منه ويكون منبته فيه هل هو في فلسطين أو الأردن أو أطراف دمشق، غير أن المستشم من الأخبار إرادة الأخير لأن بعضها عبر بالغوطة التي هي غوطة دمشق^(١)، والبعض الآخر عبر بعمق دمشق، وثالث بناحية مدينة دمشق.

وعلى هذا فلا محيص من أن تكون أول حركة للسفياني وأول حروبه هي المنازعة على كرسي الحكم في دمشق والتدبير للاستيلاء عليه، لتتسع

(١) انظر الكافي ١: ٤٧٩، مدينة المعاجز ٦: ٣٠٠.

دائرة حرابه التي هي من القسم الأول في حدود الشام لأن دولته هناك، أعني الكور الخمس كما مر.

الاستيلاء على دمشق:

الأخبار في دخول السفيناني مدينة دمشق كثيرة، ولكن الأخبار في كيفية دخوله وحرابه مع أمير دمشق قليلة ومن الأول ما روي عن حذيفة قل، قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل: «خروج السفيناني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق، فلا يأتي عليه شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفاً»^(١).

ومن الثاني الرواية المارة في قصة خروجه فإن فيها «يؤتى السفيناني في منامه فيقال له: قم فأخرج، فيقوم فلا يجد أحداً، ثم يؤتى الثانية فيقال له: مثل ذلك، ثم يقال له الثالثة: قم فأخرج فانظر من على باب دارك، فإذا هو بسبعة نفر أو تسعة نفر معهم لواء، فيقولون نحن أصحابك، فيخرج فيهم ويتبعه ناس من قريات وادي اليباس، فيخرج إليه صاحب دمشق ليلقاه ويقاتله، فإذا نظر إلى رايته انهزم، ووالي دمشق يومئذ وال لبني العباس»^(٢).

فهي تدل على سرعة انهزام أمير دمشق أمامه وحتى عدم وقوع حرب بينهما، ولعله لسماعه بخبر السفيناني وحتمية تسلطه وشدة قسوته من قبل، كما ويحتمل ضعفه المفرط وعلمه بإرادة أسياده بحيث لا تنفعه الحرب، وهناك رواية تدل انشغال جيش الشام آنذاك في مقاومة جيش المغرب والرايات الصفر ستأتي الإشارة إليها عند الكلام عن أحداث الشام.

والعجيب في هذا الخبر التعبير بكلمة الوالي، والياً لبني العباس،

(١) الداني: ١٠٤.

(٢) الفتن لابن حماد: ٧٥، مستدرک الحاكم ٤: ٥٢٠.

وقد رجحنا سابقاً عدم بقاء دولة بني العباس إلى زمان السفياني، إلا أن يكون حاكم بعض الدويلات أو خصوص الشام من بني العباس وهو عمالم نستبعده.

فغاية ما يمكن قبوله من هذه الرواية الضعيفة السند هو كون أمير دمشق من بني العباس كذلك دون قيام دولة عباسية في البلدان الإسلامية، غاية الأمر قيام دولة عباسية في العراق مدعومة بتدبير خارجي وجيوش قوية نتيجتها الطبيعية خضوع دول المنطقة لها، فيكون الحكام فيها كالولاة.

والذي يؤيد أن أمير دمشق وحده من بني العباس ما رواه في عقد الدرر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: تختلف ثلاث رايات. راية بالمغرب، وراية لمصر وما يحل بها منهم، وراية بالجزيرة، وراية بالشام تدوم الفتنة بينهم سنة، ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام، حتى يكون منهم مسيرة ليلتين، فيقول أهل المغرب: قد جاءكم قوم حفلة أصحاب أهواء مختلفة، فتضطرب الشام وفلسطين فتجتمع رؤساء الشام وفلسطين فيقولون: اطلبوا ملك الأول، فيطلبونه فيوافونه بغوطة دمشق بموضع يقال له حرستا، فإذا أحس بهم هرب إلى أخواله كلب وذلك دهاء منه، ويكون بالوادي اليابس علة عديدة فيقولون له يا هذا ما يحل لك أن تضيّع الإسلام...^(١).

فهي تدل على أن حاكم دمشق بخصوصه من بني العباس لقوله: «ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام» الدال على خروجه بمفرده وظهوره من جديد.

لكنه مازال ضعيفاً لا يؤبه به والرأي العام ورؤساء الناس يضادونه ويعادونه كل ذلك يفسر علة هروبه وعدم مقاومته بينما هؤلاء النفر الذين يلتفون حول السفياني هم رؤساء مطاعون تُخشى سطوتهم وقسوتهم.

حرب السفيناني مع أهل المغرب:

يستفاد من أخبار عديدة خروج أهل المغرب ودخولهم مصر قبل ظهور السفيناني، ويكون خروجهم علامة لخروجه.

فقد ورد: علامة المهدي إذا انساب عليكم الترك ومات خليفتمك الذي يجمع الأموال، ويستخلف بعله ضعيف فيخلع بعد سنتين من بيعته، ويخسف بغربي مسجد دمشق، وخروج ثلاثة نفر بالشام، وخروج أهل المغرب إلى مصر، وتلك أمانة السفيناني^(١).

وفي رواية أخرى عن عمار بن ياسر قال فيها: «ويخرج أهل المغرب ينحدرون إلى مصر، فإذا دخلوا فتلك أمانة السفيناني، ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد، وينزل الترك الجزيرة، وينزل الروم فلسطين، ويقبل صاحب المغرب، فيقتل الرجال ويسبي النساء، ثم يرجع حتى ينزل الحيرة إلى السفيناني»^(٢).

وفي رواية ثالثة رواها ابن حماد عن كعب قال: «علامة خروج المهدي ألوية تقبل من المغرب عليها رجل أعرج من كندة، فإذا ظهر أهل المغرب على مصر فبطن الأرض يومئذ خير لأهل الشام»^(٣).

فبإلى حد الآن اطلعت على خروج أهل المغرب ودخولهم مصر، ثم لزوم تخوف أهل الشام من هذه الحركة التي تدل الأخبار على دخول طلائعها الشام، وانقطار المسجد عندها وحدثت خسف بقرية حريستا، وظهور السفيناني ومحاربه لهم.

فقد ورد: «يدخل أوائل أهل المغرب مسجد دمشق، فبينما هم ينظرون

(١) كتاب الفتن لابن حماد: ٩٢.

(٢) عقد الدرر: ٤٦ ب ٢ ف ١.

(٣) الداني: ٧٣، وانظر عقد الدرر: ٥١، والملاحم والفتن: ٧٧، وكتاب الفتن

لابن حماد: ٩١ بتفاوت.

في أعجيبه إذ رجفت الأرض فانقعر غربي مسجدتها، ويخسف بقرية يقال لها حرستا، ثم يخرج عند ذلك السفيناني فيقتلهم حتى يدخلهم مصر، ثم يرجع فيقاتل أهل المشرق حتى يردهم إلى العراق»^(١).

وفي رواية أخرى يرويها الشيخ والنعماني بسنديهما عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إذا اختلف الرحمان بالشام لم تنجل إلا عن آية من آيات الله، قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون بالشام يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين، فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب المحذوفة والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحمل بالشام، وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر، فإذا كان ذلك فانظروا خسف قرية من دمشق يقال لها حرستا، فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس»^(٢).

(١) كتاب الفتن: ٧١، عقد الدرر: ٥٣.

(٢) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٦١ ح ٤٧٦، كتاب الغيبة للنعماني: ٣٠٥، والسند فيهما علي بن أحمد عن عبيد الله بن موسى عن محمد بن موسى قال أخبرني أحمد بن أبي أحمد المعروف بأبي جعفر الوراق عن إسماعيل بن عياش عن مهاجر بن حكيم عن المغيرة بن سعيد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا السند ضعيف بالمغيرة بن سعيد وكذلك بإسماعيل بن عياش ومهاجر بن حكيم فإن كتب الرجال خالية منهما.

أخبرنا جماعة عن أبي الفضل الشيباني عن أبي نعيم نصر بن عصام بن المغيرة العمري عن أبي يوسف يعقوب بن نعيم بن عمرو قرقارة الكاتب عن أحمد بن محمد الأسدي عن محمد بن أحمد عن إسماعيل بن عياش عن مهاجر بن حكيم عن معاوية بن سعيد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام... وهذا السند أيضاً ضعيف لاحتوائه على إسماعيل بن عياش ومهاجر بن حكيم.

فهي تشترك مع الرواية السابقة وتصلاقها في خسف قرية حرستا، وتفرق مع سابقتها بوصف أهل المغرب بأنهم أصحاب براذين شهب مخدوفة ورايات صفر.

وفي رواية ثالثة:

تختلف ثلاث رايات: راية المغرب، وبل لمصر وما يحل بها منهم، وراية بلجزيرة، وراية بالشام تدوم الفتنة بينهم سنة، ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام حتى تكون منهم مسيرة ليلتين فيقول أهل المغرب: قد جاءكم قوم حفة أصحاب أهواء مختلفة فتضطرب الشام وفلسطين، فتجتمع رؤساء الشام وفلسطين، فيقولون اطلبوا ملك الأول، فيوافقونه بغوطة دمشق بموضع يقال له حرستا...^(١)

يظهر منها أن جيش المغرب يكون تهديداً جاداً لأهل الشام بحيث يدعهم يفكرون في توحيد الشام تحت قيادة أموية، وذلك يجعل حكومة العباسي في دمشق في موضع الضعف بالإضافة إلى ضعفها السابق.

ولما تقدم أن السفيناني يدخل دمشق يخلعها من أميرها العباسي لا يكون دخول جيش المغرب الشام ودمشق سبباً لخلعه فهو يحكي عن نحو من التناقض.

ولكن الروايات لا تدل على أكثر من دخول بعض طلائع أهل الغرب مدينة دمشق، ولم تذكر دخول الطلائع سوى رواية واحدة، ولما كانت الروايات ضعيفة السند فلا يحصل الرجحان إلا فيما توافقت عليه وهو دخولهم الشام دون دخول دمشق.

ولكن مَنْ هم أهل المغرب؟

مقتضى الإطلاق أنهم أهل مغرب الأرض، خصوصاً وأن الرواية تصفهم بأنهم أصحاب البراذين المخدوفة الذي هو كناية عن الآليات العسكرية، وتصفهم

أنهم أصحاب رايت صفر، ومعلوم أن بني الأصفر هم الروم يؤيد ذلك الرواية الدالة على تملك الكفار للأنهار الخمسة^(١).

ولكن بعض الروايات دلت على أن رايات المغرب التي تدخل مصر عليها رجل أعرج من كنة^(٢)، وهناك قرائن كثيرة على أنهم هم أهل المغرب العربي كالتعبير بكلمة البربر التي تعني بعض المغرب العربي أو جلهم.

حرب السفيناني مع أهل المشرق :

يستفاد من بعض الأخبار تواجد أهل المشرق في الشام إبان ظهور السفيناني فقد روى ابن حماد عن محمد بن الحنفية أنه قل: يدخل أوائل أهل المغرب مسجد دمشق فبينما هم ينظرون في أعلاجه إذ رجفت الأرض فانقعر غربي مسجدها، ويخسف بقربة يقال لها حرستا، ثم يخرج عند ذلك السفيناني فيقتلهم حتى يدخلهم مصر، ثم يرجع فيقاتل أهل المشرق حتى يردهم إلى العراق^(٣).

وأهل المشرق على الإطلاق هم أهل شرق الأرض وإذا أضيفت إلى بلد خاص فالمراد شرق ذلك البلاد، فشرق الحجاز نجد، كما جاء في الرواية قرن الشيطان، وشرق العراق إيران، وشرق الشام العراق، ولكن الغالب في الروايات الواردة في علامات الظهور إرادة إيران، فهذه الرواية تدل على تواجدهم أو وجود قوات منهم يرتبط تواجدها بمسألة فلسطين لأن الإيرانيين هم المحررين لها كما يستفاد من بعض الأخبار^(٤).

(١) والرواية هي عن حذيفة وجابر: «هبط جبرئيل على النبي ﷺ وبشره بأن القائم من ولده لا يظهر حتى يملك الكفار الأنهار الخمسة سيحون، وجيحون، والفراتين، والنيل...» انظر الصراط المستقيم ٢: ٢٥٨.

(٢) عقد الدرر: ٥١، كتب الفتن لابن حماد: ٩١، ملاحم ابن طاووس: ٧٧ باب ١٦٩.

(٣) كتاب الفتن: ٧١، وانظر عقد الدرر: ٥٣ ب ٤ ف ١.

(٤) انظر مسند أحمد: ٢: ٣٦٥.

ومهما يكن من ذلك فالرواية ضعيفة السند ولم تسند إلى النبي صلى الله عليه وآله غير أن هناك بعض المؤيدات.

فمما يؤيد تواجد بعض قواتهم في الشام ما رواه ابن حماد أيضاً عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «بيعت السفيناني على جيش العراق رجلاً من بني حارثة له غدירתان يقال له ثمر - أو قمر - بن عباد رجلاً جسيماً على مقدمته رجلاً من قومه قصير أصلع عريض المنكبين فيقاتله من بالشام من أهل المشرق، وفي موضع يقال له البنية (الثنية) وأهل حمص في حرب المشرق وأنصارهم، وبها يومئذ منهم جند عظيم تقاتلهم فيما يلي دمشق، كل ذلك يهزمهم، ثم ينحاز من دمشق وحمص مع السفيناني ويلتقون وأهل المشرق في موضع يقال له المدين مما يلي شرق حمص، فيقتل بها نيف وسبعون ألفاً، ثلاثة أرباعهم من أهل المشرق، ثم تكون الدبرة عليهم ويسير الجيش الذي بعث إلى المشرق حتى ينزلوا الكوفة...»^(١).

فهذه فصلت الواقعة وذكرت تواجد جند عظيم من أهل المشرق في الشام.

وذكرت وقوع القتال وانتصار السفيناني انتصاراً ساحقاً، ولكن لا يمكن الاعتماد على رواية ضعيفة السند كهذه في إثبات أصل تواجد أهل المشرق في الشام ووقوع الحرب بينهم وبين السفيناني.

وهناك رواية أخرى فصلت تواجد أهل المشرق رواها ابن طاووس عن أرطاة بن المنذر قال: «يجى البربر حتى ينزلوا بين فلسطين والأردن، فتسير إليهم جموع المشرق والشام حتى ينزلوا الجابية، ويخرج رجل من ولد صخر في ضعف فيلقى جيوش المغرب على ثنية بيسان فيردعهم عنها، ثم يلقاهم من الغد فيردعهم عنها، فينجازون وراها، ثم يلقاهم في اليوم الثالث

فيردعهم إلى عين الريح، فيأتيهم موت رئيسهم فيفترقون ثلاث فرق، فرقة ترتد على أعقابها، وفرقة تلحق بالحجاز، وفرقة تلحق بالصخري فيسير إلى بقية جموعهم حتى يأتي ثنية فيق فيلتقون عليها فيدال عليهم الصخري، ثم يعطف إلى جموع المشرق والشام فيلقاهم فيدال عليهم ما بين الجابية والخربة حتى تحوض الخيل في الدماء، ويقتل أهل الشام رئيسهم وينحازون إلى الصخري فيدخل دمشق فيمثل بها، وتخرج رايات من المشرق مسودة فتتزل الكوفة فيتوارى رئيسهم فيها فلا يدرى موضعه فيتحير ذلك الجيش ثم يخرج رجل كان مختفياً في بطن الوادي فيلي أمر ذلك الجيش، وأصل مخرجه غضب مما صنع الصخري بأهل بيته، فيسير بجنود المشرق نحو الشام، ويبلغ الصخري مسيره إليه فيتوجه بجنود أهل المغرب إليه فيلتقون بجبل الحصى فيهلك بينهما عالم كثير ويولي المشرقي منصرفاً ويتبعه الصخري فيدركه بقرقيسيا عند مجمع النهرين، فيلتقيان فيفرغ عليهما الصبر فيقتل من جنود المشرقي من كل عشرة سبعة، ثم يدخل جنود الصخري الكوفة فيسوم أهلها الخسف، ويوجه جنداً من أهل المغرب إلى من بإزائه من جنود المشرق فيأتونه بسببهم، فإنه لعلى ذلك إذ يأتيه خبر ظهور المهدي بمكة فيقطع إليه من الكوفة بعثاً يخسف به.

قال أروطة: ويكون بين أهل المغرب وأهل المشرق بقنطرة الفسسطاط سبعة أيام، فيلتقون بالعريش فتكون الدبرة على أهل المشرق حتى يبلغوا الأردن، ثم يخرج عليهم السفيناني بعد. وكان الروم الذين كانوا بمحص كانوا يتخوفون عليها البربر ويقولون: وملك يا تمره من بربر^(١)...
هذه الرواية مضطربة المتن^(٢) ضعيفة السند غير أنها تشترك مع سائر

(١) كتاب الفتن: ٧٣، الملاحم والفتن، ٤٩.

(٢) تدل هذه الرواية على أن حرب قرقيسية قبل السفيناني فتكون مؤيدة، لأنها من علامته لا حربه.

الروايات في تواجد جنود أهل المشرق في الشام وحرب السفيناني معهم. غير أن أكثر الروايات تدل على أن أهل المشرق الخراسانيين إنما يدخلون العراق بعد دخول السفيناني العراق وإنما يكون القتال في العراق كما سيأتي، فلا يتقوى سوى احتمال إراة أهل العراق أو المتواجدين فيه من أهل المشرق، أي شرق الشام الذي هو العراق.

فقد روى ابن حماد نفسه: « إذا ظهر الترك والحزر بلجزيرة وأذربيجان والروم بالعمق وأطرافها، قاتل الروم رجل من قيس من أهل قنسرين، والسفيناني بالعراق يقاتل أهل المشرق وقد اشتغل كل ناحية حذو كذا، فإذا قاتلهم أربعين يوماً ولم يأتيه مدد، صالح الروم على أن لا يؤدي أحد الفريقين إلى صاحبه شيئاً»^(١).

ويمكن المناقشة بأن قتال السفيناني مع أهل المشرق في العراق ولا ينافي قتاله معهم أو مع جند لهم قبل ذلك في الشام.

وكذا ما رواه الطبري قال في حديث السفيناني: «فيبعث جيشاً إلى العراق فيقتل بالزوراء مائة ألف، وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها فعند ذلك تخرج راية من المشرق يقودها رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في أيديهم من سبي أهل الكوفة»^(٢) ..

حرب الأبقع:

تتكلم الروايات عن اجتماع ثلاث رايات في الشام في آخر المطاف: راية الأبقع، وراية الأصهب، وراية السفيناني^(٣) وفي هذه الروايات ما يتشبه

(١) كتاب الفتن: ٥٩، معجم أحاديث المهدي عليه السلام ١: ٣٣٠.

(٢) جامع البيان للطبري ١٥: ١٧، الداني: ١٠٤ - ١١٣.

(٣) كتاب الفتن لابن حماد: ٧٧ عن علي عليه السلام، كتر العمال ١١: ٢٨٤ ح ٣١٥٣٦، كتاب

الفتن لابن حماد: ١٧١ عن محمد بن الحنفية، وص ١٧٣ عن عمار بن ياسر.

بالاعتبار كرواية جابر بن يزيد الجعفي المروية بعدة طرق تنتهي إلى الحسن بن محبوب عن عمرو بن أبي المقدم عن جابر قال قال أبو جعفر عليه السلام: «يا جابر الزم الأرض - إلى أن قال - وسيقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة فتلك السنة يا جابر فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض تخرب أرض الشام، ثم يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفيناني، فيلتقي السفيناني بالأبقع فيقتتلون، فيقتله السفيناني ومن تبعه، ثم يقتل الأصهب، ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق، ويمر جيشه بقرقيسياء فيقتتلون بها، فيقتل بها من الجبارين مائة ألف، ويبعث السفيناني جيشاً إلى الكوفة...»^(١).

فهي تدل على أن السفيناني يقاتل الأبقع أولاً ثم الأصهب ثم تكون معركة قرقيسياء فمن هو هذا الأبقع؟ وما هو موطنه؟

الأبقع في اللغة يقال لمن اختلف لونه وكان فيه سواد وبياض، أو ما كان في صدره بياض، ويطلق على من به البرص أو من اختلف نسله كمن ولد من بين أبيض وأسود، كما يحتمل إرادة اختلاف لون ملابسه كالذي يلبسه بعض الجنود اليوم من الملابس المبقعة، أو إرادة أهل الغرب البيض الشهب فقد ورد في رواية أخرى «فأول أرض تخرب الشام، ثم يختلفون على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأشهب، وراية السفيناني»^(٢)، فقد عبر مكان الأبقع بالأشهب.

بينما تنبئ الأخبار بأن الأبقع من مصر فيكون هو المصري الذي تكلمنا عنه، فقد روي عن ابن مسعود: «إذا اجتمع الترك والروم، وخسف بقرية دمشق وسقط طائفة من غربي مسجدها رفع بالشام ثلاث رايات: الأبقع

(١) الغيبة للنعماني: ٢٧٩، البحار ٥٢: ٢٢٢ ح ٨٧، الاختصاص للشيخ المفيد:

(٢) الخرائج والجرائح ٣: ١١٥٧ والرواية مسند عن جابر عن الباقر عليه السلام.

والأصهب والسفياني، ويحصر بدمشق رجل فيقتل ومن معه، ويخرج رجلاً من بني أبي سفيان، فيكون الظفر للثاني، فإذا أقبلت مادة الأبقع من مصر ظهر السفياني بجيشه عليهم^(١).

فهي تدل على أن مادة الأبقع من مصر، والمادة بين أن تعني أصله، وبين أن تعني جيشه ومدده، ولكن هناك رواية تصرح بأنه من مصر، فقد روى ابن حماد بسند عن علي عليه السلام قال: «إذا اختلفت الرايات السود خسف بقرية من قرى إرم، وسقط جانب مسجدها الغربي، ثم تخرج بالشام ثلاث رايات: الأصهب، والأبقع، والسفياني، فيخرج السفياني من الشام، والأبقع من مصر، فيظهر السفياني عليهم^(٢)».

غير أن هناك رواية أو أكثر تدل على أن الأبقع من مضر وتعبر عنهم ببني ذنب الحمار فقد جاء في رواية في تفسير العياشي لجابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام «وأن أهل الشام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: الأصهب والأبقع والسفياني، مع بني ذنب الحمار مضر، ومع السفياني أخواله من كلب، فيظهر السفياني ومن معه على بني ذنب الحمار حتى يقتلوا قتلاً لم يقتله شيء قط، ويحضر رجل بدمشق فيقتل هو ومن معه قتلاً لم يقتله شيء قط وهو من بني ذنب الحمار، وهي الآية التي يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٣)».

فيشكل الجمع بين الروايات إلا أن يكون مضر تصحيف مصر أو بالعكس، وقد استظهرنا سابقاً إرادة مصر في كل الأحوال.

والذي يهون الخطب ضعف الروايات الدالة على أنه من مصر، وعدم

(١) المصنف لعبد الرزاق ١١: ٣٨٠ ح ٢٠٧٩٨.

(٢) الفتن: ٧٧، كنز العمال ١١: ٢٨٤ ح ٣١٥٣٦.

(٣) تفسير العياشي ١: ٢٤٤، والآية ٣٧ من سورة مريم.

دلالة الروايات على حتمية الأبقع، وإن كانت الروايات الدالة عليه متعددة.

حربه مع الأصهب:

إحدى الرايات الثلاث التي تجتمع في الشام هي راية الأصهب التي تظهر أولاً قبل الأبقع لكن يقتل الأصهب بعد الأبقع؛ لأنه جاء في رواية جابر المنقولة بعدة طرق المارة: «فيلتقي السفيناني بالأبقع فيقتلون، فيقتله السفيناني ومن تبعه، ثم يقتل الأصهب، ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق، ويمر جيشه بقرقيساء...»^(١).

وفي رواية العياشي: «يا جابر أول أرض المغرب تخرب أرض الشام، يختلفون عند ذلك على رايات ثلاث: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفيناني، فيلقى السفيناني الأبقع ويقتلون فيقتله ومن معه، وراية الأصهب، ثم لا يكون لهم هم إلا الإقبال نحو العراق، ومر جيش بقرقيساء فيقتلون بها مائة ألف من الجبارين...»^(٢).

والذي يدل على ظهور راية الأصهب أولاً قبل الأبقع ما رواه في عقد الدرر عن كتاب قصص الأنبياء لمحمد بن عبيد الكسائي عن كعب الأحبار: «لا بد من نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض، ولا بد أن يظهر بين يديه علامات وفتن، فأول ما يخرج ويغلب على البلاد الأصهب، يخرج من بلاد الجزيرة، ثم يخرج من بعده الجرهمي من الشام، ويخرج القحطاني من بلاد اليمن.

قال كعب الأحبار: بينما هؤلاء الثلاثة قد تغلبوا على مواضعهم بالظلم، إذ قد خرج عليهم السفيناني من دمشق...»^(٣)، غير أن الرواية ضعيفة السند.

(١) تفسير العياشي ١: ٢٤٤ ح ١٤٧.

(٢) عقد الدرر: ٧٩ ب ٤.

ويستفاد من هذه الرواية وغيرها خروجه من بلاد الجزيرة التي تتردد بين الأرض الواقعة بين دجلة والفرات^(١)، أو الجزيرة العربية، أو غيرها من جزر العالم أي جزيرة كانت، والأول أعرف في ذلك الزمان بهذا الاسم وبقرينة مجاورته للشام.

والمهم أن هذه الرايات إنما يكون نزاعها في الشام، فقد ورد في رواية عمار بن ياسر قال: فيخرج ثلاثة نفر كلهم يطلب الملك: رجل أبقع، ورجل أصهب، ورجل من أهل بيت أبي سفيان يخرج بكلب^(٢).

ويبقى هنا سؤال عن الأصهب، وهل أنه اسم أو صفة؟ ظاهر الروايات أنه صفة بمعنى الأشقر الذي يخالط بياضه حمرة، أو هو الأصفر الوجه.

ولكن يبدو من بعض الأخبار أنه اسمه، فقد روى في كتاب كشف الحق عن الفضل بن شاذان عن زرارة بن أعين عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «استعيذوا بالله من شر السفيناني والدجال وغيرهما من أصحاب الفتن».

قيل له: يا بن رسول الله! أما الدجال فعرفناه وقد بين من مضامين أحاديثكم شأنه، فمن السفيناني وغيره من أصحاب الفتن وما يصنعون؟ قال عليه السلام: «أول من يخرج منهم رجل يقال له أصهب بن قيس يخرج من بلاد الجزيرة له نكاية شديدة في الناس وجور عظيم، ثم يخرج الجرهمي من بلاد الشام، ويخرج القحطاني من بلاد اليمن، ولكل واحد من هؤلاء شوكة عظيمة في ولايتهم، ويغلب على أهلها الظلم والفتنة منهم، فيبناهم كذلك

(١) وتسمى جزيرة أقور، وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر، ومن أمهات مدنها حران والرها والرقعة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك. معجم البلدان ٢: ١٥٦.

(٢) كتاب الفتن لابن حاد: ١٧٣، كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٧٨.

إذ يخرج عليهم السمرقندي من خراسان مع الرايات السود، والسفياني من الوادي اليابس من أودية الشام...^(١).

إلى أن قل: «فأول من يقاتل السفياني القحطاني فينهزم ويرجع إلى اليمن فيقتله اليماني، ثم يفرّ الأصهب والجرحمي بعد محاربات كثيرة مع السفياني فيتبعهما ويقهر كل من ينازعه ويماربه إلا اليماني»^(٢) فقد قال العلامة «يقال له أصهب بن قيس» الدال على أنه اسم له أو صار اسماً له.

وفي خبر آخر قال البسطامي: «قبل نزول عيسى عليه السلام يخرج من بلاد الجزيرة يقال له الأصهب، ويخرج عليه من الشام رجل يقال له جرحم، ثم يخرج القحطاني رجل بأرض اليمن، فبينما هؤلاء الثلاثة إذا هم بالسفياني وقد خرج من غوطة دمشق... فأول ما يقابله القحطاني ينهزم ثم ينفذ جيشاً إلى الكوفة»^(٣).

حربه مع الجرحمي:

يستفاد من رواية كشف الحق المارة حرب السفياني مع الجرحمي الذي هو حاكم آخر من حكام الشام.

وفي رواية قصص الأنبياء للكسائي المارة: «فأول ما يخرج على البلاد الأصهب، يخرج من بلاد الجزيرة، ثم يخرج من بعده الجرحمي من الشام»^(٤) وبهذا تكون الرايات في الشام عند ظهور السفياني هي راية الأصهب من الجزيرة، وراية الأبقع القادم من مصر، وراية القحطاني القادم من اليمن،

(١) كشف الحق (أربعين الخاتون آبادي): ١٥٣، وانظر البحار ٥٢: ٣٠٧، والغيبة للطوسي: ٢٧٨.

(٢) فيض القدير للمناوي ٤: ١٦٧ ح ٤٧٦٨.

(٣) عقد الدرر: ٧٩، نقلاً عن قصص الأنبياء للكسائي.

٢٦٦ العد التنازلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

والحكام هم الجرهمي، والرواني، ورجل من بني العباس يكون الحاكم على دمشق.
ولم تذكر الأخبار تفصيلاً عن الجرهمي ومحل حكومته بالدقة، بل لم يدل
على أصل ظهوره وخروجه خبر معتبر.

حرب السفيناني مع القحطاني:

تقدم في رواية كشف الحق أن القحطاني أول من يقاتل السفيناني، إذ
جاء فيها: «ويخرج القحطاني من بلاد اليمن... فأول من يقاتل السفيناني القحطاني
فينهزم ويرجع إلى اليمن، فيقتله اليماني».

وهي تدل على أن القحطاني غير اليماني المعروف يحضر في الشام،
ولا تُعلم علة حضوره وحضور باقي الرايات.

معركة قرقيسيا:

جاءت الأخبار في وقوع معركة عظيمة في مدينة قرقيسيا التي تقع عند
ملتقى نهر الخابور والفرات.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن ميسر عن أبي جعفر عليه السلام قال يا ميسر
كم بينكم وبين قرقيسيا؟ قلت: هي قريب على شاطئ الفرات، فقال: «أما
إنه سيكون بها وقعة لم يكن مثلها منذ خلق الله تبارك وتعالى السماوات
والأرض، ولا يكون مثلها ما دامت السماوات والأرض، مأدبة للطير، تشيع
سناها سباع الأرض وطيور السماء يهلك فيها قيس ولا يدعى لها داعية قال:
وروى غير واحد وزاد فيه: وينادي منادٍ هلموا إلى لحوم الجبارين»^(١).

(١) الكافي ٨: ٢٩٥ ح ٤٥١، والسند هو محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن

فضال، عن علي بن عقبة عن أبيه عن ميسر...

ولما كانت الرواية معتبرة مروية في الكافي يترجح وقوع المعركة وتحققها كما تصفها، غير أن الكلام في طرفي النزاع واتحاد المعركة أو تعددها، فقد تعددت الروايات في أصل وقوع المعركة وكثرة القتلى فيها.

فقد روى النعماني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن لله مائدة - وفي غير هذه الرواية مأدبة - بقرقيسيا يطلع مطلع من السماء فينادي: يا طير السماء ويا سباع الأرض هلموا إلى الشبع من لحوم الجبارين»^(١).

ومعلوم أن هذا النداء ليس هو صوت وإنما هو فعل، أي نفس أكل السباع وطيير السماء يكون هو المراد وكأنما دُعوا إلى ذلك وتُدبوا إليه، وقد يكون المراد نداء المطلق نداءً حقيقياً من طائرة أو ما يشبهها مبثوث بوسائل الإذاعة والإعلام الحديثة.

والروايات الأكثر عدداً دالة على أن أحد طرفي النزاع هو السفيناني، فقد روى ابن حماد بسنده عن علي عليه السلام قال: «يظهر السفيناني على الشام، ثم يكون بينهم وقعة بقرقيسيا حتى تشبع طير السماء وسباع الأرض من جيفهم»^(٢).

وفي رواية عقد الدرر: «ثم يسير - السفيناني - إلى الموضع المعروف بقرقيسياء فيكون له بها وقعة عظيمة، ولا يبقى بلد إلا بلغه خبره، فيداخلهم من ذلك الجزع»^(٣).

وأما الطرف المقابل للسفيناني فقد اختلفت الروايات الواردة من

(١) الغيبة: ٢٧٨، وعنه البحار ٥٢: ٢٤٦ والسند فيه عن عبد الواحد بن عبد الله عن محمد بن جعفر القرشي عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن سنان عن حذيفة بن المنصور عن أبي عبد الله عليه السلام... وفيه - أي السند - محمد بن سنان وهو مختلف فيه.

(٢) كتاب الفتن لابن حماد: ٨٢ مستدرک الحاكم ٤: ٥٠١، عقد الدرر: ٨٧ ب ٤.

(٣) عقد الدرر: ٩٠.

طرق العامة فيه، فالأكثر يدل على مقاتلته الترك والروم، ففي رواية ابن حماد عن أرطأة: إذا اجتمع الترك والروم، وحسف بقرية بدمشق، وسقط طائفة من غربي مسجدها رفع بالشام ثلاث رايات: الأبقع والأصهب والسفياني، ويحصر بدمشق رجل فيقتل ومن معه^(١)، ويخرج رجالان من بني أبي سفيان فيكون الظفر للسفاني، فإذا أقبلت مادة الأبقع من مصر ظهر السفاني بجيشه عليهم، فيقتل الترك الروم بقرقيسيا حتى تشبع سباع الأرض من حومهم^(٢).

وفي رواية أخرى يرويها ابن حماد وآخرون عن أرطأة: يدخل السفاني الكوفة فيسبها ثلاثة أيام ويقتل من أهلها ستين ألفاً، ثم يمكث فيها ثمانية عشر ليلة يقسم أموالها، ودخوله مكة بعد ما يقاتل الترك والروم بقرقيسيا^(٣).
وهناك روايات تدل على أن المعركة بين أهل المشرق والسفاني وإن عبرت بعضها بالصخري.

فقد روى ابن حماد عن أرطأة أنه قال في حديث: وتخرج رايات من المشرق مسودة فتنزّل الكوفة فيتوارى رئيسهم فلا يدري موضعه، فيتحير ذلك الجيش ثم يخرج رجل كان مختفياً في بطن الوادي فيلي أمر ذلك الجيش، وأصل مخرجه غضب مما صنع الصخري بأهل بيته، فيسير بجنود المشرق نحو الشام، ويبلغ الصخري مسيره إليه فيتوجه بجنود أهل المغرب إليه، فيلتقون بجبل الحصى، فيهلك بينهما عالم كثير، ويولي المشرقي منصرفاً ويتبعه الصخري فيدرکه بقرقيسيا عند مجمع النهرين، فيلتقيان فيفرغ عليها الصبر فيقتل من جنود المشرقي من كل عشرة سبعة، ثم يدخل جنود الصخري الكوفة فيسوم

(١) كتاب الفتن: ١٧٠.

(٢) كتاب الفتن: ٧٦.

(٣) كتاب الفتن: ٨٤، عرف السيوطي ٢: ٦٧، ولا يدخل مكة أي السفاني وإنما

أهلها الخسف^(١).

فهذه الرواية تفرض وجود شخص متخفي في بعض الوديان يعني في منطقة جبلية كشمال العراق مثلاً، ويكون أهله بالشام مثلاً يغدر بهم الصخري والراجح أنه السفياني، فيأتي لينتقم ويتصلى لقيادة جيش المشرق المتحير، الذي يحتمل إرادة جيش العراق أو الجيش المستقر في العراق، كما أن معنى أهل المغرب في هذه الرواية هم أهل الشام.

ثم إن هناك رواية تدل على أن أحد طرفي النزاع هم ولد العباس.

ثم إن هناك رواية قد تذكر خروج السفياني جاء فيها: «ويكون في ذلك الوقت رجال البربر يقاتلون رجال الملك من ولد العباس، فيفاجئهم السفياني في عصاب أهل الشام، فتختلف الثلاث رايات: رجال ولد العباس وهم الترك والعجم وراياتهم سوداء، وراية البربر صفراء، وراية السفياني حمراء، فيقتتلون بطن الأردن قتالاً شديداً فيقتل فيما بينهم ستون ألفاً فيغلب السفياني... ثم يسير إلى الموضع المعروف بقرقيسيا، فيكون له بها وقعة عظيمة، ولا يبقى بلد إلا بلغه خبره فيداخلهم من ذلك الجزع ثم يرجع إلى دمشق وقد دان له الخلق»^(٢).

فقد جعلت الرايات السود هي رايات ولد العباس التي رجالها الترك والعجم يعني من غير العرب، والنتيجة أنه لم يثبت سوى تحقق معركة قرقيساء وضراوتها وكثرة القتلى فيها دون تعيين الأطراف المتنازعة فيها، وإن كان الأرجح طرفية السفياني وجيشه فيها، ويبقى الطرف الآخر فيه احتمالات أقواها أنه الجيش الذي يكون في العراق من ملل متعددة عبر عنها بالترك والروم، والأصح من جميع ذلك هو تعدد الأطراف المتنازعة في قرقيسيا

(١) كتاب الفتن ٧٣، الملاحم لابن طاووس: ٤٩.

(٢) عقد الدرر: ٩٠ - ٩٩.

فولد العباس وجيوش الترك والروم أو العجم يعني الأجانب تدعمهم،
والمرواني الذي هو أحد رؤساء دول الشام، والسفياي الذي هو رئيس
آخر من رؤساء دول الشام وغيره جمعاً بين الأخبار والأخذ بها الأولى من
طرح شيء منها.

حركة السفياي نحو العراق:

المروي أن السفياي يجيش جيشين جيشاً إلى العراق والآخر إلى الحجاز،
ولكن بعض الروايات تدل على أنه جيش واحد يبعثه أولاً إلى العراق ثم
يذهب إلى المدينة.

فقد روى حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا خرجت السودان طلبت
العرب ينكشفون حتى يلحقوا ببطن الأردن، فبينما هم كذلك إذ خرج
السفياي في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق، فلا يأتي عليه شهر
حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفاً فيبعث جيشاً إلى العراق، فيقتل
بالزوراء مائة وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها، فعند ذلك تخرج راية من
المشرق يقودها رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في
أيديهم من سبي أهل الكوفة ويقتلهم ويخرج جيش آخر من جيوش
السفياي إلى المدينة»^(١).

فهذه الرواية تدل على أن للسفياي جيوش وليس جيش واحد وأن
الجيش الذي يبعثه إلى المدينة غير الجيش الذي يبعثه إلى العراق، لأنه قال
«ويخرج جيش آخر من جيوش السفياي إلى المدينة» فإن كلمة جيش آخر
تعني أن له جيشين، وقوله «من جيوش السفياي» يدل على أن له جيوش
متعددة.

ويدل على التعدد ما رواه الطبري في دلائل الإمامة بسنده عن يونس بن أبي يعفور قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا خرج السفينياني بعث جيشاً إلينا وجيشاً إليكم، فإذا كان ذلك فأتونا على كل صعب وذلول»^(١).

وتفصيل ذلك ما رواه النعماني بعدة طرق معتبرة عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن أبي المقدم عن جابر بن يزيد الجعفي عن الباقر عليه السلام في حديث بعد ذكر سيطرة السفينياني على الشام قال: «ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق، ويمرّ جيشه بقرقيسياء فيقتلون بها، فيقتل بها من الجبارين مائة ألف، ويبعث السفينياني جيشاً إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفاً فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً فبينما هم كذلك إذ أقبلت رايات من قبل خراسان تطوي المنازل طياً حثيثاً ومعهم نفر من أصحاب القائم، ثم يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء فيقتله أمير جيش السفينياني بين الحيرة والكوفة»^(٢).

فالمراحل التي يطويها السفينياني عند دخوله إلى العراق تتلخص في معركة قرقيسياء في شمال العراق الغربي، التي هي اليوم داخل سوريا وقد تقدم الكلام عنها.

والمرحلة الثانية فتح مدن العراق في طريقه إلى بغداد وتخريبها، والمرحلة الثالثة دخول بغداد وتخريبها.

تخريب مدن العراق:

جاء في رواية مختصر البصائر عن علي بن مهزيار مرفوعاً، عن صاحب الزمان عليه السلام: «ثم يظهر السفينياني ويسير جيشه إلى العراق فيخربه

(١) دلائل الإمامة: ٤٨٧.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧٨.

ويخرب الزوراء وتركها جماء ويخرب الكوفة والمدينة^(١)، فهي تشير إلى تخريب العراق الذي هو تخريب مدنه قبل تخريب الزوراء.

وفي رواية أخرى: يقدم على القائم رجل فيقول كنت وأخي نذيراً في جيش السفيناني فخرينا الدنيا من دمشق إلى الزوراء وتركتنا حمماً وخربنا الكوفة^(٢).

فهي تدل على تخريب المدن العراقية من غرب العراق إلى بغداد.

دخول بغداد:

فقد تقدم في رواية حذيفة أنه يقتل بالزوراء مائة ألف.

وفي رواية أخرى عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وآله ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب وقال: «فبينا هم كذلك يخرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وآخر إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل من المدينة الملعونة - يعني بغداد - فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويفضحون أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة»^(٣).

وقد تقدم في رواية المختصر أن السفيناني يخرب الزوراء وهي بغداد.

وفي رواية ابن طاووس عن معاذ بن جبل قال: بينما أنا وأبو عبيدة الجراح وسلمان جلوس ننتظر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ خرج علينا في الهجير مرعوباً متغير اللون، فقال: «من ذا، أبو عبيدة، معاذ، سلمان؟» قلنا: نعم يا رسول الله، فذكر الفتن ثم قال: «تكون وقعة بالزوراء»، قالوا: يا رسول

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٨٥.

(٢) الهداية الكبرى: ٣٩٨.

(٣) البحار ٥٢: ١٨٦.

الله وما الزوراء؟ قال: «مدينة بالمشرق بين أنهار يسكنها شرار خلق الله وجبايرة من أمتي تقذف بأربعة أصناف من العذاب: بالسيف وخسف وقذف ومسح».

وقال عليه السلام: «إذا خرجت السودان طلبت العرب ينكشفون حتى يلحقوا ببطن الأردن، فيينا هم كذلك إذ خرج السفيناني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق، فلا يأتي عليه شهر حتى يبایعه من كلب ثلاثون ألفاً، فيبعث جيشاً إلى العراق فيقتل بالزوراء مائة ألف، وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها»^(١).

وفي رواية ابن حماد عن أبي عثمان عن جامع عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا ظهر السفيناني على الأبقع وعلى المنصور والكندي، والترك والروم خرج وصار إلى العراق، ثم يطلع القرن ذو الشفا فعند ذلك هلاك عبد الله ويخلع المخلوع ويتسبب أقوام في مدينة الزوراء على جهل فيظهر الأخصر على مدينة عنوة فيقتل بها مقتلة عظيمة وتقتل ستة أكبش من آل العباس ويذبح فيها ذبحاً صبراً ثم يخرج إلى الكوفة»^(٢).

دخول الكوفة:

ينحدر السفيناني إلى الكوفة بجيش يربو على السبعين ألف، ومقصوده الأول في الحقيقة مدينة النجف الأشرف معقل التشيع لأن الراوية ذكرت أنهم ينزلون الكوفة موضع قبر هود، وهو في وادي السلام من النجف.

ويتصف دخوله الكوفة أو النجف بالعنف والوحشية التي لا مثيل لها والقسوة التي لم يسمع نظيرها - كما سيأتي تفصيله - كل ذلك بهدف

(١) الملاحم والفتن: ١٣٧ ب ٦٠.

(٢) كتاب الفتن: ٨٢.

الانتقام من الشيعة الإمامية وأتباع أهل البيت عليهم السلام إما بدافع سياسي أو بدافع عدواني أموي أو كلاهما معاً، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قل: «ويدخل جيش السفيناني الزوراء وبابل والكوفة والغريين ويفعل الأفاعيل الشيعة»^(١).

وروي أنه: «يبعث بعثاً إلى الكوفة فيصاب بأناس من شيعة آل محمد بالكوفة قتلاً وصلباً»^(٢).

وفي رواية ثانية: «أن جيش السفيناني يدخل إلى الكوفة فلا يدعون أحداً إلا قتلوه، وإن الرجل منهم ليمر بالدرة المطروحة العظيمة فلا يتعرض لها، ويرى الصبي الصغير فيلحقه فيقتله...»^(٣).

بل في رواية ثالثة: «كأني بالسفيناني أو بصاحب السفيناني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة فنادى مناديه: من جاء برأس رجل من شيعة علي فله ألف درهم، فيثب الجار على جاره يقول: هذا منهم، فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم، أما إن أمارتكم يومئذ لا تكون إلا لأولاد البغايا، وكأني أنظر إلى صاحب البرقع، قلت: ومن صاحب البرقع؟ فقال: رجل منكم يقول بقولكم، يلبس البرقع فيحوشكم فيعرفكم ولا تعرفونه، فيغمز بكم رجلاً رجلاً، أما إنه لا يكون إلا ابن بغية»^(٤).

(١) الملاحم والفتن: ٢٦٣.

(٢) تفسير العياشي: ١: ٦٤ ح ١١٧، البحار: ٥٢: ٢٢٢ ح ٨٧. وسنده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام والسند معتبر.

(٣) اليقين: ٤٢٣، البحار: ٥٢: ٢١٧ - ٢١٩ ح ٨٠. والسند عن محمد بن المشهدي بإسناده عن محمد بن القاسم عن أحمد بن محمد عن مشايخه عن سليمان الأعمش عن جابر عن أنس بن مالك عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٥٠ ح ٤٥٣، البحار: ٥٢: ٢١٥ ح ٧٢ والسند فيه عن الفضل عن إسماعيل بن مهران عن عثمان بن جبلة عن عمر بن أبان الكلبي عن أبي عبدالله عليه السلام وفيه عثمان بن جبلة مجهول.

وما هذا التشديد على أهل البيت وشيعتهم إلا لأنهم الفرقة المحقة والثلة المؤمنة التي يتكالب عليها شياطين الدنيا وأتباعهم كما قتلوا أنبياء الله سبحانه من قبل وعذبوهم وقتلوا أتباعهم وعذبوهم على مر الدهور، وأبسط دليل على صدق ذلك إخبار الرسول والأئمة بذلك وتحققه، مع إخبارهم بأن قاتليهم هم أبناء البغايا، ألا بُعداً للقوم الظالمين.

ومهما يكن من ذلك فقد ورد في خبر: «بعث السفيناني مائة وثلاثين ألفاً إلى الكوفة، فينزلون بالروحاء والفاروق وموضع مريم وعيسى عليهما السلام بالقادسية، ويسير منهم ثمانون ألفاً حتى ينزلوا الكوفة موضع قبر هود عليه السلام بالنخيلة، فيهجموا عليه يوم زينة وأمير الناس جبار عنيد يقال له: الكاهن الساحر، فيخرج من مدينة يقال لها الزوراء في خمسة آلاف من الكهنة، ويقتل على جسرها سبعين ألفاً حتى يحتمي الناس الفرات ثلاثة أيام من الدماء وتنت الأجسام، ويسبي من الكوفة أباكراً لا يكشف عنها كف ولا قناع حتى يوضعن في الحامل يزلف بهن الثوبية وهي الغريين»^(١).

وفي رواية ابن حماد عن أرطلة، قل: «يدخل السفيناني الكوفة فيسببها ثلاثة أيام، ويقتل من أهلها ستين ألفاً، ثم يمكث فيها ثمانية عشر ليلة يقسم أموالها... وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفيناني نزولهم فيهربون ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم»^(٢)، فإذا كان دخوله الكوفة هو المرحلة الرابعة فالمرحلة الخامسة هي قدوم أهل خراسان.

فقد ورد أنه عند دخول جيش السفيناني الكوفة تخرج راية من المشرق يقودها رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في أيديهم

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٩ من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام تسمى المخزون.

(٢) كتاب الفتن: ٨٤، الحاوي ٢: ٦٧.

من سبي الكوفة ويقتلهم.

وفي خبر آخر: فيبعث - أي السفيناني - جيشاً إلى العراق فيقتل بالزوراء مائة ألف، وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها، فعند ذلك تخرج راية من المشرق يقودها رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في أيديهم من سبي أهل الكوفة ويقتلهم.

والأجل من كل ذلك ما روي:

«إذا خرجت خيل السفيناني إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود، على مقدمته شعيب بن صالح، فيلتقي هو وأصحاب السفيناني بباب اصطخر فتكون بينهم ملحمة عظيمة فتظهر الرايات السود، وتهرب خيل السفيناني، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه»^(١).

وروي ابن حماد بسنده عن عمار بن ياسر قال: «وتقبل خيل السفيناني كالليل والليل، فلا تمر بشيء إلا أهلكته وهدمته حتى يدخلون الكوفة فيقتلون شيعة آل محمد، ثم يطلبون أهل خراسان في كل وجه، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي فيدعون له وينصرونه»^(٢).

وهناك خبر يفصل قصة استنقاذ السبي أكثر من ذلك، يرويه ابن حماد عن أرطاة جاء فيه: وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء، فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفيناني نزولهم فيهربون، ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم، ويخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم العصب ليس معهم سلاح إلا قليل، وفيهم نفر من أهل البصرة فيدركون أصحاب السفيناني فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات

(١) كتاب الفتن: ١٩٢، كنز العمال: ١٤: ٥٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ٨٢.

السود بالبيعة إلى المهدي^(١).

فهي تدل على أن أصحاب الرايات السود يستنقذون من الكوفة من السجناء من بني هاشم، بينما العصب من الكوفة هم الذين يستنقذون سبي الكوفة بعد انكسار جيش السفيناني أو هروبه أمام أهل الرايات السود.

ويدل على ذلك أيضاً ما رواه الطبري بسند عن حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب فقال: «فبيننا هم كذلك إذ خرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فوره ذلك، حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الحبيثة فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين فيقتلونهم لا يقلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم»^(٢).

ونرجع إلى قساوة السفيناني وأعماله عند دخوله العراق وخصوصاً بغداد والكوفة، فقد روى ابن طاووس عن النبي ﷺ أنه ذكر الفتن فقال: «تدخل مدينة الزوراء، فكم من قتيل وقتيلة ومال منتهب وفرج مستحل، رحم الله من آوى نساء بني هاشم يومئذ وهن حرمتي، ثم ينتهي إلى ذكر السلطان بذي الغريين، فيخرج إليهم فتيان من مجاهم، عليهم رجل يقال له صالح، فتكون الدائرة على أهل الكوفة»^(٣).

(١) كتاب الفتن: ٨٤.

(٢) تفسير الطبري ٢٢: ٧٢.

(٣) الملاحم والفتن: ١٣٧ ب ٦٠.

وفي رواية أخرى يروها ابن حماد عن علي بن أبي طالب عليه السلام: «وسير الجيش النبي بعث إلى المشرق حتى ينزلوا الكوفة، فكم من دم مهراق وبطن مبقر، ووليد مقتول، ومال منهوب، ودم مستحل»^(١).

ولا يتوقف إجرامه على من في العراق والشام، بل يشمل الذين هربوا إلى الغرب فقد جاء في رواية عقد الدرر مرسلًا عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ثم يهرب قوم من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بلد الروم، فيبعث السفيناني إلى ملك الروم: رد إليّ عبيدي، فيردهم إليه، فيضرب أعناقهم على الدرج شرقي مسجد دمشق، فلا ينكر ذلك عليه، ثم يسير في سبعين ألفاً نحو العراق والكوفة والبصرة، ثم يدور الأمصار والأقطار ويحل عرى الإسلام عروة بعد عروة، ويقتل أهل العلم ويحرق المصاحف ويخرب المساجد ويستبيح الحرام ويأمر بضرب الملاحية والمزامر في الأسواق، والشرب على قوارع الطرق، ويحلل لهم الفواحش، ويحرم عليهم كل ما افترضه الله عزوجل عليهم من الفرائض، ولا يرتدع عن الظلم والفجور، بل يزداد تمرداً وعتواً وطغياناً، ويقتل من كان اسمه محمداً وأحداً وعلياً وجعفرأً وحمةً وحسنأً وحسينأً وفاطمةً وزينب ورقية وأم كلثوم وخديجة وعاتكة حنقأً وبغضاً لبيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم يبعث فيجمع الأطفال، ويغلي الزيت لهم، فيقولون: إن كان آباؤنا عصوك فنحن ما ذنبنا»^(٢)؟

فالتحصّل من جميع هذه الروايات أن السفيناني يدخل العراق ويكون أول اشتباك له مع جيش العراق في ملتقى الفرات والخابور يقتل عندها الكثير، مائة ألف أو أكثر، ثم يخرب المدن التي في طريقه إلى بغداد، فإذا

(١) كتاب الفتن: ٨١.

(٢) عقد الدرر: ٩٠.

دخل بغداد سوف يدخلها بغير مقاومة بعد انكسار الجيش في ملتقى الخابور، وإنما يقوم بسفك الدماء ومطاردة بني هاشم حتى النساء فيقتل بها أكثر من ثلاثة آلاف ويقر بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها أكثر من ثلاثمائة كبش لبني العباس.

ثم ينحدر إلى الكوفة ويكون له قتال مع قوة ضعيفة من الكوفة والنجف سرعان ما يتغلب عليها ويستبيح الكوفة والنجف على أثرها قاصداً اجتثاث أصل الشيعة الإمامية وأتباع أهل البيت عليهم السلام وإن كان هدفه الأكبر هو هدم الإسلام بكامله، وذلك لما جاء في رواية جابر: «ثم يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء فيقتله أمير جيش السفيناني بين الخيرة والكوفة»^(١).

ثم يقوم بقتل الأطفال واستحياء النساء وأخذهن سبايا، عند ذلك يسمع بمجيء الرايات السود ووصولها إلى نهر دجلة بحيث يعلم بعدم قدرته على مقاومتهم، فيهمُّ بالهروب فتقبل الرايات وتستنفذ بني هاشم من يده، وتخرج قوات من الكوفة فتلحق بجيش السفيناني ويأخذون ما في أيديهم من النساء السبايا.

فهذه الروايات وإن كان البعض منها ضعيف السند لكن هذه المطالب قد تكرر نقلها في الأخبار المروية من طرق العامة والإمامية بحيث يمتنع التواطؤ على الكذب.

جيش الغضب:

ولا بأس بالإشارة إلى جيش الغضب أو العصب على اختلاف النقل رغم أنهم جماعة قليلة وضعيفة غير أنهم يقومون بعمل جبار يتمثل باستنقاذ سبايا الكوفة وغيرها من جيش السفيناني بعد تراجعه من الكوفة وانهزامه أمام جيوش خراسان واستصحابه النساء والأطفال.

(١) كتاب الغيبة: ٢٧٨.

فقد روى ابن حماد بسننه عن أرطاة قال: «وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء، فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفيناني نزولهم فيهربون، ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم، ويخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم العصب ليس معهم سلاح إلا قليل، وفيهم نفر من أهل البصرة، فيدركون أصحاب السفيناني فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي»^(١).

عما يبدو أن هذا الخروج عفوي انفعالي من دون تدبير سابق وإنما خروجهم غضب مما صنع جيش السفيناني.

وروى ابن حماد أيضاً بسننه عن أبي جعفر عليه السلام قال في حديث يذكر فيه المعارك التي تدور بين السفيناني والخراساني: «ثم يخرج على الأخص قوم من سوادهم وهم العصب، علمتهم من الكوفة والبصرة حتى يستنقذوا ما في أيديهم من سبي كوفان»^(٢).

ولعل خروجهم يكون من مدن العراق الجنوبية وإن جاء التعبير بالكوفة والبصرة؛ لأن الكوفة والبصرة آنذاك تشمل أكثر العراق.

وتمتاز رواية الشيخ النعماني بتفصيل أكثر.

حيث روى عن جابر قال حدثني من رأى المسيب بن نجبة قال: وقد جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام ومعه رجل يقال له ابن السوداء فقال له: يا أمير المؤمنين إن هذا يكذب على الله وعلى رسوله ويستشهدك. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد أعرض وأطول ملاذاً؟ فقل: يذكر جيش الغضب، فقل: خل سبيل الرجل، أولئك قوم يأتون في آخر الزمان قزع كقزع الخريف والرجل والرجلان والثلاثة من كل قبيلة حتى يبلغ تسعة، أما والله إنني

(١) كتاب الفتن: ٨٣.

(٢) كتاب الفتن: ٨٦.

لأعرف أميرهم واسمه ومناخ ركبهم، ثم نهض وهو يقول: باقرأً باقرأً باقرأً، ثم قال: ذلك رجل من ذريتي يبقر الحديث بقرأً»^(١).

فهي تدل على أهمية الحدث الذي فهمته من تهمة السائل واضطرابه وثقل ذلك على مسامعه حيث يقول الإمام عليه السلام لما شاهد حاله واضطرابه: «لقد أعرض وأطول ماذا؟» يعني ماذا قال من الكلام الطويل العريض الذي ثقل عليك؟

وتدل على العفوية بمقتضى قوله عليه السلام: «قزع كقزع الخريف والرجل والرجلان...» وإن أكد أن لهم أمير يقودهم بأوصاف عالية واسمه باقر.

ويستفاد من هذا الكلام وجوده حينها لأن ظاهر الكلام أنه أمير بالفعل.

ولعل بعض أهل الذوق يستفيد من تكرار كلمة باقر توالي ثلاث امراء بهذا الاسم والصفة وللکلام محل آخر.

دخول السفيناني المدينة:

اتفقت الأخبار على إرسال السفيناني جيشاً إلى المدينة، غير أن المختلف فيه إرساله من دمشق كما تدل عليه بعض الأخبار القائلة إن السفيناني بيعت جيشين جيشاً إلى العراق وجيشاً إلى المدينة، مما ظاهره اختلاف الجيشين وليس جيش العراق هو الغازي للمدينة، وإنما هو جيش آخر وفي نفس الوقت بيعته من دمشق.

وهناك أخبار تدل على أن جيش السفيناني بعدما يغزو الكوفة يتوجه إلى المدينة.

فمن الأول رواية حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله يقول: «فيينا هم كذلك يخرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين، جيشاً إلى المشرق وآخر إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل... ويحل

الجيش الثاني بالمدينة فيتهبونها ثلاثة أيام بلياليها..^(١)، وأمثال هذه الرواية عن أهل البيت عليهم السلام متعددة.

بينما يروي ابن حماد بسند عن علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «يكتب السفيناني إلى النبي دخل الكوفة بخيله بعد ما يعركها عرك الأديم يأمره بالسير إلى الحجاز، فيسير إلى المدينة فيضع السيف في قرش فيقتل منهم ومن الأنصار أربعمائة رجل، ويقر البطون، ويقتل الولدان، ويقتل أخوين من قرش، رجل وأخته يقال لهما محمد وفاطمة ويصلبهما على باب المسجد بالمدينة»^(٢).

والتحقيق أن الجيشين لا يكونان في وقت واحد، وإنما يرسل الجيش إلى المدينة بعد خروجه من الكوفة وإعادة تجهيزه وتنظيمه وإضافته بالعدد والعدد مما يجعله جيشاً آخر، وليس في الرواية الأولى دلالة على أن الجيشين في وقت واحد والغزوين في وقت واحد، فهو يبعث جيشين على التوالي، واحداً بعد الآخر، ولذا عبّر عن جيش المدينة بالجيش الثاني.

ولأجل ذلك قال البعض: ذكرت بعض الروايات أن السفيناني يرسل إلى المدينة ومكة قسماً من جيشه الذي يكون في العراق وقسماً من الشام عاصمة حكمه، ولعل هذا هو السبب في الروايات التي ذكرت أن هذا الجيش من قبل المغرب أي الشام تارة ومن قبل العراق أو المشرق تارة أخرى. وهذا الكلام وإن كان غير دقيق إلا أنه قريب مما هو التحقيق.

جيش السفيناني يقصد الإمام المهدي عليه السلام :

ثم إن الروايات تذكر أن المهدي عليه السلام يكون في المدينة حينما يبعث السفيناني الجيش إليها فينفر منها إلى مكة.

(١) البحار ٥٢ : ١٨٦، تفسير الطبري ٢٢ : ٧٢، مجمع البيان ٤ : ٣٩٨.

(٢) كتاب الفتن: ٨٨ الملاحم والفتن: ٥٦ ب ١٠٧.

وذلك كرواية ابن حماد بسنده عن علي عليه السلام قال: «بيعت بجيش إلى المدينة، فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد عليهم السلام ويقتل من بني هاشم رجال ونساء، فعند ذلك يهرب المهدي والمبيض من المدينة إلى مكة، فيبعث في طلبهما وقد لحقا بجرم الله وأمنه»^(١).

ويدعمها رواية جابر الجعفي التي تشبث بالاعتبار، حيث جاء فيها عن أبي جعفر عليه السلام: «وبيعت السفيناني بعثاً إلى المدينة فينفر المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير الجيش السفيناني أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشاً على أثره»^(٢).

ومما يبدو أن المهدي عليه السلام لا ينفر لوحده إلى مكة حيث ذكرت رواية ابن حماد هروب المبيض معه، وفي روايات أخرى يهرب هو والمنصور.

ففي رواية العياشي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «فيبعث بعثاً إلى المدينة فيقتل بها رجلاً، ويهرب المهدي والمنصور منها، ويؤخذ آل محمد صغيرهم وكبيرهم، لا يترك منهم أحداً إلا حبس، ويخرج الجيش في طلب الرجلين»^(٣).

والمنصور هذا مردد بين اليماني الذي يأتي الكلام عنه، وبين الخارج من إيران ولعله شعيب بن صالح.

فقد روى ابن حماد عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «إذا ظهر السفيناني على الأبقع والمنصور اليماني خرج الترك والروم فظهر عليهم السفيناني»^(٤).

بينما يروي أبو داود عن علي عليه السلام: «يخرج رجل من وراء النهر يقال

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

(٢) الغيبة للنعمانى: ٢٧٩ ب ١٤ ح ٦٧.

(٣) تفسير العياشي ١: ٦٤ ح ١١٧، البحار ٥٢: ٢٢٢.

(٤) كتاب الفتن: ٥٩.

له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له المنصور يوطئ ويمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وجب على كل مؤمن نصره أو قال: إجابته^(١).

ويطلق وراء النهر علة على ما وراء نهر جيحون من سمرقند وبخارى وغيرها.

فيكون المراد شعيب بن صالح بقريئة ما رواه الشيخ الطوسي عن حذلم بن بشير عن علي بن الحسين عليهما السلام فإن فيها: «ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند»^(٢)، حيث إن سمرقند هي وراء النهر.

وأيضاً ما رواه عن عمار بن ياسر: «ثم يخرج المهدي على لوائه شعيب بن صالح»^(٣).

وخصوصاً فإن رواية ابن حماد عن علي عليه السلام المارة عبرت مكان المنصور بالبيض، والبيض هو شعيب بدليل ما رواه السليلي عن معاذ بن جبل: «تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح»^(٤)، والمبيضة هم الذين يلبسون الثياب البيض.

فجميع ذلك يقوي إرادة شعيب بن صالح من كلمة المنصور الذي يفر مع المهدي من المدينة عند قدوم جيش السفيناني إليها، نعم هناك رواية تدل على أن راية اليماني بيضاء فقد يطلق عليه المبيض باعتبار رايته.

والذي يبدو أن الخروج من المدينة لا يقتصر على هذين النفرين، بل يخرج الكثير كما جاء في رواية ابن حماد عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

(١) سنن أبي داود ٤: ١٠٨ ح ٤٢٩.

(٢) الغيبة: ٤٤٤.

(٣) الغيبة: ٤٦٤.

(٤) الملاحم والفتن لابن طاووس: ١٣٧.

«يهرب ناس من المدينة إلى مكة حين يبلغهم جيش السفياني، منهم ثلاثة نفر من قريش منظور إليهم»^(١).

وتؤكد خروج ثلاثة نفر قرشيين منظور إليهم رواية ابن حماد الأخرى عن علي عليه السلام وفيها: «يخرج ثلاثة نفر من قريش إلى مكة من جيش السفياني منظور إليهم، فإذا بلغهم الخسف اجتمعوا بمكة لأولئك النفر الثلاثة من البلاد فيبايع أحدهم كرهماً»^(٢).

وبعد كل ذلك فالأخبار تتحدث عن قسوة السفياني وبطشه عند دخول المدينة حتى جاء في بعض الأخبار: «تكون بالمدينة وقعة تفرق فيها أحجار الزيت، ما الحرة عندها إلا كضربة سوط، فيمتنحى عن المدينة قدر بريدين ثم يبايع المهدي»^(٣).

فما هذه الوقعة التي تكون وقعة الحرة - وهي هجوم يزيد على المدينة الذي اختلط فيها دماء الفروج بدماء أصحاب السروج - عندها كضربة سوط.

هذه الأخرى تنتهك فيها الحرمات بنحو أشد كما ذكر ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب بعثه إلى معاوية فكان فيه: «وأن رجلاً من ولدك مشوم ملعون، جلف جاف، منكوس القلب، فظ غليظ، قد نزع الله من قلبه الرأفة والرحمة، أخواله من كلب، كأني أنظر إليه ولو شئت لسميته ووصفته وابن كسم هو فيبعث جيشاً إلى المدينة فيدخلونها، فيسرفون فيها في القتل والفواحش، ويهرب منهم رجل من ولدي زكي نقي الذي يملا الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٤)، حيث عبر عليه السلام بالإسراف في الفواحش.

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ٩٥، عقد الدرر: ٦٦.

(٣) كتاب الفتن: ٨٩.

(٤) كتاب سليم بن قيس: ١٩٧، البحار: ٨: ٥١٦.

بينما تزيد على وقعة الحرة بالنهب كما جاء في رواية حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث: «ويحل جيشه الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة»^(١).

وأكثر من ذلك تعرضهم للنساء الحبالى لما رواه القرطبي عن أبي هريرة قال: «يجيء جيش من قبل الشام حتى يدخل المدينة فيقتل المقاتلة، ويبقر بطون النساء، ويقولون للجلبي في البطن: اقتلوا صباة السوء»^(٢). وفي خبر الناجي من الخسف يقول: وخربنا المدينة، وكسرنا المنبر، وراثت بغالنا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله^(٣).

لكن لو تفحصنا عن علة غزو المدينة الأساسية فهي تكمن في العداء لبني هاشم وبخاصة آل النبي صلى الله عليه وآله وذراريه، بل المقصود الأول هو المهدي عليه السلام بعينه، كما أنه وهو المقصود من عند بعث الجيش الأول إلى الكوفة على ما سبق بيانه.

ففي رواية العياشي عن أبي جعفر عليه السلام: «وبعث بعثاً إلى المدينة فيقتل بها رجلاً، ويهرب المهدي والمنصور منها، ويؤخذ آل محمد صغيرهم وكبيرهم لا يترك منهم أحداً إلا حبس»^(٤).

وفي رواية ابن حماد عن علي عليه السلام قل: «يبعث بجيش إلى المدينة، فيأخذون

(١) تفسير الطبري ٢٢: ٧٢، الداعي: ١٠٤.

(٢) تذكرة القرطبي ٢: ٦٩١، والصبابة قد تقرأ بالتشديد بمعنى الصب والإراقة، فكانها حين تلد تصب السوء صباً، وقد تقرأ بالتخفيف وتعني ما يتبقى في الإناء من الماء القليل فإذا أضيف إلى السوء صارت بمعنى بقية السوء ممن قتل من الرجال.

(٣) البحار ٥٣: ١٠.

(٤) تفسير العياشي ١: ٦٤ ح ١١٧ البحار ٥٢: ٢٢٢.

من قدروا عليه من آل محمد ﷺ ويقتل من بني هاشم رجال ونساء^(١).

ولعل علة العدا لبي هاشم بالإضافة إلى العدا الأصيل بين الهاشميين والأمويين هو ما يصنعه الهاشمي الذي يخرج من المشرق من الأعمال التي تجر الويلات لقوم السفيناني وأصحابه بدليل ما رواه ابن حماد عن أبي قبيل يقول: «بعث السفيناني جيشاً إلى المدينة فيأمر بقتل كل من كان فيها من بني هاشم حتى الحبال؛ وذلك لما يصنع الهاشمي الذي يخرج على أصحابه من المشرق يقول: ما هذا البلاء كله وقتل أصحابي إلا من قبلهم، فيأمر بقتلهم فيقتلون حتى لا يعرف منهم بالمدينة أحد، ويتفرقون منها هاربين إلى البوادي والجبال وإلى مكة، حتى نساؤهم، يضع جيشه فيهم السيف أياماً، ثم يكف عنهم فلا يظهر منهم إلا خائف، حتى يظهر أمر المهدي بمكة، اجتمع كل من شدّ منهم إليه بمكة^(٢)».

فهذه الرواية تفرض أمرين:

الأول: ظهور رجل من بني هاشم في المشرق يقتل بني أمية ويغلظ عليهم، فمن يكون هذا الهاشمي، وقد تقدم الكلام في ذلك.

وتؤيده رواية ابن حماد عن أبي قبيل قل: «ملك رجل من بني هاشم فيقتل بني أمية، فلا يبقى منهم إلى السير لا يقتل غيرهم، ثم يخرج رجل من بني أمية فيقتل بكل رجلين حتى لا يبقى إلا النساء، ثم يخرج المهدي^(٣)».

والثاني: اجتماع بني هاشم أو جماعة منهم في المدينة على خلاف ما هو معهود في انتشارهم في البلاد كإيران والعراق، مما يبدو تحقق ذلك إثر تغيرات سياسية في المنطقة فإن الوضع الراهن لا يدل على تحقق ذلك.

(١) كتاب الفتن: ٨٨.

(٢) كتاب الفتن: ٨٩.

(٣) كتاب الفتن: ٧٥.

وأخيراً نذكر أنه لم يثبت شيء من ذلك من الأخبار المعتبرة سوى بعث السفيناني بعثاً إلى المدينة ونفر المهدي منها إلى مكة.

مصير السفيناني:

الموصوف المذكور في الأخبار أن بني أمية يؤخذون بالسيف جهرة سواء في حكمهم الأول أو في حكمهم الثاني عندما يخرج السفيناني في الشام ويدخل العراق ويستبيح المدينة كما فعل أجداده الأمويون من قبل حيث استمروا بظلمهم حتى أتاح الله سبحانه وتعالى راية من المشرق من خراسان بقيادة أبي مسلم الخراساني، الذي كان على لواء أبي العباس السفاح من الهاشميين استطاع أن يقضي عليهم ويأخذهم بالسيف جهرة بعد معارك ضارية وينهي سلطتهم وحكومتهم، ثم ليعيد التاريخ نفسه ويتيح راية من المشرق من خراسان بقيادة شعيب بن صالح التميمي الذي يكون على لواء المهدي عليه السلام هو الآخر من الهاشميين، فيقاتل بني أمية ويأخذهم بالسيف جهرة بعد معارك طاحنة.

يمكنك أن تستلهم ذلك من الرواية التي يرويها النعماني بعلدة طرق والشيخ الطوسي بطريق معتبر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في حديث: «وقال أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة: إن الله عز وجل ذكره قدر فيما قدر وقضى وحتم بأنه كائن لا بد منه أنه يأخذ بني أمية بالسيف جهرة، وأنه يأخذ بني فلان بغتة»^(١).

هذا الإجمال في مصير السفيناني وقتله بالسيف، ولكن وردت تفاصيل كثيرة تبدأ عندما يدخل الكوفة ويقتل الكبار والصغار وكل من كان اسمه

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٥٣ ح ١٣، وص ٢٣٣ ح ١٩، وص ٢٣٤ ح ٢٢، وكتاب

محمدًا وأحمد وعليًا وجعفر وحمة وحسنًا وحسينًا وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وخديجة وعاتكة حنقًا وبغضًا لآل رسول الله ﷺ ثم بيعت فيجمع الأطفال ويغلي الزيت لهم، فيقولون: إن كان آباؤنا عصوك فنحن ماذنينا؟ فيأخذ منهم اثنين اسمهما حسن وحسين فيصلبهما على مسجد الكوفة، فتغلي دماؤهما كما غلى دم يحيى بن زكريا عليه السلام، فإذا رأى ذلك أيقن بالهلاك والبلاء، فيخرج هاربًا منها متوجهًا إلى الشام يعتكف على شرب الخمر والمعاصي ويأمر أصحابه بذلك كحالة هستيرية، ويخرج في يوم من الأيام وبسببه حربة فيأخذ امرأة حاملًا فيدفعها إلى بعض أصحابه ويقول أفجر بها في وسط الطريق، فيفعل ذلك ويقر بطنها فيسقط الجنين من بطن أمه، فلا يقدر أحد أن يغير ذلك، فتضطرب الملائكة في السماء، فيأمر الله عزوجل جبرئيل عليه السلام فيصيح على سور مسجد دمشق، ألا قد جاءكم الغوث يا أمة محمد، قد جاءكم الغوث قد جاءكم الفرج وهو المهدي فأجيبوه، هذا هو المروي في عقد الدرر^(١)، ويأتي الكلام عن الصوت.

ثم إن السفيناني يبعث جيشًا إلى المدينة في طلب المهدي عليه السلام كما مر فينبؤن بخروجه إلى مكة، فيخرجون على أثره حتى إذا توسطوا البيداء خسف بهم، روى ابن حماد عن ابن عباس يقول: «إذا خسف بجيش السفيناني قال صاحب مكة: هذه العلامة التي كنتم تخبرون بها، فيسيرون إلى الشام فيبلغ صاحب دمشق، فيرسل إليه يبيعه ويبيعه...»^(٢).

وفي رواية أخرى يرويه ابن حماد عن محمد بن علي عليه السلام قال «إذا سمع العائد الذي بمكة بالخسف خرج مع اثني عشر ألفًا فيهم الأبدال حتى ينزلوا إيلياء، فيقول الذي بعث الجيش حين يبلغه الخبر بإيلياء: لعمر الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة، بعثت إليه ما بعثت فسلخوا في الأرض، إن

(١) عقد الدرر: ٩٠.

(٢) كتاب الفتن: ٩٦.

هذا لعبرة وبصيرة، ويؤدي إليه السفيني الطاعة...»^(١)، على أن الكلام في الخسف بالجيش سيأتي مفصلاً كواحدة من العلائم على الظهور.

ونعود إلى رواية عقد الدرر التي تذكر التحاق الحسيني الخارج من خراسان بالإمام المهدي عليه السلام فيسلم إليه الجيش ويكون على مقدمته، وتقع الضجة بالشام إلا إن أعراب الحجاز قد خرجوا إليكم، فيجتمعون إلى السفيني بدمشق فيقولون: أخرج بنا إليهم، فيرونه قد جبن، وهو عالم بما يراد منه، فلا يزالون به حتى يخرجون، فيخرج بخيله ورجاله وجيشه في مائتي ألف وستين ألفاً حتى ينزلوا ببخيرة طبرية، فيسير المهدي عليه السلام بمن معه لا يحدث في بلد حلثة إلا الأمن والأمان والبشرى وعن يمينه جبرئيل عليه السلام، وعن شماله ميكائيل عليه السلام، والناس يلحقونه من الأفاق حتى يلحقوا السفيني على بحيرة طبرية، ويغضب الله عز وجل على السفيني وجيشه، ويغضب سائر خلقه عليهم حتى الطير في السماء فترميهم بأجنحتها، وإن الجبال لترميهم بصخورها، فتكون وقعة يهلك الله فيها جيش السفيني، ويمضي هارباً فيأخذ رجل من الموالي اسمه صباح فيأتي به إلى المهدي عليه السلام وهو يصلي العشاء الآخرة فيبشره، فيخفف في الصلاة ويخرج ويكون السفيني قد جعلت عمامته في عنقه وسحب، فيوقفه بين يديه، فيقول السفيني للمهدي: يا ابن عمي من علي بلخية أكون سيفاً بين يديك، وأجاهد أعداءك، والمهدي جالس بين أصحابه وهو أحيى من العذراء، فيقول: خلّوه.

فيقول أصحاب المهدي: يا ابن بنت رسول الله تمنّ عليه بالحياة وقد قتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله ما نصبر على ذلك!

فيقول: شأنكم وإياه، اصنعوا به ما شئتم، وقد كان خلاه وأفلته، فيلحقه صباح في جماعة إلى عند السدرة فيضجعه وينبجه ويأخذ رأسه ويأتي

به المهدي، فينظر شيعته إلى الرأس فيكبرون ويهللون، ويحمدون الله تعالى على ذلك، ثم يأمر المهدي بدفنه، ثم يسير في عساكره حتى ينزل دمشق.

فقد تضمنت هذه الرواية مطالب ظريفة وتفصيل لطيفة وزوايا غامضة، غير أن لحنها لحن قديم لا يتلائم في بعض الأحيان مع الحال والمستقبل مما يدل على النقل بالنعنى والتفسير من قبل الرواة كقصة سحب السفياني بعمامة التي إن صحّت لدلت على أن السفياني من رجال الدين، لعدم لبس غيرهم العمامة هذه الأيام أو هي كما قلنا من إضافات الرواة وإنشائهم المكمل والكل محتمل.

والشيء الآخر هو قطع رأس السفياني وإتيان المهدي عليه السلام به، فهو ليس مما له عين ولا أثر في عصورنا بعد اختلاف نوع الأسلحة وكيفية القتل، مع تقدم البشر شيئاً فشيئاً مع استحالة تراجع العلم، فهو الآخر لحن قديم ولسان قديم وإن كان ممكن الوقوع لشدة غضب الناس مما يفعله السفياني.

والمهم أن هذه الروايات أشارت إلى عنصر هام في المعركة التي يدور بين السفياني والإمام المهدي عليه السلام وهو المعجزة المتمثلة في الخسف بالجيش وفوران دم المصلوبين، وقد يضاف إليهما أمور أخرى كالصيحة والكف الطالعة في عين الشمس توجب التلكؤ والهزة في عقائد السفياني مما يجعله يتراجع خطوة إلى الخلف، تتمثل هذه الخطوة بالنزول على حكم الإمام المهدي عليه السلام وإرسال البيعة إليه، الأمر الذي دلت عليه أخبار كثيرة منها الخبران اللذان يرويها ابن حماد المتقدمان.

ومنها: الرواية التي يرويها المفسران العياشي والقمي وغيرهما، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لكأني أنظر إليهم مصعدين من نجف الكوفة ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، كأن قلوبهم زبر الحديد، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، يسير الرعب أمامه شهراً وخلفه شهراً، أمده الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين حتى إذا صعد النجف وقال لأصحابه:

تعبدوا ليلتكم هذه، فيبيتون بين راعع وساجد يتضرعون إلى الله، حتى إذا أصبح قال: خذوا بنا طريق النخيلة وعلى الكوفة جند مجند، قلت: جند مجند؟ قال: أي والله حتى ينتهي إلى مسجد ابراهيم عليه السلام بالنخيلة، فيصلي فيه ركعتين، فيخرج إليه من كان بالكوفة من مرجئها وغيرهم من جيش السفياي، فيقول لأصحابه استطردوا لهم، ثم يقول: كرّوا عليهم.

قال أبو جعفر عليه السلام: ولا يجوز والله الخندق منهم نخر، ثم يدخل الكوفة فلا يبقى مؤمن إلا كان فيها أو حنّ إليها، وهو قول أمير المؤمنين علي عليه السلام، ثم يقول لأصحابه سيروا إلى هذا الطاغية، فيدعوه إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله فيعطيه السفياي من البيعة سلماً...^(١).

أضافت هذه الرواية عنصرتين آخرين في تراجع السفياي، أحدهما الخوف والرعب الذي يحصل نتيجة الإمداد بالملائكة وجبرئيل وميكائيل.

والثاني دعوة الإمام ووعظه والاستدلال بكتاب الله سبحانه وسنة نبيه بلحن دعوة الأنبياء التي تكسر الصخور الصماء، حيث لا يجد السفياي بدأ من الاستجابة لتلك الدعوة.

ولم تذكر الأخبار السابقة الدعوة، بل الاستفادة منها تحقق بيعة طوعية ناشئة من العبرة بما يحدث، لكنها لا تنافي ما دلت عليه هذه الرواية الأوضح سنداً من سبق الدعوة.

ولا يتوقف هذا الحال على السفياي وحده، بل يشمل بعض عماله كالذي يكون على المدينة المنعوت بالجرمي، للرواية التي يرويها ابن حماد عن عبد الله بن مسعود قال: يبايع المهدي سبعة رجال علماء توجهوا إلى مكة من أفق شتى على غير ميعاد، قد بايع لكل رجل منهم ثلاثمائة وبضعة

(١) تفسير العياشي ٢: ٥٦ ح ٤٩، تفسير القمي ٢: ٢٠٥، وانظر الكافي ٨: ٣١٣

ح ٤٨٧، وكتاب الغيبة للنعماني: ١٨١ ح ٣٠.

عشر رجلاً فيجتمعون بمكة فيبايعونه، ويقذف الله محبته في صدور الناس، فيسير بهم وقد توجه إلى الذين بايعوا خيل السفيناني عليهم رجل من جرم، فإذا خرج من مكة خلف أصحابه ومشى في إزار ورداء حتى يأتي الجرمي فيبايع له^(١).

والظاهر أن الجرمي هو الذي يأتي الإمام فيبايع له، ولكن قوله له بدل قوله يبايعه قد يعني أخذ البيعة له، أي للإمام عليه السلام.

وهنا يتأتى عنصر آخر دخيل في تصميمات الرؤساء وذوي الشوكة والاعتدال يتمثل في تزلف المتزلفين وإظهار الأطراف والمقربين الحرص على مصلحة الرؤساء والتقرب لهم بالإرشاد إلى صلاحهم، حيث يجيء السفيناني أولئك المقربين من رؤساء كلب وغيرهم ممن بايعه قبل ذلك ليصرفوه عن نزوله على حكم الإمام عليه السلام فيحثونه على التراجع عن تلك البيعة واستقلالها والبقاء على مصدر الحكم والرئاسة، وعدم خلع لباس الملك.

حيث جاء في آخر رواية حماد الأولى التي يروها عن ابن عباس بعد ذكر بيعته: ثم تأتبه كلب بعد ذلك فيقولون: ما صنعت؟ انطلقت إلى بيعتنا فخلعتها وجعلتها له، فيقول: ما أصنع أسلمي الناس، فيقولون: فإننا معك، فاستقل بيعتك، فيرسل إلى الهاشمي، فيكون يومئذ من ركز رمحاً على حي من كلب كانوا له، فلخائب من خاب يوم نهب كلب^(٢).

وعبارة أسلمي الناس تعني وجود من يطالب السفيناني ببيعة الإمام عليه السلام ويكونون قد تركوا السفيناني والتجأوا إليه حتى وجد نفسه وحيداً ملزماً

(١) كتاب الفتن: ٩٧.

(٢) كتاب الفتن: ٩٦، ومعنى ركز رمحاً يراد القهر بالسلاح ووضع اليد والسلطة والقهر بالسلاح على أي منطقة من الشام من القواد والمقاتلين تصير له وتكون تحت رايته.

بالبيعة، فهو عنصر آخر لتراجعه وإرساله بالبيعة، وينحصر العداء في قلوب بني كلب أو خصوص رؤسائهم الذين يثبونه على نقض البيعة والقتال مع تعهدهم بعدم تركه وإسلامه كما أسلمه غيرهم، عندها يحل قتلهم ونهبهم.

وهناك استدلالان آخران على لزوم نقض البيعة يستدل بهما بنو كلب يرويه ابن حماد في ذيل روايته الثانية المتقدمة جاء فيها بعد قوله: ويؤذي إليه السفياي الطاعة: قل: «ثم يخرج حتى يلقي كلباً وهم أخواله فيعيرونه بما صنع ويقولون: كساك الله قميصاً فخلعته، فيقول: ما ترون، أستقبله البيعة؟ فيقولون: نعم، فيأتيه إلى إيليا، فيقول: أقلني، فيقول: «إني غير فاعل»، فيقول: بلي، فيقول له: «أتحب أن أقيلك؟» فيقول: نعم، فيقبله ثم يقول: «هذا رجل قد خلع طاعتي، فيأمر به عند ذلك فيذبح على بلاطة إيليا، ثم يسير إلى كلب فينهبهم فلخائب من خاب يوم نهب كلب»^(١).

فالاستدلال الأول هو الشناعة والتعير، وأن النزول على حكم رجل من بني هاشم عار وخفة، خصوصاً إذا كان النازل من بني أمية وهو محمي الظهر وعنده من يدافع عنه من بني كلب.

والاستدلال الآخر بأن الملك هو قميص قمصه الله سبحانه وتعالى إليه، فهو حقه، إذ لو لم يكن حقه ما قمصه إليه، ولكن النتيجة تكذب هذين الاستدلالين، والسفياي عالم بزيتهما حينما يرفض الإمام إقالته يرضى ويقول نعم، ثم يقول له تطوعاً: أتحب أن أقيلك بعدما يرى فيه التردد والتخوف من الحاليين، وسيأتي أن قتله يكون بعد قتال.

كما دلت عليه رواية التفسيرين الأوضح سنداً، فقد جاء فيها: «فيعطيه السفياي من البيعة سلماً فيقول له كلب وهم أخواله: ما هذا، ما صنعت؟ والله مانبايعك على هذا أبداً، فيقول: ما أصنع؟ فيقولون: استقله، فيستقبله

(وفي نسخة استقبله فيستقبله) ثم يقول له القائم عليه السلام خذ حذرك، فإنني أدبت إليك وأنا مقاتلك، فيصبح فيقاتلهم، فيمنحه الله أكتافهم، ويلتخذ السفيناني أسيراً، فينطلق به ويذبحه بيده^(١).

محل القتل وكيفيته:

اختلفت الأخبار في التعبير عن ذلك، حيث جاء في بعضها ما يفيد أنه يذبح تحت الشجرة التي أغصانها إلى بحيرة طبرية^(٢)، وفي آخر بأن المهدي عليه السلام يأمر به فيذبح على بلاطة إيليا^(٣)، وفي ثالث: «إن المهدي عليه السلام وكلباً يقتلون في بيت المقدس حين يستقبله البيعة فيؤتى بالسفيناني أسيراً، فيأمر به فيذبح على باب الرحبة، ثم تباع نساؤهم وغنائمهم على درج دمشق^(٤)»، وقد تقدم في رواية عقد الدرر أن الذي يقتله رجل من الموالي اسمه صباح يذبحه ويأتي برأسه بعد ما يستعفي القائم فيتركه ثم يوكل أمره إلى أصحابه بعد إصرارهم على قتله.

وأما سائر أصحاب السفيناني وخصوصاً كلب، فقد جاء في رواية عقد الدرر بيان حالهم حيث قال عليه السلام فيها: «يسبقه حتى يترك إيليا ويتابعه الآخر فرقاً منه، ثم يندم فيستقبله، ثم يأمر بقتله وقتل من أمره بالغدر^(٥)»

(١) تفسير العياشي ٢: ٥٦ ح ٤٩، تفسير القمي ٢: ٢٠٥، عن عبد الأعلى الحلبي قال قال أبو جعفر عليه السلام.

(٢) جامع البيان ٥١: ١٧ من رواية حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، منتخب الأنوار المضيئة: ١٩٢ عن أبي جعفر عليه السلام فيها أغصانها مدلاة في بحيرة طبرية مما يلي الشام.

(٣) كتاب الفتن: ٩٥.

(٤) كتاب الفتن: ٩٦.

(٥) عقد الدرر: ٨٤.

ولم يأمره بالغدر سوى كلب كما عرفنا.

والأكثر من ذلك ما جاء في آخر رواية التفسيرين حيث يقول: «ثم يرسل جريفة خيل إلى الروم فيستحضرون بقية بني أمية، فإذا انتهوا إلى الروم قالوا: اخرجوا إلينا أهل ملتنا عندهم، فيأبون، ويقولون: والله لا نفعل، فتقول الجريفة: والله لو أمرنا لقاتلناكم، ثم ينطلقون إلى صاحبهم فيعرضون ذلك عليه، فيقول: انطلقوا فأخرجوا إليهم أصحابهم، فإن هؤلاء قد أتوا بسُلطان عظيم، وهو قول الله: ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾* لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ قال: يعني الكنوز التي كنتم تكثرون ﴿قَالُوا يَا بَوِئَلْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾* فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ لا يبقى منهم نخب^(١).

وتكاد رواية الخائب من خاب يوم نهب كلب أن تكون متواترة.

(١) تفسير العياشي ٢: ٦٠، تفسير القمي ٢: ٦٨، عنهما في البحار ٥٢: ٣٤١ -

٣٤٥ ح ٩١، والآيات ١٢ - ١٥ من سورة الأنبياء.

العلامة السادسة

الخشف

خلاصة الكلام في الخسف

بعدهما يخرج الإمام المهدي ومنصور - المظنون أنه شعيب بن صالح - من المدينة إلى مكة عند وصول جيش السفيناني إليها ويبلغ السفيناني الخبر، يقوم ببعث الجيش في أثرهما إلى مكة، حتى إذا وصلوا البيداء التي تكون على رأس ميل من نبي الحليفة ميقات أهل المدينة باتجاه مكة، وقد أدركهم المساء، فيتوقفون فيها للمبيت، إذ أقبل راع ينظر إليهم ويعجب من كثرتهم وقدرتهم، فيقول: يا ويح أهل مكة ماذا سيصيبهم، فيينا هم كذلك، صاح بهم صائح وهو جبرائيل فتخسف بهم الأرض حتى لا يبقى منهم أحد إلا خسف الله به، فلا ينجو منهم إلا اثنان أو ثلاثة، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ .

فيرجع ذلك الراعي فلا يرى أحداً، فيقول: سبحان الله ارتحلوا في ساعة واحدة، فيجد قطيفة قد خسف ببعضها وبعضها على ظهر الأرض، ويحاول أن يستخرجها فلا يتمكن من ذلك ويعلم أنه قد خسف بهم.

ثم إن الثلاثة الناجين من الخسف ينطلق منهم اثنان إلى دمشق وواحد إلى مكة ليخبروا الناس الخبر، ويبشر المنطلق إلى مكة الإمام عليه السلام وأهل مكة، وينذر الأخران السفيناني بما حدث، وتكون وجوههم من هول الخسف قد صارت إلى ورائهم، مما يضطرهم إلى أن يمشوا القهقري.

العلامة السادسة:

الخسف

الخسف بالجيش من علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام: وفي بعض الأخبار أنه من المحتوم وقد نطق بذلك الكتاب قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزَعُوا فَلَا فُوتَ وَأُخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾^(١) ففي خير مرفوع عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ: «وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب فينا هم كذلك إذ خرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة... ويحل جيشه الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرائيل عليه السلام فيقول يا جبرائيل اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، وذلك قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزَعُوا فَلَا فُوتَ وَأُخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ فلا يبقى منهم إلا رجلاً أحدهما بشير والآخر نذير»^(٢) الخبر.

وفي تفسير القمي في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزَعُوا فَلَا فُوتَ﴾ حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن منصور بن يونس عن أبي خالد الكابلي قال، قال أبو جعفر عليه السلام: «والله لكأني أنظر إلى القائم عليه السلام... فإذا جاء إلى البيداء

(١) سبأ: ٥١.

(٢) تفسير القرطبي ١٤: ٣١٤.

يخرج إليه جيش السفيناني فيأمر الله عزوجل الأرض فيأخذ بأقدامهم وهو قوله عزوجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا آتَانَا بِهِ﴾ يعني بالقائم من آل محمد عليه السلام ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ - إلى قوله - وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني أن لا يعذبوا^(١).

وفي مجمع البيان: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال أبو حمزة الثمالي: سمعت علي بن الحسين والحسن بن الحسن بن علي عليه السلام يقولان: «هو جيش البيداء يؤخذون من تحت أقدامهم»^(٢).

وفي تفسير العياشي عن عبد الأعلى الجبلي قال، قال أبو جعفر عليه السلام: «... فيخرج إليه جيش السفيناني فيأمر الله عزوجل الأرض فتأخذهم من تحت أقدامهم وهو قول الله عزوجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ...﴾ ولا يبقى منهم إلا رجلان يقال لهما وتر وقيس من مراد وجوههما في أفقيتهما يمشان القهقري يخبران الناس بما فعل بأصحابهما»^(٣).

وفي الكتاب الذي وجهه أمير المؤمنين إلى معاوية عندما يذكر جيش السفيناني يقول: «ويقتل صاحب ذلك الجيش رجلاً من ولدي زكياً برياً عند أحجار الزيت، ثم يسير ذلك الجيش إلى مكة، وإني لأعلم اسم أميرهم وعدتهم وأسماءهم وسمات خيولهم، فإذا دخلوا البيداء، واستوت بهم الأرض خسف الله بهم قال الله عزوجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال: من تحت أقدامهم، فلا يبقى من ذلك

(١) تفسير القمي ٢: ٢٠٥، عنه في البحر ٥٢: ٣١٥ ح ١٠ والآيت ٥١ - ٥٤ من سورة سبأ.

(٢) مجمع البيان ٨: ٢٢٨، وانظر تفسير أبي حمزة الثمالي: ٢٧٤.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٥٧.

الجيش أحد غير رجل واحد يقلب الله وجهه من قبل قفاه»^(١).

والذي يدل على أن الخسف بالبيداء من المحتوم ما رواه النعماني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام يقول الراوي قلنا له: السفياي من المحتوم؟ فقال: «نعم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، والقائم من المحتوم، وخسف البيداء من المحتوم...»^(٢).

وأصل القصة كما جاء في رواية جابر المروية بعدة طرق أن السفياي يبعث بعثاً إلى المدينة فينفر المهدي عليه السلام منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفياي أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشاً على أثره، فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفاً يترقب على سنة موسى بن عمران عليه السلام قال: فينزل أمير جيش السفياي البيداء فينادي مناد من السماء: يا بيدا، أبيدي القوم، فيخسف بهم فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر يحول الله وجوههم إلى أفتيتهم وهم من كلب...^(٣).

ويبقى الاختلاف في عدد الجيش الذي يبعثه السفياي ففي الخرائج والجرائح «إذا ظهر المهدي عليه السلام بمكة ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة، فننادى جبرائيل عليه السلام واجتمع إليه أصحابه من الآفاق بعث السفياي أكثر من عشرين ألف رجل يقولون: لا حاجة لنا في بني علي، فإذا بلغوا إلى البيداء خسف الله بهم الأرض، فلا يبقى إلا رجلان منهم ينصرف أحدهما

(١) كتاب سليم بن قيس: ٣٠٩.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥٧. قال أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال حدثنا علي بن الحسن، عن يعقوب بن مؤيد، عن زياد القنطي، عن غير واحد من أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام والكل ثقات على ما يبدو، فيبقى الذين يروي عنهم زياد القنطي فهم مجهولون والرواية مرسلة إلا أن يعني تعددهم.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٧٩، وانظر الاختصاص للشيخ المفيد: ٢٥٥.

إلى السفيناني والآخر يخرج إلى مكة وقد صار قفاهما إلى موضع وجهيهما يخبران الناس بحال عسكر السفيناني^(١).

فقد جعلت عدتهم أكثر من عشرين ألفاً، والنداء قبل الخسف.

وأما حديث الخسف فقد ورد تحديث الناجين من الخسف وقولهم: فلما صرنا في البيداء عرسنا فيها فصاح بنا صائح يا بيداء أبيدي القوم الظالمين فانفجرت الأرض وابتلعت كل الجيش، فوالله ما بقي على وجه الأرض عقل ناقة فما سواه غيري وغير أخي^(٢).

والظاهر أن الصائح والمنادي إنما ينادي من السماء كما جاء في خبر جابر الجعفي؛ قال فيه: «فينزل أمير جيش السفيناني البيداء، فينادي منادٍ من السماء يا بيداء أبيدي القوم، فيخسف بهم فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر يحول الله وجوههم إلى أقفيتهم وهم من كلب»^(٣).

بل هو جبرائيل عليه السلام كما جاء في رواية عقد الدرر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وأما جيش المدينة إذا توسطوا البيداء صاح بهم صائح وهو جبرائيل عليه السلام فلا يبقى منهم أحد إلا خسف الله به، ويكون في أثر الجيش رجلان يقال لهما بشير ونذير، فإذا أتيا الجيش لم يريا إلا رؤوساً خارجة على الأرض، فيسألان جبرئيل عليه السلام ما أصاب الجيش، فيقول أنتما منهم؟ فيقولان: نعم، فيصيح بهما، فتتحول وجوههما القهقري، ويمضي أحدهما إلى المدينة وهو بشير، فيبشرهم بما سلمهم الله عز وجل منه، والآخر نذير، فيرجع إلى السفيناني فيخبره بما نال الجيش عند ذلك»^(٤).

(١) الخرائج والجرائح ٢: ٩٢٦.

(٢) البحار ٥٣: ١٠.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٧٩ ب ٤ ح ٦٧، الاختصاص: ٢٥٥، ومثله في تفسير العياشي

١: ٢٤٤.

(٤) عقد الدرر: ٩٠.

وفي رواية حذيفة عن رسول الله ﷺ: «ويحل جيشه الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل عليه السلام فيقول: يا جبريل اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم»^(١).

وأما الناجي من جيش السفيناني والمخبر فقد اختلفت الروايات في عددهم، فثمة رواية سليم بن قيس تنص على بقاء واحد؛ لأن فيها: «فلا يبقى من ذلك الجيش أحد غير رجل واحد يقرب الله وجهه من قبل قفاه»^(٢)، وعن سعيد بن جبير أنه قال: «فيبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقي أصحابه»^(٣)، وفي رواية العياشي عن جابر: «فلا يفلت منهم إلا مخبر»^(٤).

بينما هناك روايات تدل على بقاء اثنين، ففي رواية العياشي عن عبد الأعلى الحلبي عن أبي جعفر عليه السلام: «فلا يبقى منهم إلا رجلان يقال لهما وتر ووتر من مراد وجوههما في أقفيتهما يمسيان القهقري يخبران الناس بما فعل بأصحابهما»^(٥).

وفي رواية حذيفة التي رواها في الداني: «فلا يبقى منهم إلا رجلان، فيقدمان على السفيناني فيخبرانه خسف الجيش»^(٦).

بينما في رواية الطبري عنه: «ولا ينفلت منهم إلا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير، وهما من جهينة، فلذلك جاء القول: وعند جهينة الخبر اليقين»^(٧).

(١) تفسير القرطبي ١٤ : ٣١٤ .

(٢) كتاب سليم بن قيس : ٣١٠ ، عنه في البحار ٣٣ : ١٥٨ .

(٣) تفسير القرطبي ١٤ : ٣١٤ .

(٤) تفسير العياشي ١ : ٦٤ ح ١١٧ .

(٥) تفسير العياشي ٢ : ٥٦ ح ٤٩ .

(٦) الداني : ١٠٤ .

(٧) تفسير الطبري ٢٢ : ٧٢ ؛ ومثله في تفسير القرطبي ١٤ : ٣١٤ .

وفي رواية عقد الدرر: «فلا يبقى منهم أحد إلا خسف به، ويكون في أثر الجيش رجلان يقال لهما بشير ونذير، فإذا أتيا الجيش لم يريا إلا رؤوسهما... قال: وعند جهينة الخبر اليقين، لأنهما من جهينة»^(١).

وفي الروايات الأكثر اعتباراً أنهم ثلاثة وهم من كلب منها رواية جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام المروية بعدة طرق فإن فيها: «فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر يحول الله وجوههم إلى أقفيتهم وهم من كلب وفيهم نالت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْغَسَ وَجُوهَكُمْ فَتَرُدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾»^(٢).

وهناك شاهد آخر كما جاء في الخبر عن ابن عباس يقول: يبعث صاحب المدينة إلى الهاشميين بمكة جيشاً، فيسمع بذلك الخليفة بالشام فيقطع إليهم بعثاً فيهم ستمائة عريف فإذا أتوا البيداء فنزلوها في ليلة مقمرة أقبل راعي ينظر إليهم ويعجب ويقول: يا ويح أهل مكة ما أصابهم، فينصرف إلى غنمه ثم يرجع فلا يرى أحداً، فإذا هم قد خسف بهم فيقول: سبحان الله ارتحلوا في ساعة واحدة، فيأتي منزلهم فيجد قطيفة قد خسف ببعضها وبعضها على ظهر الأرض، فيعالجها فلا يطيقها فيعرف أنه قد خسف بهم فينطلق إلى صاحب مكة فيبشره، فيقول صاحب مكة: الحمد لله، هذه العلامة التي كنتم تحبسون، فيسيرون إلى الشام^(٣).

وهناك رواية تدل على كيفية بقاء الباقي من جيش السفيناني جاء فيها:

(١) عقد الدرر: ٩٠.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٧٩ ح ٦٧، الاختصاص للشيخ المفيد: ٢٥٥، تفسير

العياشي ١: ٢٤٤ ح ١٤٧، والآية ٤٧ في سورة النساء.

(٣) كتاب الفتن لابن حماد: ٢٠٢.

احتى إذا بلغ البيداء عسكر بها وهو يريد قتال ولي الله وخراب بيت الله،
فبينما هم كذلك بالبيداء إذ نفر فرس لرجل من العسكر، فخرج الرجل
في طلبه وبعث الله إليه جبريل فضرب الأرض برجله ضربة فيخسف الله
تعالى بالسفياي وأصحابه ويرجع الرجل ويقود فرسه فيستقبله جبرئيل عليه السلام
فيقول: ما هذه الضجة في العسكر؟ فيضربه جبريل عليه السلام بجناحه فيحول وجهه
مكان القفا ثم يمشي القهقري^(١).

ولكن هذا بعيد جداً لعدم وجود فرس في جيوش اليوم إلا نادراً،
ولا يعلم كون هذا التفصيل رواية، وإنما هو أمر ذكره المقري، نعم روى
الهندي عن علي عليه السلام مثله^(٢)، وكذا ابن حماد عن عبد الله بن عمرو^(٣).

بينما جاء في رواية عقد الدرر المفصلة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وأما
جيش المدينة إذا توسطوا البيداء صاح بهم صائح وهو جبرئيل عليه السلام فلا
يبقى منهم أحد إلا خسف الله به، ويكون في أثر الجيش رجلان يقال لهما
بشير ونذير، فإذا أتيا الجيش لم يريا إلا رؤوساً خارجة على الأرض،
فيسألان جبرئيل عليه السلام ما أصاب الجيش؟ فيقول: أنتما منهم؟ فيقولان:
نعم، فيصيخ بهما فتتحول وجوههما القهقري ويمضي أحدهما إلى المدينة
وهو بشير، فيبشرهم بما سلمهم الله عز وجل منه، والآخر نذير فيرجع إلى
السفياي فيخبره بما نال الجيش عند ذلك قال: وعند جهينة الخبر اليقين
لأنهما من جهينة^(٤).

وهذا أكثر معقولية من سابقه ظاهراً، فالتخلف عن الجيش معقول

(١) عقد الدرر: ٧٦.

(٢) كنز العمال ١١: ٢٨٤.

(٣) كتاب الفتن: ٣٠٢، وفيه: ويخرج رجل من الجيش في طلب ناقة.

(٤) عقد الدرر: ٩٠ - ٩٧.

ويتصور له أسباب كثيرة. ولا يبعد أن تكون صحيحة جبرئيل هو صوت الخسف الذي يؤدي إلى تحول وجهيهما إلى الخلف.

ثم إن هذه الرواية وغيرها^(١) تفرضهما من جهة، بينما الروايات الأكثر اعتباراً تخبر أنهما من كلب وهم ثلاثة كرواية جابر المارة.

فيبقى أسماؤهما فبعض الأخبار تذكر بشيراً ونذيراً وهو بالصفة الصق من كونها أسماً، بينما في رواية كنز العمال عن أبي جعفر «اسمها وبرو وير تحول وجوههما في أقيستهما»^(٢) وفي ثالثة مارة وتر ووتر وفي رابعة مائة وتر وقيس وإن كان احتمال التصحيف عن بشير ونذير قريباً جداً.

بقي أمران:

الأمر الأول: عن مسير الرجال الثلاثة الباقين من جيش الخسف، فلم تتحدث عنهم أخبار الثلاثة ولكن في رواية حذيفة: «فلا يبقى منهم إلا رجلان فيقدمان على السفيناني فيخبرانه خسف الجيش»^(٣).

لوجع مع روايات بشير ونذير لدلت على مسير الثالث إلى مكة ليشرهم. بينما رواية الراعي تخبر عن انطلاق الراعي إلى صاحب مكة ليشره، فيقول صاحب مكة: الحمد لله هذه العلامة التي كنتم تحبسون^(٤). ومع ذلك يجيء احتمال أن الثلاثة هم اثنان من الجيش، والثالث هو الراعي.

(١) كرواية حذيفة التي يرويها الطبري في تفسيره ٢٢: ٧٢، ورواية أبي حمزة الشمالي

عن علي بن الحسين والحسن بن علي عليهما السلام كما في مجمع البيان ٨: ٢٢٨، وتفسير أبي حمزة الشمالي: ٢٧٤.

(٢) كنز العمال ١١: ٢٧٧.

(٣) تفسير القرطبي ١٤: ٢١٤.

(٤) رواها في كتاب الفتن: ٩٠، ٩٦ عن ابن عباس.

غير أن الرواية ذكرت أن الثلاثة هم من كلب، فيكون الراعي لو صدق خبره رابعاً.

الأمر الثاني: الكلام في البيداء، وهي الأرض التي تخسف بجيش السفيناني بينها وبين ميقات أهل المدينة الذي هو ذو الحليفة ميل واحد، ما يعادل ثلث فرسخ.

وفي الخبر الصحيح عن ابن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قلت: فأين حد البيداء؟ فقال: «كان جعفر عليه السلام إذا بلغ ذات الجيش جدًّا في السير ولا يصلي حتى يأتي معرس النبي صلى الله عليه وآله» قلت: وأين ذات الجيش؟ فقال: «دون الحفيرة بثلاثة أميال»^(١).

وقال البعض: البيداء اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة، وهي إلى مكة أقرب^(٢).

(١) الكافي ٣: ٣٨٩ ح ٧، تهذيب الأحكام ٢: ٣٧٥ ح ٩٠.

(٢) معجم البلدان ١: ٥٢٣.

العلامة السابعة

الصيحة

خلاصة الكلام في الصيحة

بينما الناس نيام بعد ما يقضي المؤمنون ليلتهم بالسهر والدعاء والذكر كما هو معتاد في كل عام ليلة ثلاث وعشرين من رمضان التي هي ليلة القدر على أقوى الاحتمالات، وعندما ينفجر الصبح فإذا بصوت يدوي من السماء يوقظ النائم ويفزع القائم ويخرج الفتلة من خدرها وكأن هذا الصوت هو كلام يبدو غير واضح في بادئ الأمر ثم يتضح شيئاً فشيئاً، وإذا هو منشور يقرأ على الناس من السماء يصرح فيه باسم رجل، واسم أبيه، ألا أن فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوه، وهو مهدي آل محمد - يسميه باسم جده رسول الله ﷺ ويكنيه وينسبه إلى أبيه الحسن الخلي عشر إلى الحسين بن علي صلوات الله عليهم أجمعين - بايعوه تهتدوا، ألا إن علياً وشيعته هم الفائزون.

ويتكرر هذا النداء ثلاث مرات من الليل وبعد طلوع الفجر وبعد طلوع الشمس، فتخضع له أعناق جميع الناس ﴿إِنَّ نَسْأُ نُنَزَّلُ عَلَيْهَا مِنْ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ فإذا سمعوا الصوت أصبحوا وكأن على رؤوسهم الطير، عندها يفرح المؤمنون لتصديق الله سبحانه وتعالى لما يعتقدون به ويعملون عليه بعدما سفهم الناس واستهزؤا بهم طيلة القرون الغابرة، ويخسر غير المؤمن عند انكشاف بطلان ما كان يعتقد به ويعمل عليه، وأن كل ما كان يركض وراءه ليس إلا سراباً، ويتلخص ذلك أن النداء يكون رحمة للمؤمنين، وعذاباً روحياً للكافرين.

ومن صفات هذا النداء أنه يسمعه كل قوم بلسانهم ويسمعه البعيد كما يسمعه القريب، ويكون من الفضاء، ومن عين الشمس، ويكون أول النهار.

وكما قلنا فإن هذا النداء لا يبقى شكاً ولا أدنى ريب فيضطر الناس حتى بني أمية إلى التسليم بالحق وقبوله لا عن اختيار بل هو إلقاء واضطرار وقهر.

ولما كانت الحكمة الإلهية تقضي بالامتحان على الدوام، وأن الله سبحانه وتعالى يريد للإنسان أن يختار الحق لا أن يضطر إليه فإن الله سبحانه وتعالى يسمح للقوى المعادية للحق أن تتدخل وتحدث نداءً مشابهاً من داخل الغلاف الجوي بما يمتلكونه من وسائل وأجهزة متطورة ليعلنوا أن الحق مع أعداء المهدي عليه السلام وشيعته أي السفيناني وأتباعه، وأن عثمان قتل مظلوماً ليشتكوا الناس.

فيرتاب عند ذلك المبطلون وتحصل في قلوبهم الشكوك والأوهام، وذلك بسبب مرضها المزمن وهو عداوة أهل البيت عليهم السلام، غير أن هذا النداء يكون في آخر النهار أو من الغد ويكون هو الثاني، ولذا أكدت الروايات على اتباع الصوت الأول، والحذر من متابعة الصوت الثاني.

العلامة السابعة:

الصيحة

الصوت الأول من السماء:

يسمى هذا الصوت بالصيحة والنداء في الأخبار والروايات العانية بعلامات الظهور الحتمية وغيرها التي تنبئ عن صوت يسمعه البشرية من السماء ألا وهو صوت جبرئيل عليه السلام ومناد ينادي بحيث يسمعه الجميع بأن الحق مع فلان تمييزاً للحق عن الباطل وتعريفاً لصاحب الحق وأهله وإيداناً بالظهور، يمتاز بنحو من الشدة والإزعاج بحيث يوقظ النائم ويرعد القائم، وذلك في الثالث والعشرين من رمضان.

ولا ريب أن هذا الصوت كائن، وهو من المحتومات ومن علائم الظهور بل من مقوماته بحيث يدفع الناس لنصرة الحق ويزيل الريب والشك من الصدور، فيرتاح به المؤمنون ويكون لهم فرجاً وغوثاً وهم في شدة على أشد ما يكون.

لما جاء في بعض الأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم بأن النداء هو: «أيها الناس قد أتاكم الغوث، يسمعون النداء ثلاثاً»^(١).

(١) المصنف لابن أبي شيبة ١٥: ١٣٦ ح ١٩٣٢٤ عن عثمان بن أبي العاص، كتاب الفتن لابن حماد: ١٥٣، ١٦٢ عن عبد الله.

بينما تتحدث الأخبار الأخرى عن النداء باسم رجل، روى ذلك ابن أبي شيبة بسنده عن أبي أمامة: «لينادين باسم رجل من السماء لا ينكره الدليل ولا يمتنع منه العزيز»^(١).

وينبغي أن يكون هذا الرجل من آل محمد عليهم السلام لما رواه ابن حماد عن أبي رومان عن علي عليه السلام قال: «إذا نادى منادٍ من السماء إن الحق في آل محمد، فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس، ويشربون حبه، ولا يكون لهم ذكر غيره»^(٢).

وأخرج ابن حماد عن علي عليه السلام قال: «بعد الخسف ينادي مناد من السماء إن الحق في آل محمد، في أول النهار»^(٣).

وبالتعيين من ولد أبي طالب بل ولد فاطمة عليها السلام كما جاء في الخبر الذي يرويه الكليني والشيخ المفيد عن سيف بن عميرة قال: كنت عند أبي جعفر المنصور فقال لي ابتداءً: يا سيف بن عميرة لا بد من منادٍ ينادي من السماء باسم رجل من ولد أبي طالب، فقلت: جعلت فداك يا أمير المؤمنين تروي هذا؟ قال: إي والذي نفسي بيده لسمع أذني له - إلى أن قال - أما إن النداء إلى رجل من بني عمنا، فقلت: رجل من ولد فاطمة؟ فقال: نعم يا سيف، لولا أنني سمعت من أبي جعفر محمد بن علي يحدثني به وحديثي به أهل الأرض كلهم ما قبلته^(٤).

ولما كان هذا النداء يصب في مجال هداية الناس إلى القائم عليه السلام وعلامة على ظهوره بل إيذان بذلك فمن الطبيعي يكون النداء باسمه. وإذا أضيف

(١) المصنف لابن أبي شيبة ١٥: ٢٤٦ ح ١٩٦٠١.

(٢) كتاب الفتن: ٩٢، بيان الشافعي: ٥١٢.

(٣) كتاب الفتن: ٩٣.

(٤) الكافي ٨: ٢٠٩ ح ٢٥٥، الإرشاد ٢: ٣٧٠.

إليه شيء فهو الإشارة إلى ضلالة مناوئه الأول أعني السفياني، وكذا الإشارة إلى صحة مذهب المهدي وشيعته شيعة علي أمير المؤمنين عليه السلام ونبد مذهب السفياني العثماني وشيعته شيعة عثمان.

ولذا جاءت الأخبار النادرة لمفاد النداء تراوح بين علي أمير المؤمنين عليه السلام والقائم، من جانب، وبين السفياني وعثمان من جانب آخر، وتفاصيل أخرى تذكر كل طائفة من الأخبار جانباً منها، فقد يشعر بعض الأخبار أن النداء يشبه أن يكون منشوراً يقرأ في ثلاث ساعات، فقد ورد عن الإمام الباقر في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَرْنَا فِي السَّمَاءِ﴾ قال: «الناقور هو النداء من السماء ألا إن وليكم فلان بن فلان القائم بالحق ينادي به جبرئيل في ثلاث ساعات من ذلك اليوم، فذلك يوم عسير على الكافرين غير يسير»^(١).

وانطلاقاً من ذلك الحال يعلم أن اختلاف الروايات في مفاد النداء لم ينشأ من اشتباه أو خطأ وإنما يحكي كل واحد منها جانباً من ذلك المنشور، خصوصاً وأن منها الصحيح والمعتبر على اختلاف مفادها.

أما الروايات الدالة على النداء باسم القائم فهي متعددة.

منها ما رواه النعماني عن شرحبيل عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في حديث: «والنداء من السماء من الختم» فقلت: وأي شيء يكون النداء؟ فقال: «منادٍ ينادي من السماء باسم القائم واسم أبيه عليه السلام»^(٢).

وفي الخبر الصحيح عن عبد الله بن سنان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسمعت رجلاً من همدان يقول له: إن هؤلاء العامة يعيروننا ويقولون: إنكم تزعمون أن منادياً ينادي من السماء باسم صاحب هذا

(١) تأويل الآيات ٢: ٧٣٢ ح ٣.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥٧.

الأمر، وكان متكئاً فغضب وجلس ثم قال: «لا ترووه عني وارووه عن أبي ولا حرج عليكم في ذلك، أشهد أنني قد سمعت أبي يقول: والله إن ذلك في كتاب الله عزوجل لبين حيث يقول: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ فلا يبقى في الأرض يومئذ أحد إلا خضع وذلت رقبتة لها، فيؤمن أهل الأرض إذا سمعوا الصوت من السماء ألا إن الحق في علي بن أبي طالب»^(١).

وفي خبر آخر عن أبي عبد الله عليه السلام يرويه النعماني قال: «أما إن النداء الأول من السماء باسم القائم في كتاب الله لبين» فقلت أين هو أصلحك الله؟ فقال: «في طسم تلك آيات الكتاب المبين قوله: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ قال إذا سمعوا الصوت أصبحوا وكأنا على رؤوسهم الطير»^(٢).

والمهم في الخبر ما قبل الأخير هو تأييد الإمام لما اشتهر بين الشيعة الإمامية من النداء باسم القائم، وأضاف له النداء باسم أمير المؤمنين عليه السلام.

وروى النعماني أيضاً بسند عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في حديث: «ولا يخرج القائم حتى ينادى باسمه من جوف السماء في ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان ليلة الجمعة» قلت: بم ينادى؟ قال «باسمه واسم أبيه، ألا إن فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوه، فلا يبقى شيء خلق الله فيه الروح إلا سمع الصيحة، فتوقظ النائم، ويخرج إلى صحن داره، وتخرج العذراء من خدرها، ويخرج القائم مما يسمع، وهي صيحة جبريل عليه السلام»^(٣).

(١) كتاب الغيبة: ٢٦٠، البحار ٥٢: ٢٩٢ ح ٤٠، والآية في سورة الشعراء: ٤.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٦٣، البحار ٥٢: ٢٩٣.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٨٩، البحار ٥٢: ١١٩.

وفي رواية المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام: «ويكون هذا أول طلوع الشمس في ذلك اليوم، فإذا طلعت الشمس وأضاءت صاح صائح بالخلائق من عين الشمس بلسان عربي مبين يسمع من في السماوات والأرضين: يا معشر الخلائق هذا مهدي آل محمد - ويسميه باسم جده رسول الله صلى الله عليه وآله ويكنيه، وينسبه إلى أبيه الحسن الحادي عشر إلى الحسين بن علي صلوات الله عليهم أجمعين - بايعوه تهتدوا، ولا تخالفوا أمره فتضلوا»^(١).

ومن هذا الحديث وأمثاله يعلم طول النداء واشتماله على ذكر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً أمير المؤمنين عليه السلام الذي دلت على النداء بأحقيقته روايات كثيرة جداً.

فقد روى الصدوق بسند صحيح عن أبي حمزة الشمالي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال له في حديث: كيف يكون ذلك النداء؟ قال: «ينادي مناد من السماء ألا أن الحق في علي وشيعته، ثم ينادي إبليس لعنه الله في آخر النهار: ألا إن الحق في السفيناني وشيعته فيرتاب عند ذلك المبطلون»^(٢).

وهناك طائفة أخرى فيها بدل ذلك: «ألا إن الحق مع علي وشيعته، ثم ينادي إبليس في آخر النهار من الأرض ألا إن الحق مع عثمان وشيعته، رواه الشيخ المفيد والشيخ الطوسي بعدة طرق»^(٣).

وبتعبير يرويه الكليني بسند لا يخلو من اعتبار عن محمد بن علي الحلبي قال في حديث قلت لأبي عبد الله عليه السلام: وكيف النداء؟ قال: «ينادي

(١) الهداية الكبرى للخصيبي: ٣٩٧، البحار ٥٣: ٨.

(٢) كمال الدين: ٦٥٣.

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد ٢: ٣٧٠، الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٣٥ رواها بسند فيه ابن

قتيبة وهو مجروح، ورواه في ص ٤٥٤ عن علي بن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام، ورواه العلامة في المستجد: ٢٥٨ عن أبي حمزة.

٣٢٠ العد التنازلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

منادٍ من السماء أول النهار ألا إن علياً وشيعته هم الفائزون، قال: وينادي
منادٍ آخر النهار ألا إن عثمان وشيعته هم الفائزون»^(١).

صفة النداء:

تحدثت أكثر الأخبار عن أن النداء يكون من السماء وهو صوت
جبرئيل عليه السلام ينادي بنداء من صفاته أنه يسمعه البعيد كما يسمعه القريب
بدليل ما رواه النعماني عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال في حديث: «كأنني
به آيس ما كانوا قد نودوا نداء يسمعه من بالبعد كما يسمعه من بالقرب
يكون رحمة على المؤمنين وعذاباً على الكافرين»^(٢).

ويسمعه كل قوم بلسانهم بدليل ما رواه النعماني أيضاً عن زرارة
قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: النداء حق؟ قال: «إي والله، حتى يسمعه كل
قوم بلسانهم»^(٣).

ويسمعه الجميع، فلا يبقى شيء خلق الله فيه الروح إلا ويسمع
الصيحة، فتوقظ النائم ويخرج إلى صحن داره، وتخرج العذراء من خدرها
كما جاء في الخبر الذي رواه النعماني^(٤).

(١) الكافي ٨: ٣١٠ ح ٤٨٤، البحار ٥٢: ٣٠٥.

(٢) كتاب الغيبة: ١٨٠، رواه عن محمد بن همام عن أحمد بن مابنداذ وعبد الله بن
جعفر الحميري عن أحمد بن هلال عن الحسن بن محبوب الزرادي عن الرضا عليه السلام
وأحمد بن مابنداذ ضعيف لا يضر ضعفه لكفاية رواية الحميري معه، فالرواية
معتبرة على ما يبدو.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٧٤.

(٤) الغيبة: ٢٨٩ عن أبي عبد الله عليه السلام بسند فيه علي بن أبي حمزة الضعيف. وص

٢٥٢ بسند فيه تأمل.

مما يدل على شدة الصوت ونفوهه، بحيث جاء في خبر آخر يرويه الشيخ الطوسي بسند معتبر: «ينادي منادٍ باسم القائم عليه السلام فيسمع ما بين المشرق إلى المغرب، فلا يبقى راقداً إلا قام، ولا قائماً إلا قعد، ولا قاعداً إلا قام على رجليه من ذلك الصوت، وهو صوت جبرئيل الروح الأمين»^(١).

ردود الفعل:

من الواضح أن ردود الفعل تكون متفاوتة تفاوتاً كبيراً ناشئاً من اختلاف العقائد حول الإمام المنتظر وأهل البيت عليهم السلام بين من لا يعرف الإمام ولا يعرف الظهور ولا الصيحة والنداء بحيث لا تعدو أن تكون له مفاجئة تبهته وتسكته.

وبين معتقد منتظر للنداء والظهور فيفرح بذلك ويرى تحقق أكبر آماله بل جميعها فيحصل اضطراب وتحرك باتجاه نصرة الإمام المهدي عليه السلام والخروج إليه أينما كان، كما جاء في الخبر: «أنه ينلحى باسم القائم واسم أبيه حتى تسمعه العذراء في خدرها، فتحرّض أباهما وأخاها على الخروج»^(٢).

وهناك من انغمس في البلاء والجوع والضعف لا يعتني بالنداء ويقول بعضهم لبعض إن هذا الصوت لرجل شيطان كما جاء في بعض أخبار العلمة^(٣).

وفي خبر آخر: «فأقوى المسلمين يومئذٍ من برك باركاً وجلس جالساً من الجوع والضعف، ويسمعون النداء: يا أيها الناس قد أتاكم الغوث»^(٤).

(١) الغيبة: ٢٥٤ ح ٤٦١.

(٢) الغيبة: ٢٥٣ ح ١٣.

(٣) مسند أحمد ٤: ٢١٦.

(٤) كتاب الفتن لابن حماد: ١٥٣، عن النبي صلى الله عليه وآله.

فيبقى أعداء الإمام المهدي ومناوؤه من بني أمية والنواصب الذين نصبوا العداء لأهل البيت عليهم السلام من اليوم الأول، خصوصاً بعدما يسمعون الصوت الثاني الذي هو نداء إبليس أو أعوانه يشكك الناس كما سيأتي تفصيله، وقد أشير إليه في الخبر الذي رواه النعماني بسند صحيح جاء فيه: «فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهواء حتى يتوارى عن أهل الأرض، ثم ينادي: ألا إن الحق في عثمان بن عفان وشيعته، فإنه قتل مظلوماً فاطلبوا بدمه» قال: «فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت على الحق وهو النداء الأول، ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض، والمرض والله عداوتنا، فعند ذلك يتبرؤون منا ويتناولونا فيقولون: إن المناهي الأول سحر من سحر أهل البيت» ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾^(١).

وهذا ما يثير التعجب والدهشة بعد رؤية الآيات من الخسف والنداء كيف يجسر أولئك الضلال على التملّي في أعمالهم مع كل تلك المعجزات، فهذا سؤال يطرح نفسه، وقد طرحه زرارة بن أعين قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عجبت أصلحك الله، وإني لأعجب من القائم كيف يُقاتل مع ما يرون من العجائب من خسف البيداء بالجيش، ومن النداء الذي يكون من السماء؟ فقال: «إن الشيطان لا يدعهم حتى ينادي كما نادى برسول الله يوم العقبة»^(٢).

حكمة النداء

لا ريب أن هذا النداء هو أمر خارق للعادة فائق على كل الحسابات المادية فلا يكون سوى معجزة يراد بها إحداث تغيير على مستوى العالم

(١) الغيبة: ٢٦٠ ح ١٩. والآية في سورة القمر: ٢.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٦٤.

حتى أكثر من معجزة عصا موسى عليه السلام؛ لأن المعجزة دائماً تتبع الظروف، فإذا كان السحر والكيمياء قد بلغ الذروة في زمان النبي موسى عليه السلام كانت المعجزة هي العصا التي تفوق كل سحر ولا يقاس بها شيء منه، وإذا كان زمان الظهور هو زمان التطور العلمي والصناعي وخصوصاً حكومة الإعلام والإذاعات ووسائل الارتباط الجماعي مهما كانت، فهي تأتي قاصرة أمام نداء مثل هذا الذي ينادي به جبرئيل عليه السلام من السماء ليخضع العالم ويرغبه في مماشاة هذا النداء وإجابة هذه الدعوة ومطابقة هذا التغيير المطلوب.

روى النعماني عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قل: «أما إن النداء من السماء باسم القائم في كتاب الله ليين» فقلت: فأين هو أصلحك الله؟ فقل: «في طسم تلك آيات الكتاب المبين قوله ﴿إِنْ نَشَأْ نُخِزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ قل: إذا سمعوا الصوت اصبحوا وكأنا على رؤوسهم الطير»^(١). يريد بذلك الخضوع والانصياع للمهدي عليه السلام على ما يبدو.

وفي رواية يرويها ابن حماد عن علي عليه السلام يقول: «إذا نلني من السماء إن الحق في آل محمد، فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس، ويشربون حبه، ولا يكون لهم ذكر غيره»^(٢).

عندها يكون النداء الثاني الذي هو نداء إبليس أو أعوانه بتدبيرهم وتكنولوجياهم لا يزيد على تدبير السحرة الذين صنعوا حبالاً وعصياً تضمحل أمام معجزة الرب.

ولا يخلو هذا النداء من أن يكون إيذاناً للقاء بالظهور إضافة إلى الحكمة السابقة لاستشعار ذلك مما جاء في الخبر الذي رواه النعماني عن أبي عبد الله عليه السلام حيث يقول: «ولا يخرج القائم حتى ينادى باسمه من جوف

(١) الغيبة: ٣٦٣ ح ٢٣، والآية في سورة الشعراء: ٤.

(٢) كتاب الفتن: ٩٢.

السماء في ليلة ثلاثة وعشرين في شهر رمضان ليلة الجمعة قلت: يمّ ينادي؟ قال: «باسمه واسم أبيه، ألا إن فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوه، فلا يبقى شيء... ويخرج القائم مما يسمع، وهي صيحة جبرئيل عليه السلام»^(١).

ففي قوله «لا يخرج» دلالة على توقف خروجه على النداء.

وأوضح من ذلك قوله: «ويخرج القائم مما يسمع» حيث يدل على أن سبب خروجه هو سماعه النداء.

كما سيكون النداء علامة للمؤمنين على التحرك والخروج إلى صاحب الأمر والالتفاف حوله للرواية المعروفة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اسكنوا ما سكنت السماء والأرض».

فقال عبد الله بن بكير تعليقاً على هذا الحديث: فإن كان الأمر هكذا فما من خروج وما من قائم، فقال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «إنما عنى أبو عبد الله عليه السلام اسكنوا ما سكنت السماء من النداء والأرض من الخسف»^(٢).

فيعود النداء تعييناً لوقت الخروج، كما أنه سيكون مراسم لتعريف القائد وأهل الحق وتمييزهم عن أهل الباطل.

فإن هذا التمييز هذه المرة يكون حاسماً باقياً ومستمراً بحيث يمكن التعبير عن مفاده بما جاء في الخبر الذي رواه العياشي عن عجلان بن صالح قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا تمضي الأيام والليالي حتى ينادي مناد من السماء: يا أهل الحق اعتزلوا، يا أهل الباطل اعتزلوا، فيعزل هؤلاء من هؤلاء، ويعزل هؤلاء من هؤلاء» قل، قلت: أصلحك الله يخالط هؤلاء وهؤلاء بعد ذلك؟ قل: «كلا إنه يقول في الكتاب: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ

(١) الغيبة: ٢٨٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٧٧، معاني الأخبار: ٧٧.

عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴿١﴾، حقيقته هو متابعة كل قوم لأحد النداءين، فأهل الحق يتبعون النداء الأول، وأهل الباطل يتبعون النداء الثاني، ولا أظن أنه يأتي بلفظ «يا أهل الباطل اعتزلوا» بل هو نفس متابعتهم وبقائهم على عقائدهم الباطلة في الساحة العملية التي هو تعبير لهذا الكلام.

وقت النداء:

المستفاد من أكثر الأخبار وفيها المعتبرة أن الصيحة بالصفات التي ذكرناها إنما تكون في شهر رمضان فقد روى النعماني بسنده عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في حديث: «وفزعة في شهر رمضان توقظ النائم، وتفزع اليقظان، وتخرج الفتاة من خدرها»^(١)، فهي وإن عبرت بالفزعة دون الصيحة غير أن التطابق في الصفات يوحي إلى إرادة الصيحة منها، والمهم الدلالة على وقوعها في شهر رمضان.

وجاء التصريح في ما يرويه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إذا كانت صيحة في رمضان فإنه يكون معمعة في شوال...»^(٢).

وفي خبر آخر يرويه النعماني عن الإمام الباقر عليه السلام أو قل: «إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم فعند ذلك فانتظروا الفرج، وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان، فإذا اختلفوا فتوقعوا الصيحة في شهر رمضان وخروج القائم عليه السلام»^(٣)، هذه الأخرى تدل على أن الصيحة إنما تكون في شهر رمضان.

(١) الغيبة: ٢٨٩، والآية ١٧٩ من سورة آل عمران.

(٢) الغيبة: ٢٥٢. قال أخبرنا علي بن أحمد البندنجي قال حدثنا عبيد الله بن موسى العلوي عن يعقوب بن يزيد، عن زياد بن مروان، عن عبد الله بن سنان، ولكن علي بن أحمد البندنجي لم يذكر في كتب الرجال.

(٣) كتاب الفتن: ٦٠.

(٤) كتاب الغيبة: ٢٥٥.

وإذا جمعنا الخيرين المارين مع ما أسنده الشيخ المفيد إلى الصادق عليه السلام وقوله: «ينأى باسم القائم في ليلة ثلاث وعشرين»^(١) وكذا ما رواه الفضل بن شاذان بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ينأى باسم القائم عليه السلام في ليلة ثلاثة وعشرين ويقوم في يوم عاشوراء»^(٢) يكون الوقت هو ليلة ثلاثة وعشرين تكون من شهر رمضان المبارك.

يدل على هذا الجمع وهذا التوقيت مع تعيينه بليلة الجمعة الخبر الصحيح الذي يرويه الشيخ الصدوق عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان»^(٣).

ويؤيد وقوع الصيحة في ليلة الجمعة وأنها تكون في شهر رمضان ما رواه النعماني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن قدام هذا الأمر خمس علامات: أولاهن النداء في شهر رمضان - إلى أن قال - ولا يخرج القائم حتى ينأى باسمه من جوف السماء في ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان ليلة جمعة»^(٤).

بينما يؤكد ذلك ويحتم وقوعها في رمضان ما رواه النعماني عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال فيه: «الصيحة لا تكون إلا في شهر رمضان، لأن شهر رمضان شهر الله والصيحة فيه هي صيحة جبرئيل إلى هذا الخلق...» ثم قال: «يكون الصوت في شهر رمضان في ليلة جمعة ليلة ثلاث وعشرين فلا تشكوا في ذلك، واسمعوا وأطيعوا»^(٥).

فقد روى الخزاز القمي: بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال سمعت رسول

(١) الإرشاد ٢: ٣٧٩، الصراط المستقيم ٢: ٢٤٨.

(٢) المستجاد: ٢٦٢ عن الفضل بن شاذان، عن محمد بن علي الكوفي، عن وهب بن حفص عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام.

(٣) كمال الدين: ٦٥٠، ٦٥٢.

(٤) الغيبة: ٢٨٩.

(٥) الغيبة: ٢٥٣.

الله ﷻ يقول: «وسيكون بعدي فتنة صمه صيلم يسقط فيها كل وليجة وبطانة، وذلك عند فقدان شيعتك الخامس من السابع من ولدك - إلى أن قال - كأني بهم آيس من كانوا، ثم نودي بنداء يسمعه من البعد كما يسمعه من القرب يكون رحمة على المؤمنين وعذاباً على المنافقين» قلت: وما ذلك النداء؟ قال: «ثلاث أصوات في رجب أولها: ألا لعنة الله على الظالمين، الثاني: أذفة الأزفة، والثالث: ترون بدرياً بارزاً مع قرن الشمس ينادي: الآن الله قد بعث فلان بن فلان حتى ينسبه إلى علي فيه هلاك الظالمين، عند ذلك يأتي الفرج، ويشفي الله صدورهم، ويذهب غيظ قلوبهم»^(١)، أورد المجلسي هذه الرواية عن كتاب النصوص لابن بابويه وذكر سند الكفاية بعينه^(٢).

ومع ذلك الاستدلال والتأييد والتأكيد جاء في هذا الخبر وبعض الأخبار الأخرى أن الصيحة إنما تكون في شهر رجب كرواية النعماني عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال في حديث طويل: «كأني به آيس ما كانوا، قد نودوا نداءً يسمعه من البعد كما يسمعه من القرب يكون رحمة على المؤمنين وعذاباً على الكافرين» قلت وما ذلك النداء؟ قال: «ثلاثة أصوات في رجب أولها: ألا لعنة الله على الظالمين، والثاني: أذفت الأزفة يا معشر المؤمنين، والثالث: يرون بدرياً بارزاً مع قرن الشمس ينادي: «ألا إن الله قد بعث فلاناً على هلاك الظالمين، فعند ذلك يأتي المؤمن الفرج، ويشفي الله صدورهم، ويذهب غيظ قلوبهم»^(٣).

وهي تشتمل على مطالب عالية صحيحة وثابتة في المذهب الحق آخرها ظهور القائم والنداء إلا أنها جعلته في شهر رجب على خلاف الروايات السابقة. ولو نوقش في سندها لاشتماله على الكثير من المجاهيل ومن لم يوثق في

(١) كفاية الأثر: ١٥٩.

(٢) البحار ٣٦: ٣٣٧ ح ٢٠٠.

(٣) الغيبة: ١٨٠.

كتب الرجال بل حتى لم يذكر، غير أن قوله «كأنني بهم» هو محل الشاهد رواه النعماني وابن جرير الطبري في دلائل الإمامة بسند عن الإمام الرضا عليه السلام.

والراجح وقوع التصحيف أو الخلط فيها من الرواة لأنه جاء في بعض الأخبار: «العام الذي فيه الصيحة قبله الآية في رجب» قال الراوي: وما هي؟ قال: «وجه يطلع في القمر ويد بارزة»، رواه النعماني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام ^(١).

وإنما جنحنا إلى هذا الجمع لضعف رواية رجب مع وجود الرواية المعتبرة بين روايات رمضان، غير أن ورود رواية رجب بلفظ واحد من طريقين متباينين متباعدين أشد البعد يريني ويشككني في هذا الجمع والتشكيك في السند، كما ويضطرني إلى قبول نداءين أحدهما في رجب والآخر في رمضان، على مقتضى الجمع بين المثبتات، خصوصاً وأن الكثير من الروايات تقرن بين النداء ورؤية اليد أو البدن في عين الشمس كما سيأتي تفصيله وبيانه.

يبقى الكلام في وقوع النداء ليلاً أو نهاراً، تتراوح الأخبار بين وقوعه في النهار وبين وقوعه في ليلة الجمعة ثلاث وعشرين من رمضان، وفيها المعتبر من الطرفين، فقد روى الصدوق بسند معتبر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «ينادي مناد من السماء أول النهار ألا إن الحق في علي وشيعته» ^(٢).

وكذا الكليني في الكافي بسند آخر معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ينادي مناد من السماء أول النهار ألا إن علياً وشيعته هم الفائزون» ^(٣)، وكذا غيرها من الروايات العديدة ^(٤).

بينما يروي الصدوق نفسه بسند معتبر أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام:

(١) الغيبة: ٢٥٢ ح ١٠.

(٢) كمال الدين: ٦٥٢.

(٣) الكافي: ٨: ٣١٠ ح ٢٨٤.

(٤) كمال الدين: ٦٥٠ - ٦٥٢.

«الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان»^(١)، والروايات بهذا المعنى غير عزيزة فهي الأخرى مروية بعدة طرق^(٢).

ولا يبعد أن تكون الصيحة بعد طلوع الفجر باعتبار أن ساعة الفجر ليست من ساعات الليل ولا من ساعات النهار كما جاء في بعض الأخبار، وبذلك صحت النسبة إلى الليل والنهار، خصوصاً وأن روايات النهار عبرت بأول النهار.

ويؤيد ذلك الرواية الواردة في كيفية العمل عند سماع الصيحة فإن فيها: «إِذَا صَلَّيْتُمْ الْفَجْرَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَادْخُلُوا بَيْوتَكُمْ...» مع الالتفات إلى أن روايات الليل قيدت بليلة الجمعة.

نعم جاء في رواية المفضل بن عمر: «يا مفضل يسند القائم ظهره إلى كعبة البيت الحرام... فإذا طلعت الشمس وأضاءت صاح صائح بالخلائق من عين الشمس بلسان عربي مبين يسمع من في السماوات والأرضين: يا معشر الخلائق هذا مهدي آل محمد - ويسميه باسم جده رسول الله ﷺ ويكنيه وينسبه إلى أبيه الحسن الحادي عشر إلى الحسين بن علي صلوات الله عليهم أجمعين - بايعوه تهتدوا»^(٣) فهذه الرواية تتحدث عن صيحة بعد ظهور القائم تأمر بالبيعة، بينما النداء المتحدث عنه يحتمل قوياً كونه قبل ظهوره ﷺ لأنه معدود من العلائم.

(١) كمال الدين: ٦٥٠ ح ٦، كتاب الغيبة للنعمانى: ٢٨٩ ح ٦ وص ٢٩٠، وص

٢٥٣ عن أبي جعفر عليه السلام، المستجد للعلامة: ٢٦٣.

(٢) انظر الإرشاد للمفيد ٢: ٣٧١، وكتاب الغيبة للشيخ: ٤٣٥ ح ٤٢٥، وص

٤٥٤ ح ٤٦١، والمستجد للعلامة الحلبي: ٢٥٨، الصراط المستقيم ٢: ٢٤٨،

وكتاب الفتن لابن حماد: ٩٣.

(٣) الهداية الكبرى: ٣٩٧.

ولو أريد به النداء المقصود فيحتمل قوياً كونه إدامة لذلك النداء الذي يكون بعد طلوع الفجر، ومن الليل، لأنه تقدم أن النداء هو منشور يقرأ لمدة طويلة أو يتكرر في ثلاث ساعات كما جاء في الخبر، فيكون من الليل ومن الفجر وآخره بعد طلوع الشمس خصوصاً مع ملاحظة اختلاف مفاد النداء بعد طلوع الفجر وقبله.

العمل عند سماع الصيحة:

جاء في خبر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إذا كانت صيحة في رمضان، فإنه يكون معمعة في شوال، وتميز القبائل في ذي قعدة، وسفك الدماء في ذي الحجة، والحرم وما الحرم يقولها ثلاثاً هيئات هيئات يقتل فيها هرجاً» قال، قلنا: وما الصيحة يا رسول الله؟ قال: «هذه في النصف من رمضان ليلة جمعة، فتكون هلة توقظ النائم، وتقعد القائم، وتخرج العواتق من خدورهن، في ليلة جمعة في سنة كثيرة الزلازل، فإذا صليتم الفجر من يوم الجمعة فادخلوا بيوتكم، واغلقوا أبوابكم، وسدوا كواكم، وذرثوا أنفسكم، وسدوا أذانكم، فإذا أحسستم بالصيحة فخرؤا لله سجداً وقولوا: سبحان القدوس، سبحان القدوس، فإنه من فعل ذلك نجا، ومن لم يفعل ذلك هلك»^(١).

فهو يدل على أكثر المطالب السابقة لم يختلف معها سوى في يوم الصيحة، خالفت فيه الروايات الكثيرة الدالة على وقوعها في ليلة ثلاث وعشرين من رمضان، ولعل المراد بالنصف هو وسط الشهر بين أوله وآخره، وإن لم يحتمله اللفظ ولكن لضعف سندها.

الصوت الثاني:

لا تخلو المبادرة السماوية والتدبير الإلهي حسب الحكمة القائمة على امتحان البشر واختباره كي يستخدم عقله ويبدل بعض الجهد في الوصول إلى ربه ولا يكون الحال خالياً من الملابس، خصوصاً مع وقوع تلك الآيات الدامغة التي تسلب الاختيار نوعاً ما من البشر، كالنداء من السماء باسم القوائم واسم آبائه وتمييز أهل الحق فلا يبقى مجال للاختيار والخيار، ويكون قريباً من الإلحاء والاضطرار.

عندها تتفعل القوى المعادية للإنسان وأهل الحق وخاصة الشيطان وأتباعه لتلافي تلك الضربة القاصمة بإحداث صوت آخر يقابل الصوت الأول من أجل التمويه على الناس وإسعاف أهل الباطل الذين يختارون طريقه في صعب الظروف وسهلها.

وقد يكون التدبير لذلك مسبقاً بواسطة آلية التقدم العلمي الذي يمسك بها المعادون للحق وأهله بعد وقوفهم على نبأ النداء من السماء والصيحة التي ستتحقق يوماً ما، فهم يفكرون من اليوم الأول لمقابلتها ومجابتها.

غير أن المستحسن إلقاء النظرة على الأحاديث والأخبار المنقولة لمعرفة حقيقة الصوت الثاني بعد التعرف على دليل ما قدمناه.

حيث يروي ابن حماد عن علي عليه السلام: «إذا نلنا من السماء إن الحق في آل محمد، فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس، ويشربون حبه، ولا يكون لهم ذكر غيره»^(١).

فكما قلنا لا ينفك النداء الأول المعجز من إيجاد التأثير البالغ في

نفوس البشر من دون اختصاص بطائفة دون طائفة، ولا بصقع دون صقع، بل تلك على تولد الحب عندها في قلوب من لم يكن يعرفه ولم يكن يحبه، وهذا ما لا يرضي إبليس وحزبه، مما يجعله يسعى في التمويه على الناس وخصوصاً أهل الباطل كي لا يفلت زمام الأمور ويتهدم كل ما بناه عبر الدهور تحت اسم الحضارة المادية وغيرها.

يروى القمي في تفسيره بسند معتبر في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْتَابُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ فإنه حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فتخضع رقابهم يعني بني أمية، وهي الصيحة من السماء باسم صاحب الأمر^(١) فمع خضوع رقاب بني أمية الذين هم أشد أعداء بني هاشم وأهل البيت عليهم السلام يعلم حال غيرهم، كل ذلك يفسر الاضطراب الذي ذكرناه، والإجلاء الذي يحدث عقيب الصيحة على أن في الآية المذكورة المفسرة بذلك في كثير من الأخبار كفاية.

فتبقى الأسئلة المطروحة على طاولة البحث وتدور حول ثبوت خبر النداء الثاني وحتميته وعدمها ومفاده وردود الفعل وزمانه والمنادي ومكان النداء وكيفيته حسبما جاء في الأخبار والروايات.

أما أصل تحقق النداء:

فهو مما ينبغي التسليم به لوروده في أخبار متعددة وطرق متفاوتة منها ما هو معتبر يرويه الثقات، وليس لأحد التشكيك فيما يرويه الثقات.

فقد روى الشيخ الصدوق بسند معتبر عن أبي حمزة الشمالي قل، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: إن خروج السفيناني من الأمر المحتوم قل: نعم، واختلاف ولد العباس من المحتوم، وقتل النفس والزكية من

المحتوم، وخروج القائم عليه السلام من المحتوم» فقلت له: كيف يكون النداء؟ قال: «ينادي منادٍ من السماء أول النهار ألا إن الحق في علي وشيعته، ثم ينادي إبليس - لعنه الله - في آخر النهار: ألا إن الحق في السفيناني وشيعته، فيرتاب عند ذلك المبطلون»^(١).

وروى الشيخ المفيد والشيخ الطوسي بطرق متعددة الرواية السابقة إلا أن فيها: «النداء من المحتوم... ثم ينادي إبليس في آخر النهار من الأرض ألا إن الحق في عثمان وشيعته، فعند ذلك يرتاب المبطلون»^(٢).

وروى الشيخ الكليني بسند معتبر عن محمد بن علي الحلبي عن أبي عبد الله أنه قال: «اختلاف بني العباس من المحتوم، والنداء من المحتوم، وخروج القائم من المحتوم» قلت: وكيف النداء؟ قال: «ينادي منادٍ من السماء أول النهار إلا أن علياً وشيعته هم الفائزون» قال: «وينادي منادٍ آخر النهار ألا إن عثمان وشيعته هم الفائزون»^(٣)، وهناك روايات أخرى يأتي ذكرها فيما بعد.

ونخلص من ذلك إلى أن أصل خبر النداء الثاني ثابت وهو كما ترى مقرون بالنداء الأول مما يدعم وجدانه لأكثر خصائص النداء الأول وصفاته.

وأما حتميته:

إذا لاحظت رواية الكليني تجد أنها تخبر عن أن النداء من المحتوم وكذا رواية الشيخ المفيد والشيخ الطوسي، وبعد ذلك يسأل الراوي وكيف النداء؟:

(١) كمال الدين: ٦٥٢ ح ١٤.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ٤٣٥ ح ٤٢٥، الإرشاد للشيخ المفيد ٢: ٣٧١، كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٣٥ ح ٤٢٥، وص ٤٥٤ ح ٤٦١.

(٣) الكافي ٨: ٣١٠ ح ٤٨٤.

فيجيب الإمام: «ينادي مناد...» ويذكر النداءين معاً مما يدل على أن المحتوم هو النداءان معاً، وبعبارة أدق فإن السؤال كيف النداء يعني كيف يكون النداء المحتوم، فيجيب الإمام بأنه ينادي أول النهار بكذا وآخر النهار بكذا، مما يدل على أن الكل من المحتوم.

فإذا سلمنا اعتبار رواية الكليني يثبت ما أردناه، ولو أمكن الخدشة فيها من جهة وقوع أبي جميلة فيها، فإن المظنون قوياً أن رواية الصدوق المعتبرة سقط منها قوله: «النداء من المحتوم» بقرينة السؤال وكيف النداء، وبقرينة مجيء كلمة «ذلك» في بعض نسخ الرواية، أي أن السؤال: وكيف ذلك النداء، مما يدل على وجود كلمة «والنداء من المحتوم» في الكلام السابق، وبقرينة باقي الروايات.

وأما مفاده:

لما استظهرنا تطابق النداء الأول والنداء الثاني في أكثر الصفات وقلنا إنّ النداء الأول وإن جاء التعبير عنه بالصيغة التي هي الصوت الواحد غير أنه يشبه أن يكون منشوراً يقرأ على الناس وتذكر فيها أمور كثيرة، وبطبيعة الحال يكون النداء الثاني كذلك؛ لأنه يصدر كررٍ على مفاد المنشور الأول، يمكننا استفادة ذلك التشابه بين النداءين ما جاء في الكتاب الذي بعثه صاحب الأمر إلى الشيخ المفيد وقوله عليه السلام: «ستظهر لكم من السماء آية جليلة ومن الأرض مثلها بالسوية»^(١).

ولذلك صارت الروايات تتخالف في مفاده بحيث تذكر كل واحدة جانباً من ذلك النداء كما تخالفت في مفاد النداء الأول.

فرواية الصدوق ذكرت النداء باسم السفيناني وأحقيقته، بينما تذكر الروايات التي تلتها أحقية عثمان وشيعته وفوزهم، فيحتمل إرادة عثمان

بن عنبسة أي السفيناني فتكون مطابقة للسابقة، كما يحتمل إرادة عثمان بن عفان فتكون مطابقة للروايات الذاكرة لأحقية عثمان بن عفان ومظلوميته.

كرواية النعماني المعتمدة عن أبي عبد الله عليه السلام قال فيها بعد ذكر النداء الأول: «فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهواء حتى يتوارى عن أهل الأرض ثم ينادي ألا إن الحق في عثمان بن عفان وشيعته، فإنه قتل مظلوماً، فاطلبوا بدمه»^(١).

وبهذا يثبت من النداء الثاني الإعلان بأحقية السفيناني وأحقية عثمان بن عفان وشيعته وأنه قتل مظلوماً مع المطالبة بدمه كل ذلك من الأخبار المعتمدة.

وأما المنادي:

حسب الروايات المارة فهو إبليس، حيث ذكرت أنه يصعد في الهواء حتى يتوارى عن أهل الأرض مما يدل على عدم تجاوزه الغلاف الغازي لقوله: «في الهواء» بينما يمتاز النداء الأول بأنه من عين الشمس أو جوف الفضاء.

وهكذا فإن الأخبار تؤكد على أن المنادي هو إبليس أو الشيطان ففي رواية النعماني الأخرى: «وفي آخر النهار صوت الملعون إبليس ينادي ألا إن فلاناً قتل مظلوماً ليشكك الناس ويفتنهم» حيث علم من الرواية المارة أن المراد بفلان هو عثمان بن عفان.

ثم يقول في آخرها: «والصوت الثاني من الأرض وهو صوت إبليس اللعين ينادي باسم فلان أنه قتل مظلوماً يريد بذلك الفتنة»^(٢).

وفي الرواية التي يتعجب فيها الراوي عن تمادي أهل الباطل في غيهم

(١) كتاب الغيبة: ٢٦٠ ح ١٩.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ح ١٣.

رغم مشاهدتهم للآيات الباهرة يقول الإمام: «إن الشيطان لا يدعهم حتى ينادي كما نادى برسول الله صلى الله عليه وآله يوم العقبة»^(١).

يريد نداء إبليس بعد بيعة النقيب للنبي صلى الله عليه وآله لما صرخ من رأس العقبة بأنفذ صوت: يا أهل الجبابج - يعني المنازل - هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم على ما رواه الطبري في تاريخه^(٢).

ويروي الشيخ الطوسي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: تمثل إبليس لعنه الله في أربع صور: تمثل يوم بدر في صورة سراقه بن جشعم المدلجي فقال لقريش: لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم، فلما تراءت الفشتان نكص على عقبيه وقل: إني بريء منكم، وتصور يوم العقبة في صورة منبه بن الحجاج فنادى: إن محمداً والصباة معه عند العقبة فادركوهم، فقل رسول الله صلى الله عليه وآله للأنصار: «لا تخافوا فإن صوته لن يعدوهم...»^(٣).

وهذا الحديث وأمثاله يشجعني على القول بأن الشيطان أو إبليس هو سبب النداء، ولا يكون هو المباشر، وإنما يكون المباشر بهيئة البشر غير أنه تابع للشيطان، فيكون النداء الثاني من تدبير الدول المتطورة المالكة للوسائل الحديثة إعلامية وغيرها، وإن كان أعقد مما نعرفه اليوم من الوسائل بأن يصدر الصوت من الفضاء ويكون سماعه بدون آلة أو معها.

فإني وجدت لذلك قرائن وشواهد بالإضافة إلى الحدس بذلك، منها الروايات التي تضيف إلى النداء باسم السفيناني وعثمان، النداء باسم عيسى وآل عيسى عليهم السلام بحيث يكون أرباب الديانة المسيحية وشيعة عثمان في صف واحد للتحض معجزة النداء السماوي الذي هو نداء جبرئيل بلا ريب.

(١) كمال الدين ٢: ٦٥٠ ح ٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٩٤.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ١٧٦.

فقد روى ابن حماد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ينادي مناوٍ من السماء ألا إن الحق في آل محمد، وينادي مناوٍ من الأرض: ألا إن الحق في آل عيسى - أو قال العباس أنا أشك فيه - وإنما الصوت الأسفل من الشيطان ليلبس على الناس»^(١).

فإذا كان في هذا الخبر ترديد بين آل عيسى وآل العباس، فإن هناك خبراً آخر لا ترديد فيه، بل فيه دلالة واضحة يرويه ابن حماد عن علي عليه السلام قال: «بعد الخسف ينادي مناوٍ من السماء: إن الحق في آل محمد في أول النهار، ثم ينادي مناوٍ في آخر النهار إن الحق في ولد عيسى، وذلك نحوه من الشيطان»^(٢) على أن المراد بأولاد عيسى عليه السلام هم أتباعه وأولاد أصحابه.

والمهم قوله: «وذلك نحوه من الشيطان» بمعنى طلب من الشيطان، هذا غاية ما أتقلبه من نداء الشيطان وإبليس، وتدبيره هو حث أولئك المالكين للوسائل على هذا العمل الشنيع الذي هو إعلان حرب أمام الرب، وهذا تأييد آخر على ارتباط حركة السفيناني وغيره بالمعسكر الغربي وأساطينه والمسيحيين بصورة عامة.

وأما مكان النداء:

فالروايات بين قائمة بكونه من الأرض، ففي رواية النعماني المارة: «والصوت الثاني من الأرض» وفي رواية ابن حماد الأولى: «وينادي مناوٍ من الأرض» وفي رواية النعماني الثانية: «ثم ينادي إبليس آخر النهار من الأرض» وفي التوقيع المارة: «ومن الأرض مثلها بالسوية».

ولكن الرواية المعتبرة تلك على صعوده في الهواء حتى يتوارى عن أهل الأرض، وباقي الروايات ساكتة عن محله.

(١) كتاب الفتن: ٩٢، الملاحم والفتن: ٦٠.

(٢) كتاب الفتن: ٩٣، الملاحم والفتن: ٦٠ - ٦٢.

ينبئ كل ذلك عن كونه من تدبير البشر الذي لا يتجاوز الأرض وأطرافها، أو أن مصدره يكون من الأرض وانتشاره من الفضاء كما تفعل أجهزة اليوم، ولكنني اعتقد أنه أعقد من هذا الذي نعرفه بحيث لا يعرفه حتى أهل زمانه فيكون فيه نوع مفاجئة يرتاب معه المبطلون.

ومهما يكن من ذلك فهو دون النداء الأول وأسفل منه، ولما جاء في رواية ابن حماد الأولى: «وإنما الصوت الأسفل من الشيطان».

وأما زمان النداء:

فأكثر الروايات وفيها المعتبرة تدل على أنه آخر النهار الذي يكون في أوله النداء الأول، فيكون آخر يوم الجمعة من يوم ثلاث وعشرين من رمضان.

وأما ما في رواية النعماني المارة: «فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهواء...» يراد به أن النداء الأول لما يكون شروعه ليلة الجمعة يكون غده هو يوم الجمعة أو يراد ليلة غد يعني ليلة السبت وإن جاء التعبير بآخر النهار.

وأما ردود الفعل:

عندما عرضنا لآثار النداء الأول ومدى تأثيره على النفوس بحيث يسقط جميع ما في أيدي المخالفين مزيجاً مع استغراب شديد وعدم تصديق بطلان عقائدهم وأعمالهم طول الفترة السابقة، يصيرون بحالة يتشبهون فيها بكل طحلب للنجاة من هذا الوضع المأساوي الذي أصابهم والتأسف على ما ضاع من أعمارهم في متابعة الباطل، هنا يأتي النداء الثاني ليكون ذلك الطحلب والذريعة التي يقاومون بها الانخراط في صف أصحاب النداء الأول.

غير أن هذه الذريعة لما كانت ضعيفة أمام النداء الأول فهي لا تورث عندهم سوى الشك والريب، ولذلك جاء في الروايات السابقة بعد ذكر

النداء الثاني: «فیرتاب المبطلون»، وفي رواية أخرى: «وإنما الصوت الأسفل من الشيطان ليلبس على الناس».

وفي رواية ثالثة: «وفي آخر النهار صوت الملعون إبليس ينادي: ألا إن فلان قتل مظلوماً ليشكلك، الناس زينتهم، فكم في ذلك اليوم من شك متحير قد هوى في النار».

والنتيجة أن عداوة أهل البيت المسبقة وعداء الحق المسبق إذا أضيف إليه النداء الثاني حصل الشك في أحقية النداء الأول، كأنني بالشاك وهو يقول في نفسه: نداء عارضه نداء آخر، فنحن على عقائدها التي كنا عليها.

فيكون الزيف والشك مختص بأهل الباطل فقط، ومن كان يكمن العداوة لأهل البيت عليهم السلام فقط، لذا ورد في الخبر المعتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كان من الغد سعد إبليس في الهواء حتى يتواري عن أهل الأرض ثم ينادي ألا إن الحق في عثمان بن عفان وشيعته، فإنه قتل مظلوماً فاطلبوا بدمه» قال: «فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت على الحق، وهو النداء الأول، ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض، والمرض والله هو عداوتنا، فعند ذلك يتناولونا فيقولون: إن المناهي الأول سحر من سحر أهل البيت» ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله عز وجل: ﴿وَأِنْ يَسْرُوا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾^(١).

هنا تظهر الضغائن والحقد على أهل البيت فيقول الناصب المتعصب هذا سحر من سحر أهل البيت عليهم السلام.

والحقيقة أن كل ذلك يدخل في الفتنة الموعود بها المسلمون والمؤمنون في قوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾

(١) كتاب الغيبة للنعمانى: ٢٦٠، والآية ٢ من سورة القمر.

لَا يُفْتَنُونَ ﴿^(١)﴾ حسب الحكمة الإلهية كما بينا، وجاءت الأخبار لتؤكد على ذلك في خبر النعماني المار: «وآخر النهار صوت إبليس... ليشكك الناس ويفتنهم»، وفي خبر آخر عن أبي جعفر عليه السلام: «والصوت الثاني من الأرض وهو صوت إبليس اللعين ينادي باسم فلان أنه قتل مظلوماً يريد بذلك الفتنة، فاتبعوا الصوت الأول، وإياكم والأخير أن تفتنوا به»^(٢).

وفي الأمر باتباع الصوت الأول وعدم الافتتان بالصوت الثاني في هذه الرواية وكذا تعقيبه بالقول: «فإذا سمعتم الصوت في شهر رمضان فلا تشكوا فيه إنه صوت جبرئيل وعلامة ذلك أنه ينادي باسم القائم»^(٣) وكل هذا التأكيد والتحذير لدليل على شدة الفتنة والتباس الأمر حتى على غير أهل الباطل من المستضعفين في الدين، وأنه بمرتبة من التعقيد بحيث حتم كل ذلك التحذير والتوجيه.

(١) العنكبوت: ٢.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ح ١٣.

(٣) الغيبة للنعماني: ٢٥٤.

العلامة الثامنة

ظهور كف في السماء

خلاصة الكلام في ظهور الكف

قبل حدوث الصيحة في السماء هنالك الآية في رجب، حيث يرون بدنأ في قرن الشمس يقول: إن الله قد بعث فلاناً فاسمعوا له وأطيعوا، وتظهر كف تشير هذا هذا.

يأتي هذا الحدث لتترويح على المؤمنين الذين أصابهم اليأس جراء طول المدة، وتكالب الأعداء، فبينما هم آيس ما يكون، ثم ينادى من عين الشمس ألا لعنة الله على الظالمين، أزفت الآزفة، ويرون بدرياً بارزاً مع قرن الشمس، أى أن ذلك البدن هو بدن رجل من الذين شاركوا في معركة بدر، ولعلها صورته.

فيبقى تعقل ذلك الحدث، وكيف يرون صورة ذلك البدن، وهل هو ممكن أو معقول، فإني أذهب إلى أن السماء لاتنكف من ظهور بعض الأمور غير المعتادة والمألوفة، فيومٌ يطلع علينا الكوكب المذنب المعروف بهالي، ويوم تظهر حمرة تغطّي السماء كما شاهدناه يوم انفجار المفاعل النووي في الاتحاد السوفياتي (جرنوبيل).

فليس من العجيب ظهور صورة بدن في السماء، والعجيب هو إنكار ذلك بعد تقدم العلم وحصول التطور الصناعي وصناعة الطائرات والصواريخ ووسائل الارتباط الجماعي التي لو حدثنا أرباب القرون السالفة بشيء منها لأنكرها أشد الإنكار، على أن إنكار السابقين لم يغير من الواقع شيئاً، ولم يمنع البشر من صناعة تلك العجائب.

فكيف يمنع إنكار بعض الكتب لمثل هذا الحدث وتسميته بالمضحكات المبكيات من تحقق مثل ذلك بمشيئة الله سبحانه وتعالى، فما قدرُوا الله حق

قدره.

وكيف يعجب هؤلاء وأن إحداهم مثل تلك الصورة في الفضاء مما لا تعجز عنها بعض الطائرات الحربية النفاثة التي ترسم الخطوط الدخانية التي تظل لمدة طويلة.

العلامة الثامنة:

كف تطلع في السماء

جاءت أخبار متعددة دالة على طلوع شيء في السماء في عين الشمس، غير أنها تخالفت في الطالع وحقيقته، حتى جاء في بعضها: «يرون بدنأ بارزاً في عين الشمس»^(١) وفي آخر «بدرياً بارزاً»^(٢) وفي ثالث: «بدن يظهر في قرن الشمس»^(٣) وفي رابع: «وجه يطلع في القمر ويد بارزة»^(٤) وفي خامس: «وتطلع كف تشير»^(٥)، وفي سادس: «ترون كفاً معلقة في السماء»^(٦) وفي سابع: «كفأ من السماء مدلاة»^(٧)، وفي ثامن «وكف تقول هذا هذا»^(٨).

وقد تضمنت المعتبرة منها جملة «بدن يرى في قرن الشمس يقول...»

(١) رواه الشيخ الطوسي بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام في كتاب الغيبة: ٤٣٩،

الخرائج والجرائح ٢: ١١٦٨، وانظر دلائل الإمامة للطبري: ٢٤٥، وكتاب

مختصر بصائر الدرجات: ٣٨، ٢١٤.

(٢) رواه عن النبي ﷺ في كفاية الأثر: ١٥٦.

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٣٩، وإثبات الوصية للشيخ الصدوق: ٢٢٧.

(٤) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٥٢.

(٥) كتاب الفتن لابن حماد: ٩٣.

(٦) رواه ابن حماد في كتاب الفتن: ٣٩ عن النبي ﷺ.

(٧) رواه ابن حماد في كتاب الفتن: ٩٣ عن أسماء بنت عميس.

(٨) دلائل الإمامة: ٢٦١.

فقد روى الشيخ الطوسي بسنده، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن علي الزيتوني وعبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن هلال العبرثاني، عن الحسن بن محبوب، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديث طويل قال فيه: «ينادون في رجب ثلاثة أصوات... والصوت الثالث - يرون بدنأً بارزاً نحو عين الشمس - هذا أمير المؤمنين قد كبر في هلاك الظالمين» وفي نقل الحميري: «والصوت الثالث: بدن يرى في قرن الشمس يقول: إن الله قد بعث فلاناً فاسمعوا له وأطيعوا»^(١).

والمعتبر منهما هي رواية الحميري لأن الرواية الأولى هي رواية الحسن بن علي الزيتوني الذي ذكره النجاشي وذكر كتابه ولم يوثقه.

فالثابت هو قوله: «والصوت الثالث بدن يرى في قرن الشمس يقول: إن الله... دون قوله: «يرون بدنأً بارزاً نحو عين الشمس هذا أمير...» ولا يثبت القول الثاني بهذا الخبر.

ولما كان مثل «بدنأً بارزاً» و «بدرياً بارزاً» قريبة من البعض بحسب الكتابة احتمال التصحيف عند كتابة النصوص، وكذا يداً بارزة، ولكن مثل «يرون كفأً معلقة من السماء» أو «كفأً من السماء مدلاة» أو «كف تقول هذا هذا» فهي لا تحتمل التصحيف، ولكن كلمة بدنأً أو بدرياً تشبه كلمة يداً، يحتمل فيها التصحيف، ويكون الصحيح كلمة «يداً» وهي متصورة فتجتمع أكثر الروايات، سوى رواية «وجه يطلع في القمر ويد بارزة» فهي تضيف إلى طلوع اليد طلوع الوجه، ومعه يقوى احتمال عدم تصحيف رواية البدن.

ومهما يكن من ذلك فإن الروايات متفقة في رؤية طلوع الكف - ولو باعتبار أنها جزء البدن - واختلافها في الأكثر من ذلك، فبعضها يضيف الوجه وآخر بضيف جميع البدن، وإذا كانت الإشارة إلى صاحب

الأمر هي المقصودة يكون التوجه إلى الكف أكثر من غيره، وتكون هي المدار ومحط الأنظار.

واستظهر البعض أن هذا البدن هو بدن أمير المؤمنين عليه السلام، ولعله اعتمد على رواية الشيخ الطوسي المارة: «والصوت الثالث يرون بدنأ بارزاً نحو عين الشمس يقول هذا أمير المؤمنين قد كر في هلاك الظالمين» وهي رواية الزيتوني الذي لم يوثق، بينما رواية الحميري الثقة تقول: «والصوت الثالث بدن يرى في قرن الشمس يقول إن الله قد بعث فلاناً...».

ولو تم سند الرواية الأولى فهي تدل على أن البدن ليس هو بدن أمير المؤمنين؛ لأن البدن فيها يقول: «هذا أمير المؤمنين...» وهو عليه السلام لا يشير إلى نفسه عادة.

ويمكن تأييد إرادة علي عليه السلام برواية الكفاية: «والثالث يرون بدنأ بارزاً مع قرن الشمس ينادي إن الله قد بعث فلاناً حتى ينسبه إلى علي» فالبدري هو من شارك في معركة بدر، ولا يكون إلا علياً عليه السلام، غير أن ذيلها وقوله: «حتى ينسبه إلى علي» يؤيد أن المنادي غير علي عليه السلام ويتقوى احتمال تصحيف كلمة بدنأ حتى صارت بدنأ.

كما يدعم إرادة الإمام علي عليه السلام كل الروايات الدالة على تواجده في العصور السابقة لتنفيذ المهام الخطيرة كرواية البيان ورواية سلمان وغيرها.

ولكن لا يعدّ شيء من ذلك دليلاً حاسماً في المقام، خصوصاً مع خلو الرواية المعتبرة عن ذكر ذلك.

بقي أن أكثر الروايات دالة على أن البدن يرى في عين الشمس أو مع قرن الشمس على اختلاف التعابير، بينما جاء في رواية النعماني القمر بدل الشمس قال: «العام الذي فيه الصيحة قبله الآية في رجب» قلت وما هي؟

قال: «وجه يطلع في القمر ويد بارزة»^(١).

وهناك رواية لم تذكر الشمس ولا القمر، وتكتفي بذكر السماء، ولكنها لا تنافي أن يكون في عين الشمس أو القمر، والروايات الأكثر دالة على بروزه في عين الشمس أو نحو عين الشمس أو في قرن الشمس على أن الأخير هو الوارد في الرواية المعتبرة كما مر.

وإذا تعين إرادة البروز في عين الشمس فهو يشبه أن يكون المراد حدوث ظل في عين الشمس على صورة إنسان تشبه حالة سقوط ظل القمر عليها بما يعبر عنه بالكسوف بقريئة قولهم يرون بدنأ في عين الشمس إذ مع بقاء وهج الشمس لا تيسر الرؤية إلا إذا أريد الرؤية بوسيلة وجهاز أو من وراء عدسة ملونة وهو خلاف الظاهر، خصوصاً والمستفاد أن الرؤية ستكون عمومية.

وأما زمان البروز:

فالروايات الذاكرة للزمان تحده بشهر رجب، غير أنها تدل على وقوع النداء والأصوات الثلاثة فيه، وتكون رؤية البدن في الصوت الثالث، بينما بينا أن النداء والصوت إنما يكون في رمضان، للروايات الكثيرة المعتبرة، فلا بد من الالتزام بوقوع الصوت مرتين: مرة في رجب وهو صوت البدن البارز، وأخرى في رمضان وهو صوت جبرئيل، والفرق بينهما الأهمية والأظهرية، فالأهمية في رجب لبروز البدن، بينما تكون الأهمية في رمضان للصيحة والصوت الذي يفزع الناس من دون ظهور شيء تراه العين، ولذا عبرت بعض الروايات: «العام الذي فيه الصيحة قبله الآية في رجب قلت: وما هي؟ قال: «وجه يطلع في القمر، ويد بارزة»^(٢) فقد جمعت بين الحدين وعبرت عما يحدث في رجب بالآية ثم فسرتة بطلوع وجه وبروز يد من دون ذكر النداء.

(١) الغيبة: ٢٥٢.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥٢ ح ١٠.

وأما حتمية بروز البدن:

فقد دلت عليه بعض الروايات، كرواية النعماني بسنده عن زيد القنلي، عن غير واحد من أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قل، قلنا له: السفيناني من المحتوم؟ فقل: «نعم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، والقائم من المحتوم، وخسف البيداء من المحتوم، وكف تطلع من المحتوم، والنداء من السماء من المحتوم»^(١).

وروايته الأخرى بسنده عن زيد بن مروان القنلي، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قل: «النداء من المحتوم... وكف تطلع من السماء من المحتوم»^(٢).

فهاتان الروايتان وإن كانت دالتهما على حتمية طلوع كف من السماء واضحة، غير أن سنديهما مخلوشان؛ لأن زيد ضعيف، وهو من الواقعة المستبدين بأموال أبي الحسن موسى عليه السلام.

فلا يمكن إثبات حتمية بروز كف أو بدن في السماء، غير أن أصل الحدث ثابت لوروده في الخبر المعبر، وإنما يكون تحققه وعدم تحققه تابع لمشيئة الله.

مفاد النداء:

أما النداء الذي يصاحب طلوع البدن أو الكف على اختلاف الروايات فالأغلب أنه يكون ثلاث أصوات تكون في شهر رجب، ويكون مفاد الصوت الأول أن لعنة الله على الظلمين، والصوت الثاني أذفت الأزفة يا معشر المؤمنين، والصوت الثالث فيه اختلاف فبعض الروايات عبرت بأن البدن هو الذي ينادي ومفاده «أن الله قد بعث فلاناً فاسمعوا له وأطيعوا»^(٣).

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٧ ح ٥١.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥٢ ح ١١.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: ٣٨.

٣٥٠ العد التنازلي في علائم ظهور المهني ~~الشيء~~

وفي رواية أخرى: «ألا إن الله قد بعث فلان بن فلان حتى ينسبه إلى علي ~~عليه السلام~~ فيه هلاك الظالمين، فعند ذلك يأتي الفرج ويشفي الله صدورهم ويذهب غيظ قلوبهم»^(١).

وفي رواية ثالثة: «الثالث يرون بدنأ بارزاً مع قرن الشمس ينادي ألا إن الله قد بعث فلاناً على هلاك الظالمين، فعند ذلك يأتي المؤمنون الفرج، ويشفي الله صدورهم، ويذهب غيظ قلوبهم»^(٢).

بينما اكتفت بعض الأخبار بالقول: «ينادي منادٍ من السماء: عليكم بفلان، وتطلع كف تشير»^(٣) وحتى اقتصر في بعضها على قول: «وكف تقول هذا هذا»^(٤)، كل ذلك يشير إلى أن المقصود بالآية في رجب هو الرؤية دون الكلام، وإنما يكون الكلام في شهر رمضان.

وتبقى حكمة طلوع البدن أو الكف:

فلمستشم من الأخبار هو نوع من الترويح والتخفيف المنبئ عن اجتياز أهل الحق لمرحلة عصيبة جداً حيث اليأس والقنوط من الفرج وخيبة جميع الآمال بتكالب الأمم عليهم وغلظة حكام الجور والظلم ليكون هذا النداء نوعاً من التنفس والبرزخ، لذا نجد في أكثر الأخبار الدالة على هذه الآية ما مفاده: «فعند ذلك يأتي الفرج ويشفي الله صدورهم، ويذهب غيظ قلوبهم».

بل جاء في خبر الكفاية: «كأنني بهم آيس من كانوا ثم نودي بتداء يسمع من البعد كما يسمع من القرب يكون رحمة على المؤمنين وعذاباً على

(١) كفاية الأثر: ١٥٩، البحار ٥١: ١٠٩، مختصر بصائر الدرجات: ٣٨.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ١٨١ ح ٢٨.

(٣) كتاب الفتن: ٩٣.

(٤) دلائل الإمامة: ٢٦١.

المنافقين»، قلنا وما ذاك النداء؟ قل: «ثلاثة أصوات في رجب، أولها ألا لعنة الله على الظالمين، والثاني: أذفت الأزفة، والثالث: ترون بديراً بارزاً مع قرن الشمس ينحى ألا إن الله قد بعث فلان بن فلان حتى ينسبه إلى علي فيه هلاك الظالمين، فعند ذلك يأتي الفرج ويشفي الله صدورهم ويذهب غيظ قلوبهم»^(١).

وفي رواية الشيخ الطوسي المعتبرة: «وكم من مؤمن متأسف حرّان حزين عند فقد الماء المعين كأني بهم أسر ما يكونون وقد نودوا نداء يسمعه - إلى أن قال - والصوت الثالث بدن يرى في قرن الشمس يقول إن الله بعث فلاناً فاسمعوا له وأطيعوا، فعند ذلك يأتي الناس الفرج وتودّ الناس لو كانوا أحياء ويشفي الله صدور قوم مؤمنين»^(٢).

فهكذا نجد التأكيد على سرور المؤمنين بهذه الآية بعد شدة الحزن والأياس والتأسف والحزن، فهو شفاء لصدورهم بعد تصديق الله سبحانه لا اعتقادهم وتصحيحه لعملهم أعني الانتظار المر.

وأما إن هذا النداء فيه هلاك للظالمين فلأجل سماعهم بما ينافي عقائدهم ويبطل أعمالهم، إذ لم تكن في طريق الصواب، كما أنه يخبر ذوي الشوكة بأن الأمر ليس كما يتصورون وليست أمور الدنيا لهم سلماً كما يريدون، وليس لهم أن يفعلوا كل ما يريدون ويرغبون، بل هناك مدبر آخر سيقهرهم ويشتتهم، فلا يمكنهم الاعتماد على جميع تقدمهم العلمي وامتلاكهم الآلة القاهرة.

كل ذلك بالإضافة إلى كون هذه الآية هي تمهيد للآية الأخرى أعني الصيحة في رمضان ومن ثم ظهور المهدي عليه السلام في المحرم على ما سيأتي،

(١) كفاية الأثر: ١٥٩.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٨٣.

٣٥٢ العد التنازلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

ليكون المؤمنون على أهبة الاستعداد لمواكبة التغيير القادم.

العلامة التاسعة

قتل النفس الزكية

خلاصة الكلام في قتل النفس الزكية

لعل آخر العلائم العشر هو قتل النفس الزكية، وهو من العلائم الحتمية، واسمه محمد بن الحسن، بينما النفس الزكية هو لقبه.

ومهما يكن من ذلك فهو من آل محمد عليهم السلام، ومن ولد الإمام الحسين عليه السلام على ما يبدو، يقتل هو وأخوه في مكة ضيعة، على أنه أول طلائع الإمام المهدي عليه السلام وأول مستشهد معه وله قصة.

ومن قصته أن أصحاب الإمام عليه السلام يصرون عليه، ويطلبون منه الخروج، فيقول لهم: «يا قوم إن أهل مكة لا يريدونني، ولكني أرسل إليهم لاحتج عليهم» فيدعو محمد بن الحسن المذكور ويقول له: «امض إلى أهل مكة وقل لهم: أنا رسول فلان إليكم، وهو يقول لكم: إنا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمد وسلالة النبيين، وإنا قد ظلمنا واضطهدنا وقهرنا، وابتز منا حقنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا، فنحن نستنصركم فانصرونا».

فيجيء ذلك الفتى وينقل إليهم هذا الكلام، وكما هو المعلوم من حل أكثر أهل مكة وجفاءهم لأهل بيت النبي عليه السلام وشيعتهم، فإنهم لا يتركون قتل من يتكلم بمثل هذا الكلام، فيجيئون إليه ويذبحونه، فإذا بلغ الإمام ذلك الخبر قل لأصحابه: «ألا أخبرتكم أن أهل مكة لا يريدوننا» وكما هو واضح فإن قتل هذا الشخص من دون سبب ولا جرم اجترمه سيكون سبباً لغضب الله سبحانه وتعالى عليهم، ويتلوه غضب كل من في السماء الأرض لغضب الله سبحانه وتعالى، وعندها يكون الفرغ إن شاء الله.

العلامة التاسعة:

قتل النفس الزكية

تتحدث الأخبار عن أن المهدي عليه السلام لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية، فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض فيسير المهدي سبباً لنقمة الله سبحانه وتعالى على أن هذا القتل هو آخر أعمال الظلمة ليس بينه وبين خروج القائم سوى برهة وجيزة وأيام قليلة قد لا تتجاوز خمسة عشر يوماً، وهو من آخر العلامات على خروجه عليه السلام على ما يبدو، بل هو أول طلائعه الذين يبعثهم في مهامه، وأول مستشهد من أصحابه، غير أن هناك بعض الغموض حول محل قتله.

وأما ثبوت أصل الواقعة فقد دلت عليه أخبار كثيرة:

روى ابن حماد بسنده عن ابن مسعود قال: يبعث جيش إلى المدينة فيخسف بهم بين الجماوين وتقتل النفس الزكية^(١).

وعن كعب قال: تستباح المدينة حينئذ وتقتل النفس الزكية^(٢).

وفي الخبر عن عمار بن ياسر: إن المهدي لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية^(٣).

(١) كتاب الفتن: ٩٠، والجماوان هضبتين عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكة.

(٢) كتاب الفتن: ٨٨.

(٣) كتاب الفتن: ٩٣.

وروى النعماني بسند عن محمد بن الصامت عن أبي عبد الله عليه السلام قال، قلت له: ما من علامة بين يدي هذا الأمر؟ فقال: «بلى» قلت: وما هي؟ قال: «هلاك العباسي، وخروج السفيناني، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء، والصوت من السماء»^(١).

وفي خبر آخر عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال، قلت له: جعلت فداك، متى خروج القائم عليه السلام؟ فقال: «يا أبا محمد إنا أهل بيت لا نؤقت...، يا أبا محمد إن قدام هذا الأمر خمس علامات: أولاً هن النداء في شهر رمضان، وخروج السفيناني، وخروج الخراساني، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»^(٢).

وروى الشيخ الكليني عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن أبي أيوب الخزاز، عن عمر بن حنظلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «خمس علامات قبل قيام القائم: ظهور السفيناني، واليماني والصيحة من السماء، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»^(٣) والسند معتبر على ما يبدو.

حتمية قتل النفس الزكية:

فحتمية قتل النفس الزكية هي الأخرى دلت عليها الأخبار الكثيرة وفيها المعتبر الذي يرويه الشيخ الصدوق عن محمد بن موسى بن المتوكل، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن

(١) كتاب الغيبة: ٢٦٢ ح ٢١.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٨٩ ح ٦.

(٣) الكافي ٨: ٣١٠ ح ٤٨٣ ورواه الصدوق بسند آخر في كمال الدين ٦٤٩ ح ١، والحصل: ٣٠٣ ح ٨٢، وكذا النعماني في كتاب الغيبة: ٢٥٢ ح ٩.

بن محبوب، عن أبي حمزة الشمالي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبا جعفر كان يقول: «إن خروج السفيناني من المحتوم» قال لي: «نعم، واختلاف ولد العباس من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وخروج القائم من المحتوم»^(١).

ورواه النعماني بطريق آخر^(٢)، وكذا الشيخ المفيد في الإرشاد^(٣).

ويؤكد ذلك ما رواه النعماني أيضاً عن أحمد بن محمد بن سعيد بإسناده عن هارون بن مسلم عن أبي خالد القماط، عن حمران بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من المحتوم الذي لا بد منه قبل قيام القائم خروج السفيناني وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية، ومناهي من السماء»^(٤).

وروى النعماني أيضاً بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «النداء من المحتوم، والسفيناني من المحتوم، واليمان من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وكف تطلع من السماء من المحتوم...»^(٥).

وفي حديث عمار بن ياسر ما يؤكد ذلك أيضاً إذ جاء فيه: «إن المهدي لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية»^(٦).

والنتيجة أن أصل خبر قتل النفس الزكية ثابت مروى بطرق معتبرة

(١) كمال الدين ٢: ٦٥٢ ح ١٤.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥٧ ح ١٥.

(٣) الإرشاد: ٣٥٨. رواه عن الفضل بن شاذان عن رواه عن أبي حمزة الشمالي.

(٤) كتاب الغيبة: ٢٦٤ ح ٢٦.

(٥) كتاب الغيبة: ٢٥٢ ح ١١، عن علي بن أحمد البندنيجي، عن عبيد الله بن

موسى العلوي، عن يعقوب، عن زياد بن مروان، عن عبد الله بن سنان عن

أبي عبد الله. وهو يشتمل على الضعاف.

(٦) كتاب الفتن: ٩٣.

٣٦٠ العد التنزلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

ومتكثرة من طرق العامة والخاصة، وحتميته هي الأخرى ثابتة بالروايات
المعتبرة والمتكثرة من الفريقين.

اسمه ونسبه:

جاء في خبر رواه الفضل بن شاذان في كتاب الرجعة عن صفوان بن
يحيى، عن محمد بن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام، قال ابن حمران قيل له:
يا ابن رسول الله متى يخرج قائمكم؟ قال: «إذا تشبه الرجال بالنساء
والنساء بالرجال - إلى أن قال - وخروج السفيناني من الشام، واليماني من
اليمن، وخسف بالبيداء، وقتل غلام من آل محمد عليه السلام بين الركن والمقام
اسمه محمد بن الحسن، ولقبه النفس الزكية...»^(١).

وروى الصدوق عن محمد بن محمد بن عصام، عن محمد بن يعقوب
الكليني، عن القاسم بن العلاء، عن إسماعيل بن علي القزويني، عن علي
بن إسماعيل، عن عاصم بن حميد الحنطاط، عن محمد بن مسلم الثقفني قال:
سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول: «خروج السفيناني من
الشام، واليماني من اليمن، وخسف البيداء، وقتل غلام من آل محمد عليه السلام بين
الركن والمقام، اسمه محمد بن الحسن النفس الزكية»^(٢).

والرواية الأخيرة وإن كانت مشتملة على بعض المجاهيل فالرواية الأولى
معتبرة ويروها الفضل بسند آخر عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن محمد
بن مسلم الثقفني، ويتم الخبر إذا صحت النسبة إلى كتاب إثبات الرجعة.

وأما نسبه: فقد دلت رواية الفضل على أنه من أهل البيت؛ لأن
فيها: «وقتله غلام من آل محمد» كما يقتضيه قول الصادق عليه السلام لأبي جعفر

(١) مختصر إثبات الرجعة: ٢١٦ ح ١٨.

(٢) كمال الدين: ٣٣٠ ح ١٦.

المنصور: «حتى تصيبوا منا دماً حراماً...» كما سيأتي.

بل في رواية يرويه ابن حماد عن سعيد أبي عثمان عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال فيها: «ثم يظهر السفيناني الملعون فيظفر بهما جميعاً وترفع قبل ذلك اثنتا عشر راية بالكوفة معروفة، ويقتل رجل من ولد الحسن يدعو إلى أبيه»^(١) فهي تدل على أن المقتول من ولد الحسن عليه السلام إذا كان المراد به النفس الزكية، فإن السياق يقتضي أنه مقتول في الكوفة من أجل دعوته لأبيه ولا ربط له بالنفس الزكية المتحدث عنه.

نعم روى العياشي عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في كلام يذكر فيه صفات القائم عليه السلام: «ما أشكل عليكم، فلم يشكل عليكم عهد نبي الله صلى الله عليه وآله ورايته وسلاحه، والنفس الزكية من ولد الحسين، فإن أشكل عليكم فلا يشكل عليكم الصوت من السماء باسمه وأمره...»^(٢).

مقتل النفس الزكية:

يبدو أن قتل النفس الزكية إنما يكون في الحرم بمكة، جاء ذلك فيما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن عمار بن ياسر حيث قل: إذا رأى أهل الشام قد اجتمع أمرها على ابن أبي سفیان فالحقوا بمكة، فعند ذلك تقتل النفس الزكية وأخوه بمكة ضيعة، فينادي من السماء: إن أميركم فلان، وذلك هو المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً^(٣).

بل تعينه الأخبار المارة في البحث عن اسم النفس الزكية بوقوعه بين الركن والمقام، ويزيده تأكيداً ما رواه الكليني بسند معتبر عن أبي جعفر عليه السلام

(١) كتاب الفتن: ٧٦.

(٢) تفسير العياشي ١: ٦٤ ح ١١٧.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٧٨.

أنه قال في حديث للمنصور الدوانيقي: «لا تزالون في مهلة من أمركم وفسحة من دنياكم حتى تصيبوا منادماً حراماً في شهر حرام في بلد حرام»^(١).

وهناك روايات أخرى تدل على قتل غلام، أو غلام وأخته في المدينة ويصلب فقد روى ابن حماد بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «يكتب السفيناني إلى الذي دخل الكوفة بحيله بعدما يعركها عرك الأديم يأمره بالسير إلى الحجاز، فيسير إلى المدينة فيضع السيف في قريش، فيقتل منهم ومن الأنصار أربعمائة رجل، ويبقر البطون، ويقتل الولدان، ويقتل أخوين من قريش، رجل وأخته يقال لهما محمد وفاطمة، ويصلبهما على باب المسجد بالمدينة»^(٢).

وتزداد المسألة تعقيداً عندما يروي الكليني بسندين أحدهما معتبر عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال له في حديث: «يا زرارة لا بد من قتل غلام بالمدينة» قلت: جعلت فداك، أليس يقتله جيش السفيناني؟ قال: «لا ولكن يقتله جيش آل بني فلان، يجيء حتى يدخل المدينة فيأخذ الغلام فيقتله، فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لا يمهلون، فعند ذلك توقع الفرج إن شاء الله»^(٣).

وتتشعب عندما تضيف إليها رواية عقد الدرر القائلة في أصحاب السفيناني: «فيصرون ثلاث فرق، فرقة تسير نحو الري، وفرقة تبقى في الكوفة، وفرقة تأتي المدينة، وعليهم رجل من بني زهرة فيحاصرون أهل المدينة، فيقبلون جميعاً، فيقتل بالمدينة مقتلة عظيمة حتى يبلغ الدم الرأس المقطوع، ويقتل رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وامرأة واسم الرجل محمد

(١) الكافي ٨: ٣٧ ح ٧.

(٢) كتاب الفتن: ٨٨.

(٣) الكافي ١: ٣٣٨ ح ٩، وص ٣٣٧ ح ٥.

ويقال اسمه علي والمرأة فاطمة، فيصلبونهما عراة، فعند ذلك يشتد غضب الله تعالى عليهم، ويبلغ الخبر ولي الله تعالى فيخرج من قرية من قرى جرش...»^(١).

غير أن هذه الروايات الدالة على قتل غلام في المدينة ليس فيها أن الغلام هو النفس الزكية فلعله غلام آخر وإن تشابه مع النفس الزكية في حلول غضب الله سبحانه بقتله.

على أن الرواية الأخيرة لم تصرح بأن قتله يكون في المدينة وإن كان المستفاد بحسب سياق الكلام ذلك، ولذلك لم نستدل على قتل النفس الزكية بالمدينة بمثل رواية ابن مسعود المارة: «بيعت جيش إلى المدينة فيخسف بهم بين الحماوين، وتقتل النفس الزكية لأنها ليس فيها تقتل النفس الزكية في المدينة، فلا تنافي الروايات الدالة على قتله بمكة.

وهناك شخص آخر يعرف بالحسني يقتل قبيل ظهور القائم يحتمل كونه النفس الزكية سيأتي الكلام عنه.

كما جاء في رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام أولها: «ألا أيها الناس سلوني قبل أن تشرع برجلها فتنة شرقية - إلى أن قل - ولذلك آيات وعلامات أولهن إحصار الكوفة بالرصد والخنق وتحريق الزوايا في سكك الكوفة وتعطيل المسجد أربعين ليلة، وتحقق رايات ثلاث حول المسجد الأكبر يشبهن بالهدى، القاتل والمقتول في النار، وقتل كثير وموت ذريع وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين، والمذبوح بين الركن والمقام»^(٢).

فهي كما هو واضح تتكلم عن نفس زكية أخرى تقتل في الكوفة مع سبعين من الصالحين، لا تنافي الروايات التي تدل وتعبر عن النفس الزكية

(١) عقد الدرر: ٧٦.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٩.

المبحوث عنها وهو المذبوح بين الركن والمقام.

زمان قتل النفس الزكية:

يبدو أن زمان قتل النفس الزكية متأخراً لظهور الإمام المهدي عليه السلام بحيث جاء في خبر يرويه الشيخ المفيد عن ثعلبة بن ميمون، عن شعيب الحذاء، عن صالح بن ميثم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «ليس بين قيام القائم عليه السلام وبين قتل النفس الزكية أكثر من خمس عشرة ليلة»^(١).

وفي خبر آخر يرويه الشيخ الصدوق والشيخ الطوسي بسنديهما عن صالح قال سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «ليس بين قيام آل محمد وبين قتل النفس الزكية إلا خمسة عشر ليلة»^(٢).

ومع ذلك فإن مقتضى رواية حتى تصيبوا منادماً حراماً في شهر حرام في بلد حرام، كونه في الأشهر الحرم.

وإذا جمعناه مع ما دل على أن المهدي عليه السلام يظهر في العاشر من محرم وأن النفس الزكية تقتل قبله بخمس عشرة ليلة يكون قتله ليلة الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين من ذي الحجة الحرام.

قصة النفس الزكية:

لم تخلُ العصور التي خلت والسنوات التي مضت من قتل المؤمنين على أيدي الظالمين بشتى أساليب القتل بعد إيصال الأذى إليهم أو سجنهم وتعذيبهم مهما كان ورعهم وإيمانهم وتقواهم وفيهم النفوس الزكية والراضية المرضية ولكن لم يكن واحد منهم علامة لظهور المهدي عليه السلام ولا خرج المهدي

(١) الإرشاد: ٣٦٠.

(٢) كمال الدين: ٤٦٩ ح ٢، غيبة الطوسي: ٢٧١.

بعده، فلا بد من إرادة نفس زكية خلسة لها قصة خاصة ترتبط بنفس المهدي عليه السلام وحركته وقيامه، وهذا أمر لا بد منه، وإن لم تذكره الأخبار المعتبرة.

نعم جاء في حديث ينقله المجلسي عن السيد علي بن عبد الحميد الذي يرفعه بدوره إلى أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل قال فيه: يقول القائم عليه السلام لأصحابه: يا قوم إن أهل مكة لا يريدونني، ولكني مُرسِل إليهم لاحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم، فيدعوا رجلاً من أصحابه فيقول له: امض إلى أهل مكة فقل: يا أهل مكة أنا رسول فلان إليكم وهو يقول لكم: إنا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمد وسلالة النبيين، وإنا قد ظلمنا واضطهدنا وقهرنا وابتز منا حقنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا، فنحن نستنصركم فانصرونا، فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية، وإذا بلغ ذلك الإمام قل لأصحابه: ألا أخبرتكم أن أهل مكة لا يريدوننا؟! ^(١).

فهي تدل على أن قاتل النفس الزكية هم أهل مكة وليس السفيناني لعدم وصوله مكة.

ولعل هذا أمر طبيعي يصدقه كل من دخل مكة وعاشر أهلها فإنه يتحسس جفاء الكثيرين منهم لأهل البيت عليهم السلام وأنهم لا يترددون في قتل كل من يتفوه بهذه الكلمات وأمثالها كما أنهم لم يترددوا في محاولة قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما دبروا له ليلة الهجرة، ألا تعساً وبعداً للقوم الظالمين.

قتل النفس الزكية سبب لغضب الله سبحانه:

لقد بان من الحديث السابق أن النفس الزكية من أصحاب المهدي عليه السلام بيعته من أجل امتحان أهل مكة واختبارهم، إذ يقتلونه بغير سبب ولا

(١) البحار ٥٢: ٣٠٧ ح ٨١.

جرم اجترمه غير أنه بلغ عن المهدي عليه السلام بأنهم أهل بيت اضطهدوا وقهروا وهم أهل بيت الرحمة فقد جاء التعبير عن قتله في رواية عمار بن ياسر بأنه ضيعة قل: «إذا قتل النفس الزكية وأخوه يقتل بمكة ضيعة، نأى مناؤ من السماء إن أميركم فلان، وذلك المهدي الذي يملأ الأرض حقاً وعدلاً»^(١).

وكذا جاء في الخبر الذي يرويه الشيخ الطوسي بسنده عن عمار بن ياسر: «وإذا رأى أهل الشام قد اجتمع أمرها على ابن أبي سفيان فالحقوا بمكة، فعند ذلك تقتل النفس الزكية وأخوه بمكة ضيعة»^(٢).

وبذلك يغضب الله سبحانه وتعالى عليهم كما جاء في الخبر الذي يرويه ابن حماد بسنده عن عمار بن ياسر أيضاً قل: «إن المهدي لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية، فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض، فجاء الناس المهدي فزفوه كما تزف العروس...»^(٣).

ولا يقع هذا الغضب على أهل مكة فقط، بل يقع على كل ظالم إما يقتله أو تنحيته من منصبه حتى يتسنى للمهدي عليه السلام إقامة العدل. كما أن قتل النفس الزكية ليس هو السبب الوحيد، ولعله آخر الأسباب فقد تقدم أن قتل الغلام وأخته في المدينة هو الآخر يكون سبباً لغضب الله سبحانه، فقد جاء في الخبر الذي يذكر قتله: «فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لا يمهلون، فعند ذلك توقع الفرغ إن شاء الله».

قتل النفس الزكية وأخيه:

تضمنت روايات عمار بن ياسر قتل النفس الزكية وأخيه بينما روايات الغلام الذي يقتل في المدينة تضمنت قتله وقتل أخته وهما محمد وفاطمة

(١) كتاب الفتن لابن حماد: ٩٣.

(٢) الغيبة: ٢٧٨.

(٣) كتاب الفتن: ٩٣.

مما يؤيد تغاير المقتولين كما أنّ المستشم من مجموع الروايات تباعد زمان القتلين؛ لأنه جاء في رواية الغلام المدني: «فعد ذلك توقع الفرج» الذي يتناسب مع طول المدة كما بينا في المقدمة، بينما رواية النفس الزكية تدل على مباشرة الظهور، وحددته بعض الأخبار بخمسة عشر يوماً.

الحسني والنفس الزكية:

جاءت رواية في كتاب الكافي تتكلم عن تحرك شخص حسني يبادر إلى الخروج قبل صاحب الأمر ليمسك بزمام الأمور عند سماعه بعزم الإمام عليه السلام على الخروج، ولكن يكون خروجه هو حتفه إذ يقتله أهل مكة.

فقد روى الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن يعقوب السراج قل: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: متى فرج شيعتكم؟ قل: إذا اختلف ولد العباس ووهى سلطانهم، وطمع فيهم من لم يكن يطمع فيهم، وخلعت العرب أعتها، ورفع كل ذي صيصية صيصيته، وظهر الشامي، وأقبل اليماني، وتحرك الحسني، وخرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكة بتراث رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: ما تراث رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: سيف رسول الله ودرعه وعمامته وبرده وقضيه ورايته ولامته وسرجه حتى ينزل مكة، فيخرج السيف من غمده، ويلبس الدرع، وينشر الراية والبردة والعمامة، ويتناول القضيب بيده ويستأذن الله في ظهوره، فيطلع على ذلك بعض مواليه، فيأتي الحسني فيخبره الخبر، فيبتدر الحسني إلى الخروج فيشب عليه أهل مكة فيقتلونه ويعثون برأسه إلى الشامي، فيظهر عند ذلك صاحب هذا الأمر فيبايعه الناس ويتبعونه^(١).

(١) الكافي ٨: ٢٢٤ - ٢٥ ح ٢٨٥، ورواه النعماني بسند عن يعقوب السراج

كتاب الغيبة: ٢٧٠ ح ٤٣، البحار ٥٢: ٢٤٢.

فهل إن هذا الحسيني هو النفس الزكية الذي تحدثنا عنه، أو هذا قتيل آخر، يظل مفتاح الحل كامناً في قوله عليه السلام: «فيبتدر الحسيني إلى الخروج» هل إن ابتداره سبق مع صاحب الأمر لاستلام السلطة، أو مبادرة لنصرته والتهيئة له، فإذا كان الأول اختلف مع محمد بن الحسن النفس الزكية الممدوح أو المبعوث من قبل صاحب الأمر.

وإن كان الثاني فلا استبعاد في اتحاده، غير أن هذه الرواية تدل على أن خروجه لم يكن بأمر من الإمام بل من نفسه، على خلاف ما دلت عليه الرواية التي أوردناها في قصة خروج النفس الزكية وهو الأنسب.

العلامة العاشرة

كسوف الشمس

خلاصة الكلام في كسوف الشمس

لعل من الثوابت عند علماء النجوم أن الكسوف إنما يتحقق في آخر الشهر ولا يكون في وسط الشهر، كما أن خسوف القمر يكون في وسط الشهر ولا يكون في آخره، وذلك لأن الكسوف يتحقق بتوسط القمر بين الشمس والأرض ولا يتفق ذلك إلا في آخر الشهر، لأن الشمس والقمر يجتمعان في درجة واحدة.

فمن الأمور التي ستتحقق قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام هو كسوف الشمس في وسط الشهر وخسوف القمر في آخره، عندها يسقط حساب المنجمين ويكون آية من آيات الله التي لم تتحقق منذ هبط آدم.

بل إن بعض الأخبار تدل على تكرار الكسوف في يومين متتاليين، وهو مما لم يحدث إلى الآن أيضاً، آية أخرى على عدم وفاء علوم البشر رغم التقدم العلمي، على أنها علائم ومؤشرات على حدوث تغييرات غير منتظرة، ولا سابقة، وهي العولمة المهدوية، وانفصاض جميع النظم والتقسيمات البشرية والجغرافية.

العلامة العاشرة:

كسوف الشمس

آخر ما نبحت فيه عما نصت الأخبار على أنه علامة على خروج القائم عليه السلام هو كسوف الشمس في شهر رمضان بكيفية خاصة وزمان مخصوص يميزه من بين الكسوفات الأخرى التي يمكن أن تقع في كل شهر. والميزة الأولى: هي تكرر وقوعه حتى ورد أنه تنكسف الشمس في شهر رمضان مرتين.

مما لم يعهد عادة ولا هو داخل في حساب المنجمين وعلماء النجوم. والميزة الثانية: هي وقوع الكسوف في وسط الشهر مما لا يمكن علة بحسب حساب المنجمين أيضاً. والميزة الثالثة: تعقيبه؛ بلخسوف في آخر الشهر والذي هو الآخر مما لا يمكن ولا يتصور.

أما أصل الكسوف في شهر رمضان فقد دلت عليه أخبار عديدة كخبر الشيخ الصدوق الذي يرويه بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تنكسف الشمس لخمس مضيئين من شهر رمضان قبل قيام القائم عليه السلام»^(١) وظاهر

(١) كمال الدين: ٦٥٥ ح ٢٨، البحار ٥٢: ٢٠٧ ح ٤٣، ورواه العاملي عن كمال الدين في اثبات الهداة ٣: ٧٢٣ ح ٣٧، ولكن فيه: لخمس يقين. وقال المجلسي في البحار: يحتمل وقوعهما معاً فلا تنافي ولعله سقط.

الكلام عن علامات القائم.

ويدل على أنه علامة على ظهور القائم مارواه النعماني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «علامة خروج المهدي كسوف الشمس في شهر رمضان في ثلاث عشرة وأربع عشرة منه»^(١).

فهي صرحت بأنه علامة على خروج المهدي عليه السلام، ولكن في سندها ضعف، وتأييدها رواية الصدوق بسنده عن ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إثنان بين يدي هذا الأمر خسوف القمر لخمس، وكسوف الشمس لخمس عشرة ولم يكن ذلك منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض، وعند ذلك يسقط حساب المنجمين»^(٢).

ولعل قوله «بين يدي هذا الأمر» دلالة على قرب وقوعه من ظهور القائم الملازم لكونه علامة عليه.

كما دلت الرواية السابقة على التعدد أيضاً مع تعيين زمان الكسوف الأول باليوم الثالث عشر منه والثاني في يوم الرابع عشر.

ويبقى الدليل على وقوعه في وسط الشهر وتعقيبه بخسوف القمر في آخر الشهر الرواية التي يرويها الشيخ الكليني والشيخ الطوسي بسنديهما عن ثعلبة بن ميمون، عن بدر بن الخليل الأزدي، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «آيتان تكونان قبل قيام القائم لم تكونا منذ هبط آدم إلى الأرض: تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره» فقال رجل: يا ابن رسول الله، تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف، فقال أبو جعفر عليه السلام: «إني أعلم ما تقول، ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام»^(٣).

كأن هذا المعترض ظن أن الإمام قد أخطأ وسها حينما قال ذلك،

(١) كتاب الغيبة: ٢٧٢ ح ٤٧.

(٢) كمال الدين: ٦٥٥ ح ٢٥.

(٣) الكافي: ٨: ٢١٢ ح ٢٥٨، الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٤ ح ٤٣٩.

فأراد أن يصلح كلامه، أو أراد أن يسأل الإمام عن كيفية تحقق ذلك مع أن الكسوف لا يكون إلا في آخر الشهر والخسوف في وسطه، فلجأ الإمام عليه السلام بأن ذلك آية ومعجزة لم تكن منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض، قد يستفاد منه وقوعها قبل هبوطه كعلامة على فناء أهل الأرض من النسناس في ذلك الوقت، وروى ذلك الشيخ المفيد عن ثعلبة الأزدي عن أبي جعفر عليه السلام، إلا أن فيه: «أنا أعلم بما قلت»^(١).

ورواه النعماني بسنده كما في الكافي إلا أن فيه: فقال له رجل: يا ابن رسول الله لا، بل الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف فقال أبو جعفر عليه السلام: «إني أعلم بالذي أقول، إنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم»^(٢)، ورواه الصدوق بسند آخر عن أبي جعفر عليه السلام^(٣).

والمهم أن الروايات الدالة على أصل تحقق الكسوف والخسوف كثيرة وطرقها متعددة مما ينفي الريب والشك عن أصل تحققه إن كان في علائمه تأمل.

فلا يبقى سوى زمان وقوع الكسوف والخسوف الذي اختلفت فيه الأخبار، فقد دلت الرواية الأولى المعتبرة التي يرويها الصدوق على وقوع الكسوف لخمس مضيئ بينما يروي العاملي عن الصدوق لخمس بقين مما يدل على اختلاف نسخ كتاب كمال الدين مما يفقدنا الاعتماد على روايته من ناحية تعيين الوقت، بعد تأكيد الروايات على وقوع الكسوف في وسط الشهر وأنه آية من آيات الله لم تكن منذ هبط آدم، وإلا فالكسوف لخمس بقين أمر ممكن وواقع، ولعل الرواية في أصل النقل هي كسوف الشمس في وسط

(١) الإرشاد: ٢: ٣٧٤.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧١ ح ٤٥.

(٣) كمال الدين: ٦٥٥ ح ٢٥.

الشهر وخسوف القمر لخمس بقين أو شيء من هذا القبيل.

وروى الراونلي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قل: «آيتان تكونان قبل قيام القائم لم تكونا منذ هبط آدم إلى الأرض: تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره، وعند ذلك يسقط حساب المنجمين»^(١).

وقد جاء التعبير بسقوط حساب المنجمين في رواية الصدوق المارة، وذلك لأن الكسوف يتحقق بتوسط جرم القمر بين الشمس وبين الناظرين، ولا يتحقق التوسط إلا في آخر الشهر لأن الشمس والقمر في آخر الشهر يجتمعان في درجة واحدة.

وعليه فإن كسوف الشمس في وسط الشهر كما دلت عليه أكثر الروايات أو في أول الشهر كما دلت عليه روايتا الصدوق - رحمه الله - تكون آية ومعجزة على خلاف حساب المنجمين.

مع أن النسخ في رواية الصدوق المعتبرة مختلفة كما بينا بين خمس مضين وخمس بقين، فلا يتعين منها وقوعه في أول الشهر ولا آخره، فتبقى روايات النصف المتعددة بلا معارض.

وأما خسوف القمر فالمعروف أنه لا يكون إلا في وسط الشهر، فوقعه في آخر الشهر كما عليه أكثر الأخبار أو خمس مضين، كما جاء في رواية الصدوق الأولى حيث قل: «خسوف القمر لخمس وكسوف الشمس لخمس عشرة» التي يهتمل سقوط كلمة تبقى، فتكون مثل رواية النعماني عن ورد - أخ الكميث - عن أبي جعفر عليه السلام أنه قل: «إن بين يدي هذا الأمر انكساف القمر لخمس تبقى، والشمس لخمس عشرة، وذلك في شهر رمضان، وعنده يسقط حساب المنجمين»^(٢).

(١) الخرائج والجرائح ٣: ١١٥٨.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧٢.

فلم يبق إلا حديث تعدد الكسوف وعلمه، حيث دلت رواية النعماني المارة الدالة على وقوعه في اليومين الثالث عشر والرابع عشر من رمضان بمقتضى العطف بالواو، وتؤيده رواية ابن حماد عن شريك: قبل خروج المهدي تنكسف الشمس في شهر رمضان مرتين^(١)، غير أن أكثر الروايات دلت على وقوعه في النصف الذي يعني الخامس عشر إلا أن نلتزم بإرادة وسط الشهر من النصف بقريئة قوله والقمر في آخره، وتفسره رواية النعماني بالثالث عشر والرابع عشر، ولكن رواية الصدوق الأولى ورواية النعماني الأخيرة صرحت بأنه في الخامس عشر.

فيحتمل أن تكون رواية النعماني معطوفة بأو في أصل النقل يعني الثالث عشر أو الرابع عشر، ومعه لا يكون فيها قدرة على منازعة روايات النصف التي هي الأكثر، خصوصاً مع الالتفات إلى ضعف رواية النعماني ورواية المرتين، وورود رواية النصف في الكتب المعتمدة وروايتها المشايخ الثلاثة بالإضافة إلى النعماني نفسه، فيكون الترجيح لها.

الأحداث

التي تسبق ظهور القائم

الأحداث التي تسبق ظهور القائم عليه السلام

هي الأمور التي دلت الأخبار على وقوعها قبل قيام القائم عليه السلام من دون تصريح بأنها علامة على خروج القائم، ولكن القرائن والشواهد تحكي قرب زمانها من زمانه، أو أن الروايات دلت على أنها علامة ولكن من المسلسلات التي بين أولها وآخرها فترة ليست بالقليلة، مثل اختلاف بني فلان، وخروج الكوكب ذي الذنب، ويشق الفرات وطلوع الشمس من مغربها، والدابة، وحدث بين الحرمين وركود الشمس، والقتل وغيرها.

وعندما كان من الصعب جداً إثبات الترتيب الزمني فيما بينها وكذا لحاظ الأهمية عدلنا إلى الحصر المكاني وعلائم كل ناحية وكل صقع، فتكون المباحث كالاتي.

- ١ - أحداث السماء.
- ٢ - أحداث العراق.
- ٣ - أحداث الحجاز.
- ٤ - أحداث الشام.
- ٥ - أحداث إيران.
- ٦ - العلائم الأخلاقية.

أحداث السماء

نار وحمرة في السماء:

تتحدث الأخبار عن ظهور نار في مواضع مختلفة وبصفات متميزة مرة من اليمن من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر، ومرة بأرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى، ومرة من المشرق وأخرى من المغرب تقبل مع الناس إذا قالوا وتبيت معهم إذا باتوا وتأكل من تخلف، ومرة نار تنتهي إلى الكناسة في الكوفة كناسة بني أسد حتى تمر بثقيف لا تدع وتراً لآل محمد إلا أحرقتة، وغير ذلك.

ولعل ذلك جميعه غير العنوان الذي نتحدث عنه والنار التي نبغي الكلام عنها هي نار وحمرة تظهر في السماء ليالي معدودة فيها أعملة كأعمدة اللجين تزجر الناس عن معاصيهم، فلا هي الخارجة من قعر عدن ولا في أودية الحجاز ولا الظاهرة من المشرق أو المغرب.
بل هي علامة تخرج في السماء.

فقد روى النعماني بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام: «إذا رأيتم ناراً من قبل المشرق شبه الهردى العظيم تطلع ثلاثة أيام أو سبعة فتوقعوا فرج آل محمد عليهم السلام إن شاء الله عز وجل إن الله عزيز حكيم»^(١).

ولعل الكثير من المطالعين لهذا الخبر يفهمون منه متاخمة زمان طلوع تلك النار لزمان ظهور القائم عليه السلام؛ لأن قوله «فرج آل محمد عليهم السلام» لا يكون

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ح ١٣، وص ٢٣٣ ح ١٩.

إلا بظهوره عليه السلام، غير أنني ذكرت مسبقاً عدم إمكان استفادة ذلك منها، لأنها دلت على توقع الفرج فقط، وهو يعني مرور زمان غير يسير قد يأتي على عمر المنتظر أو المنتظرين. وكذا فإن فرج آل محمد الذي يعني ذريته وشيعتهم قد يراد به ارتفاع الخوف والبلاء الشديد الذي أصابهم للفترة التي سبقت طلوع النار.

ومهما يكن من ذلك فالرواية حددت موضع النار قبل المشرق ووصفتها بأنها تشبه الهروي، وهو عيدان صفراء تطحن وتستهمل في الطعام تسمى الروائح أو الكركم.

فإذا دلت الرواية السابقة على توقع الفرج عند رؤية النار، فقد دلت رواية أخرى على أنها علامة يرونها النعماني أيضاً بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا رأيتم علامة في السماء ناراً عظيمة من قبل المشرق تطلع ليالي فعندها فرج الناس، وهي قدام القائم بقليل»^(١) أكدت أن هذا الحدث يكون قدام القائم بقليل، مما يدل على قرب زمان تحققها من زمان ظهوره بأكثر مما تدل عليه رواية الأمر بتوقع الفرج.

والذي يصرفني عن التزام كونها من العلامات المتأخرة على ظهوره عليه السلام أمران، أحدهما عدم عدّها من العلامات على ظهوره في الأخبار، ولا التصريح بأن الحكمة فيها هي الظهور أو التمهيد له، بل دلت الأخبار أن الحكمة فيها هو ردع الناس عن معاصيهم.

فقد روى الشيخ المفيد بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «يزجر الناس قبل قيام القائم عليه السلام عن معاصيهم بنار تظهر في السماء، وحمرة تجلج السماء، وخسف ببغداد، وخسف ببلد البصرة، ودماء تسفك بها، وخراب دورها، وفناء يقع في أهلها، وشمول أهل العراق خوف لا يكون لهم معه قرار»^(٢).

(١) كتاب الغيبة: ٢٦٧ ح ٢٧.

(٢) الإرشاد ٢: ٣٧٨.

والأمر الآخر: دلالة هذا الخبر على وقوع حوادث كثيرة بعد طلوع النار تطول مدة بعضها وهو شغل أهل العراق خوف لا يكون لهم معه قرار، فليس هو خوف يوم واحد ولا سنة، بل هو خوف دائم لا يكون لهم معه قرار.

ولما قرنت هذه الرواية بين ظهور النار في السماء وظهور حمرة تجمل السماء، أمكن استفادة عدم متاخمتهما من رواية ابن مهزيار التي يرويها عن صاحب الأمر عليه السلام وهي محاوره يسأله فيها الإمام عليه السلام: «يا ابن مهزيار كيف خلّفت إخوانك، بالعراق؟» فيجيب قلت: في ضنك عيش وهناة، قد تواترت عليهم سيوف بني الشيصبان، فقال: «قاتلهم الله أنى يؤفكون، كاني بالقوم قد قتلوا في ديارهم وأخذهم أمر ربهم ليلاً ونهاراً» فقلت: متى يكون ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: «إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة بأقوام لاخلاق لهم والله ورسوله منهم براء، وظهرت الحمرة في السماء ثلاثاً فيها أعمدة كأعمدة اللجين تتلألأ نوراً، ويخرج السروسي من أرمينية وآذربايجان يريد وراء الري الجبل الأسود المتلاحم بالجبل الأحمر لزريق جبل طالقان فيكون بينه وبين المروزي وقعة صيلمانية يشيب فيها الصغير، ويهرم منها الكبير ويظهر القتل بينهما، فعندها توقعوا خروجهم إلى الزوراء، فلا يلبث بها حتى يوافي باهات...»^(١)، وتستمر الوقائع.

فأنت ترى أن رؤية الحمرة التي يراد بها النار المتكلم عنها بقريئة الرواية السابقة والتعبير بالظهور في السماء وكلمة ليالي والأعمدة، هذه الحمرة هي حدث يكون بعده أحداث طويلة منها حرب السروسي الذي يحتمل تصحيفه من كلمة الروسي لتقاربهما بالكتابة، لترك النسخ أسنان السين عامة فتشابهان، كما ذكرت هذه الحرب يشيب فيها الصغير، وعندك الخبر، حتى لو أريد بها الكناية عن ضراوتها.

(١) كمال الدين: ٤٦٥ ح ٢٣.

على أن السؤال عن آخر بني الشيبان الذين هم بنو العباس، وليس عن ظهور القائم عليه السلام.

بقي سؤال:

هل إن هذه النار من المعجز السماوية، أو هي من صنع البشر وتدبيرهم؟

الجواب: أنها من صنع البشر على ما يبدو، لعدم التعبير في الأخبار بأنها آية أو معجزة كما جاء في الكسوف والخسوف في شهر رمضان وكذا الصيحة والخسف بالبيداء والآية في رجب وغيرها.

وهو أمر مقدور يمكن أن يكون من آثار بعض الأسلحة الاستراتيجية والصواريخ، خصوصاً بعد التعبير بالأعملة وما شابهه يُستمر إرسالها أيام، والحمرة هي الحادثة من الانفجارات التي تجلج السماء فهو ملحوظ في الحروب، كما يمكن أن يكون من انفجار بعض المصانع والمفاعلات النووية.

والذي يشجعني على هذا الزعم رواية الكناسة التي يرويها النعماني بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قال: «تأويلها فيما يأتي عذاب يقع في الثوبة - يعني نار - حتى ينتهي إلى الكناسة كناسة بني أسد حتى تمر بثقيف لاتدع وترأ لآل محمد إلا أحرقتة، وذلك قبل خروج القائم عليه السلام»^(١).

وأوضح منها رواية الشجري قال قال ابن قاذويه: آية الحدث في رمضان نار تكون في السماء شبيها بأعناق النجب أو كأعملة الحديد، فإذا رأيتها فأعد لأهلك طعام سنة قال، وربما قال: نار تطلع من السماء^(٢)، هذا عن النار، وهناك رواية في خصوص الحمرة تدلل على أنه أمر سماوي غيبي، وهي

(١) كتاب الغيبة: ٢٧٢ ح ٤٨ والآية: ١ من سورة المعارج.

(٢) أمالي الشجري: ٢: ٢٧.

الرواية التي يرويها النعماني عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لا تقوم القيامة حتى تفتأ عين الدنيا وتظهر الحمرة في السماء وتلك دموع حملة العرش على أهل الأرض»^(١).

وأحد معاني العين هو الشمس وتفتأ أي تعور، فهو يعني حدوث شيء في الشمس يذهب به نورها ويصير الفضاء أحمر، والسبب في ذلك مهما كان التعبير عنه في العلوم الحديثة فهو دموع حملة العرش من الملائكة وغيرهم، أو أن الحمرة نفسها هي دموع حملة العرش التي تجري دماً على أهل الأرض من أجل ما يصيبهم، ويخلص من جميع ذلك ظهور الحمرة في السماء.

ونذكر بأن الأخبار التي اعتمدنا عليها واردة في كتب معتبرة ومتعددة، غير أن أسنادها مما لا تخلو من الخدشة.

فلا يمكننا سوى تسليم أصل ظهور النار دون باقي تفاصيلها.

طلوع الشمس من مغربها:

هذا أمر مشهور معروف حتى بين عامة الناس كعلامة على ظهور القائم، وصرح به جماعة من العلماء كالشيخ المفيد^(٢)، والشيخ الطبرسي^(٣)، والعلامة الحلبي^(٤)، والشيخ عيسى القمي^(٥)، بل قال السيد نعمة الله الجزائري: استفاض في

(١) كتاب الغيبة: ١٤٧ ح ٥.

(٢) الإرشاد: ٢: ٣٦٨.

(٣) تاج المواليد: ٧٠.

(٤) المستجد من الإرشاد للعلامة الحلبي: ٢٥٨.

(٥) الأنوار البهية: ٣٧٦.

الروايات أن طلوع الشمس من مغربها من علامات ظهور صاحب الدار عليه السلام ^(١).

وقد حققنا أن الروايات الذاكرة لطلوع الشمس من مغربها كثيرة منقولة بطرق مختلفة، يرويها العامة والخاصة، غير أنها لاتدل على أنها علامة على ظهور القائم، والمستفاد منها أنها تتحقق بعد ظهوره عليه السلام.

نعم هي علامة على الساعة ومن الأمور التي لا تقبل التوبة عند تحققها حيث لاينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل، وهي الوقت المعلوم الموعود به الشيطان.

وهناك اختلاف في حقيقتها وكنهها وتفسيرها، وهل تطلع الشمس من المغرب حقيقة أو هو كناية عن ظهور القائم عليه السلام أو شيء آخر؟ محتاج الإجابة على ذلك إلى استعراض الأخبار الواردة في هذا المجال.

روى الشيخ الصدوق بسنده عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: كنا جلوساً في المدينة في ظل حائط، قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في غرفة فاطلع علينا فقال: «فيم أنتم؟» فقلنا: نتحدث، قال: «عم ذا؟» قلنا: عن الساعة، فقال: «إنكم لاترون الساعة حتى ترون قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، وثلاثة خسوف في الأرض: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وخروج عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وتكون آخر نار تخرج من اليمن» ^(٢).

فلعل هذه الرواية تدل على أن طلوع الشمس قبل ظهور القائم عليه السلام بقرينة قوله بعد ذلك «وخسف بجزيرة العرب» الذي هو الخسف بجيش السفيناني قبل ظهوره، وهو من العلامات على الظهور كما مر.

(١) نور البراهين ٢: ٧٩.

(٢) الخصال: ٤٤٩ وص ٤٣١، وانظر روضة الواعظين: ٤٨٤، الحكم والمواعظ:

٣٤٣، سنن أبي داود: ٢: ٣١٧ ح ٤٣١١.

ولكن الترتيب المذكوري في الأخبار لا يمكن الاعتماد عليه؛ لاختلاف الروايات فيما بينها في التقديم والتأخير، فواحدة تقدم طلوع الشمس وأخرى تقدم الخسف وهكذا.

كما جاء في الخبر الذي يرويه علي بن يونس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله: «عشرة قبل الساعة لا بد منها: السفيناني، والدجال، والدخان، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر»^(١).

فالملاحظ أن هذه الأخيرة قدمت الدجال والدابة على طلوع الشمس من مغربها، بينما الرواية السابقة قدمت طلوع الشمس عليهما.

وروى الراوندي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «عشر علامات قبل الساعة لا بد منها: السفيناني والدجال والدخان والدابة، وخروج القائم، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر»^(٢).

فقد اختلفت في التقديم والتأخير مع الروايات السابقة، وجعلت طلوع الشمس من مغربها بعد خروج القائم عليه السلام.

فإذا كانت الرواية الأولى أوضح سنداً من هذه الأخيرة فهناك رواية يرويها الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سأل رجل أبي صلوات الله عليه عن حروب أمير المؤمنين عليه السلام وكان السائل من محبينا، فقال له أبو جعفر عليه السلام: يعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بخمسة أسيف ثلاثة منها شاهرة فلا تغمد حتى تضع الحرب أوزارها، ولن تضع الحرب أوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها آمن الناس كلهم في ذلك اليوم، فيومئذ لا ينفع نفس إيمانها لم

(١) الصراط المستقيم ٢: ٢٥٩.

(٢) الخرائج والجرائح ٣: ١١٤٨ ح ٥٧.

تكن آمنت من قبل»^(١).

ومعلوم أن الحروب لا تضع أوزارها إلا بعد ظهور القائم وانتشار العدل، فهي تدل على أن طلوع الشمس بعد أن تضع الحرب أوزارها بعد ظهور القائم عليه السلام.

بل هي في آخر الزمان كما جاء في الخبر المروي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾ قال: «وسيركم في آخر الزمان آيات، منها دابة الأرض، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها»^(٢)، وما نزول عيسى بن مريم عليه السلام وخروج الدابة إلا بعد ظهور القائم عليه السلام كما سيأتي الكلام فيه، فيكون طلوع الشمس كذلك، ويكون المراد آخر الزمان الذي لا يكون بعده آخر.

ويؤيد ذلك ما رواه ابن حماد بسنده عن النبي صلى الله عليه وآله قل: «إذا نزل عيسى بن مريم وقتل الدجال تمتعوا حتى تحيي ليلة طلوع الشمس من مغربها، وحتى تمتعوا بعد خروج الدابة أربعين سنة لا يموت أحد ولا يمرض، ويقول الرجل لغنمه ودوابه: اذهبوا فارعوا كذا في مكان كذا وكذا وتعالوا ساعة كذا كذا...»^(٣)، مما ظاهره أن تحقق ذلك بعد ظهور القائم وبسط العدل.

بل هو آخر الأمور عند نهاية الخلق كما جاء في الخبر الذي يرويه ابن جرير عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قل: «ثم إن عيسى يرفع رأسه إلى السماء ويؤمن المسلمون، فيبعث الله عليهم دابة يقال لها النغف تدخل من مناخرهم فيصبحون موتى من حاق السلام إلى حاق العراق حتى تنتن الأرض من

(١) الكافي ٥: ١٠ ح ٢.

(٢) تفسير القمي ١: ١٩٨ في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام، والآية ٣٧ في سورة الأنعام.

(٣) كتاب الفتن: ١٦٣، الملاحم والفتن: ٩٧.

جيفهم، ويأمر الله السماء فتمطر كأفواه القرب فتغسل الأرض من جيفهم وتنتهم، فعند ذلك طلوع الشمس من مغربها^(١).

نعم هناك رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام تلك على بقاء الناس بعد طلوع الشمس لفترة نسل واحد يرويها في عقد الدرر عنه عليه السلام أنه قال: «ألا وتكون الناس بعد طلوع الشمس من مغربها كيومهم هذا، يطلبون النسل والولد، يلقي الرجل الرجل فيقول: متى ولدت؟ فيقول: من طلوع الشمس من المغرب، وترفع التوبة، فلا ينفع نفس إيمانها، لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً، هو التوبة^(٢)»، وقد دلت رواية ابن حماد على أنها أربعون سنة من يوم خروج الدابة، وخروج الدابة مقارب لطلوع الشمس من مغربها للخبر الذي يرويه الطيالسي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، أو خروج الدابة على الناس ضحى... فأيتها كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريبه^(٣)».

ولا أدري من أين أتى القائلون بأن طلوع الشمس من مغربها من علائم ظهور القائم عليه السلام بذلك، فإني لم أجد على ذلك دليلاً، وليس ما يدل عليه سوى شهرته، ورب مشهور لا أصل له.

وأما عدم قبول التوبة عند طلوع الشمس من مغربها فقد دلت عليه عدة روايات كرواية الكليني السابقة ورواية ابن أبي شيبة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدابة^(٤)».

(١) جامع البيان ١٧: ٦٩.

(٢) عقد الدرر: ٣٢٦.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي ٩: ٢٩٧ ح ٢٢٤٨.

(٤) المصنف ١٥: ١٧٨ ح ١٩٤٤٢، مسند أحمد ٢: ٤٤٥، سنن الترمذي ٥: ٢٦٤ ح ٣٠٧٢.

ورواية الطيالسي عن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال والدخان، ودابة الأرض، وخويصة أحدكم، وأمر العامة»^(١).

ورواية الطيالسي الأخرى عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وبالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٢) ويبسط يده بمعنى أن الله يفتح باب التوبة في الليل ليتوب على من أذنب في النهار وبالعكس.

وفي رواية يروها أحمد بن حنبل عن رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورأها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل»^(٣).

فهي تدل على حتمية طلوع الشمس من مغربها، كما دلت عليه بعض روايات العلامات العشر المتقدمة؛ لأنه قال في بعضها: «إنكم لا ترون الساعة حتى ترون قبلها عشر آيات» وفي رواية أخرى «عشرة قبل الساعة لا بد منها».

بالإضافة إلى الرواية المصروفة بذلك وهي رواية الشيخ المفيد بسنده عن أبي حمزة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام خروج السفيناني من محتوم؟ قل: «نعم، والنداء من المحتوم، وطلوع الشمس من مغربها محتوم، واختلاف بني العباس في الدولة محتوم، وقتل النفس الزكية محتوم، وخروج القائم من آل محمد محتوم»^(٤).

(١) مسند أبي داود: ٣٣٢.

(٢) مسند أبي داود: ٦٦.

(٣) مسند أحمد ٢: ٢٣١ و ٣١٣ و ٥٣٠.

(٤) الإرشاد ٢: ٣٧١، عن الفضل بن شاذان عمّن رواه عن أبي حمزة، ونقله العلامة

الخلّي في المستجد: ٢٥٨ بنفس السند.

وأما الدليل على أن طلوع الشمس من مغربها هو الوقت المعلوم فهو رواية الطبراني عن النبي ﷺ قال:

«إذا طلعت الشمس من مغربها يجر إبليس ساجداً ينادي إلهي مرني أن أسجد لمن شئت، فاجتمع إليه زبائنه فيقولون: يا سيدهم ما هذا التضرع؟ فيقول: إنما سألت ربي أن ينظرني إلى الوقت المعلوم، وهذا الوقت المعلوم، ثم تخرج دابة الأرض من صدع في الصفا، فأول خطوة تضعها بأنطاكية، ثم تأتي إبليس فتطممه»^(١).

طلوع الشمس من مغربها حقيقة أو كناية؟

فالدلالات من الطرفين موجودة، طائفة من الروايات تدل على أنها حقيقة وتفصل كيفية ذلك، وأخرى تدل على أن ذلك مجرد كناية.

ومن الطائفة الأولى رواية حذيفة عن النبي ﷺ قال فيها:

«وطلوع الشمس من مغربها، يكون طول تلك الليلة ثلاث ليال لا يعرفها إلا الموحدون أهل القرآن، يقوم أحدهم جزءه فيقول: قد عجلت الليلة، فيضع رأسه فيرقد ثم يهب من نومه، فيسير بعضهم إلى بعض فيقولون: هل أنكرتم ما أنكرنا؟ فيقول بعضهم لبعض: غداً تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها فعند ذلك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»^(٢).

فهي تدل على أن طلوع الشمس من مغربها أمر حقيقي وواقعي يكون ذلك على أثر ليلة طويلة تزيد على ثلاثين ساعة.

ومنها رواية المناوي عن ابن عباس: «طلوع الفجر أمان لأمتي من

(١) المعجم الأوسط: ١: ٩٨ ح ٩٤.

(٢) الداني: ١١٢ - ١١٣، جامع البيان للطبري ١٥: ١٧.

طلوع الشمس من مغربها، فما دام يطلع، فالشمس لا تطلع من مغربها، فإذا لم يطلع طلعت ذلك اليوم من المغرب؛ فإن الفجر هو مبادئ شعاعها عند قربها من الأفق^(١)، فهي تتكلم عن أمور حقيقية هي طلوع الفجر كل يوم وعدم طلوعه ليلة طلوع الشمس من مغربها.

ومنها رواية عبد الله بن عمرو قل: إن الشمس تطلع من حيث يطلع الفجر، فإذا أرادت أن تطلع تقاعست حتى تضرب بالعمد وتقول: يارب إني إذا طلعت عبت من دونك، فتطلع على ولد آدم فتجري حيث تأتي المغرب فتسلم فيرد عليها وتسجد فينظر إليها ثم تستأذن فيؤذن لها فتجري إلى المشرق والقمر كذلك، حتى يأتي عليها يوم تغرب فيه فتسلم فلا يرد عليها وتسجد فلا ينظر إليها، ثم تستأذن فلا يؤذن لها، فتحبس حتى يجيء القمر ويسلم فلا يرد عليه ويسجد فلا ينظر إليه ثم يستأذن فلا يؤذن له، ثم يقال لهما ارجعا من حيث جئتما، فيطلعان من المغرب، كالبعيرين المقترنين، فذاك قوله عز وجل ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾^(٢).

وأظن أن هذه الأخيرة هي من نسيج خيال بعض السوداويين لا أكثر.

وأما الطائفة الثانية الدالة على أن طلوع الشمس من مغربها مجرد كناية عن أمر عظيم، فهي روايات، منها رواية الشيخ الصدوق بسنده عن النزال بن سبرة، عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يذكر فيه أمر الدجال ويقول في آخره: «لا تسألوني عما يكون بعد هذا؛ فإنه عهد إليّ حبيبي عليه السلام أن لا أخبر به غير عترتي»، قال النزال بن سبرة: فقلت لصعصعة بن صوحان: ما عني أمير المؤمنين بهذا القول؟ فقال صعصعة: يا ابن سبرة إن الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه هو الثاني عشر من العترة، التاسع من ولد

(١) فيض القدير ٤: ٣٥٨.

(٢) الداني: ١٤٧ والآية ١٥٨ من سورة الأنعام.

الحسين بن علي عليه السلام، وهو الشمس الطالعة من مغربها، يظهر عند الركن والمقام فيظهر الأرض ويضع الميزان بالقسط فلا يظلم أحداً أحداً، فلنخبر أمير المؤمنين عليه السلام أن حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليه أن لا يخبر بما يكون بعد ذلك غير عترته الأئمة^(١).

فهي تلك بوضوح على أن طلوع الشمس من مغربها مجرد كناية عن ظهور الإمام المهدي عليه السلام من غير الجهة التي يتقرب الناس خروجه منها، كما أن طلوع الشمس من مغربها هو طلوعها من غير الجهة المترتبة كطلوعه من الكوفة التي هي مستقره النهائي حسب ما هو مشهور ومتقرب، أو حتى الروم الذي هو آخر ما يقصده ويصل إليه وهم أخواله فيكون قد ظهر في أخواله، أو من محل غيبته وغروبه، ولكن الرواية نفسها صرحت بظهوره بين الركن والمقام، فلعل المراد هو مغرب الجزيرة العربية مكة، كما يحتمل قوياً أن يكون له ظهوران واحد في الكوفة والآخر في مكة كما بينا ذلك في عنوان شعيب بن صالح.

ولا يثبت شيء من الطرفين، لا حقيقة طلوع الشمس من مغربها ولا كونه كناية عن ظهور القائم عليه السلام بهذه الروايات الضعيفة السند، بل لا يثبت جميع ما تقدم حتى أصل طلوع الشمس من مغربها لضعف جميع الروايات إلا أن تكفي بالشهرة وتكرر نقلها في الأخبار.

طلوع النجم المذنب:

لما كان النجم المذنب لا يطلع إلا في فترات خلسة من عمر الأرض أمكن أن يكون طلوعه من العلائم الواضحة على مقارناته وما يعقبه ويخلفه من الحوادث، التي منها ظهور القائم عليه السلام وقد صرّحت الأخبار بعلائمته على ذلك من دون التصريح بمتاخرته، بل يستفاد منه العكس من ذلك؛ لما رواه

(١) كمال الدين: ٥٢٧، مستدرک السفينة ٣: ٢٥٠، وج: ٦: ٥٣.

الخزاز بسنده عن علقمة بن قيس قال: خطبنا أمير المؤمنين على منبر الكوفة خطبة اللؤلؤة فقال فيها: «واني ظاعن عن قريب ومنطلق إلى المغيب فارتقبوا الفتنة الأموية والمملكة الكسروية، وإماتة ما أحياه الله وإحياء ما أماته الله، واتخذوا صوامعكم بيوتكم وعضوا على مثل جمر الغضا، فاذكروا الله ذكراً كثيراً، فذكره أكبر لو كنتم تعلمون، ثم قال: وتبنى مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة ودجيل.

ثم يذكر حكام بني العباس ويقول: وتعمل القبة الغبراء ذات القلادة الحمراء في عقبها قائم الحق يسفر عن وجهه بين الأقاليم كالقمر المضيء بين الكواكب الدرية، ألا وإن لخروجه علامات عشرأ: أولها طلوع الكوكب ذي الذنب ويقارب من الحاروي ويقع فيه هرج ومرج وشغب، وتلك علامات الخصب، ومن العلامة إلى العلامة عجب، فإذا انقضت العلامات العشر إذ ذاك يظهر بنا القمر الأزهر وتمت كلمة الإخلاص لله على التوحيد...»^(١).

فقد دلت هذه الرواية على أن طلوع الكوكب المذنب هو أول العلامات العشر التي يكون بين العلامة منها إلى العلامة الأخرى عجب، مما يعني عدم تناخته لظهور القائم عليه السلام الذي يظهر بعد تحقق العلامات العشر.

ولقد شوهد الكوكب المذنب عام ١٩١٠م، ثم شوهد أخرى عام ١٩٨٥م. إذا كان المراد هو الجرم السماوي الذي يدور حول الشمس له نواة صغيرة تحيط بها هالة غازية يمتد منها ذنب غازي طويل جداً بما عرف بـ«هالي».

مما يؤيد إرادة ذلك تسميته بالكوكب المذنب في رواية البرسي الذي يروي عن الأصمغ بن نباتة قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال في خطبته وذكر الخطبة السابقة إلا أن فيها: «ألا وإن لخروجه علامات أولها: تحريف الرايات في أزقة الكوفة، وتعطيل المساجد، وانقطاع الحاج، وخسف وقذف

بخراسان، وطلوع الكوكب المذنب، واقتران النجوم، وهرج ومرج، وقتل ونهب فتلك علامات عشر، ومن العلامة إلى العلامة عجب، فإذا تمت العلامات قام قائمنا قائم الحق^(١).

وهي أكثر معقولة من سابقتها من ناحية مجموع العلامات العشر التي لم تذكر الرواية الأولى منها سوى خمس علامات مع شدة إجمالها بعد عدم وجود مرجع معين لضمائرها، واختلاف النسخ التي في بعضها الحلبي بدل الحوايي وفي البعض الآخر الجاري، والجميع لا يتصور له معنى محصل.

ولكن هناك رواية تذكر انعطافه جاء فيها: «يطلع نجم بالمشرق يضئ كما يضئ القمر ينعطف حتى يلتقي طرفه أو يكلاه^(٢)»، مما يحدث التردد في إرادة الكوكب المذنب المذكور، فإنه وإن كان فيه بعض الإنعطاف ولكن ليس بذلك الحد، وكذا ما هو مضئ بمقدار إضاءة القمر، الذي تؤكد رواية ابن طاووس التي جاء فيها: «يطلع نجم بالمشرق له ذنب يضئ لأهل الأرض كإضاءة القمر ليلة البدر»^(٣).

فلو صحّت هذه الرواية لدلت على إرادة مذنب آخر لم يطلع بعد، غير أن ابن طاووس يرويها عن ابن حماد، والموجود من رواية ابن حماد التي يرويها عن كعب أنه قال: «يطلع نجم من المشرق قبل خروج المهدي له ذناب»^(٤).

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود قال: «تكون علامة في صفر، ويبتدأ نجم له ذناب»^(٥).

(١) مشارق البرسي: ١٦٤.

(٢) فرائد فوائد الفكر: ٦.

(٣) الملاحم والفتن: ٤٦.

(٤) كتاب الفتن: ٦١.

(٥) كتاب الفتن: ٥٩.

فهي تبدو أكثر معقولة من غيرها، وأكثر مطابقة لما يعرف بالكوكب المذنب هالي الذي ذكرناه.

ولولا توافق هذه الروايات الأخيرة في تحديد طلوعه من المشرق، لما كان من البعيد إرادة الوسائل الحديثة التي تطير في السماء كالطائرات الحربية التي لها ذئب من اللخان أو ما يشبه الأقمار الصناعية التي سيصنعها البشر فيما بعد. غير أن تقييد خروجه من المشرق يبعد ذلك عن الأذهان.

ثم إن بعض الأخبار تذكر ذلك بنحو آخر، منها الخبر الذي يرويه النعماني بسنده عن كعب الأخبار جاء فيه: «إن القائم من ولد علي عليه السلام له غيبة كغيبة يوسف، ورجعة كرجعة عيسى بن مريم، ثم يظهر بعد غيبته مع طلوع النجم الأحمر، وخراب الزوراء وهي الري.. وخسف المزورة وهي بغداد...»^(١).

فهي تصفه أنه أحمر، كما أن النجم المذنب هالي أحمر اللون، ولكن الرواية نفسها يرويها عنه المجلسي وفيها النجم الآخر، بلل النجم الأحمر، ولكن لا معنى له.

والذي يهون الخطب عدم صحة أسناد الروايات التي ذكرناها، مما يجعلنا في فسحة من الالتزام بشيء من ذلك، إلا أن يثبت من مجموعها أصل الكوكب المذنب فقط.

الأمطار الغزيرة:

بينما نتحدث بعض الأخبار العامة عن شحة ماء الفرات وخروج جبل من ذهب، نتحدث أخبارنا عن سنة غيداقة كثيرة المطر قبل ظهور القائم عليه السلام بل هي نفس سنة ظهوره على ما جاء في بعض الأخبار، يرتفع

على أثرها منسوب ماء الفرات ويحصل فيه بثر فيدخل أزقة الكوفة على ما سيأتي في الحديث عن أحداث العراق.

روى الشيخ المفيد والشيخ الطوسي بسنديهما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن قدام القائم عليه السلام لسنة غيداقة يفسد فيها الثمار والتمر في النخل، فلا تشكّوا في ذلك»^(١).

دلت على كثرة المطر بحيث يؤدي إلى فساد الثمار والتمر وهي في الشجر من كثرة الماء والرطوبة العالية، وتكون لتلك السنة أو السنوات مميزة يعرف فرقها عن باقي السنين جميع سكان العالم، بحيث لا يبقى شك لدى المنتظرين من أن هذه السنة أو السنوات هي الموعود بها: كعلامة على ظهور القائم عليه السلام، فلا مجال مع وقوع ذلك من التشكيك رغم اليأس من ظهوره عليه السلام واستبعاده.

وروى الشيخ المفيد والشيخ الطوسي أيضاً عن سعيد بن جبير أنه قال: إن السنة التي يقوم فيها المهدي عليه السلام تمطر الأرض أربعاً وعشرين مطرة ترى آثارها وبركاتها^(٢).

فإن الرواية الأولى وإن ذكرت فساد الثمر والتمر من جراء كثرة المطر ولكن لا يعني ذلك فقدان هذا المطر للبركة من ناحية أخرى كازدياد الخضرة ونبات الأرض والمرعى بحيث تُشهد بركات ذلك المطر كما جاء في الرواية الثانية في أكثر ربوع العالم.

وهناك أخبار أخرى تتحدث عن كثرة المطر قبل الساعة ولكنها تصفه بأنه عديم البركة كالذي يرويه الحاكم بسنده عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة على رجل يقول لا إله

(١) الإرشاد: ٣٦١، الغيبة: ٢٧٢.

(٢) الإرشاد: ٢٧٣، الغيبة: ٤٤٣ ح ٤٣٥.

٤٠٠ العد التنازلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

إلا الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر - إلى أن قال - وحتى تمطر السماء ولا تنبت الأرض^(١).

وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك يقول: من اقتراب الساعة ظهور المعادن وكثرة المطر وقلة النبات^(٢).

وفي ثالثة يرويها ابن حماد عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا تقوم الساعة حتى يمطر الناس مطراً لا يكنّ منه بيوت المدر، لا يكنّ منه إلا بيوت الشعراء^(٣)» ويكن بمعنى يحفظ.

فلعل هذا مطر آخر غير الذي تحدثنا عنه أولاً، لأن المراد بالساعة هي ساعة القيامة.

(١) مستدرک الحاكم ٤: ٤٩٥.

(٢) كتاب الفتن: ٣٩٣.

(٣) كتاب الفتن: ٣٩٢.

أحداث العراق

أحداث بغداد

تنبأ النبي ﷺ وأمير المؤمنين ببناء مدينة الزوراء ببغداد الحالية بأورع بناء وأحدثه مع التشاؤم من ملوكها الجبابرة الذين يحكمون فيها من بني العباس وغيرهم يؤثرون أنواع الظلم والغدر، ونزوع أهلها إلى الفساد وارتكاب الذنوب واللهو والفجور.

فقد خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «وتبنى مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة ودجيله والفرات فلو رأيتموها مشيدة بالحص والأجر مزخرقة بالذهب والفضة واللازورد المستسقا والمرمر والرخام وأبواب العاج والأبنوس والحميم والقباب والشارات وقد علّيت بالساج والمرمر والصنوبر والخشب وشيدت بالقصور وتوالت عليها ملوك بني الشيبان أربعة وعشرون...»^(١)

وفي نقل آخر: «ملعون من سكنها، منها تخرج طينة الجبارين تعلقى فيها القصور، وتسيل الستور، ويتعلون بالكر والفجور، فيتداولها بنو العباس (٤٢) ملكاً على عدد سني الملك، ثم الفتنة الغبراء، والقلاة الحمراء في عنقها قائم الحق»^(٢).

وأقبح ما ينقل من الأمور التي تحدث فيها هو ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام لحباب الراهب الذي بنى مسجد برائنا المعروف قال له:

(١) كفاية الأثر: ٢١٣.

(٢) مشارق البرسي: ١٦٤.

«يا حباب ستنى إلى جنب مسجلك هذا مدينة وتكثر الجبابرة فيها ويعظم البلاء، حتى أنه ليركب فيها كل ليلة جمعة سبعون ألف فرج حرام، فإذا عظم بلاؤهم سدوا على مسجلك بفتوة...»^(١).

ولما لاحظنا مجموع الأخبار الناقلة للحوادث التي تحدث في بغداد وجدنا أهم ما فيها هو حكومة بني العباس الطويلة العريضة تنتهي باختلاف يحدث فيما بينهم ويسلط الله عليهم علجاً من حيث بدأ ملكهم، أي المشرق، فتزول دولتهم.

والأخبار متوالية متواترة على أن أول علامات الفرج هو اختلاف بني فلان أو بني العباس وزوال ملكهم، فأول ما نبهته من الأحداث هو اختلاف بني فلان ثم نعطف على باقي الأحداث والوقائع إلى دخول السفيناني الذي تكلمنا عنه مسبقاً.

اختلاف بني فلان:

لا يخلو شيء من بلدان العالم خصوصاً منطقة الشرق الأوسط من الحركات السياسية والعسكرية والانقلابات وتقلبات الأوضاع الحاكمة، وما من دولة قامت ولا من نظام ساد إلا وله مناوؤه والمخارجون عليه.

ومعه لا يكون مثل حركة اليماني والسفيناني والخراساني من العلامات الواضحة التي يصلح أن تكون علامة على ظهور الإمام عليه السلام يعتمد عليها المنتظرون؛ لأن الحركة في اليمن وخروج رجل من اليمن قد يتكرر على مر التاريخ، وكذا الخارج في خراسان أو الشام الموسوم بالسفيناني.

فكان هذا التصور يغلب على الناس عند نشوء كل تحرك في اليمن أو الشام أو خراسان بأن الخارج هو اليماني أو الخراساني، بل قد يستغل

الأحداث التي تسبق ظهور القائم عليه السلام / أحداث العراق ٤٠٣

السياسيون والقادة الناهضون في كل صقع من تلك المصطلحات التي عرفها الناس واشتاقوا إليها كمصطلح اليماني والخراساني واسم المهدي في مجال انجاح ثوراتهم وتحركاتهم السياسية والنظامية.

فكان هذا الأمر يحدث حتى في زمان الأئمة لما خرج طالب الحق قيل لأبي عبد الله عليه السلام نرجو أن يكون هذا اليماني، فقال: «لا، اليماني يتوالى علياً وهذا يبرأ منه»^(١).

ولذا جاء التأكيد في الأخبار على زوال دولة العباسيين أولاً وقبل كل العلامات بياناً لماهية كل تحرك في البلدان التي ينتظر المنتظرون حصول التحرك فيها كعلامة لظهور الإمام المهدي عليه السلام.

وبعد هذا التأكيد يعلم أن كل خارج من هذه البلدان قبل زوال دولة العباسيين ليس هو الموعود به ولا هو من العلامات.

وقد نجح هذا التأكيد للفترة التي استدام بها ملك بني العباس أعني القرن السابع الهجري، فلما زالت هذه الدولة عادت التوهّمات من جديد حتى تمكن البعض من إيهام المنتظرين في مجال تمشية أغراضهم السياسية مهما كانت نواياهم ومقاصدهم، خيرة وصادقة.

فلا محيص عن استعراض الأخبار الواردة في ذلك لكي نقف على الحقيقة في هذا التعتيم، ونستنير الطريق الأصوب في متاهات الأيام وحوالك الدهور.

فالذي يدل على أن اختلاف بني العباس من العلامات معتبرة جابر بن يزيد الجعفي قال، قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: «يا جابر الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها، أولها: اختلاف بني العباس وما أراك تدرك ذلك ولكن حدث به من بعدي

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ٦٦١ ح ١٣٧٥.

عني، ومناد ينادي من السماء ويحيثكم الصوت من ناحية دمشق بالفتح...»^(١).

فهي وإن دلت على أن اختلاف بني العباس من العلامات، ولكن ليست هي العلامات على خروج الإمام المهدي عليه السلام وإنما هي علامات ترك لزوم الأرض، ولو كانت هي علامات ظهور القائم فهي من المسلسلات التي تذكر أحداثاً تحدث متتالية قد يفصل بينها قرون تنتهي بظهور القائم، يريد: لا تحرك ساكناً حتى تتم كل تلك العلامات ويظهر القائم عليه السلام.

ورواها الشيخ الطوسي إلا أن فيها: «اختلاف بني فلان» بدل اختلاف «بني العباس»^(٢).

وروى النعماني بسنده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في حديث: «لا بد أن يملك بنو العباس، فإذا ملكوا ثم اختلفوا تفرق ملكهم وتشنت أمرهم حتى يخرج عليهم الخراساني والسفياي هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان هذا من هنا وهذا من هنا حتى يكون هلاكهم على أيديهما»^(٣).

بينما الوارد في رواية النعماني الأخرى: «لا بد لبني فلان من أن يملكوا» بدل لا بد أن يملك بنو العباس^(٤)، والمهم أن خروج السفياي والخراساني عليهم دليل على أن اختلافهم وهلاكهم هو من علامات ظهور القائم عليه السلام.

وفي رواية نالته يرويها النعماني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ملك بني العباس يسر لا عسر فيه، لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند والبربر والطيلسان لن يزيلوه، ولا يزالون في غصارة من ملكهم حتى يشدّ

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٧٩.

(٢) الغيبة: ٤٤١.

(٣) الغيبة: ٢٥٩ ح ١٨.

(٤) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ح ١٣.

الأحداث التي تسبق ظهور القائم عليه السلام / أحداث العراق ٤٠٥

عنهم مواليتهم وأصحاب دولتهم، ويسلط الله عليهم علجاً من حيث بدأ ملكهم لا يمر بمدينة إلا فتحها ولا ترفع له راية إلا هتأها، ولا نعمة إلا أزالها، الويل لمن ناواه، فلا يزال كذلك حتى يظفر ويدفع بظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق ويعمل به»^(١).

ودلالة هذه الرواية على خروج الخراساني الذي يدفعها إلى الشخص الذي يقول بالحق ويعمل به - أي الإمام المهدي عليه السلام - لدليل على أن هلاكهم علامة من علامات الظهور.

وفي رواية رابعة يرويه عن يعقوب السراج قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: متى فرج شيعتكم؟ قال: «إذا اختلف ولد العباس ووهى سلطانهم، وطمع فيهم من لم يكن يطمع، وخلعت العرب أعتتها، ورفع كل ذي صبيصة صبيسته، وظهر السفيناني، وأقبل اليماني، وتحرك الحسني خرج صاحب هذا الأمر»^(٢).

فهي تذكر عدة علامات منها اختلاف ولد العباس وضعف حكومتهم.

وفي رواية خامسة يرويه النعماني عن ابن أبي يعفور قال قل لي أبو عبد الله عليه السلام: «امسك بيدك هلاك الفلاني - اسم رجل من بني العباس - وخروج السفيناني، وقتل النفس، وجيش الخسف، والصوت».

ثم قال: «الفرج كله هلاك الفلاني، من بني العباس»^(٣).

ولا يعني قوله الفرغ كله هلاك العباسي الذي هو آخر ملوك بني العباس سوى أنه علامة على ظهور القائم عليه السلام.

(١) كتاب الغيبة: ٢٤٩، والعلج هو الرجل الأعجمي.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧٠.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٥٨.

وفي رواية سادسة هي رواية المفضل: «إن للقائم من ولد علي عليه السلام غيبة كغيبة يوسف، ورجعة كرجعة عيسى عليه السلام بن مريم؛ ثم يظهر بعد غيبته مع طلوع النجم الأحمر، وخراب الزوراء، وهي الري، وخسف المزورة وهي بغداد، وخروج السفيناني وحرب ولد العباس مع فتیان ارمينية وأذربيجان، تلك حرب يقتل فيها ألوف وألوف كل يقبض على سيف محلى تحفق عليه رايات سود، تلك حرب يشوبها الموت الأحمر والطاعون الأغبر»^(١).

فخروجه عليه السلام مع حرب بني العباس وفي زمانها للدليل على بقاء ملكهم إلى ظهوره عليه السلام.

وفي رواية سابعة عن سلمان الفارسي قل: أتيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خالياً فقلت: يا أمير المؤمنين متى القائم من ولدك؟ فتنفس الصعداء وذكر كلاماً قال فيه: «فإذا قُتلت ملوك بني العباس أولي العمى والالتياس.. وخربت البصرة هناك يقوم القائم من ولد الحسين عليه السلام»^(٢).

وهناك روايات أخرى دالة على علائمة اختلاف بني العباس وانقراض ملكهم على ظهور القائم عليه السلام نعرض لها بالتدرج.

وإذا كان اختلافهم علامة فهل هو من المحتوم أو ليس من العلامات الحتمية؟ دلت الأخبار المعتبرة وغيرها على أنه من المحتوم، فقد روى الصدوق بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبا جعفر كان يقول: «إن خروج السفيناني من الأمر المحتوم؟» قال لي: «نعم واختلاف ولد العباس من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وخروج القائم من المحتوم...»^(٣).

(١) كتاب الغيبة: ١٤٧.

(٢) العدد القوية: ٧٥ ح ١٢٦ مرسلأ.

(٣) كمال الدين: ٦٥٢ ح ١٤.

الأحداث التي تسبق ظهور القائم عليه السلام / أحداث العراق ٤٠٧

ورواه الكليني بسند معتبر والشيخ المفيد رحمته الله في الإرشاد^(١)، وكذا الشيخ الطوسي إلا أن فيه «واختلاف بني فلان من المحتوم»^(٢).

ومهما يكن من ذلك فالأخبار كما ترى دالة على أن اختلاف بني العباس من العلائم على ظهور القائم بل هو من العلائم الحتمية دون الموقوفة. وإنما أردنا كل تلك الأخبار لتأكد من العلائمية ثم الحتمية وتستيقن منه.

ولكن الخبر قد يلاحظ على هذه الأخبار والاستدلال بها بعض الملاحظات نذكرها كما يلي:

١ - عدم تصريح الأخبار بأن اختلاف بني العباس وهلاكهم من العلائم على خروج الإمام المهدي عليه السلام، غاية ذلك صرحت الرواية الأولى بترك التحرك ولزوم الأرض حتى ترى علامات منها اختلاف ولد العباس، ولو كان من العلامات على ظهوره فهو من المسلسلات التي بين العلامة والتي تليها زمان لا يمكن تحديده، وقد يفصل بينها قرون كما بينا، وذلك بقرينة قوله: أولها اختلاف بني العباس.

وباقى الروايات بين أن تذكر أنه من علامات الفرج الذي يمكن أن يراد به رفع الخلق عن الشيعة، أو تذكر حوادث تطول بعد اختلافهم وهلاكهم قبل ظهور القائم عليه السلام.

٢ - يروي جميع هذه الأخبار رجل واحد وهو النعماني، مع أن غيره إذا روى قال «بني فلان» ولم يقل «بني العباس»، فلعل تغيير بني فلان إلى كلمة بني العباس اجتهاد من النعماني.

(١) الكافي ٨: ٣١٠ ح ٤٨٤، الإرشاد: ٣٥٨.

(٢) الغيبة: ٢٦٦.

٣ - أكثر هذه الروايات التي أوردناها هناك روايات تقابلها جاء فيها «بنو فلان» بدل بني العباس حتى من نفس النعماني.

٤ - كيف يكون اختلاف بني العباس من العلائم وقد انقضى ملكهم من يوم استولى هولاءكو على بغداد، مما يمضي عليه أكثر من سبعة قرون.

فلا بد في هذه المرحلة من صرف النظر عن بني العباس وتبسيط الضوء على «بني فلان» كعلامة مستقلة، لنرى مدى علائمتها وحتميتها ثم نرجع للجمع بين العلامتين أو التفريق والبيت في حال بني العباس.

فالروايات الدالة على علائمية اختلاف بني فلان أكثر من روايات بني العباس ولها مصادر وطرق متفاوتة جاء بعضها عند سرد روايات بني العباس محاولة منا لتقريب الرحلة بين الكلمتين، أعني بني العباس وبني فلان، ونضيف هنا روايات أخرى تذكر علائمية اختلاف بني فلان وغيرها.

منها: الرواية التي يرويها الكليني بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا اختلفوا طمع الناس وتفرقت الكلمة وخرج السفيناني»^(١).

ومنها: رواية قرب الإسناد يقول الرواي قلت له: جعلت فداك، إنك قلت لي في عامنا الأول - حكيت عن أبيك - أن انقضاء ملك آل فلان على رأس فلان وفلان، ليس لبني فلان سلطان بعدهما؟ قال: «قد قلت ذاك لك»، فقلت: أصلحك الله إذا انقضى ملكهم يملك أحد من قريش يستقيم عليه الأمر؟ قال: «لا» قلت: يكون ماذا؟ قال: «يكون الذي تقول أنت وأصحابك»، قلت: تعني خروج السفيناني؟ فقال: «لا» فقلت: قيام القائم؟ قال: «يفعل الله ما يشاء...»^(٢).

(١) الكافي ٨: ٨٠٩ ح ٢٥٤.

(٢) قرب الإسناد: ٣٧٠ ح ١٣٢٦.

الأحداث التي تسبق ظهور القائم عليه السلام / أحداث العراق ٤٠٩

فهي تدل على أن ملك بني فلان إذا انقضى يكون قيام القائم عليه السلام، وإن كان في قوله عليه السلام يفعل الله ما يشاء، تأمل كما مر في رواية سابقة حينما يسأله الراوي عن قيام القائم في السنة القادمة فأجابه «يفعل الله ما يشاء» التي كان معناها إلى حد الآن أكثر من اثني عشر قرناً!

ومنها: رواية النعماني بسنده عن أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام كان أبو جعفر يقول: «لقائم آل محمد عليه وعليهم السلام غيبتان طويلة والأخرى قصيرة» قال، فقال لي: «نعم يا أبا بصير أحدهما أطول من الأخرى، ثم لا يكون ذلك حتى يختلف ولد فلان وتضيق الحلقة ويظهر السفياي ويشتد البلاء، ويشمل الناس موت وقتل ويلجئون إلى حرم الله وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١).

ومنها: رواية الطبري عن أبي عبد الله عليه السلام قل: «نزلت في بني فلان ثلاث آيات، قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَهَّتْ وَطَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ يعني القائم بالسيف...»^(٢).

فهي تدل على أن قوله تعالى ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ يراد به بنو العباس يأتيهم أمر الله سبحانه الذي هو القائم عليه السلام، فكيف لا يكون هلاكهم علامة على ظهوره.

ومنها: رواية النعماني بسنده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أنه قل في حديث: «إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم، فعند ذلك فانظروا الفرج، وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان، فإذا اختلفوا فتوقعوا الصيحة في شهر

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ١٧٢.

(٢) دلائل الإمامة: ٤٦٨ والآية ٢٤ من سورة يونس.

رمضان وخروج القائم عليه السلام، إن الله يفعل ما يشاء، ولن يخرج القائم ولا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا كان كذلك طمع الناس فيهم واختلفت الكلمة وخرج السفيايى» وقل: «لابد لبني فلان من أن يملكوا، فإذا ملكوا ثم اختلفوا تفرق ملكهم وتشتت أمرهم حتى يخرج عليهم الخراساني والسفيايى هذا من المشرق، وهذا من المغرب يستبان إلى الكوفة كفرسي رهان هذا من هنا، وهذا من هنا حتى يكون هلاك بني فلان على أيديهما، أما إنهم لا يبقون منهم أحداً» ثم قال عليه السلام: «خروج السفيايى واليماني والخراساني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد»^(١).

وماذا بعد كل هذا التأكيد على اختلاف بني فلان وخروج السفيايى والخراساني عليهم من دليل على متاخمة اختلافهم وتشتت أمرهم لظهور القائم عليه السلام، وكيف لا يكون علامة على ذلك؟!!

ومنها: رواية الشيخ الطوسي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يكون فساد ملك بني فلان حتى يختلف سيفاً بني فلان، فإذا اختلفا كان عند ذلك فساد ملكهم»^(٢).

والنتيجة أن هذه الأخبار لم تصرّح بأن اختلاف بني فلان علامة على خروج القائم، غاية رواية جابر التي فيها الزم الأرض حتى ترى علامات أولها اختلاف بني فلان كما رواه الشيخ المفيد^(٣)، وقد تقدم رده، ولكن تستفاد العلانية من مجموع الروايات بوضوح، حتى لو أمكن المناقشة في دلالة بعضها أو أكثرها على ذلك فلا يمكن إنكار دلالة مجموعها على المتاخمة، وفيها المعبر سنداً.

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٥ ح ١٣.

(٢) الغيبة: ٢٧١.

(٣) الاختصاص: ٢٥٥.

بقيت حتمية اختلاف بني فلان وعدمها، فقد دلت عليه رواية الشيخ الطوسي؛ لأن فيها «واختلاف بني فلان من المحتوم» على خلاف باقي المصادر التي فيها «بني العباس» كما مر، وسند الشيخ معتبر على ما يبدو.

سائر أعمال بني فلان:

لابأس من سرد باقي أعمال بني فلان المروية في هذا الموضع لتأكيد ما سبق.

منها: ضلوعهم في الفتنة التي تكون بين الحرمين واستمرارهم بالقتل والظلم على ما يرويه الشيخ المفيد بسند معتبر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال في حديث: «إن من علامات الفرج حدثاً يكون بين المسجدين، ويقتل فلان من ولد فلان خمسة عشر كبشاً من العرب»^(١) وسيأتي الكلام عن الحدث الذي يكون بين الحرمين.

ومنها: قتلهم النفس الزكية يرويه الكليني عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال فيه: «يا زرارة لا بد من قتل غلام بالمدينة، قلت: جعلت فداك أليس يقتله جيش السفيناني؟ قال: لا، ولكن يقتله جيش آل بني فلان، يجيء حتى يدخل المدينة، فيأخذ الغلام فيقتله، فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لا يجهلون، فعند ذلك توقع الفرج إن شاء الله»^(٢)، ويؤكد ما رواه النعماني عن علي عليه السلام أنه قال في حديث: «ألا أخبركم بأخر ملك بني فلان؟ قلنا: بلى يا أمير المؤمنين، قال: «قتل نفس حرام، في يوم حرام، في بلد حرام عن قوم من قريش، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة ما لهم ملك بعده غير خمس عشرة ليلة»^(٣)، وقد ذكرت الأخبار أن بين قتل النفس الزكية وظهور

(١) الإرشاد: ٢: ٣٧٥.

(٢) الكافي: ١: ٣٣٧ ح ٥٠.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٥٨.

القائم خمس عشرة ليلة، فيكون هلاك بني فلان هو ظهور القائم عليه السلام.

ومنها: شمول الناس خوفاً وجوعاً في آخر سلطانهم، لرواية الشيخ الصدوق والنعمانى بسند معتبر عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن قدام القائم علامات تكون من الله عزوجل للمؤمنين قلت: ما هي جعلني الله فداك؟ قال: ذلك قول الله عزوجل ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ - يعني المؤمنين قبل خروج القائم عليه السلام - بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» قال: يبلوهم بشيء من الخوف من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم، والجوع بغلاء أسعارهم، ونقص من الأموال، قال: كساد التجارات وقلة الفضل، ونقص من الأنفس قال: موت ذريع، ونقص من الثمرات قال: قلة ريع ما يزرع، وبشر الصابرين عند ذلك بتعجيل خروج القائم عليه السلام.^(١)

وقد جعلت هذه الرواية الخوف من بني فلان من العلامات التي قدام القائم عليه السلام.

ومنها: أن ذهاب ملكهم بغتة حين لا يحتسب ذلك، فقد روى النعماني بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال في حديث: «إن ذهاب ملك بني فلان كقصع الفخار، وكرجل كانت في يده فخارة وهو يمشي إذ سقطت من يده وهو ساه عنها فانكسرت، فقال حين سقطت: هاه - شبه الفزع - فذهاب ملكهم هكذا أغفل ما كانوا عن ذهابهم وقال أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة: إن الله عز وجل ذكره قَدْرَ فِيمَا قَدَّرَ وَقَضَى وَحْتَمَ بِأَنَّهُ كَائِنٌ لَا يَبْدُ مِنْهُ أَنَّهُ يَأْخُذُ بَنِي أُمِيَةَ بِالسَّيْفِ جَهْرَةً، وَأَنَّهُ يَأْخُذُ بَنِي فُلَانَ بِغَيْتَةٍ، وَقَالَ عليه السلام: لَا يَبْدُ مِنْ رَحَى تَطْحَنُ، فِإِذَا قَامَتْ عَلَى قَطْبِهَا وَثَبَّتْ عَلَى سَاقِهَا بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا عَبْدًا عَنِيفًا خَامِلًا أَصْلَهُ، يَكُونُ النَّصْرَ مَعَهُ، أَصْحَابَهُ الطَّوِيلَةَ

(١) كمال الدين: ٦٤٩ ح ٣، كتاب الغيبة: ٢٥٠ ح ٥، والآية ١٥٥ من سورة البقرة.

شعورهم، أصحاب السبل، سود ثيابهم، أصحاب رايات سود، ويل لمن ناوهم يقتلونهم هرجاً على مدينتهم بشاطيء الفرات البرية والبحرية جزاء بما عملوا وما ربك بظلام للعبيد^(١).

ومنها: أن هلاكهم من حيث بدأ ملكهم يعني من خراسان رواه الشيخ الطوسي، بسنده عن عمار بن ياسر أنه قال: إن دولة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان، ولها أمارات، فإذا رأيتم فالزموا الأرض وكفوا حتى تجيء أماراتها، فإذا استثارت عليكم الروم والترك وجهزت الجيوش، ومات خليفتمم الذي يجمع الأموال، واستخلف بعده رجل صحيح فيخلع بعد سنين من بيعته، ويأتي هلاك ملكهم من حيث بدأ..^(٢)، فهي لم تذكر بني فلان وإنما ذكرت ضمير «هم» الذي لا يقل في المرتبة عن كلمة بني فلان، ولكن تقدم في روايات بني العباس «وسلط الله عليهم علجاً من حيث بدأ ملكهم..» فيكون الضمير راجعاً إليهم.

من هم بنو فلان؟

هل هم بنو العباس كما يقتضيه تطابق بعض روايات الاسمين مثل رواية جابر ورواية الأمور الحتمية، ورواية لا بد من أن يملك بنو فلان أو بنو العباس، ورواية خروج الخراساني والسفنياني عليهم.

ويساعده الجو الحاكم عند صدور هذه الأخبار وتدوينها من حكومة بني العباس وقسوتهم، مما يحتم عدم التصريح باسمهم خصوصاً عند الكلام عن مصيرهم ونهايتهم وخروج حسيني عليهم، كل ذلك من المخالفات السياسية.

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٦ ح ١٣.

(٢) الغيبة: ٤٦٣ ح ٤٧٩.

فهل ترى أن الإمام الصادق عليه السلام أو الإمام الكاظم عليه السلام يقول: إن القائم من أولاد الحسين عليه السلام يقضي على بني العباس، أو الخراساني الذي هو من قواده كذا، لاتظن ذلك، وخصوصاً عند تدوين هذه الكتب التي نروي منها ككتاب الكافي وكتب الشيخ الصدوق والشيخ الطوسي والنعمانى الذين هم عاشوا الفترة القاسية من حكومة بني العباس، فلا محيص عن التعبير عنهم ببني فلان أو بني الشيبان على ما جاء في بعض الأخبار التي منها الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق عن علي بن مهزيار يقول في حديث مشاهدته صاحب الزمان عليه السلام في غيبته جاء فيه: يا ابن مهزيار كيف خلفت إخوانك في العراق؟ قلت: في ضنك عيش وهناة، قد تواترت عليهم سيوف بني الشيبان، فقال: قاتلهم الله أنى يؤفكون، كأني بالقوم قد قتلوا في ديارهم وأخذهم أمر ربهم ليلاً ونهاراً، فقلت متى يكون ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة بأقوام لاخلاق لهم والله ورسوله منهم براء، وظهرت الحمرة في السماء ثلاثاً، فيها أعمدة كأعمدة اللجين تتلألاً نوراً...^(١).

ومعلوم أن الحكام في العراق أيام ابن مهزيار هم بنو العباس، لكنه عبر عنهم ببني الشيبان تقية وخوفاً، بقرينة قوله: قد تواترت عليهم سيوفهم؛ أترى أنه يقول بني العباس قاتلهم الله وسيوفهم متواترة. فالعقل السليم والتقية المأمور بها تقضي بعدم التصريح باسمهم لعنهم الله.

ولكن ذهاب ملكهم في القرن السابع الهجري على يد المغول الذين أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وآله كما جاء في روايات المجان المطرقة وغيرها، لا يسمع لقبول إرادة بني العباس من بني فلان ولعلمهم قوم آخرون يكونون قبيل ظهور القائم، أو نلتزم بتجدد ملك بني العباس من جديد.

فنحن بين أن نلتزم بتجدد ملك بني العباس من جديد ونتوخى له الأدلة وبين أن تثبت إرادة غير بني العباس من بني فلان ونحمل الروايات المتضمنة لبني العباس على محامل.

فالذي يدل على عدم إرادتهم وقيل كل شيء هو الوجدان، فإننا وجدنا ملوك بني العباس قد انقضوا وذهب ملكهم مع البت والقطع بعدم سماح العالم بتجدد ملكهم كدولة عباسية تحكم البلاد الإسلامية برمتها بهذا الاسم وبهذا العنوان، فهو من المستحيلات الوقوعية وجمع المتضادات، ومن ناحية أخرى فالروايات التي دلت على علانية اختلافهم تدل على بقاء ملكهم وطول مدته وليس تجده وعوده بعد الانقراض، فراجع.

والذي يرييني أربعة أمور:

الأمر الأول: عدم ورود الروايات الدالة على علانية اختلاف بني العباس بهذا الاسم في كتب سوى كتب النعماني، بينما الشيخ الطوسي والكليني وغيرهما ذكروا بني فلان ولم يذكروا بني العباس، فلعل ذلك كما ذكرنا سابقاً اجتهاداً منه.

الأمر الثاني: الروايات الدالة على وقوع حوادث متعددة في الفترة بين انقراض بني العباس وبين ظهور القائم عليه السلام، مثل رواية النعماني: «إذا اختلف بنو أمية وذهب ملكهم ثم يملك بنو العباس، فلا يزالون في عنفوان من الملك وغضارة من العيش حتى يختلفوا فيما بينهم، فإذا اختلفوا ذهب ملكهم، واختلف أهل المشرق وأهل المغرب، نعم وأهل القبلة ويلقى الناس جهد شديد مما يمر بهم من الخوف، فلا يزالون بتلك الحال حتى ينادي مناد من السماء، فإذا نادى فالنفيр النفيр فوالله لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس...»^(١).

فهي تفرض ذهاب ملكهم أولاً، ثم اختلاف أهل مشرق الأرض ومغربها وليس شرق الدولة العباسية أو الإسلامية ومغربها الذي هو كناية عن الشام وإيران، بقرينة قوله نعم وأهل القبلة يعني المسلمين، فاختلاف المسلمين يأتي في المرحلة الثالثة أو متزامناً مع اختلاف الشرق والغرب وحلول الجهد والخوف الذي يطول بقرينة قوله: «فلا يزالون بتلك الحال» حتى ينادي مناد من السماء.

وهو الواقع الذي شاهدناه ويمكن أن نشاهده بعد الحال من اختلاف الشرق والغرب، واختلاف المسلمين الذي تحقق وسيتحقق في المستقبل، على أنه لم يذكر حكومة المغول ولا الحكومة العثمانية، أعني الأتراك التي دلت عليه روايات أخرى.

والرواية الأخرى هي التي يرويها النعماني أيضاً عن يعقوب السراج قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام متى فرج شيعتكم؟ قال: «إذا اختلف ولد العباس ووهى سلطانهم، وطمع فيهم من لم يكن يطمع، وخعلت العرب أعنتها ورفع كل ذي صيصية صيصيته، وظهر السفيناني وأقبل اليماني وتحرك الحسني، خرج صاحب هذا الأمر...»^(١).

وقد وهى سلطان بني العباس بعد اختلافهم وطمع فيهم من لم يكن يطمع كالمغول والعثمانيين الذين كانوا مستعبدين لهم، والمستفاد من الرواية إلقاء الأعتة - التي هي جمع عنان - في رقاب العرب التي تعني تسييرها وقيادها من قبل غير العرب، ثم ترفع ليحكم العرب أنفسهم من دون تسيير أجنبي عندما يحصل الانفلات السياسي الذي تحدثنا عنه مسبقاً أو ما يشابهه، ورفع كل ذي صيصية - أي شوكة وما يمتنع به - صيصيته واستقل عن الآخرين الذي يعني التقسيم والتشتت حتى يظهر السفيناني، فهذا حديث

معقول ومقبول في الجملة.

الأمر الثالث: إن جعل اختلاف بني العباس من العلائم من الموهومات جداً، لأنهم اختلفوا من يوم موت الرشيد حتى قتل المأمون الأمين بعدما عزل الأمين المأمون كل ذلك حدث على رأس القرن الثالث ونحن اليوم في القرن الخامس عشر.

ولو فرضنا إرادة اختلافهم الذي فيه هلاكهم فقد حدث هذا الآخر عندما صار يقتل الابن أباه والأخ أخاه حتى ضعفوا وتغلب عليهم المغول، وهذا الحدث يمر عليه أكثر من سبعة قرون فكيف يكون هو العلامة.

وإذا كان المراد هو الاختلاف بعد تجدد الملك فهذا ما لا يحدث بسرعة عادة بعد تجدد ملكهم ويحتاج إلى عشرة قرون أخرى، لأن التاريخ وما جرى على بني العباس في السابق أعطاهم الدروس الكافية، بحيث تجعلهم يتحذرون من الفرقة والاختلاف، فهم اليوم أخبرٌ منهم في الفترة السابقة.

والأمر الرابع: الذي أشرنا إليه في الكلام عن السفيناني صدور أكثر الروايات عن الإمام الباقر عليه السلام قبل حكمهم بقريته قوله: «لا بد لبني العباس أن يملكوا» وغيره، ومن يعيش في تلك الفترة لا يهجم سوى حكومة بني العباس وزوال حكمهم، وهو أهم ما ينتظره الناس من العلائم، فليس هو عليه السلام في صدد بيان ما يحدث بعده، وإنما يريد القول عند السؤال عن الفرج إن أول ذلك اختلاف بني العباس وذهاب ملكهم، هذا أهم ما تنتظرون في تلك الفترة وتليه علامات أخرى لمن أدرك انقراضهم ينتظرونها وهكذا.

ومقتضى هذه الأدلة أن بني فلان هم غير بني العباس، وأولئك الغير يكون اختلافهم علامة على ظهور القائم عليه السلام وهم ممن يحكم العراق والحجاز والشام من الحكام، ولا يتجدد ملكهم كل هذا مما يؤيد الاحتمال الأول.

وأما الاحتمال الآخر، أعني إرادة بني العباس من قولهم بني فلان والبت

في تجدد ملكهم وبقائه إلى زمان خروج السفيناني والحراساني ليكون اختلافهم عندها من العلائم على ظهور المهدي عليه السلام فيدل عليه أدلة كثيرة مستحكمة.

منها: جميع الروايات الدالة على بقاء ملكهم وطول فترة حكمهم حتى يخرج عليهم السفيناني والحراساني ويكون هلاكهم على أيديهما، والأخبار الدالة على أن هلاكهم يكون من حيث بدأ ملكهم ويسلط الله عليهم علجاً من هناك يدفعها إلى المهدي عليه السلام والأخبار الدالة على أن إحدى العلائم هي الخوف والجوع من بني فلان في آخر حكمهم ويكون زوالهم بقيام القائم، وغيرها من الأخبار التي مرت وتأتي الإشارة إليها إذا جمعت مع العلم بزوال ملك بني العباس وعلى أيدي التتر، فالنتيجة هي عود ملكهم من جديد لتصدق كل تلك الأخبار ويكون هلاكهم في المرة الثانية على يد السفيناني والحراساني وحتى نفس الإمام المهدي عليه السلام كما دلت عليه الأخبار.

ومنها: الخبر الذي يرويه النعماني بسنده عن الحسن بن الجهم، قال قلت للرضا عليه السلام: أصلحك الله، إنهم يتحدثون أن السفيناني يقوم وقد ذهب سلطان بني العباس، فقال: «كذبوا إنه ليقوم وإن سلطانهم لقائم»^(١)، ولو صح سندها لأغنتنا في المقام وما عدلنا عن الالتزام بتجدد ملكهم، فهي تدل على قيام السفيناني والحال أن سلطان بني العباس موجود، فإذا جمع مع علمنا بزوال ملكهم على أيدي التتر يعطي نتيجة هي تجدد حكمهم من جديد، ليصدق قوله: إنه - يعني السفيناني - ليقوم وإن سلطانهم لقائم.

ومنها: ما رواه النعماني بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إن لولد العباس والمرواني لوقعة بقرقيسيا يشيب فيها الغلام الحزور، ويرفع الله

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٣ ح ١١، البحار: ٥٢: ٢٥٠ ح ١٢٧.

عنهم النصر، ويوحى إلى طير السماء وسباع الأرض: اشبعي من لحوم الجبارين ثم يخرج السفيناتي^(١)، وتقدم أن المرواني من علامات ظهور المهدي عليه السلام المتأخمة، فحربهم معه دليل على عود ملكهم وحكمهم عند تحقق العلائم.

ومنها: الرواية التي يرويها الشيخ الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر هؤلاء عنده وسوء حال الشيعة عندهم فقال: «إني سرت مع أبي جعفر المنصور وهو في موكبِهِ وهو على فرس وبين يديه خيل ومن خلفه خيل وأنا على حمار إلى جانبه - إلى أن قال - فقل لي: تذكر يوم سألتك هل لنا ملك؟ فقلت: نعم، طويل عريض شديد، فلا تزالون في مهلة من أمركم، وفسحة من دنياكم حتى تصيبوا منا دماً حراماً في شهر حرام في بلد حرام؟ فعرفت أنه قد حفظ الحديث...»^(٢)، وليس في سند الحديث ما يتوقف في شأنه سوى محمد بن أبي حمزة الذي وثقه الكشي والعلامة وضعفه الآخرون.

ومهما يكن من ذلك فهي تدل على بقاء ملك بني العباس إلى قتل النفس الزكية الذي هو من العلائم القريبة من الظهور ليس بينه وبين القائم سوى خمس عشرة ليلة، وقد تقدمت الرواية القائلة بأن النفس الزكية ممن يقتله جيش آل بني فلان، مما يدل على أن بني فلان هم بنو العباس، وقتلهم النفس الزكية مع ذهاب ملكهم على يد التتر آية تجده.

ومنها: ما رواه ابن طاووس عن الصلاح جعفر بن محمد عليه السلام أنه سئل عن ظهور قائم أهل البيت عليهم السلام فتنهد وبكى ثم قال: «يا لها طامة إذا حكمت في الدولة الحصيان والسودان، وأحدث الأمانة الشبان والصبيان، وخرّب جامع الكوفة من العمران، وانعقد الجسران، فذلك الوقت زوال ملك بني العباس، وظهر قائمنا أهل البيت»^(٣).

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٣٠٣ ح ١٢، البحار ٥٢: ٢٥١ ح ١٤٠.

(٢) الكافي ٨: ٣٧ ح ٧.

(٣) الملاحم والفتن: ١٩٨.

ومنها: رواية ابن مهزيار عن القائم عليه السلام جاء فيها: «يا ابن مهزيار - ومد يده إليّ - انبثك الخبر أنه إذا فقد الصيني، وتحرك المغربي، وسار العباسي، وبويع السفيني يؤذن لولي الله فنخرج بين الصفا والمروة في ثلاثمائة وثلاثة عشر، فأجيء إلى الكوفة فاهدم مسجدها وأبنيه على بنائه الأول، وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة...»^(١).

غير أن هذه الرواية فيها اختلاف في نسخها ففي بعض النسخ «إذا قعد الصيني... وسار العماني»^(٢) بدل «إذا فقد الصيني... وسار العباسي».

فلا تكون دالة على محل البحث، بينما على النقل الأول تكون دالة على أن سير العباسي مهما كان المراد منه علامة على ظهور القائم والإذن له، فيكون دليلاً على حكمهم قبيل ظهوره عليه السلام.

ومنها: رواية النعماني بسنده عن جابر الجعفي قال سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن السفيني، فقال: «وأنى لكم بالسفيني حتى يخرج قبله الشيصباني يخرج من أرض كوفان ينبع كما ينبع الماء، فيقتل، وفدكم فتوقعوا بعد ذلك السفيني، وخروج القائم عليه السلام»^(٣)، والمراد بالشيصباني هو العباسي بقريظة رواية ابن مهزيار عندما يسأله القائم عن حال إخوته في العراق فقال: قد تواترت عليهم سيوف بني الشيصبان كما مر، إذا كان المراد بالشيصباني رجل من بني العباس يظهر قبل السفيني بقليل، ولما كانت الرواية مروية عن الإمام الباقر عليه السلام قبل خروج العباسيين يحتمل إرادة خروجهم الأول، ويكون المراد جنس الشيصباني وليس شخصاً معيناً، ولكن الخصوصيات المذكورة في الرواية كقوله يقتل وفدكم قد لا تنطبق على ذلك

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٧٦.

(٢) دلائل الإمامة: ٥٤٢.

(٣) كتاب الغيبة: ٣٠٢ ح ٨.

ويكون قرينة على إرادة عباسي في آخر الزمان.

وإذا لم تصرح هذه الروايات بعود ملكهم وتجده بعد الانقراض فقد صرحت به رواية النعماني عن علي بن أبي حمزة البطائني قل: رافقت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام من مكة إلى المدينة فقال يوماً لي: «لو أن أهل السماوات والأرض خرجوا على بني العباس لسقيت الأرض دماءهم حتى يخرج السفيناني» قلت: ياسيدي أمره من المحتوم؟ قل: «من المحتوم» ثم أطرق، ثم رفع رأسه وقل: «ملك بني العباس مكر وخدع يذهب حتى لم يبق منه شيء»، ويتجدد حتى يقل: «ما مر به شيء»^(١).

فقد دلت بوضوح على تجدد ملك بني العباس وبقائه إلى خروج السفيناني.

ولو صح سندها لكفتنا عن كل البحوث التي مرت وتأتي في علامية اختلاف بني العباس على ظهور القائم.

ويؤيدها رواية ابن حماد عن كعب قل: إذا خلع من بني العباس رجلاًن وهما الفرعان وقع بينهما الاختلاف الأول، ثم يتبعه الاختلاف الآخر الذي فيه الفناء، وخروج السفيناني عند اختلافهم الثاني^(٢).

ولا أظن أنها تتكلم عن مطلق الاختلاف، بل هو الاختلاف الذي ينجر إلى هلاكهم في كل مرة، فهي تتكلم عن الاختلاف الثاني الذي ينجر إلى هلاكهم وانقراض حكمهم مرة أخرى عند خروج السفيناني.

مناقشة هذه الأدلة:

ويمكن مناقشة هذه الأدلة بأن الروايات التي دلت على طول ملكهم وبقاءه معارضة بالروايات الدالة على وقوع حوادث كثيرة بعد اختلافهم الذي

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٢ ح ٩، البحار: ٥٢: ٢٥٠ ح ١٣٧.

(٢) كتاب الفتن: ٥٧.

يكون علامة على ظهور القائم عليه السلام تقدم بعضها ونضيف هنا رواية جابر المعتبرة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا جابر الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها، أولها: اختلاف بني العباس، وما أراك تدرك ذلك، ولكن حدث به من بعدي عني، ومناد ينادي من السماء، ويجيئكم الصوت من ناحية دمشق، وتحسف قرية من قرى الشام تسمى الجابية، وتسقط طائفة من مسجد دمشق الأيمن، ومارقة تمرق من ناحية الترك، ويعقبها هرج الروم، وستقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة وستقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة، فتلك السنة يا جابر اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض المغرب أرض الشام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفيناني...»^(١).

فكم هي من الحوادث والوقائع والأمور التي تعقب اختلاف بني العباس الذي هو العلامة، فلا يزيد اختلافهم على أنه أول العلامات المتسلسلة التي قد يفصل بين أولها وآخرها قرون عديدة.

وأما رواية خروج السفيناني والخراساني على بني العباس، فهي معارضة برواية حذيفة بن اليمان: أن النبي صلى الله عليه وآله ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب فقال: «فيينا هم كذلك يخرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس» فهي تدل على أن السفيناني إنما يخرج على أهل المشرق والمغرب دون العباسيين.

وأما الروايات الدالة على تجدد ملكهم وبقائهم فمنشؤها ما كان شائعاً في تلك الأزمنة بين العامة أو عامة الناس من أن بني العباس يحكمون مرتين ولهم رايتان، فقد روى علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن الفضيل، عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال، قلت له: جعلت فداك بلغنا أن لآل جعفر راية، ولآل العباس رايتين، فهل انتهى إليك من علم ذلك شيء؟ قال: «أما آل جعفر

فليس بشيء ولا إلى شيء، وأما آل العباس فإن ملكهم مبطناً يقربون البعيد ويباعدون فيه القريب، وسلطانهم عسير ليس فيه يسير، حتى إذا أمنوا مكر الله وأمنوا عقابه صيح فيهم صيحة لا يبقى لهم مناد يجمعهم ولا يسمعهم، وهو قول الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ﴾ الآية^(١).

ورواه النعماني بسنده عن محمد بن الحنفية إلا ان فيه آل مرداس بدل آل عباس^(٢).

فهاتان الروايتان تدلان على وجود شائعة وخبر غير صادق ينقل بين الناس يدل على حكومة بني العباس مرتين بالإضافة إلى حكومة آل جعفر، حتى عبّر عنه السائل بقوله «بلغنا»، ودفع الإمام عليه السلام تلك الشائعة وفندما بانكار قيام دولة بني جعفر أساساً، وأعرض عن الكلام في تجدد ملك العباسيين واستعاض عنه ببيان طول مدة حكمهم وظلمهم.

فهاتان الروايتان تدلان على المطلوب من ناحيتين، الأولى: عدم ذكر الإمام تجدد ملك بني العباس بعدما أنكر أن يكون لآل جعفر دولة، مع أنه بين حال دولة العباسيين من ابتدائها إلى انتهائها.

والثانية: قوله عليه السلام: «لا يبقى لهم مناد يجمعهم ولا يسمعهم» فكيف تتجدد دولتهم أو تبقى مع عدم بقاء من يجمعهم ولا من يسمعهم.

ونكرر أن أكثر الأخبار الذاكرة لبقاء بني العباس إلى زمان السفيناني صادرة من الإمام الباقر عليه السلام قبل تحقق دولة بني العباس القوية، فكلامه في الحقيقة ناظر بالدرجة الأولى إلى ما يجول في أذهان الناس من كيفية ظهور القائم عليه السلام مع تحقق هذه الدولة وطول بقائها، دون التفصيل فيما يحدث

(١) تفسير القمي: ١: ٣١٠، وعنه في البحار ٥٢: ١٨٤، والآية ٢٤ من سورة يونس.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٩١.

عقيب زوالها.

مع أن الروايات الواردة في زمانهم وبعد تسلطهم وظلمهم لا تعكس أكثر من رؤية الناس الفرج بزوال دولة بني العباس القوية، ولذا عدت إحدى علامات الظهور هو اختلاف بني العباس، وبعده ظهور السفيناني من دون التفت إلى الفترة الدقيقة والحال القائمة بين العلامتين.

الاحتمالات المطروحة:

بعد الالتفات إلى كثرة الروايات الدالة على بقاء بني العباس إلى زمان السفيناني وعلائمية اختلافهم كما تقدم ودلالة روايات بني فلان على ذلك بشكل أكد وأدق مع قوة الظن بإرادة بني العباس من بني فلان لتطابق الكثير من الأخبار ومساعدة الظروف كما مر، وبعد زوال دولة بني العباس وعدم الدليل المعتبر على تجديدها تبقى المسألة غامضة ذات احتمالات.

الاحتمال الأول: كون الملوك الذين حكموا الدول الإسلامية - وخصوصاً العراق والشام والحجاز بعد زوال الدولة العثمانية وخروج الاستعمار البريطاني وغيره - جميعهم من بني العباس وإن لم يشتهر ذلك ولم يعرفه الناس، وليس ذلك مستبعداً، لتواجد بني العباس في هذه البلدان، ووجود داعية الملك والسيطرة موروثه في أنفسهم، فكيف لا يطمعون في ذلك، وجدهم القائل الملك عقيم، فهم يركضون وراءها مهما كلف الثمن، وحتى لو اقتضى التعاون مع الأجانب والمستعمرين الطامعين.

الاحتمال الثاني: تجدد ملكهم في المستقبل وظهور دعوتهم من جديد بعنوان بني العباس وحكمهم لجميع البلاد الإسلامية، وهو بعيد، نعم قد يحكمون بعض البلاد الإسلامية.

الاحتمال الثالث: الالتزام بعدم عود ملكهم وإنما زال وتشتت وتفرق أمر السلطة في العراق وغيره إلى ظهور السفيناني والقائم.

والمعقول المقبول من هذه الاحتمالات بعد استعراض الأدلة من الطرفين هو الاحتمال الثاني لا بمعنى حكمهم على جميع الدول الإسلامية كدولة عباسية بهذا العنوان، بل بمعنى حكومتهم لبعض البلاد الإسلامية التي سيتم تعيينها بعد متابعة الأخبار الواردة في ذلك.

فمن تلك البلاد الشام أو بعضها على الأقل، للمروى عن كعب الأحبار أنه قال: إذا ملك رجل من بني العباس يقال له عبد الله، وهو ذو العين بها افتتحوا وبها يختمون، وهو مفتاح البلاء وسيف الفناء، فإذا قرئ له كتاب بالشام من عبد الله أمير المؤمنين لم تلبثوا أن يبلغكم أن كتاباً قرئ على منبر مصر من عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين^(١).

وقد تطبق هذه الرواية على المستعصم آخر ملوك بني العباس، إلا أن التفاصيل الأخرى المذكورة في هذه الرواية لم تتحقق عندها، فيكون المراد هو عبد الله آخر غير المستعصم يحكم بالشام كدولة مستقلة لها دولة مناوئة في مصر.

وإن صدق هذا الحديث فهو يدل على قيام دول إسلامية في المنطقة مطابقاً لميول الناس التي تزحف بذلك الاتجاه هذه الأيام؛ لعدم مانوسية التعبير بكلمة أمير المؤمنين في الأنظمة العلمانية التي تحكم البلاد الإسلامية في العصور المتأخرة.

وجاء في رواية عقد الدرر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «تختلف ثلاث رايات: راية بالمغرب وبل لمصر وما يجلب بها منهم، وراية بالجزيرة، وراية بالشام تدوم الفتنة بينهم سنة، ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام».

إلى أن قال: «ثم يخرج السفيناني إلى الغوطة فما يبرح حتى يجتمع الناس إليه، وتتلاحق به أهل الضغائن فيكون في خمسين ألفاً، ثم يبعث

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٦٩.

إلى كلب فيأتيه مثل السيل والليل، ويكون في ذلك الوقت رجال البربر يقاتلون رجال الملك من ولد العباس، فيفاجئهم السفيناني في عصائب أهل الشام، فتختلف الثلاث رايات، رجال ولد العباس هم الترك والعجم وراياتهم سوداء، وراية البربر صفراء، وراية السفيناني حمراء فيقتلون ببطن الأردن قتلاً شديداً^(١).

فهذه الأخرى تدل على أن الشام أو بعض بلادها ستكون بيد ولد العباس يوم خروج السفيناني، وهم مدعومون من قبل الترك والعجم، كناية عن القوات غير العربية عامة.

وفي رواية ثالثة يروها ابن حماد في خروج السفيناني جاء فيها: «فيخرج فيهم ويتبعه ناس من قريات وادي اليابس، فيخرج إليه صاحب دمشق ليلقه ويقاتله، فإذا نظر إلى رايته انهزم، ووالي دمشق يومئذ وال لبني العباس»^(٢).

فلو صدقت وما أظن لدلت على أن دمشق يومها إحدى ولايات أو محافظات الدولة العباسية القائمة في الشام أو العراق.

ومهما يكن من ذلك فالروايات الثلاثة وغيرها تدل على أن الشام أو بعضها ستكون محكومة لولد العباس.

العراق:

ويدل على حكم بني العباس عندها على العراق الروايات الدالة على خروج السفيناني والخراساني عليهم، فإن فيها: «إذا ملكوا ثم اختلفوا تفرق ملكهم وتشتت أمرهم حتى يخرج عليهم الخراساني والسفيناني هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان هذا من هنا وهذا من

(١) عقد الدرر: ٩٠.

(٢) كتاب الفتن: ٧٥.

هنا حتى يكون هلاكهم على أيديهما^(١).

وكذا الأخبار الدالة على دخول السفيناني بغداد والكوفة، فإن فيها: حتى ينزل بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة - يعني بغداد - فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس^(٢) والكبش يقال لكبير الغنم يكنى به عمن له السلطة والسيطرة، فيدل الخبر على حكمهم العراق عند دخول السفيناني، لصعوبة تصور جمع ثلاثمائة من بني العباس وقتلهم إذا لم يكونوا هم الحكام المعروفين.

وروى الشيخ الطوسي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يذهب ملك هؤلاء حتى يستعرضوا الناس بالكوفة يوم الجمعة، لكأني أنظر إلى رؤوس تندر فيما بين المسجد وأصحاب الصابون»^(٣).

ومعلوم أن الإمام الصادق عليه السلام في دولة العباسيين لا يشير إلا إليهم ولأن المعهود في الأذهان هم الحكام الفعليون في زمانه، يؤكد ما رواه الشيخ المفيد بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أن لولد فلاني عند مسجدكم - يعني مسجد الكوفة - لوقعة في يوم عروبة يقتل فيها أربعة آلاف من باب الفيل إلى أصحاب الصابون، فإياكم وهذا الطريق فاجتنبوه، وأحسنهم حالاً من أخذ في درب الأنصار»^(٤).

وأما الحجاز:

فيل على حكمهم فيه، رواية قتلهم النفس الزكية المارة، وقول الصادق عليه السلام للمنصور: «حتى تصيبوا منادماً حراماً في شهر حرام في بلد حرام» والمروي أنه يقتله جيش آل بني فلان، ومع تواجد جيشهم في الحجاز

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٥٩ ح ١٨.

(٢) الغيبة: ٤٤٨.

(٣) الإرشاد: ٢٧٧.

لا يحيص من التزام حكمهم عليه.

وبهذا يتأيد حكمهم على العراق والشام والحجاز في الفترة التي تسبق ظهور القائم عليه السلام وأن حكمهم سيتجدد فيها من جديد بعد تسليم تجدد ملكهم في الجملة، ولا يثبت حكمهم على سائر الدول الإسلامية حينها ولا تجدد بعد تسليم تجدد ملكهم في الجملة.

نهاية بني فلان:

ثم إن الظاهر من الأخبار هلاكهم في العراق وزوال ملكهم على يد الخراساني والسفياني وفي الشام على يد السفياني وفي الحجاز على يد القائم عليه السلام.

أما الخراساني فيدل عليه ما رواه النعماني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال، قال أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة: «إن الله عزوجل ذكره قدر وقضى وحتم بأنه كائن لا بد منه أنه يأخذ بني أمية بالسيف جهرة، وأنه يأخذ بني فلان بغتة، وقال عليه السلام: لا بد من رحى تطحن، فإذا قامت على قطبها، وثبتت على ساقها بعث الله عليها عبداً عنيفاً خاملاً أصله، يكون النصر معه، أصحابه الطويلة شعورهم، أصحاب السبال، سود ثيابهم، أصحاب رايات سود، ويل لمن ناوهم يقتلونهم هرجاً على مدينتهم بشاطئ الفرات البرية والبحرية، جزاء بما عملوا، وما ربك بظلام للعبيد»^(١)، وإن كان المحتمل إرادة التتر فإن بعض هذه الأوصاف كطول الشعر وكونهم أصحاب السبال فهي من صفاتهم، ولا يبعد أن تكون راياتهم سوداء أيضاً، ومدينتهم سامراء لا تعد معقلاً للحكم، ولاهي محل اجتماع بني العباس.

ولكن هناك رواية تؤيد إرادة الخراساني يرويها النعماني بسنده عن

(١) كتاب الغيبة: ٢٥٣ ح ١٣.

أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ملك بني العباس يسر لا عسر فيه - إلى أن قال - ويسلط الله عليهم علجاً يخرج من حيث بدأ ملكهم لا يمر بمدينة إلا فتحها، ولا ترفع له راية إلا هدها، ولا نعمة إلا أزالها، الويل لمن ناواه، فلا يزال كذلك حتى يظفر ويدفع بظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق ويعمل به»^(١).

وأما حال السفيناني فهو معلوم مما مر ويأتي وكيف دخوله دمشق لخلع العباسي الذي فيها، وكيف دخوله بغداد لقتله ثلاثمائة كبش من بني العباس.

وأما القائم عليه السلام فيستفاد ذلك من رواية قتل بني فلان للنفس الزكية التي فيها أنهم لا يمهلون سوى خمس عشرة ليلة إذا جمع مع الرواية القائلة بأنه ما بين القائم وقتل النفس الزكية سوى خمس عشرة ليلة، ولكن قد يكون مجرد خلع وتسليم من دون قتل.

علامات زوال ملكهم:

ذكرت الأخبار بعض العلامات التي أولها بنيانهم مدينة على شاطئ الفرات، فقد روى الراوندي عن زين العابدين عليه السلام أنه قال: «إذا بنى بنو العباس مدينة على شاطئ الفرات كان بقاؤهم بعدها سنة»^(٢).

هذا إذا أمكننا دفع احتمال إرادة زوال ملكهم على يد التتر بعد بناء سر من رأى، تمسكاً بإطلاق الكلام الدال على الذهاب المطلق الذي لا عودة فيه وهو الذهاب الثاني، وإن كان الإطلاق في هذه الموارد لا يغير من الواقع شيئاً، خصوصاً واحتمال بناء مدينة جديدة هذه الأيام أبعد منه في تلك

(١) كتاب الغيبة: ٢٤٩ ح ٤.

(٢) الخرائج والجرائح: ٣: ١١٥٦.

٤٣٠ العد التنازلي في علائم ظهور المهلي عليه السلام

الأيام، أعني حين الاختلاف الأول.

ومهما يكن من ذلك فالعلامة الثانية هي هدم مسجد الكوفة، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا هدم حائط مسجد الكوفة مؤخره مما يلي دار عبد الله بن مسعود فعند ذلك زوال ملك بني فلان، أما إن هدمه لا يبنيه»^(١).

وفي رواية الشيخ المفيد عن أبي جعفر عليه السلام: «فعند ذلك زوال ملك القوم، وعند زواله خروج القائم»^(٢).

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٦ ح ٤٤٢.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ٣٧٥.

الجبايرة في العراق

الخليفة المنتقل :

ينزل العراق ملك وينصره أهله، فيخرجون معه إلى الشام لمواجهة عدو، ثم إنه يبقى في الشام ليكون ملكهم ويترك العراق، فيطالبه أهل العراق بالرجوع إليهم وهو يأبى عليهم، فينصبون عليهم خليفة آخر، ويحاربون ذلك النازح ويقع القتل بينهما.

فقد روى ابن حماد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: ينزل العراق ملك يكسره أهل الشام على بيعته، فيكون ما كان، ثم يبلغه أن عدوه قد سار إليه فلا يجد من المسير إليه بدأً، فيسير إليه بالشام، فيلقاه فيهزمه ويقتله، ثم يقول لأهل نصرته من أهل العراق: هذه بلادني، وهذه أرضي ووطني، ارجعوا إلى بلادكم، فقد استغنيت عنكم، فيرجعون إلى بلادهم.

إلى هنا تتحدث هذه الرواية عن كيفية انتقاله من العراق إلى الشام، وخروجه منه بهدف لقاء العدو ودفعه، وتتحدث أنه بعدما يدخل الشام ويدفع العدو يحلو له المقام فيها، فيخبر من جاء معه من العراق من المحاربين بما عقد عليه النية وباستغنائه عنهم ويأمرهم بالرجوع، فيرجعون إلى العراق مع الإحساس بنوع من الخيبة والمهانة المستفادة من كلامهم الذي تحكيه هذه الرواية التي جاء فيها:

«فيقولون: نحن ملكناه، ونحن نصرناه، ونحن قتلنا الناس دونه ثم اختار

على بلادنا بلاداً غيرها، هلموا حتى نجمع له فنقاتله، فيسرون إليه وجمعهم يومئذ أحوال ثلاثمائة ألف حتى يلتقلوا بالحصص فيقتتلون فيه، فيكون بينهم ملحمة لم يكن بين العرب مثلها، يلقي عليهم الصبر، ويرفع عنهم النصر، حتى أن الرجل ليقوم ينظر إلى الصفيين، فلو يشاء أن يحصيه أصحابهم لقله من بقي منهم»^(١).

ويروي ابن حماد هذه القصة مع نوع من الاضطراب بسند آخر عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ ويلقي فيها اللائمة على الناس وأنهم هم الذين يقصرون في بيعته فقال: «سيكون خليفة تقصر عن بيعته الناس ثم يكون نائبة من عدوه، فلا يجد بدأ من أن يسير بنفسه فيظهر على عدوه فيريد أهل العراق على الرجوع إلى عراقهم، فيأبى ويقول: هذه أرض الجهاد، فيخلعونوه ويولون عليهم رجلاً، فيسرون إليه حتى يلقوه بالحصص جبل خنصرة لو^١ فيبعث إلى أهل الشام فيجتمعون له على قلب رجل واحد، فيقتلهم بهم قتلاً شديداً، حتى أن الرجل ليقوم على ركائبه فيكاد يعد رجال الفريقين، ثم ينهزم أهل العراق، فيطلبونهم حتى يدخلونهم الكوفة فيقتلونهم بكل من أطاق حمل السلاح منهم، فيهزمهم ويقتلون من جرت عليه المواسي».

وقيل لأبي أسماء الراوي عن ثوبان: ممن سمعه ثوبان، أمن رسول الله ﷺ؟ قال: فمن إذن؟! قال الوليد: فأتخبرني أبو عبد الله عن الوليد بن هشام، قال: يقتتلون هناك قتلاً شديداً فبينما هم كذلك إذا ثار بهم السفيناني فيهزم الفريقين حتى يدخلهم الله الكوفة، فيكون أول النهار له وآخره عليه»^(٢).

(١) كتاب الفتن: ١٨١.

(٢) كذا.

(٣) كتاب الفتن: ١٨٠.

الأحداث التي تسبق ظهور القائم عليه السلام / أحداث العراق ٤٣٣

والمهم في هذا الخبر الأخير هو الدلالة على اتصال زمان الخليفة المشار إليه بزمان السفينائي، الأمر الذي يجعله من العلائم.

الخليفة براق الثنايا :

فقد جاء في الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا قتل الخليفة بالعراق، خرج عليهم رجل مربع القامة، كث اللحية، أسود الشعر، براق الثنايا، فويل لأهل العراق من أتباعه المراق، ثم يخرج المهدي منا أهل البيت^(١)، من هو ذلك الخليفة المقتول في العراق، وهل سيوجد خليفة بعنوان خليفة في العراق، أو يراد به من يشغل منصب الخليفة وإن كان اسمه رئيس الجمهورية مثلاً، ومن سيكون ذاك المربع القامة البراق الثنايا الذي له أصحاب مارقين من الدين يذيقون أهل العراق الويل والشبور؟

والمهم في البين اتصال زمانه بزمان القائم عليه السلام، فيمكن تطبيقه مع كل من يكون في ذلك الزمان من الطغاة ممن تذكرهم الأخبار.

طاغوت من الأشرار :

جاء في الكتاب الذي بعثه صاحب الأمر إلى الشيخ المفيد بعد ذكر طائفة من علائم الظهور: «ويغلب على العراق طوائف عن الإسلام مراق، تضيق بسوء فعالهم على أهله الأرزاق، ثم تنفجر الغمة من بعد بيوار طاغوت من الأشرار، يسر بهلاكه المتقون والأخبار، ويتفق لمريدي الحج من الأفاق ما يأملونه على توفير غلبة منهم واتفق، ولنا في تسيير حجهم على الاختيار منهم والوفيق، شأن يظهر على نظام واتساق، فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا وليتجنب ما يدينه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة

فجأة، حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة، والله يلهمكم الرشد، ويلطف لكم في التوفيق برحمته^(١).

يتحدث عليه السلام عن الأحزاب والطوائف التي تحكم العراق عند اقتراب موعد حركته، وما يصيب أهله من الأزمة الاقتصادية وضيق الأرزاق بسبب فعل أولئك الأحزاب الخارجة عن الدين وبسبب أعمالهم السيئة التي لا تخلو من الظلم على أهله وعلى أهل البلاد المجاورة والبعيدة، ويؤخذ عليهم الطريق التجاري ويقاطعهم العالم فتضيق عليهم الأرزاق، حتى روي عن حذيفة أنه قال: يوشك أهل العراق أن لا يجيى إليهم درهم ولا قفيز، يمنعهم من ذلك العجم، ويوشك أهل الشام أن لا يجيى إليهم دينار ولا مد، يمنعهم من ذلك الروم^(٢).

وفي رواية أخرى عن جابر بن عبد الله عليه السلام قال: يوشك أهل العراق أن لا يجيى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذاك، ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجيى إليهم دينار ولا مد، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم يمنعون ذاك^(٣)، ويمكن أن نفسر هذه الرواية بالمقاطعة الاقتصادية المعمولة في هذا العصر.

وأما ظلم تلك الطوائف على أهل العراق وعلى بعضهم البعض فتشير إليه الرواية التي يرويها جابر عن أمير المؤمنين يذكر فيها صفات آخر الزمان، ثم يقول: «فحينئذ تصير السنة كالشهر، والشهر كالأسبوع، والأسبوع كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة لا قيمة لها» قال جابر، قلت: ومتى يكون ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: «إذا عمرت الزوراء - إلى أن قل -

(١) الاحتجاج ٢: ٣٢٢.

(٢) كتاب الفتن: ٤١٦.

(٣) كتاب الفتن: ٣١٧.

فحينئذ يظهر في آخر الزمان أقوام، وجوههم وجوه الأدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين، سفاكون للدماء، أمثال الذئب الضواري، إن تابعتهم عابوك، وإن غبت عنهم اغتابوك، فلخليم فيهم غاو، والغاوي فيهم حلیم^(١).

ويبدو من الخبر أن مدة هؤلاء طويلة ليست ببسيرة لأنه قال في الكتاب الذي بعثه الإمام المهدي عليه السلام إلى الشيخ المفيد: «ثم تنفج الغمة من بعد ببوار طاغوت الأشرار» يدل على ذلك كلمة «من بعد» التي تعني تمالي المدة وطول الفترة.

ومعلوم أن طول تلك الحال واستمرار ذلك الظلم والقتل والجور يورث السأم والملل والهم والغم والضيم الذي عبّر الإمام عن نهايتها بانفراج الغمة، وهي نهاية طاغوت تلك العصابة وبواره، وزوال ملكه، ومن بعدها هلاكه الذي يظهر في الموت الطبيعي أو القتل المكتوم، يفرح بهلاكه المتقون والأخيار، ويكون الفرج عاماً واضحاً يعلم به الجميع، ويكون له صدى في أرجاء العالم.

ويتيسر على أثر ذلك الحج عبر الأراضي العراقية لمريدي الحج من البلاد المجاورة، ويكون الحج عنده أكثر نظاماً ويمارس الشيعة أعمالهم بحرية أكثر، ونظم أدق، ببركة ولي الله الأعظم عجل الله فرجه.

والمهم أن هذا الطاغوت يشترك مع ذاك البراق الشايبا في خروج أصحابه عن الدين ومرقهم كما يمرق السهم، وكذا قسوتهم على أهل العراق وفعالهم القبيحة المنفورة، ولكن لم تصرح باتصال زمانه بزمان القائم عليه السلام وإن كان الكلام فيها عن أقرب العلائم.

الرجل العاقد

روى ابن المنلي بسنده عن الأصبح بن نباة قل: خطب أمير المؤمنين عليه السلام

(١) مستدرک الوسائل ١١ : ٣٧٨.

بالكوفة فكان فيما قل: «ويح الفراخ فراخ آل محمد من خليفة جبار عتريف مترف مستخف بخلفي وخلف الخلف، وبالله لقد علمت تأويل الرسالات، وإنجاز العادات، وتمام الكلمات، وليكونن من أهل بيتي رجل يأمر بأمر الله قوي يحكم بحكم الله، وذلك بعد زمان مكلح مفضح يشتد فيه البلاء، وينقطع فيه الرجاء ويقبل فيه الرشا».

إلى هنا تحدث عن السفياي العتريف المتستخف بالخلف الصالح المهدي المنتظر عليه السلام وعن الإمام المهدي عليه السلام الذي يحكم بحكم الله سبحانه.

ثم ذكر ما يسبق خروج السفياي وظهور القائم عليه السلام من الزمان المكلح المفضح والبلاء الدائم وانقطاع الرجاء وقال بعد ذلك: «فعند ذلك يبعث الله رجلاً من شاطئ دجلة لأمر حزبه، يحمله الحقد على سفك الدماء، قد كان في ستر وغطاء، فيقتل قوماً هو عليهم غضبان، شديد الحقد حران، في سنة بخت نصر، يسومهم خسفاً، ويسقيهم كأساً مصبرة سوط عذاب وسيف دمار، ثم يكون بعده هنات وأمور مشتبهات، ألا إن من شط الفرات إلى النجفات باباً إلى القطقطانبات في آيات وأفات متواليات».

إلى أن قال: «ألا إن العجب كل العجب بعد جمادي ورجب، جمع أشتات وبعث أموات، وحديثات هونات هونات بينهن موتات، رافعة ذيلها، داعية عولها، معلنة قولها، بدجلة أو حولها»^(١).

يصف في آخر كلامه المعارك والمناوشات بالأسلحة الحديثة الهونات التي أظن أنها الهاونات بينهن يقع القتلى والموتات، ورافعة ذيلها هي الدبابات والصواريخ والآليات العسكرية، سمى فوهات مدافعها بالذبول، وعبر عن أصواتها التي هي حكاية عن القتل والدمار بالداعية عولها، والمعلنة قولها بدجلة أو حولها.

والمهم أن هذا الحاكم الحاقد يشترك مع صاحبيه في القسوة والظلم على أهل العراق وقرب زمانه من زمان الظهور، وإن لم يصرّح بذلك.

السفاح :

روى ابن حماد عن كعب قل: يجتمع للسفاح ظلمة أهل ذلك الزمان، حتى إذا كانوا ينظرون إلى عدوهم، وظنوا أنهم موقعوا بلادهم أقبل رأس طاغيتهم لم يعرف قبل ذلك، وهو رجل ربعة جعد الشعر، غائر العينين، مشرف الحاجبين، مصفار، حتى إذا نظر إلى المنصور في آخر تلك السنة التي يجتمع فيها ظلمة أهل ذلك الزمان للسفاح يموت المنصور، وهم مفترقون في غير بلدة واحدة، فإذا انتهى إليهم الخبر ضربوا حيث كانوا، فيبايعون لعبد الله، ويرجع السفياي فيدعوا إلى نفسه بجماعة أهل المغرب، فيجتمعون ما لم يجتمعوا لأحد قط...»^(١).

فهي تتحدث عن سفاح يجتمع له ظلمة العالم من أهل ذلك الزمان، وليس ظلمة بلد واحد.

وتتحدث عن إقبال رأس الطغيان إقبلاً غير معلن، وهي تصفه بأنه رجل ربعة جعد الشعر غائر العينين إلى آخره.

ثم تضطرب الرواية بعد ذلك ولا يعلم المراد بالناظر إلى المنصور في آخر تلك السنة يموت المنصور، والظلمة مفترقون في غير بلدة واحدة، فإذا انتهى إليهم الخبر ضربوا من تلك البلدان وحيث كانوا، ويبايعون لعبد الله الرجل العباسي الأصل على ما يبدو، فالرواية مضطربة لا يمكن الاستفادة منها أكثر من حصول ضوضاء في العراق تتصل بزمان السفياي، وعن سفاح حاكم أو قادم، وعلى فرض حكومته فهو يشترك مع سابقه بالظلم، عندها يتجلى

الفرض المتلجلج في ذهني من رجوع العناوين السابقة واللاحقة جميعها إلى رجل واحد متميز بالظلم والقسوة بحيث لم يشهد له العالم نظيراً.

الجبايرة في بغداد :

يحكم في بغداد ملوك جبايرة على مر العصور، وخصوصاً في العصور المتأخرة، هم حكام العراق أيضاً، لكن نصت الأخبار على حكومتهم في بغداد، وقد ذكرهم أمير المؤمنين عليه السلام عندما قاتل أهل النهروان نزل برائثا وكان راهب اسمه حباب فدار بينهما الكلام، فكان فيما قال له عليه السلام: «يا حباب ستبني إلى جنب مسجدك هذا مدينة تكثر الجبايرة فيها ويعظم البلاء حتى أنه ليركب فيها كل ليلة جمعة سبعون ألف فرج حرام، فإذا عظم بلاؤهم سدوا على مسجدك بقطوة ثم وابنه بنين، ثم وابنه لا يهدمه إلا كافر ثم بيتاً»^(١).

القتال الجبار :

روى السليلي بسنده أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال لابن عباس: «يا ابن عباس قد سمعت أشياء مختلفة، ولكن حدثت أنت رضي الله عنك قال: نعم، قال: «أول فتنة من المائتين إمارة الصبيان، وتجارات كثيرة، وريح قليل، ثم موت العلماء الصالحين، ثم قحط شديد، ثم الجور وقتل أهل بيتي الظماء بالزوراء، الشقاق ونفاق الملوك وملك العجم.

فإذا ملكتكم الترك فعليكم بأطراف البلاد وسواحل البحار، والهرب والهرب... ثم يولى عليكم خليفة فظ غليظ، يسمّى في السماء القتال، وفي الأرض الجبار، فيسفك الدماء، ثم يمزج الدماء بالماء، فلا يقدر على شربه، ويهجم عليهم الأعراب، وعند هجوم الأعراب يقتل الخليفة، فيفسد الجور

والفجور بين الناس، وتحيثكم رايات متتابعات كأنهن منظومات انقطعن فتابعن.

فإذا قتل الخليفة الذي عليكم فتوقعوا خروج آل أبي سفيان، وإمارته عند هلاك مصر، وعند هلاك مصر خسف بالبصرة...^(١).

وهل حدث إلى حدّ الآن اختلاط الدماء بالدماء بحيث لا يقدر على شربه رغم كل المآسي التي عاناها الناس في العراق وغيره، أو هو مجرد مثل، وأي ماء هذا الذي يتحدث عنه؟ لا بد أنه ماء ظاهر جارٍ كالأنهار التي يكون اختلاطه بالدماء حدث عجيب.

وهل يكون بعد اليوم من يسمى خليفة؟ أو يراد به من يعمل عمل الخليفة وإن كان اسمه رئيس الجمهورية وما شابه ذلك؟.

والرواية تدل على توقع خروج آل أبي سفيان بعد قتل هذا الخليفة ومجيء الرايات المتتابعات كأنهن منظومات في دلالة على انضباط عسكري أو توالي رايات مختلفة تنقطع وتتابع.

والمهم أن هذا العنوان يشترك مع العناوين السابقة لحاكم العراق في الظلم وقرب زمانه من زمان السفياني، فيجيء الاحتمال في كونه عنواناً لذلك الواحد الفارد الذي أضيف إلى مجموع صفاته ومقارناته مجيء الرايات المتتابعة من جميع العالم بعد زواله.

رجل من أهل السفح :

جاء فيما قاله أمير المؤمنين عليه السلام لحباب الراهب بعد الكلام المار: «فإذا فعلوا ذلك منعوا الحج ثلاث سنين، واحترقت خضرهم، وسلط الله عليهم رجلاً من أهل السفح لا يدخل بلداً إلا أهلكه وأهلك أهله، ثم

(١) الملاحم والفتن: ١٢٤.

ليعد عليهم مرة أخرى، ثم يأخذهم القحط والغلاء ثلاث سنين حتى يبلغ بهم الجهد، ثم يعود عليهم، ثم يدخل البصرة فلا يدع فيها قائمة إلا سخطها وأهلكها وأهلك أهلها^(١).

والسفح يتردد بين إراقة الدماء، وبين سفح الجبل الذي هو أسفله وأصله، فيكون المراد هو من يقطن قريباً من المناطق الجبلية، كما ويحتمل إرادة أهل المناطق الجبلية.

والرواية تلك على عوده مرتين وحكمه ثلاث مرات، ويأخذهم القحط ثلاث سنين في فترة الحكم الثانية، ولا يكون همه في المرة الثالثة سوى الدمار خصوصاً في مدينة البصرة.

ويبدو أن دخوله في المرة الثالثة من مدينة البصرة وبسير منها إلى واسط ويكون دخوله بغداد عفواً بدون مقاومة. لأن الإمام عليه السلام يقول بعد ذكر دخوله البصرة وإخضاعها بالقوة: «ثم يدخل مدينة بناها الحجاج يقال لها واسط، فيفعل مثل ذلك، ثم يتوجه نحو بغداد فيدخلها عفواً، ثم يلتجئ الناس إلى الكوفة، ولا يكون بلد من الكوفة إلا تشوش له الأمر^(٢) وهو حصول الاضطراب في جميع مدن الفرات الأوسط.

ويبدو أن هناك من يسند هذا الداخل ويسنده، فيتفقان على المسير إلى النجف لنيش قبر أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه قال بعد ذلك: «ثم يخرج هو والذي أدخله بغداد نحو قبري لينبشه فليقاها السفياني فيهزمها ثم يقتلها، ويتوجه جيش نحو الكوفة فيستعبد بعض أهلها، ويجيء رجل من أهل الكوفة فيلجئهم إلى سور، فمن لجأ إليها أمن، ويدخل جيش السفياني إلى الكوفة...»^(٣).

(١) اليقين: ٤٢٢ - ٤٢٣، وعنه البحار ٥٢: ٢١٧ - ٢١٩ ح ٨٠.

(٢) اليقين: ٤٢٣، عنه البحار ٥٢: ٢١٩ ح ٨٠.

(٣) اليقين: ١٥٦.

فالرواية تدل على أن هذا الرجل سيدخل المرة الثالثة في زمان خروج السفيناني وإبان دخوله إلى العراق حتى يكون جيش السفيناني هو الرادع له عن الوصول إلى النجف ونبش القبر الشريف. وهذا الآخر يشترك مع العناوين السابقة بالظلم والقسوة واتصال زمانه بزمان السفيناني، فلا يزيد على أن يكون ذلك الواحد الذي تحدثنا عنه في العناوين السابقة.

الكاهن الساحر :

هذا الآخر يكون هو الحاكم عند دخول السفيناني العراق، جاء ذلك في الخطبة المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام والمسماة بالخزون في معرض الحديث عن السفيناني: «ويبعث السفيناني مائة وثلاثين ألفاً إلى الكوفة فينزلون بالروحاء والفساروق وموضع مريم وعيسى عليهما السلام بالقادسية، ويسير منهم ثمانون ألفاً حتى ينزلوا الكوفة موضع قبر هود عليه السلام بالنخيلة فيهجموا عليه يوم زينة وأمير الناس جبار عنيد يقال له الكاهن الساحر فيخرج من مدينة يقال لها الزوراء في خمسة آلاف من الكهنة، ويقتل على جسرها سبعين ألفاً حتى يحتمي الناس الفرات ثلاثة أيام من الدماء وبتن الأجسام، ويسبي من الكوفة أبكاراً لا يكشف عنها كف ولا قناع حتى يوضعن في الحامل يزلف بهن الثوبه وهي الغريين، ثم يخرج من الكوفة مائة ألف بين مشرك ومناق حتى يضربوا دمشق لا يصددهم عنها صاد، وهي إرم ذات العماد، وتقبل رايات شرقي الأرض...»^(١).

فلعل هذا الكاهن الساحر هو الذي تقدم الكلام عنه في العناوين السابقة لاتصال زمانه بزمان السفيناني.

وقد نخلص من جميع تلك العناوين والروايات المارة إلى أن الحاكم على العراق الذي يعود ليحكمه مرتين أو أكثر هو ظالم متميز ومتفنفن بالظلم

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٩.

بحيث تنطبق عليه جميع العناوين المارة ويشتهر ظلمه وقسوته في جميع أرجاء العالم.

ولا شك أن جميع تلك الأوصاف ربما تنطبق على الجائر المجرم صدام الذي حكم العراق وأذاق أهله الولايات والدمار والجوع، وأجرى من القسوة والشدة والتعدي على العرب والعجم والأكراد بما لم يشهد له العالم مثيلاً، ولا يقاس به الحجاج وهتلر وغيره بما لا يحتاج إلى مزيد بيان أو مؤونة تعريف، غير أن الجزم بانطبق ذلك عليه لا يزيد على كونه مقامرة ومجرد احتمال.

الخسف ببغداد:

وخسف المكان في اللغة هو ذهاب ما عليه في الأرض والغرق، ولكن إذا جاء ما يدل على خسف بغداد مع وجود القرائن على بقاء بغداد بعد ذلك، فلا يدل على أكثر من حصول الخسف ببعض دورها أو بعض مناطقها، وليس ذهاب كل المدينة وما عليها في الأرض.

أما أصل الخسف فقد دلت عليه رواية النعماني بسنده عن كعب الأحبار أنه قال في حديث طويل: «إنَّ القائم من ولد علي عليه السلام له غيبة كغيبة يوسف، ورجعة كرجعة عيسى بن مريم، ثم يظهر بعد غيبته مع طلوع النجم الأحمر، وخراب الزوراء وهي الري، وخسف المزورة وهي بغداد وخروج السفيناني»^(١).

فهي وإن أطلقت الزوراء على الري والمزورة على بغداد، لكن يبدو إرادة الصفة دون الاسم، فإن الصفة الحقيقية للري هي الزوراء والصفة الحقيقية لبغداد هي المزورة وإن كان اسمها الزوراء، فالزوراء هي المدينة المعوجة. والمزورة من قول الزور أي الكذب والباطل والشرك بالله ويقال مجلس الغناء واللذة والطعام.

(١) كتاب الغيبة: ١٤٦ ح ٤.

ويدل على بقاء بغداد قوله: «وخروج السفيناني» بعد ذكر الخسف ببغداد وقد تقدم أن السفيناني يدخل بغداد ويفعل فيها الأفاعيل ويخربها، فلا بد من إرادة الخسف ببعض دورها ومناطقها.

ويؤكد هذا المعنى الروايات المفصلة لخبر الخسف، كرواية ابن حماد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليكونن من هذه الأمة قوم قرعة وقوم خنازير، وليصبحن فيقال خسف بدار بني فلان، ودار بني فلان، وبينما الرجلان يمشان يخسف بأحدهما، قالوا: يا رسول الله، وبم ذلك، قال: بشرب الخمر، ولباس الحرير، والضرب بالمعازف والزمارة»^(١).

وفي رواية أخرى يرويه الحاكم عنه ﷺ: «ليكونن قوم من هذه الأمة على طعام وشراب، فيصبحون وقد مسخوا، وليخسفن بقبائل فيها وفي دور فيها حتى يصبحوا فيقولوا: خسف الليلة ببني فلان، خسف الليلة بدار بني فلان، وأرسلت عليهم حصية حجارة...»^(٢).

وأفضل ما ورد في حديث الخسف من حيث السند ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن أمير المؤمنين عليه السلام لما رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء، فقال للناس: إنها الزوراء، فسيروا وجنبا عنها، فإن الخسف أسرع إليها من التودد في النخالة»^(٣) وظاهر الكلام هو إرادة جميع مدينة بغداد، ولعله خصوص بغداد التي كانت في ذلك الزمان لا تتجاوز قرية صغيرة، ولذا نزل في مسجد براتا كما جاء في آخر هذه الرواية، كما يمكن إرادة الخسف ببعض بقاعها دون الجميع بمعنى أنه يمكن أن يخسف أي جانب من جوانبها، أو أي نقطة فيها وليس جميعها.

(١) كتاب الفتن: ١٧٢.

(٢) مستدرک الحاكم ٤: ٥١٥.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ١٩٩ ح ٣٤٠.

غير أنها دلت على أن الخسف ليس هو ما تفعله الأسلحة، وإنما هو خسف طبيعي يحتمل وقوعه حتى في زمانه الطبيعي الذي لا يتصور فيه إلا الخسف الطبيعي.

ويشارك هذه الرواية في الدلالة على سرعة خراب الزوراء وإراة ذهابها في الأرض الخبر الذي يرويه ابن المنادي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قل:

«تبنى مدينة بين دجلة ودجيل والصراة وقطربل، تجبا إليها كنوز الأرض، يخسف بها، فلهي أسرع ذهاباً في الأرض من الحديدية الحمأة في الأرض الخوارة»^(١) أي السهلة اللينة.

فليس المراد ما يفعله القصف الجوي والأسلحة الحديثة، بل هو الخسف الطبيعي والذهاب في الأرض.

ولعل سرعة ذلك يعني حصول الخسف حين لا يحتمل ذلك أحد، وإلا فالزوراء يمر عليها اليوم أكثر من أربعة عشر قرناً ولم نسمع بالخسف ولا أماراته، فكيف يتوقعه أمير المؤمنين عليه السلام في زمانه ويحجب جيشه عنها؟!!

وما ذاك إلا للترسيخ في الأذهان، أو لأنه لا يدخل أرضاً ملعونة أصابها الدمار أو سيصيبها، ويكره الصلاة فيها، لأن النبي صلى الله عليه وآله لعنها فقال في معرض الحديث عن السفيناني على ما يرويه الطبري:

«حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس»^(٢).

(١) ملاحم ابن المنادي: ٤٣.

(٢) تاريخ الطبري ١: ٤٨١.

خراب بغداد:

هذا ما أكدت عليه الأخبار واشتهر بين العامة من أن الزوراء ستخرب وبعصبيها الدمار على مر العصور من الفتن والوقائع التي تمر عليها حتى يأتي يوم لا يبقى منها شيء يذكر، فيمر المار ويقول: ههنا مدينة كانت تسمى الزوراء.

وقد سأل الفضل أبا عبد الله الصادق عليه السلام بعدما دار الكلام بينهما عن القائم عليه السلام وعلائمه فقال: يا سيدي كيف تكون دار الفاسقين في ذلك الوقت؟ قال: «في لعنة الله وسخطه تحربها الفتن وتتركها جاء، فالويل لها ولمن بها من الرايات الضرة، ورايات المغرب، ومن كلب الجزيرة ومن الرايات التي تسير إليها من كل قريب أو بعيد، والله لينزلن بها من صنوف العذاب ما نزل بسائر الأمم المتمردة من أول الدهر إلى آخره، ولنزلن بها من العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت بمثله، ولا يكون طوفان أهلها إلا بالسيف، فالويل لمن اتخذ بها مسكناً، فإن المقيم بها يبقى بشقائه، والخارج منها برحمة الله، والله ليبقى من أهلها في الدنيا حتى يقل: إنها هي الدنيا، وإن دورها وقصورها هي الجنة، وإن بناتها من الحور العين، وإن ولدانها هم الولدان، وليظن أن الله لم يقسم رزق العباد إلا بها، وليظهروا من الافتراء على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله والحكم بغير كتاب الله من شهدات الزور وشرب الخمر والفجور وأكل السحت وسفك الدماء ما لا يكون في الدنيا كلها إلا دونه، ثم ليخربها الله تعالى بتلك الفتن وتلك الرايات حتى لو مر علينا مار لقال ههنا كانت الزوراء»^(١).

فقد بدأ عليه السلام كلامه وجوابه عن سؤال ذلك السائل بذكر الخراب، وختم كلامه أيضاً بذلك، وهو يذكر بينهما العلل والأسباب المباشرة وغير المباشرة، فجعل المباشرة هي الرايات وغيرها بينما غير المباشرة ما يجنح إليه

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٨٨، الهداية الكبرى: ٤٠٢.

أهلها من الإقبال على الدنيا والاجترأ على فعل القبائح وارتكاب المحرمات.
ولو لاحظ الملاحظ وتأمل في كيفية وصف الإمام عليه السلام لما يكون في
هذه المدينة وما يحدث فيها وكيف تبنى وتعمر وتزدهر وما يظن بها الناس،
وما ينزل بها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، لا ينقضي تعجبه، إذ لا يتأتى
هذا الوصف إلا ممن عاش فيها على مر الدهور ولاحظ ما كان وما يكون
فيها بدقة، مما يؤكد تخوفي المار عن إعادة فلم البشرية.

هذا وقد أشارت الرواية إلى الفتن والرايات المتسببة في خراب الزوراء
من الرايات الصفر وغيرها التي يأتي الكلام عنها، ولكن لم تذكر السبب
في خرابها النهائي وعلى يد من سيكون، بينما تذكر ذلك رواية أخرى
يرويهما الخطيب جاء فيها: «سيكون لبني عمي مدينة من قبل المشرق بين
دجلة ودجيل وقطربل والصراة، يشيد فيها بالخشب والأجر والجص والذهب،
يسكنها شرار خلق الله وجبابرة أمتي، أما إن هلاكها على يد السفيناني،
كأنني بها والله قد صارت خاوية على عروشها»^(١).

الرايات والفتن

ذكرت رواية المفضل المارة الرايات التي تتسبب في خراب بغداد جاء فيها: «فالويل لها ولمن بها من الرايات الصفرة، ورايات المغرب، ومن كلب الجزيرة، ومن الرايات التي تسير إليها من كل قريب أو بعيد»، ونحن نذكرها بالترتيب:

الرايات الصفرة:

لا تزال كلمة الرايات الصفرة مجملة لا يمكن تحديدها بالدقة، وغاية ما عرفنا عنها أنها تقبل من المغرب فتنزّل الاسكندرية من مصر ويخلفهم الروم في أرضهم، ثم يدخلون سرّة الشام همهم الأول هو مقاتلة الرايات السود القادمة من المشرق فيلتقون في القنطرة التي جاء التعبير عنها في بعض الأخبار بأنها قنطرة أهل مصر، ثم تستقر ما بين الأردن وفلسطين، ثم تنزل بعدها إلى الجزيرة وتشارك في معركة قرقيسياء، فينكسر أمامها الرايات السود وتراجع إلى الكوفة.

وتدل هذه الرواية على دخولهم بغداد وتخريبهم إياها إذا كانوا هم المقصودين، ثم يدال عليهم السفيناني ويكون له أكثر من ثلاث معارك معهم، فيموت رئيسهم في هذا الحال، ويتفرقون عندما يبلغهم الخبر ثلاث فرق، فرقة ترجع من حيث أتت، وفرقة تحج، وفرقة تظل تقاتل، ينتصر عليهم السفيناني.

هذا إذا كان المراد من الرايات الصفرة في هذه الرواية هذا المعنى وإن كان بعيداً مع وجود ما يستشمن منه ذلك في غير هذا الخبر، مما يبدو أن المراد

منهم هم أهل المغرب العربي أو غرب أفريقية من الزنج الذين يدفعهم الروم والاستعمار لصد الرايات السود القلعة من المشرق، لمجيء التعبير بالبربر عنهم، وستأتي الروايات الدالة على ذلك في معرض الحديث عن أحداث الشام.

رايات المغرب:

وما عطف رايت المغرب على الرايات الصفر إلا وهو دليل على عدم إرادة المغرب العربي، ويكون المراد رايات الشام التي يقودها السفيناني تدخل بغداد وتفعل الأفاعيل، أو هي رايات مغرب العالم، ولكن يبعد التعبير عنها بالراية.

كلب الجزيرة:

والجزيرة هي جزيرة أقور كما مر مراراً، والمراد بها المنطقة التي تقع بين دجلة والفرات في شمال غرب العراق، والنقل مختلف بين «كلب الجزيرة»، وبين «من يجلب الجزيرة» وما كلب الجزيرة إلا عبارة عن أفعال أهلها التي تعني التعدي والظلم والقسوة مما يلزم الدمار والعبث ببغداد وأهلها.

ويحتمل إرادة رجل واحد يعيث ببغداد وعمامة أهل العراق يتسبب في خراب بغداد وغيرها من المدن.

ولو كان النقل هو «من يجلب الجزيرة» فهو يعني ما يتسببه أفعال أهل الجزيرة من الحروب ومجيء قوات وجيوش تحدث الخراب من بغداد وغيرها من مدن العراق والجميع بمعنى واحد.

الرايات من بلدان مختلفة:

عبّرت عنها الرواية بالرايات التي تسير إلى بغداد من كل قريب وبعيد من بلدان العالم، تجتمع في العراق وبالأخص بغداد تتسبب في خرابها وحدث الدمار فيها.

هدم مسجد برائنا:

ففي رواية يرويها الشيخ المفيد عن سدير الصيرفي قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام وعنده جماعة من أهل الكوفة، فأقبل عليهم وقال لهم: حججوا قبل أن لا تحجوا، حجوا قبل أن يمنع البر جانب، حجوا قبل هدم مسجد بالعراقين بين نخل وأنهار، حجوا قبل أن تقطع سدره بالزوراء نبتت على غسل عروق النخلة التي اجتننت منها مريم عليها السلام رطباً جنياً، فعند ذلك تمنعون الحج...^(١).

وهدم المنافقون مسجداً بالمدينة ليلاً فاستعظم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تنكروا ذلك فإن هذا المسجد يعمر، ولكن إذا هلم مسجد برائنا بطل الحج» قيل له: وأين مسجد برائنا هذا؟ قل: «في غربي الزوراء من أرض العراق، صلى فيه سبعون نبياً ووصياً، وآخر من يصلي فيه هذا» وأشار بيده إلى مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢).

وذلك لما رجع أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل النهروان نزل برائنا وكان بها راهب اسمه الحباب فأمره ببناء مسجد وتسميته باسم بانيه، فبناه رجل اسمه برائنا فسمى المسجد برائنا، ثم قال عليه السلام للراهب في معرض كلامه: «ستبني إلى جنب مسجلك هذا مدينة، وتكثر الجبابرة فيها، ويعظم البلاء، حتى أنه ليركب فيها كل ليلة جمعة سبعون ألف فرج حرام، فإذا عظم بلاؤهم سدوا على مسجلك بفتوة، ثم وابنه بنين، ثم وابنه لا يهدمه إلا كافر ثم بيتا، فإذا فعلوا ذلك منعوا الحج ثلاث سنين واحترقت خضرهم، وسلط عليهم رجلاً من أهل السفح لا يدخل بلداً إلا أهلكه وأهلك أهله»^(٣).

(١) الأمالي: ٦٤.

(٢) الملاحم والفتن: ١٣٠.

(٣) اليقين: ١٥٦.

٤٥٠ العد التنازلي في علائم ظهور المهدي ~~عليه السلام~~

ولم تذكر الروايتان الأوليان مدة المنع من الحج والحال أن الذي يبدو من الرواية الثانية طول المدة مما يلائم التعبير ببطلان الحج، ولكن الرواية الأخيرة حددته بثلاث سنين.

أحداث الكوفة

إحصار الكوفة :

قام أمير المؤمنين عليه السلام خطيباً فقال: «ألا أيها الناس سلوني قبل أن تشرع برجلها فتنة شرقية، وتطأ في خطاتها بعد موت وحياء، أو تشب نار بالحطب الجزل غربي الأرض، ورافعة ذيلها تدعوا يا ويلها بدجلة أو مثلها، فإذا استدار الفلك قلت مات أو هلك، بأي واد سلك، فيومئذ تأويل هذه الآية: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ولذلك آيات وعلامات وأولهن إحصار الكوفة بالرصد والخنق، وتحريق الزوايا في سلك الكوفة، وتعطيل المساجد أربعين ليلة، وتحقق رايات ثلاث حول المسجد الأكبر يشبهن بالهدى، القاتل والمقتول في النار، وقتل كثير وموت ذريع، وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين^(١).

فقد دلت هذه الرواية على شروع الفتنة من المشرق، أو حصول فتنة في المشرق الذي يراد به في الغالب أرض خراسان التي تشمل أرض إيران وأفغانستان وبعض دول القفقاز كما يحتمل أن يكون المراد شرق الأرض بصورة كلية.

واختلفت الكتب في بعض كلمات الخطبة مثل خطانها أو خطامها،

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٨.

وأضيف أنا إليها خطاتها بقريئة كلمة «تطأ» وتشابهها في الرسم مع المثبت في الكتب، وهذا يعني سريان هذه الفتنة وعدم توقفها في بلد معين، ولكن التعبير بخطاتها يعني أنها تطأ أرضاً ولا تطأ أرضاً لأن الخطاطي يجعل فاصلة بين موضع القدمين.

فهي شرقية المنشأ سارية المفعول تحدث اضطرابات وتغييرات في بلدان العالم المختلفة وأما حديث النار فسيأتي الكلام عنها.

والذي عنونا له البحث هو إحصار الكوفة الذي يعني منع الناس من السفر والخروج منها بواسطة الرصد الذي هو أخذ الطريق على الناس، ويأتي الرصد بمعنى الحرس الذي يرصد الطريق، والخنلق هو حفير حول المدينة، ولا أظن إرادة أكثر من المواضع التي يحفرها الجنود ويتخذون فيها.

والمهم أن هذه الرواية جعلت هذا الإحصار أول العلامات، ولعلها أول العلامات لأهل الكوفة.

تخريق الروايا:

اختلف النقل وضبط هاتين الكلمتين وتراوح بين تخريق الزوايا في سكك الكوفة^(١) وتخريق الرواية^(٢) وفي نقل ثالث تعريف الرايت في أزقة الكوفة^(٣).

يقال: قتلنا الروايا وأجنا الزوايا أي قتلنا السادة وأجنا البيوت، فالروايا سادة القوم والزوايا هي البيوت^(٤) والنقلان الأولان هنا يشيران إلى حرق البيوت وقتل السادة، ولعل النقل الأخير كناية عن مذمة الرايات المرفوعة

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٩.

(٢) البحار ٥٢: ٢٧٣.

(٣) مشارق البرسي: ١٦٤.

(٤) انظر لسان العرب ١٤: ٣٤٧ «روى».

في تلك الأيام ورميها بالانحراف والضلال كقولنا «تكفير القوم» أي رميهم بالكفر.

ويكون هذا التحريف عاماً وشاملاً بحيث يدخل الحديث عنه جميع النوادي والسكك.

تعطيل المساجد:

فقد جاء في الخطبة المارة: «وتعطيل المساجد أربعين ليلة يشبه أن يكون نتيجة لأجل الحروب التي تدور والاشتباكات، التي يكون كل أطرافها أو بعضها هم عمار المساجد والقائمين عليها، يؤدي دخولهم في ذلك النزاع إلى تعطيلها، أو يكون التعطيل والإغلاق من قبل الظلمة الحاكمين.

رايات ثلاث:

ذكر أمير المؤمنين عليه السلام هذه الرايات في الخطبة السابقة قائل: «وتحقق رايات ثلاث حول المسجد الأكبر يشبهن بالهدى» مما يدل على اختلاف الناس وانقسامهم إلى ثلاثة أقسام وثلاث رايات وأحزاب من صفة هذه الرايات أنهم «يشبهن بالهدى»، ويتردد معناه بين الشبابة بالهدى وبين الاشتباه بالهدى، والثاني أبلغ ويتبع التشديد والتخفيف.

ويستفاد من هذا الخبر حصول قتال بين هذه الرايات، ولذا قال عليه السلام بعد ذلك: «القاتل والمقتول في النار».

والأهم من ذلك أن هذه الرايات قوية لها أتباعها تبقى حتى بعد دخول السفيناني الكوفة وخروجه منها ودخول القائم عليه السلام لأنه جاء في خبر آخر أن القائم عليه السلام: «يدخل الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت، فتصفو له، ويدخل حتى يأتي المنبر فيخطب فلا يدري الناس ما يقول من البكاء»^(١).

(١) الإرشاد ٢: ٣٦٢، الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٨٠.

قتل كثير :

فالقتل إنما يكون من الفتن والحروب، وقد أشارت الروايات إلى موارد عديدة وأسباب مختلفة منها القتل الذي يكون بين الحيرة والكوفة، فقد روى الشيخ المفيد والشيخ الطوسي عن أبي جعفر عليه السلام: «أنى يكون هذا الأمر ولما يكثر القتل بين الحيرة والكوفة»^(١).

وفي رواية يرويه النعماني بسند معتبر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «يا جابر لا يظهر القائم حتى يشمل الشام فتنة يطلبون المخرج منها فلا يجدونه، ويكون قتل بين الكوفة والحيرة، قتلاهم على سواء...»^(٢)، فلم تذكر هذه الرواية سوى القتل وأن القتلى على سواء، ولم تذكر هل هو نتيجة الاشتباك بين أصحاب الرايات الثلاث، الذي يؤيده ما مر في الكلام عن الرايات من أن القاتل والمقتول في النار، وهنا تقول «قتلاهم سواء» إذا كان المقصود هو التساوي في الحسran ودخول النار، وقيل: المعنى على سواء الطريق، أي على الطريق.

كما يحتمل إرادة المعارك التي تدور بين السفيناني وحكام العراق والقوى المتواجدة فيه، وهذا أيضاً له شواهد من الأخبار، روى ابن مهزيار عن صاحب الأمر عليه السلام أنه ذكر نهاية بني العباس ف قيل له: متى يكون ذلك يا ابن رسول الله قال: «إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة بأقوام لاخلاق لهم - إلى أن قال - ويخرج السروسي من أرمينية وأذربايجان يريد وراء الري - الجبل الأسود المتلاحم بالجبل الأحمر لزريق جبل طالقان، فيكون بينه وبين المروري وقعة صيلمانية يشيب فيها الصغير ويهرم منها الكبير، ويظهر القتل بينهما، فعندها توقعوا خروجه إلى الزوراء، فلا يلبث بها حتى يوافي باهات،

(١) الإرشاد: ٣٦٠، الغيبة: ٢٧١.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧٩.

ثم يوافي واسط العراق فيقيم بها سنة أو دونها، ثم يخرج إلى كوفان فيكون بينهم وقعة من النجف إلى الحيرة إلى الغري، وقعة شديدة تذهل منها العقول، فعندها يكون بوار الفتنتين، وعلى الله حصاد الباقيين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾ فقلت: سيدي يا ابن رسول الله ما الأمر؟ قال: نحن أمر الله وجنوده^(١).

ومن هو المتوقع خروجه إلى الزوراء في هذه الرواية؟ هل هو السروسي الخارج من أرمينية وأذربيجان؟

ومن هو السروسي، هل هو تصحيف كلمة الروسي، أو أن السروسي يريد به رئيس المغول والتر الذين كانت نهاية بني العباس على أيديهم، فيكون جميع الكلام في هذا الخبر عن نهاية بني العباس على أيدي التتر الذي حدث في سالف الدهر.

ولكن الرواية تتكلم عن أحداث تكون قريباً من ظهور القائم عليه السلام كظهور الحمرة في السماء، والحيلولة دون سبيل الكعبة، فلا بد من وقوع سقط في هذه الرواية، ولعل الساقط هو الحديث عن السفيناني، فيكون هو مرجع الضمير والحرب المشار إليها هي حربه مع حكام العراق. وهناك رواية أخرى تتحدث عن قتل آخر غير القتل بين الحيرة والكوفة، وهو القتل في نفس مدينة الكوفة، فقد أسند إلى الصادق عليه السلام: «أن لولد فلان عند مسجد الكوفة لوقعة في يوم عروبة يقتل فيها أربعة آلاف، بين باب الفيل وأصحاب الصابون، فيياكم وهذا الطريق فاجتنبوه، وأحسنهم حالاً من يأخذ في درب الأنصار»^(٢).

(١) كمال الدين: ٤٦٥ ح ٢٣، والآية ٢٤ من سورة يونس.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧٩.

فالذي أفهمه من هذا الخبر هو إرادة بني العباس لما تقدم في بحث «اختلاف بني فلان» وإنما يكون ذلك في زمان يكون فيه أصحاب الصابون ودرّب الأنصار باقية على حالها، وإن أمكن إرادة مواضعها، ولكنه بعيد عن المتفاهم، ففعل هذا وأمثاله تحقق قبل زوال الدولة العباسية، وليس في الرواية دلالة على قربها من ظهور القائم عليه السلام، بخلاف القتل بين الخيرة والكوفة.

وفي رواية ثالثة عن أبي جعفر عليه السلام: «إذا سمعتم باختلاف الشام فيما بينهم فالهرب من الشام، فإن القتل بها والفتنة» قلت: إلى أي البلاد؟ فقال: إلى مكة، فإنها خير بلاد يهرب الناس إليها، قلت: فالكوفة؟ قال: «الكوفة ماذا يلقون! يقتل الرجال إلا شامي، ولكن الويل لمن كان في أطرافها، ماذا يمر عليهم من أنى بهم، وتسبى بها رجال ونساء، وأحسنهم حالاً من يعبر الفرات، ومن لا يكون شاهداً بها» قال: فما ترى في سكان سوادها؟ فقال بيده يعني لا، ثم قال: «الخروج منها خير من المقام فيها» قلت: كم يكون ذلك؟ قال: ساعة واحدة من نهار، قلت: ما حال ما يؤخذ منهم؟ قال: «ليس عليهم بأس، أما إنهم سينقذهم أقوام ملهم عند أهل الكوفة يومئذ قدر، أما لا يجوزون بهم الكوفة»^(١).

والظاهر أن هذه الرواية تتحدث عن دخول السفيناني الكوفة، لأن شروع الكلام كان عن الاختلاف في الشام، فهي ترشد إلى الخروج من الكوفة عند ذلك وعبور الفرات على الأقل حتى تنجلي الغبرة، ويأتي الأقوام الذين ملهم عند أهل الكوفة مقدار، وهي رايات خراسان على ما يبدو.

موت ذريع :

لا يكون ذلك إلا من تردي الحالة الصحية على أثر الاضطرابات والفتن التي تجر إلى عدم اعتناء الناس بمقومات الصحة من النظافة والتلقيح الطبي،

بالإضافة إلى كثرة الهموم والغموم والاستياء وتدهور الحالة النفسية عند غالب الناس.

قتل النفس الزكية :

إن قتل النفس الزكية (العلامة) يكون بين الركن والمقام كما مر، ولكن هذه الرواية تتحدث عن نفس زكية أخرى تقتل في ظهر الكوفة، وهو النجف على ما يبدو، وذلك مع سبعين من الصالحين.

ومن هو النفس الزكية هذا، ومن هم أولئك الصالحون، وهل يقتل غيرهم معهم؟ هذه أسئلة لم تجب عليها الأخبار.

خروج الشيباني:

روى النعماني بسنده عن جابر الجعفي قل: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن السفيناني، فقال: «وأنى لكم بالسفيناني حتى يخرج قبله الشيباني، يخرج من أرض كوفان ينبع كما ينبع الماء، فيقتل وفدكم، فتوقعوا بعد ذلك السفيناني وخروج القائم عليه السلام»^(١).

والشيباني على ما مر سابقاً هو العباسي، فيمكن أن يكون المراد هو أبو العباس السفاح.

ولكن القرائن والشواهد الموجودة في هذه الرواية تتحدث عن شيباني يخرج قرب زمان القائم عليه السلام.

والتعبير بأنه ينبع كما ينبع الماء، يراد به الخفاء والتدرج الذي لا يسمع له صوت ولا حسيس.

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٢ ح ٨.

عصاة رديئة :

روى النعماني بسنده عن عمرو بن سعد قال، قال أمير المؤمنين عليه السلام:
 «لا تقوم القيامة حتى تفتأ عين الدنيا، وتظهر الحمرة في السماء، وتلك دموع
 حملة العرش على أهل الأرض، حتى يظهر فيهم عصاة لا خلاق لهم، يدعون
 لولدي وهم براء من ولدي، تلك عصاة رديئة لاخلاق لهم، على الأشرار
 مسلطة، وللجبابرة مفتنة، وللملوك مبيرة، تظهر في سواد الكوفة، يقدمهم
 رجل أسود اللون والقلب، رث الدين، لاخلاق له، مهجن زنيم عتل، تداولته
 أيدي العواهر»^(١).

وإنني لفي حيرة من أمر هذه العصاة إذا كانت هي وقائدها من أهل
 الكوفة، ويدعون لأهل البيت عليهم السلام وهم منهم براء مما يحكي عن نفاق وفقدان
 للأخلاق الإسلامية، يضاف إليه التسلط على الأشرار بمعنى السيطرة عليهم
 وتسخيرهم والاستفادة منهم، وهم فتنة للجبابرة بتقويتهم ومتابعتهم فيجد
 الجبار نفسه متمكناً من كل ما يريد، وعلى يد هؤلاء يكون بوار الملكية،
 وظهور الجبابرة.

وأغلب هذه العصاة تكون من قرى الكوفة وسواها الشامل للفرات
 الأوسط برمته.

وأما الذي يقدمهم بتلك الأوصاف السيئة إذا كان هو الآخر يدعو
 لأولاد أمير المؤمنين، فلم يظهر إلى حد الآن هكذا شخص، له دعوة إلى أهل
 البيت عليهم السلام وقد تداولته أيدي العواهر عتل زنيم.

والأهم من جميع ذلك فإن الرواية لا تذكر أنه قبل قيام القائم عليه السلام، بل جعلته
 قبل قيام القيامة ولكن القرائن والشواهد تحكي عن كونه قبل قيام القائم عليه السلام لأنها
 تذكر الملوك والجبابرة، ومن البعيد تجدد الملكية بعد قيامه عليه السلام.

هدم حائط مسجد الكوفة:

روى التعماني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قل: «إذا هدم حائط مسجد الكوفة من مؤخره مما يلي دار ابن مسعود، فعند ذلك زوال ملك بني فلان، أما إن هدمه لا يبيته»^(١).

المستفاد من هذا الخبر أن الهدم يكون بقصد البناء، ولكن هدمه الذي لا يكون سوى أحد الحكام أو المسؤولين على ما يبدو لا يتوقف لبنائه بأن يموت أو يعزل من منصبه، والظاهر أن سبب ذلك يعود إلى الاضطراب السياسي الذي يعقبه زوال ملك بني فلان المقصود بهم بنو العباس بعد تجدد ملكهم على العراق، لأن الهدم يكون قرب ظهور القائم عليه السلام.

وإن لم تتل هذه الرواية على حدوث ذلك قرب ظهور القائم عليه السلام، فقد دلت عليه رواية أخرى يرويها علي بن يونس العملي قائلاً: أسند إلى الصادق عليه السلام: «إذا هدم حائط مسجد الكوفة مما يلي دار عبد الله ابن مسعود، زال ملك القوم، وعند زواله خروج القائم»^(٢).

خراب الكوفة:

هناك أخبار تتنبأ بخراب الكوفة، والمقصود به الخراب الجزئي دون العام والشامل، ولكن الروايات ضعيفة لا يمكن التعويل عليها.

روى ابن حملا عن الوليد بن مسلم قل: «إذا غلبت قضاة وظهروا على المغرب، فأتى صاحبهم بني العباس فيدخل ابن اختهم الكوفة مع من معه فيخربها، ثم تصيبه بها قرحة ويخرج منها يريد الشام فيهلك بين العراق

(١) كتاب الغيبة: ٢٧٧، الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٦ ح ٤٤٢، الخرائج والجرائع

. ١١٦٢: ٣

(٢) الصراط المستقيم ٢: ٢٤٩.

والشام، ثم يولون عليهم رجلاً من أهل بيته فهو الذي يفعل بالناس الأفاعيل ويظهر أمره وهو السفيناني...»^(١).

فهي تدل على أن الحركة التي تكون في المغرب وتطال مصر والشام وتتصارع مع بني العباس الحاكمين على الشام، ستدخل العراق بقيادة رجل أمه من قضاة وأبوه من بني أمية هو الحاكم على الشام، فيأتي إلى الكوفة فيخربها، ثم تصيبه بها قرحة فيخرج إلى الشام ويعجله الموت، ثم يولي أهل الشام عليهم السفيناني، فلعل هذا الداخل هو الرواني الذي تحدثنا عنه في العلامة الرابعة.

ولما تقدم أن حركة المغرب تبدأ بدخول مصر وتخريبها ثم تدخل الشام والعراق، فلا يكون خراب الكوفة إلا بعد خراب مصر، وتدل عليه الرواية التي يرويها الحاكم بسنده عن كعب قال: «الجزيرة آمنة حتى تخرب أرمينية، ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة، والكوفة آمنة من الخراب حتى تخرب مصر، ولا تكون الملحمة حتى تخرب الكوفة، ولا تفتح مدينة الكفر حتى تكون الملحمة، ولا يخرج الدجل حتى تفتح مدينة الكفر»^(٢)، والمراد بالملحمة هي ملحمة السفيناني أو معركة قرقيسياء التي يكون السفيناني فيها أحد الأطراف.

بشق الفرات :

هذه حادثة تحدث قرب ظهور القائم عليه السلام وذلك بعد شحة الماء في العالم وتوالي سنين الجذب يكون قبل قيام القائم عليه السلام سنة غيдаقة يكثُر فيها المطر حتى روي أنه يمطر الناس أربعة وعشرين مطرة، يمتلئ على أثرها الفرات ويرتفع منسوب الماء فيحصل فيه بشق ويدخل الماء أزقة

(١) كتاب الفتن: ٧٩.

(٢) مستدرك الحاكم: ٤: ٤٦٢.

الكوفة وسككها.

ولعل هذه العلامة من العلامت المتأخمة لظهوره عليه السلام ومن أقرب الحوادث التي تسبقه؛ لأن ابن عباس سأل أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا أمير المؤمنين ما أقرب الحوادث الدالة على ظهوره؟ فدمعت عيناه وقال: «إذا فتق بثق في الفرات، فبلغ أزقة الكوفة، فليتهاً شيعتنا للقاء القائم»^(١).

وما دمعت عينه إلا ليقارن هذا الخبر ظرف حاد، فيبقى في الأذهان ولا ينسى، وما دمعت عينه إلا كناية عن طول المدة وسوء حال الشيعة، وما دمعت عيناه إلا شوقاً لتلك الطلعة ومحبة لذلك الظهور المبارك.

فالذي يبدو أن هذه العلامة قريبة جداً وهي أقرب العلامت، بل في بعض الأخبار أنها تكون في سنة الظهور، يروي ذلك الشيخ الطوسي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قل: «عام أو سنة الفتح ينبثق الفرات حتى يدخل أزقة الكوفة»^(٢)، ورواه الشيخ المفيد بتفاوت يسير^(٣).

(١) الصراط المستقيم ٢: ٢٥٨، عن كتاب عبد الله بن بشار رضيع الحسين عليه السلام.

(٢) الغيبة: ٢٧٣، الخرائج والجرائح ٣: ١١٦٤، البحار ٥٢: ٢١٧.

(٣) الأرشاد ٢: ٣٧٧.

أحداث البصرة

تتحدث الأخبار عن حوادث متشعبة تقع في مدينة البصرة يصعب حصرها تحت عناوين كلية وخطوط عريضة مشخصة الاتجاه والغاية، ولا يمكن معرفة زمان تلك الحوادث وحدود إبانها وهل هي قبل ظهور القائم عليه السلام أو بعده، وإذا كانت قبله فهل هي قريبة من زمان الظهور أو بعيدة.

فهي تتحدث عن خراب البصرة وعن قتلى شهداء كشهداء بدر وتتحدث عن جيوش تحل فيها من أقوام مختلفين ونواحي عديدة، وخسف وقذف ومسح آخرها الغرق حتى لا يرى منها سوى شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير، ونحن نستعرض تلك الأخبار ونحاول الاستفادة منها.

أما اسمها :

فقد ورد أن لها أسماء متعددة عبر التاريخ كلها توحى إلى الخراب والدمار كما جاء في الخطبة التي خطبها أمير المؤمنين فقال فيها: «يا منذر إن للبصرة ثلاثة أسماء سوى البصرة في الزبر الأولى لا يعلمها إلا العلماء منها الخريبة، ومنها تدمر، ومنها المؤتفكة»^(١) والمؤتفكة المنقلبة بأهلها.

مما يبدو أن هذه التسميات باعتبار خرابها المتكرر في العصور السالفة أو باعتبار تنبؤ الأنبياء بخرابها على مر الدهور وفي آخر المطاف.

وكيف لا تكون كذلك وقد شهدت البصرة في زماننا غضون عشرين عاماً أربعة أصناف من الحروب والدمار: حرب العراق وإيران، حرب

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١ : ٢٨٩.

الحلفاء مع العراق، وهجوم جيش الطغاة في العراق عليها بعد حصول الانتفاضة الشعبية فيها، وآخرها حرب أمريكا مع العراق التي شرعت من حدود البصرة، فكان فيها أضرار المعارك، مما يبدو تكرر هذه الأحوال في العصور السابقة التي منها دخول البريطانيين لغزو العراق ودخول الزنج وغيرهم.

المعركة بين البصرة والابلة :

فقد جاء في الخطبة التي خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بعد فتح البصرة أنه سأل فقال: «كم بينكم وبين الابلة؟» فقال له المنذر بن الجارود: فداك أبي وأمي أربعة فراسخ.

قال له: صدقت، فوالذي بعث محمداً وأكرمه بالنبوة وخصه بالرسالة وعجل بروحه إلى الجنة لقد سمعت منه كما تسمعون مني أن قال: يا علي هل علمت أن بين التي تسمى بالبصرة والتي تسمى الابلة أربعة فراسخ، وقد يكون في التي تسمى الابلة موضع أصحاب العشور يقتل في ذلك الموضع من أمتي سبعون ألفاً، شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء بدر، فقال له المنذر: يا أمير المؤمنين ومن يقتلهم فداك أبي وأمي؟

قال: يقتلهم إخوان الجن، وهم جيل كأنهم الشياطين سود ألوانهم، منتنة أرواحهم، شديد كلبهم قليل سلبهم، طوبى لمن قتلهم، وطوبى لمن قتلوه، ينتفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم أذلة عند المتكبرين من أهل ذلك الزمان، مجهولون في الأرض معروفون في السماء، تبكي السماء عليهم وسكانها، والأرض وسكانها، ثم هملت عينه بالبكاء^(١).

فهذه الرواية تتكلم عن معركة تكون في موضع أصحاب العشور

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميشم البحراني ١: ٢٨٩.

بين البصرة والأبلة، على أن الأبلة هي مدينة كبيرة كانت على شط العرب وهي ميناء تجاري ترسو فيه السفن القادمة من جميع البلدان.

ولعل موضع أصحاب العشور هو منطقة العشار اليوم لما روي إن الله يبعث يوم القيامة من مسجد العشار قوماً شهداء وهي بالأبلة^(١).

ويكون طرفا الصراع في هذه المعركة هو قوم من أمة محمد عليه السلام من جانب لأن النبي عليه السلام عبر عن ذلك بأنه يقتل من أمتي سبعون ألفاً، مما يدل على أن صفتهم الأولى هي الإسلام، وصفتهم الثانية أنهم في منافرة مع جبايرة الزمان المتكبرين، بمعنى الحكام وذوي الشوكة، والمسيطرين على العالم، لأنه عبر عنهم بالمتكبرين من أهل ذلك الزمان، ولم يقل هم متكبروا البلد الفلاني أو القوم الفلانيون أو الأمة الفلانية، لا بل متكبروا ذلك الزمان على الإطلاق من دون تحديد ببلد.

والمنافرة بينهم ليست مجرد بغض وكراهة ولا الدخول في صراع مع جماعة من المتكبرين، وإنما هو استعباد وقهر وغلبة حيث عبرت بأنهم أذلة عند المتكبرين، وقد يراد أنهم قوم لا يعبو بهم عند المتكبرين ولا يقام لهم أي وزن، لضعفهم وفقرهم.

والصفة الثالثة أنهم مجهولون في الأرض، بأي سبب كان، إما لعدم إمساكهم بزمام الأمور في يوم من الأيام، وليس لهم موضع في الساحة السياسية، ولا يحسب لهم أي حساب، أو لقلتهم وتشتتهم وضعفهم.

والصفة الرابعة: هي أنهم معروفون في السماء، ولا يكون ذلك إلا لإيمانهم الصادق، وعقائدهم الحقّة وهم أهل ذكر ودعاء يبلغ أنينهم ونجواهم السماوات، حتى صاروا معروفين فيها، وبعبارة أخرى هم المؤمنون الذي لا يكونون سوى الشيعة الإمامية.

(١) تاريخ البخاري: ١: ٢٩٣ ح ٩٤٣.

والصفة الخامسة: أنهم يقتلون ظلماً وعدواناً، فهم مظلومون بأشد أنواع الظلم وأبشعه لحد أن السماء وأهلها والأرض وأهلها ييكون عليهم والتي هي عبارة أخرى عن شدة مظلوميتهم وانقهارهم.

والصفة السادسة: أنهم شهداء مما يدل على أن جهادهم حق وعدل وليس هو مجرد دفاع على ما يبدو؛ لأن الرواية عبرت بالنفر للجهاد.

وأما الطرف الآخر للصراع في هذه المعركة، فهو قوة قوية قاهرة تمتلك من الأسلحة الفتاكة والعدد القوية.

والمهم أنّ هذه الرواية عبرت عنهم بأنهم إخوان الجن على نقل ابن ميثم والمجلسي في موضع من البحار^(١)، وفي موضع آخر لم يذكر كلمة الجن، وذكر أنهم إخوان فقط^(٢)، فعلى النقل الأخير يمكن استفادة أنهم مسلمون أيضاً، ولكن على النقل الأول تشكل معرفتهم ومعرفة ما هو المراد من كلمة إخوان الجن، فإن الجن من استقر واستجن وخفي، فيكونون إخوانهم باعتبار بُعد مناطقهم وخفائهم وعدم معرفتهم، أو أنهم يسكنون الوديان والمناطق الجبلية كالجن.

والصفة الأخرى وصفهم بأنهم جيل كأنهم الشياطين، فهم صنف خاص من البشر، متميزون عن غيرهم، يشبهون الشياطين في فعلهم وأشكالهم.

أما الفعال فبإيرادهم الضرر على الناس من طرف خفي مع شدة عداوتهم لهم. وأما الشكل فإن المتأني في الأذهان من كلمة الشيطان هو القبح والنفرة.

والصفة الثالثة سواد ألوانهم، الذي يظهر في إرادة سواد الجلد،

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١: ٢٨٩، البحار ٣٢: ٢٥٣.

(٢) البحار ٥٧: ٢٥.

فيقرب إرادة العبيد والزنج، إلا أن يكون سوادهم كناية عن سوء فعالهم أو المراد سواد البستهم.

والصفة الرابعة أن أرواحهم منتنة، مما يدل على خبث باطن وأفعال تعكس ذلك الخبث.

والصفة الخامسة شدة كلبهم وقلة سلبهم، مما يعني كثرة رهجهم وشدة تحركهم إلا أن توفيقهم قليل إذا قيس إلى ضراوتهم وقدرتهم.

فمن الممكن أن يراد بهم الزنج الذين اتبعوا علي بن محمد صاحب الزنج المنتسب كذباً إلى زيد بن علي وهو في الحقيقة من الأزارقة، خرج على الدولة العباسية سنة ٢٥٥ هـ في أطراف البصرة ودخلها بعد سنة من خروجه بعد مقاومة شديدة من أهلها، فأقبل يقتل الناس ويحرق المنازل والأسواق، فاستأمنه أهل البصرة فأمنهم ثم نادى بهم للاجتماع، فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة فأمر بأخذ السكك والطرق عليهم وغدر بهم، وأمر الزنوج بوضع السيف فيهم فقتل كل من شهد ذلك المشهد، ثم قيل للزنج دونكم الناس فاقتلوهم ولا تبقوا منهم أحداً، فأخذ الناس السيف وانتشر الزنج في سكك البصرة وشوارعها يقتلون من وجدوا وأحرقوا المسجد أولاً ثم الدور والأسواق فأخذت النار كل ما مرت به من إنسان وبهيمة وأثاث ومناجى^(١).

فإذا صح هذا النقل الذي نقله ابن أبي الحديد وغيره فمن الضروري جداً تنبيه الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام على ذلك كي لا ينخدع الناس من أجل ذلك الانتساب إلى بعض أولاد زيد وإلى البيت النبوي، ولا تنسب إليهم تلك المجازر والغدر الذي لم يشهد له مثيل.

فيكون تحديث الرسول ﷺ وتنبيه أمير المؤمنين عليه السلام الناس عند دخوله

(١) انظر شرح نهج البلاغة ٨: ١٤٥ - ١٤٨.

البصرة على ذلك وكذا باقي الأئمة من أجل ذلك الإيهام والالتباس، حتى جاء التصريح في رواية الطبري التي يرويها عن سلمان الفارسي قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يظهر القائم حتى يكون أمر الصبيان... وخربت البصرة وظهرت العشرة» قال سلمان، قلت: وما العشرة يا أمير المؤمنين؟ قال: «منها خروج الزنج»^(١)، ووقائع بالعراق.

ولكن حديث شهداء البصرة لم يتوقف عند تلك الخطبة وله روايات أخرى لا يستفلا منها إرادة خروج صاحب الزنج وفعله الأفاعيل بالناس، والرواية تلك على أن المعركة في الأبله بينما القتل الذي وصفته في نفس البصرة.

كيف وقد جاء في نفس هذه الخطبة ما يشعر بذلك، فقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام غرق البصرة قبل ذلك الكلام فقام إليه الأحنف بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين ومتى يكون ذلك؟ قال: «يا أبا بجر إنك لن تدرك ذلك الزمان، وإن بينك وبينه لقرونًا، ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصرة قد تحولت أخصاصها دوراً وأجامها قصوراً فالهرب الهرب فإنه لا بصيرة لكم يومئذ، ثم التفت عن يمينه فقال كم بينكم وبين الأبله...» وذكر الكلام السابق.

كما يشعر بأن الحديث عن أمور تحدث بعد قرون، بينما ثورة صاحب الزنج كانت بعد قرنين تقريباً.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام بعد حديث معركة الأبله: «ويحك يا بصرة، ويلك يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حس» قال له: المنذر: يا أمير المؤمنين وما الذي يصيبهم من قبل الغرق مما ذكرت وما الريح وما الويل؟ فقال: «هما بابان، فالريح باب الرحمة، والويل باب العذاب، يا ابن الجارود نعم، ثارات عظيمة، منها عصابة يقتل بعضها بعضاً، ومنها فتنة تكون بها خراب منازل وخراب ديار وانتهاك أموال، وقتل رجال وسي

نساء يذبحن ذبحاً، يا ويل أمرهن حديث عجب، منها أن يستحل بها الدجال الأكبر الأعور المسوح العين اليمنى والأخرى كأنها ممزوجة بالدم لكانها في الحمرة علقمة، ناتئ الحدقة كهيئة حب العنب الطافية على الماء، فيتبعه من أهلها عدة من قتل الأبله من الشهداء، أنجليهم في صدورهم يقتل من يقتل ويهرب من يهرب ثم رجف ثم قذف...^(١).

فإذا كان هناك شبه بما صنع صاحب الزنج فهو حديث الفتنة التي يكون بها خراب منازل وخراب ديار... وأما حديث الأبله والشهداء فيها يتقوى فيه قربه من زمان خروج الدجال لأنه عليه السلام قل: «يتبعه من أهلها عدة من قتل بالأبله من الشهداء» وإن كان مجرد إشعار من دون دلالة.

ويؤكد ذلك المعنى وذاك الكلام الحديث الدال على خروج صاحب الزنج وخراب البصرة يخاطب فيه أمير المؤمنين عليه السلام ابن عباس ويقول فيه: «ثم تكون في سنة خمسين ومائتين وخمس، ثلاث فتن البلاد، فتنة بمصر الويل لمصر، والثانية بالكوفة، والثالثة بالبصرة، وهلاك البصرة من رجل ينتدب لها لا أصل له ولا فرع، فيصير الناس فرقتين، فرقة معه وفرقة عليه، فيمكث فيدوم عليهم سنين»^(٢) فإذا كان هلاك البصرة تفسيراً للفتنة الثالثة فمن المعلوم أن الذي حدث في سنة ٢٥٥ هـ هو خروج صاحب الزنج، وهو ممن لا أصل له، لعدم معلومية نسبه فمرة ينتسب إلى أحمد بن زيد ومرة أخرى إلى محمد بن زيد، وثالثة إلى يحيى بن زيد في كل مرة ينتسب إلى أحد كما جاء في كتب التاريخ^٣، ولا فرع له؛ لأنه لم يتبعه أحد ممن يعرف من بيوت الإسلام، ولا بيوت العرب، وإنما اتبعه الزنج من الموالي والعيبد وكل من لا أصل له ولا نسب.

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١: ٢٨٩.

(٢) الملاحم والفتن: ١٢٤ عن فتن السليبي.

(٣) تاريخ الطبري ١١: ١٨٧ - ٢٢٢.

والمهم أن هذا الحديث لم يذكر شهداء الأبله، وليس فيه مدح ولا قدح لواحد من الطرفين المتنازعين بل سبق التعبير عنه بالفتنة التي يغلب أن يكون الجانبان فيها من الظلمة الذين لا يصح اتباعهم ومؤازرتهم. والأمر في فتنة البصرة كذلك؛ فإن كلاً من العباسيين وصاحب الزنج هم من الظلمة الذين لا يهمهم سوى السلطة وبسط السيطرة على رقاب المسلمين، يخسر متبعهم ولا يكون من الشهداء الذين هم كشهداء بدر كما تصفهم الرواية، نعم أولئك الأبرياء الذين داستهم أرجل الفتنة ووطأتهم سنانك خيولها يمكن أن يكونوا بمنزلة الشهداء، وليسوا هم الشهداء الحقيقيين؛ لأن الشهيد من قتل بين الصفيين.

فيبقى الحاجة إلى معرفة الطرف الآخر في معركة الأبله أو غيرها ومن يكون القاتل لأولئك الشهداء الذين هم كشهداء بدر.

جاء التعبير في بعض الأخبار ببني قنطوراء، فقد روى ابن المنادي بسنده عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن أناساً من أمي سينزلون حائطاً يقال له البصرة وعنده نهر له يقال له دجلة وتكون من أمصار المهاجرين، إذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطورا قوم عراض الوجوه صغار الأعين فيفترق أهلها على ثلاث فرق، فأما فرقة فيأخذون بأذنان الإبل والبرية فيهلكون، وفرقة آخذون لأنفسهم وهلكوا، وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلون، وهم شهداء»^(١)، وفي نقل آخر: «فرقة فيأخذونه لأنفسهم وكفروا»^(٢).

يؤيد هذا النقل الأخير وأصل الخبر ما رواه الراوندي وابن شهر آشوب عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «وذكر أرضاً يقال لها البصرة إلى جنبها

(١) الملاحم لابن المنادي: ١٣٨.

(٢) الملاحم لابن المنادي: ١٣٩.

نهر يقال له دجلة ذو نخل ينزل بها بنو قنطورا يتفرق الناس فيه ثلاث فرق، وفرقة تلحق بأهلها فيهلكون، وفرقة تأخذ على أنفسها فيكفرون، وفرقة تجعل ذراريهم خلف ظهورهم يقاتلون، قتلاهم شهداء يفتح الله على بقيتهم^(١).

وتتجلى مدى أحقية المدافعين أمام بني قنطورا من الحديث المروي عن حذيفة عن رسول الله ﷺ قال: «يوشك بنو قنطورا أن يخرجوا أهل العراق من عراقهم» ويروى «أهل البصرة منها - كأني بهم خنس الأنوف، خرز العيون، عراض الوجوه»^(٢) والخنس تلخُر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة^(٣).

فإن دفاعاً مثل هذا الذي يذكره الخبر سيكون حقاً لا محالة؛ فهو دفاع عن الأرض والأموال، وهو مقاومة للإجلاء من الوطن، فمن الطبيعي يكون القتلى فيه شهداء، خصوصاً إذا كان بنو قنطورا من الكفار الذين يخاف منهم على بلاد الإسلام.

ولكن من هم بنو قنطورا؟

قيل: إن قنطورا كانت جارية لإبراهيم الخليل عليه السلام ولدت له أولاداً منهم الترك والصين^(٤)، وعندما كانت كلمة الترك غامضة جداً يمكن أن تعني المغول التتر، وكل من تفرع عنهم.

(١) الخرائج والجرائح ١: ٦٩ ح ١٢٨، المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٢١ عن جبير بن عبد الله، البحار ١٨: ١١٣.

(٢) البحار ١٨: ١١٤.

(٣) لسان العرب ٦: ٧٢، القاموس المحيط ٢: ٢١٢.

(٤) مستدرک سفينة البحار ٨: ٦١٤.

والمهم أن المسلمين هم الذي ينتصرون في نهاية المطاف لأنه جاء في رواية حذيفة «وفرقه تجعل ذراريهم خلف ظهورهم يقاتلون، قتلهم شهداء يفتح الله على بقيتهم».

والنتيجة لنا أن نتساءل هل أننا تمكنا من التوفيق بين ما جاء في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في معرض الكلام عن معركة الأبله التي تصف المهاجرين بأنهم إخوان الجن سود ألوانهم، منتنة أرواحهم، شديد كلبهم قليل سلبهم، وبين أحاديث بني قنظورا؟ لا أظن ذلك؛ لأن بني قنظورا أياً كانوا من الترك أو الصين أو غيرها فليسوا هم من السودان، وإن كانت كلمة إخوان الجن قد تتطابق معهم.

ومهما يكن من ذلك فإن المراد ببني قنظورا هم المغول والتر لما دل على قدومهم إلى العراق من ناحية خراسان وسجستان كما يرويه ابن حماد بسنده عن سلامة بن مليح عن عبد الله بن عمرو قال أتينا، فقال: ممن أنتم؟ فقلنا من أهل العراق قال: والله الذي لا إله إلا هو ليسوقنكم بنو قنظورا من خراسان وسجستان سوقاً عنيفاً حتى ينزلوا بالأبله، فلا يدعوا نخلة إلا ربطوا بها فرساً، ثم يبعثون إلى أهل البصرة إما أن تخرجوا من بلادنا وإما ننزل عليكم، قال: فيفترقون ثلاث فرق، فرقة تلحق الكوفة، وفرقة بالحجاز، وفرقة بأرض العرب البادية، ثم يدخلون البصرة، فيمكثون بها سنة ثم يبعثون إلى الكوفة إما أن ترحلوا عن بلادنا وإما أن ننزل عليكم، فيفترقون ثلاث فرق فرقة تلحق بالشام وفرقة بالحجاز وفرقة بالبادية أرض العرب، وتبقى العراق لا يجد أحد فيها قفيزاً ولا درهماً، قال: وذلك إذا كانت إمارة الصبيان فوالله لتكون ردها ثلاث مرات^(١).

فهي وإن ذكرت الأبله ولكن لم تذكر وقوع المعركة فيها، بل لم تذكر

أي معركة وإنما هو مجرد إنذار وتهديد يفر معه الناس، ولعل جميع ذلك قد تحقق عند دخول التتر العراق.

ولكن مع جميع ما ذكرناه وعرفناه من القرائن والشواهد على أن بني قنطورا هم المغول والتتر يشكل جمعه مع ما في رواية ابن المنادي المارة التي فيها «فإذا كان آخر الزمان جاء بنو قنطورا» وهل يمكن أن يكون العهد الذي جاء فيه المغول والتتر في القرن السابع الهجري هو آخر الزمان؟! كلا لا أظن ذلك، فلعل بنو قنطورا هم المغول أو الترك أيا كانوا سيأتون في آخر المطاف، أو يجيء التتر مرة أخرى.

وينبغي أن أريح القارئ بأن الأخبار الواردة في معركة الأبله وأحاديث بني قنطورا كلها ضعيفة السند وليس هناك ما يعول عليه وتركن إليه النفس، فليس لها سند سوى تحققها إذا كان المراد بمعركة الأبله هي مقاومة صاحب الزنج، والمراد ببني قنطورا هم المغول والتتر، أو الأتراك الذين حكموا الدول الإسلامية أو سيتحقق في المستقبل غير الذي عرفناه، بأن يأتي قوم عراض الوجوه صغار الأعين أو خرز الأعين خنس الأنوف فيسوقون المسلمين من خراسان وسجستان حتى ينزلوا بالأبله فتقاومهم طائفة من الناس قتلهم شهداء.

وتكون معركة في الأبله أي موضع أصحاب العشور منها معركة مع قوم سود ألوانهم، منتنة أرواحهم، شديد كلبهم قليل سلبهم يكون كل من يقتلونه من الشهداء كشهداء بدر، هذا غاية ما تقتضيه النصوص بحسب ألفاظها، لكن لا يثبت شيء من ذلك لعدم تحقق أسنادها.

خراب البصرة :

لعل من العلامات على ظهور القائم عليه السلام هو حصول حرب أهلية وفتنة يليها خراب البصرة، فإن لم تكن من العلامات المتأخرة والقريبة من زمان الظهور فهي من العلامات غير القريبة ومن الأمور التي تسبق ظهوره كما جاء في

الأخبار التي منها الخطبة التي خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بعد فتح البصرة فقال فيها: «يا ابن الجارود نعم تارات عظيمة، منها عصبة يقتل بعضها بعضاً، ومنها فتنة تكون بها خراب منازل وخراب ديار وانتهاك أموال وقتل رجال وسبي نساء يذبحن ذبحاً يا ويل أمرهن حديث عجب» والعصبة هم الجماعة يقتل بعضهم البعض، وهو الفتنة الأولى ثم تليها الفتنة التي هي اختلاف الناس في الآراء وما يقع بينهم من القتال هذه المرة ويكون فيها خراب منازل وخراب ديار وانتهاك أموال، ولعله هو خراب البصرة الذي عنونا به البحث.

والذي يهمنا أن هذا الخراب يحصل قبل قيام القائم عليه السلام وكما دلت عليه الرواية التي يرويها الشيخ المفيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يزجر الناس قبل قيام القائم عن معاصيهم بنار تظهر في السماء وخسف ببغداد، وخسف ببلدة البصرة، ودماء تسفك بها وخراب دورها وفناء يقع في أهلها، وشمول أهل العراق خوف لا يكون لهم معه قرار»^(١).

أشارت إلى علة نقاط حساسة منها نزوع الناس إلى المعاصي وارتكاب الذنوب، وهذا أمر طبيعي متحقق في كل زمان، ولكن ينبغي إرادة المبالغة في ذلك أكثر من أي وقت مضى، ويشمل أكثر الذنوب والمعاصي ولا يقتصر على جانب منها من أكل الناس بعضهم بعضاً وأكل المال الحرام وشيوع الزنا والفساد والفحشاء، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتهاون في الصلاة والصيام وسائر العبادات، بحيث لو استمر الأمر على هذا الحال قد لا تتحقق الأرضية المناسبة لظهور القائم عليه السلام أبداً.

ولكن التدبير الإلهي يفوق ذلك الحال فيأتي بالمروعات التي تزجر

(١) الإرشاد ٢: ٣٦١ مرسلأ عن الحسين بن سعيد، عن مندر الخواري عن أبي عبد الله عليه السلام،

وفي ص ٧٤٢ ح ١٢٤ الرواية عن مندر الخواري وفيها: «وخسف بمنارة البصرة».

الناس عن تلك المعاصي وتتهياً الأرضية الصالحة لذلك التغيير الشامل. ويكون نصيب البصرة أكثر من غيرها من المدن إما لاستفحال ذلك الداء فيها أو وجود المشوقات للتمادي في المعاصي مع أنهم من المحبين للإمام المهدي عليه السلام فلا بد من استنقاذهم مهما كلف الثمن، ومهما كان باهضاً. وهو كذلك لأن الرواية عبّرت أولاً بالخسف الذي يمكن تفسيره بأثناء مختلفة ولكني لا أذهب إلى أكثر مما تعمله الأسلحة الحديثة، فليس هو انهيار الأرض تحت أقدام الناس ودخول الدور والناس والأسواق فيها، بل هو حفرة وهدم توجده الأسلحة الجديدة لا يسع الإمام التعبير عنه يومها إلا بالخسف، وإذا أمعن قائلهم عليه السلام في وصف ما تفعله الأسلحة الحديثة والحروب قل: «ثم رجف ثم قذف، ثم خسف، ثم مسخ، ثم الجوع الأغبر، ثم الموت الأحمر» كما جاء في خطبة البصرة المارة.

فهو أكبر تصوير لما تحدثه أصوات الانفجارات من الهزات وتعبيرهم عليه السلام عنه بالرجف، وعن قذف القاذفات بالقذف وحصول التخريب في الأرض والدور بالخسف، وفعل الأسلحة الكيماوية وما يشابهها من التشويه بالسخ، وما يفعله الحصار وقصف المخازن من الجوع الأغبر، وما هو حصيلة تباكل إطلاق النار وشظايا القصف من الموت الأحمر.

والأمر الآخر هي الدماء التي تسفك على وجه الأرض سببها الحرب الأهلية أو قتل الناس بعضهم بعضاً، وإن كان سبب ذلك الاختلاف وقتل الناس بعضهم بعضاً هو عمل الحكام الظالمين، وخروج الأمر من يد أهل الحلم والتؤدة ووقوعه بيد الشباب الطائشين، ويؤكد ذلك خطبة التطنجية التي جاء فيها: «واضطربت البصرة وصبا كل قوم إلى قوم»^(١)، لأن كلمة صبا تعني الميل إلى جهلة الصبيان.

(١) مشارق البرسي: ١٦٦.

والأمر الثالث هو خراب الدور الذي يحدث من جراء الحروب، والدمار الذي يخلفه استعمال الأسلحة الحديثة.

وأخيرها الفناء الذي يقع في أهلها بحصول القتل الجماعي.

فإذا بدأ ذلك ببغداد والبصرة فإنه سيشمل عامة أهل العراق في نهاية المطاف ويدوم الخوف والرعب بحيث لا يكون معه استقرار ولا قرار.

فإن هذه الرواية ومن خلال هذا البيان تشعر بأن ذلك يحصل قرب ظهور القائم عليه السلام ويدخل في التمهيد لحكومته وبسط العدل.

وهناك روايات أخرى تدل على أن ذلك علامة على ظهوره عليه السلام فارغاً عن كونه سبباً للتمهيد وحصول الاستعداد لاستقباله، منها الرواية التي يرويها الطبري بسنده عن سلمان الفارسي قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «لا يظهر القائم حتى يكون أمور الصبيان وتضييع حقوق الرحمن، ويتغنى بالقرآن بالتطريب والألحان، فإذا قتلت ملوك بني العباس أولي الخمار والالتباس أصحاب الرمي عن الأقواس بوجوه كالتراس، وخربت البصرة ... هنالك يقوم المهدي من ولد الحسين لا ابن مثله لا ابن»^(١).

فقد جعلت هذه الرواية خراب البصرة من العلامات ولكن ليست المتأخرة، بل هي من الشرطيات التي أشرنا إليها في التمهيد، ومن المسلسلات لأنها ذكرت الكثير من الأحداث بعد ذكر خراب البصرة، ولكن في كتاب العدد القوية جعل خراب البصرة آخر الأحداث^(٢).

ويبقى تفصيل السبب المباشر في حصول ذلك الدمار وذلك القتل، فقد أشرنا إلى أن السبب هم الحكام الظالمون الذين يوقعون الفتنة بين الجماعات من أجل مطامع سياسية وغيرها.

(١) دلائل الإمامة: ٢٥٣.

(٢) العدد القوية: ٧٥ ح ١٢٦، وعنه في البحار ٥٢: ٢٧٥ ح ١٦٨.

فقد جاء في الكلام الذي خاطب به أمير المؤمنين عليه السلام ابن عباس: «وهلاك البصرة من رجل ينتدب لها لا أصل له ولا فرع، فيصير الناس فرقتين، فرقة معه وفرقة عليه، فيمكث فيدوم عليهم سنين، ثم يولّى عليكم خليفة فظ غليظ يسمى في السماء القتل، وفي الأرض الجبار، فيسفك الدماء، ثم يمزج الدماء بالماء فلا يقدر على شربه، ويهجم عليهم الأعراب، وعند هجوم الأعراب يقتل الخليفة، فيفشو الجور والفسجور بين الناس، وتحيثكم رايات متتابعات كأنهن نظام منظومات انقطعن فتتابعن؛ فإذا قتل الخليفة الذي عليكم فتوقعوا خروج آل أبي سفيان وإمارته عند هلاك مصر، وعند هلاك مصر خسف بالبصرة، خسف بكلاها وأرجاها»^(١).

فهي تدل على أن سبب خراب البصرة الأول هو رجل يدعى لأمر البصرة فيجيب أو يتصلى بنفسه لذلك لا أصل له لأنه ليس من بيوت المسلمين المعروفة، ولا فرع له لأن أمره ليس إلى شيء، فلا يكون له شجرة معروفة ولا ثمر ولا فرع، وليس عمله سوى الدمار وإيقاع الفتنة بين الناس حتى تكون فرقة معه وفرقة عليه يتسلط عليهم بذلك ويدوم عليهم مدة طويلة وإن جاء في الخبر سنين، ولكن سنين هذه الأخبار وأمثالها تعني طول المدة.

وأما حديث الخليفة الذي يولّى على الناس لا يراد به حاكم البصرة بل هو حاكم المسلمين أو لا أقل الحاكم على العراق برمته، ويكون في بغداد لأن الخلافة فيها.

وأظن أن الرواية وإمارته عند هلاك مصر، فيكون المراد هو هلاكها بدخول المغربي إليها كما مر، وعند هلاك مصر خسف بالبصرة، خسف بكلاها يعني مرعاها وأرجاها يعني أواخرها وأطرافها.

(١) الملاحم والفتن: ١٢٤ عن فتن السليبي.

وكان فيما قال أمير المؤمنين عليه السلام لحباب الراهب برباثة بعد إخباره ببناء مدينة إلى جنب مسجده تكثر فيها الجبابرة إلى أن قال: «وسلط عليهم رجلاً من أهل السفح لا يدخل بلداً إلا أهلكه وأهلك أهله، ثم ليعد عليهم مرة أخرى، ثم يأخذهم القحط والغلاء ثلاث سنين حتى يبلغ بهم الجهد، ثم يعود عليهم، ثم يدخل البصرة فلا يدع فيها قائمة إلا سخطها وأهلكها وأهلك أهلها، وذلك إذا عمرت الخربة، وبني فيها مسجد جامع، فعند ذلك يكون هلاك أهل البصرة، ثم يدخل مدينة بناها الحجاج يقال لها واسط، فيفعل مثل ذلك، ثم يتوجه نحو بغداد فيدخلها عفواً...»^(١).

ومن يكون أهل السفح، والحال أن السفح تستعمل في سفك الدماء وتستعمل في أسفل الجبل الذي يسفح أي ينصب فيه الماء^(٢)، أي المنطقة القريبة من الجبل وليس نفس المنطقة الجبلية وإلا قال من أهل الجبل.

ومن يكون ذلك الحاكم من أهل السفح الذي يحكم العراق فيخلع ثم يعود عليهم، ثم يخلع ثم يعود ثالثة، ثم يدخل البصرة.

ولكن لا أظن أن الذي يدخل البصرة هو ذلك الرجل من أهل السفح لأنه إذا كان من أهل السفح كيف يدخل البصرة أولاً ثم يذهب إلى واسط وبعدها يدخل بغداد بلا مقاومة إلا إذا كان دخوله عن طريق الخليج، فهو يدخل مرة، ثم يعود عليهم أخرى، وفي المرة الثالثة يفعل الأفاعيل ولا يدع قائمة يستند عليها إلا أغضبها وأهلكها وأهلك أهلها.

عند ذلك يكون هلاك أهل البصرة بنشوب الحرب الأهلية، وتجيء كل التحذيرات إذا عمرت البصرة وتحولت أكواخها دوراً ومجمع القصب فيها قصوراً، وبني المسجد الجامع.

(١) اليقين: ١٥٦ عن جابر الأنصاري، عن أنس بن مالك.

(٢) أنظر لسان العرب ٢: ٤٨٥، تلج العروس ٢: ١٦٤.

فقد قال أمير المؤمنين في خطبة البصرة المروية: «يلبغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يلبغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصرة قد تحولت أخصاصها دوراً وأجامها قصوراً فالهرب الهرب، فإنه لا بصيرة لكم يومئذ»^(١).

وفي تذكرة أحيحة نشير إلى أن الخراب الذي يطال البصرة ليس هو الخراب الشامل الذي يؤدي إلى تعطيل المدينة، وإنما يخرب بعض أطرافها لأنه جاء في الخطبة: يا منذر والني فلق الحبة وبرئ النسمة لو أشاء لأخبرتكم بخراب العرصات عرصة عرصة متى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة... إذا كان المراد عرصات البصرة لا عرصات الدنيا، والأخير أنسب.

الخسف والقذف والمسح :

تقدم الكلام في حقيقة الخسف والقذف والرجف والمسح المذكور في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام واستقر بنا أنه من فعل الأسلحة الحديثة، وليس هو الخسف بمعنى انهيار الأرض ولا القذف هو القذف بالحجارة السماوية والشهب والصواعق ولا الرجفة هي الزلزلة ولا المسح هو تغيير الصورة إلى صورة حيوان كما كان يحدث في بني إسرائيل.

نعم هناك رواية تدل على ذلك رواها أبو داود عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال «يا أنس، إن الناس يمضون أمصاراً، وإن مصراً منها يقال له البصرة أو البصيرة، فإن أنت مررت بها أو دخلتها فإياك وسباخها وكلاها، وباب أمرائها، وعليك بضواحيها؛ فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون يصبحون قردة وخنائير»^(٢) فهي رواية ضعيفة السند، واهية المضمون، فكيف يتصور تعطيل مدينة لأجل حدث،

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١ : ٢٩٠.

(٢) سنن أبي داود ٤ : ١١٣ ح ٤٣٠٧.

يكون بعد أكثر من ألف وأربعمائة عام على الأقل.

نعم لما كانت البصرة منتهى مجاري المياه التي تشرع من آفاق بعينة تحمل معها الأوساخ والأقذار مع كثرة المياه فيها ورطوبة الجو الكثيفة وارتفاع درجة الحرارة، فهي موبوءة ومنتنة كثيرة الداء.

فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أن جبرئيل عليه السلام أخبره أنه طوَّله الأرض فرأى البصرة أقرب الأرضين من الماء، وأبعدها من السماء، وفيها تسعة أعشار الشر والداء العضل، المقيم فيها مذنب، والخارج منها متدارك برحمة، وقد اثتفكت بأهلها مرتين وعلى الله تمام الثالثة»^(١).

السفياني والبصرة :

لم تذكر الأخبار دخول السفياني البصرة ولا ما يفعل بأهلها، وغاية ما ورد هي رواية فيها ترديد واضطراب جاء فيها: «ويرجع السفياني فيدعو إلى نفسه بجماعة أهل المغرب فيجتمعون ما لم يجتمعوا لأحد قط لما سبق في علم الله تعالى.

ثم يقطع بعثاً من الكوفة، فإن يكن البعث من البصرة فعند ذلك تهلك عامتهم من الحرق والغرق، ويكون حينئذ بالكوفة خسف، وإن يكن البعث من قبل المغرب كانت الوقعة الصغرى...»^(٢).

فما معنى أنه يقطع بعثاً من الكوفة ثم الترديد بأنه إن يكن البعث من البصرة كذا وإن يكن من المغرب كذا، ولا دلالة في قطع البعث من البصرة على دخوله فيها وفتحها، إلا أن نلتزم بأن إسقاط بغداد هو إسقاط لجميع العراق كما هو القاعدة في احتلال الدول.

(١) تفسير القمي: ٢: ٣٣٩.

(٢) كتاب الفتن لابن حماد: ٧٧ عن كعب ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله.

الدجال والبصرة :

عندما ذكر أمير المؤمنين ~~عليه السلام~~ ما يصيب البصرة من الغرق وغيره وقل: «ويحك يا بصرة، ويلك يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حس، قال له المنذر يا أمير المؤمنين: وما الذي يصيبهم من قبل الغرق مما ذكرت وما الويح وما الويل؟ فقال: هما بابان، فالويح باب الرحمة، والويل باب العذاب، يا ابن الجارود نعم تارت عظمة منها عصبه...، ومنها أن يستحل بها الدجال الأكبر الأعور المسوح العين اليمنى، والأخرى كأنها ممزوجة بالدم لكأنها في الحمرة علقه، ناتئ الحدقة، كهيئة حبة العنب الطافية على الماء، فيتبعه من أهلها عدة، من قتل بالأبلة من الشهداء، أنجيلهم في صدورهم يقتل من يقتل ويهرب من يهرب، ثم رجف، ثم قذف، ثم خسف، ثم مسخ، ثم الجوع الأغبر، ثم الموت الأحمر وهو الغرق»^(١).

فأول ما تددلّ عليه هذه الرواية هو تعدد الدجال وأنه هناك دجال أكبر والآخر أصغر، ثم يبدو أن الدجال المذكور مسيحي الديانة، ولذا يصف أتباعه بأن أنجيلهم في صدورهم.

فيبقى وصفه وخصوصاً عينيه إحداهما ممسوحة والأخرى كالعلقة وحدقة عينه ناتئة كحبة العنب الطافية، ويندر وجود إنسان بهذا الوصف، أي له عين واحدة حمرتها كحمرة الدم وفي نفس الوقت هي كحبة العنب الطافية على الماء.

وما أظنه سوى الكناية عن النظر بعين واحدة وهو النظر إلى الدنيا والمنافع والأغراض الدنيوية ليس بعين عادية بل بعين حمراء لا ينطبع فيها إلا الدم والدمار ولا تعرف أي معنى للرحمة.

وهناك رواية تدل على أن الدجال أول ما يرد من البلاد هو الجبل

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١ : ٢٨٩.

المشرف على البصرة الموسوم بجبل سنام وأول ماء يرده هو الماء الكثير الذي إلى جانب الجبل.

فقد روى ابن حماد عن كعب قل: «أول ما يرده الدجال سنام، جبل مشرف على البصرة وماء إلى جانبه، كثير الساف يعني الرمل هو أول ما يرده الدجال»^(١).

وفي نقل آخر: «أول ماء يرده الدجال من مياه العرب إلى جنبه جبل مشرف على البصرة يقال له سنام»^(٢).

وقال كعب لأبي عثمان الهندي: إلى جانبكم جبل مشرف على البصرة يقال له سنام؟ فقال: نعم، قال فهل إلى جانبه ماء كثير السافي؟ قل: نعم، قل: فإنه أول ماء يرده الدجال من مياه العرب»^(٣).

وسياتي الكلام عن الدجال وفعاله، لا نرغب في التوسع فيه في هذا الموضوع لضعف الأخبار.

غرق البصرة :

آخر بلاء يصيب البصرة هو الغرق بكيفية خاصة منعوتة في خطبة البصرة التي خطبها أمير المؤمنين عليه السلام قال فيها مخاطباً أهل البصرة: «كأنني أنظر إلى قريبتكم هذه وقد طبقتها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جوجؤ طير في لجة بحر» فقام إليه الأحنف بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين ومتى يكون ذلك؟ قال: «يا أبا بحر إنك لن تدرك ذلك الزمان، وإن بينك وبينه لقروناً، ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصرة قد تحولت أخصاصها دوراً، وأجامها

(١) كتاب الفتن: ١٥٠.

(٢) حلية الأولياء ٦: ١٣.

(٣) الفائق للزغشري ٢: ١٨٥.

قصوراً، فالهرب الهرب فإنه لا بصيرة لكم يومئذ^(١).

ولعل قوله عليه السلام في هذه الخطبة وغيرها: «ويحك يا بصرة، ويا بصره، ويا بصره من جيش لا رهج له ولا حس» هو تعبير آخر عن الغرق وشمول الماء جميع البصرة بهدوء حتى أنهم يستيقظون وقد غطى جميع المدينة، وليس له حالة السيل؛ لأنه لم يعبر بالسيل، غير أن في خطبة البصرة: ثم رجف ثم قذف ثم خسف ثم مسخ، ثم الجوع الأغر، ثم الموت الأحمر وهو الغرق والصحيح ثم الغرق، فأين الغرق من الموت الأحمر الذي هو كناية عن القتل بالسيف.

والمهم معرفة أن ذلك قبل قيام القائم أو بعده، فالروايات لم تصرح بذلك وليس هناك ما يدل على شيء من ذلك سوى رواية واحدة تدل على أن الغرق بأمره عليه السلام، وهي خطبة أمير المؤمنين عليه السلام التي تسمى بالمخزون جاء فيها: «يسير الصديق الأكبر براية الهدى والسيف ذو الفقار والمخصرة حتى ينزل أرض الهجرة مرتين وهي الكوفة فيهدم مسجدها وينيه على بناه الأول ويهدم ما دونه من دور الجبابرة، ويسير إلى البصرة حتى ليشرف على بحرها ومعه التابوت وعصا موسى فيعزم عليه فيزفر زفرة بالبصرة فتصير بحراً لجياً فيغرقها لا يبقى فيها غير مسجدها كجؤجؤ السفينة على ظهر الماء^(٢)».

هذه الروايات أيضاً ضعيفة السند لا يمكن التعويل عليها في إثبات شيء من ذلك، ولكن هناك مؤيدات تدل على تأخر الغرق إلى زمان ظهور القائم أو بعده كالرواية الدالة على أن القائم يحارب أهل البصرة رواها النعماني عن أبي عبد الله عليه السلام قل: «ثلاث عشرة مدينة وطائفة يحارب أهلها ويحاربونه أهل مكة... وأهل البصرة^(٣)».

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميشم ١: ٣٨٩.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ٥١٩.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٩٩ ح ٦.

أحداث الحجاز

حدث بين الحرمين :

هناك همس في الأخبار عن حدوث حادثة بين الحرمين تكون علامة على ظهور القائم عليه السلام على ما يبدو متاخمة، غير أن الأخبار لم تذكر فيها التفاصيل، ولم تتعرض سوى لوقوع قتل من دون التعريف بالقاتل ولا المقتول، ولا السبب والعلة في ذلك، فهو أمر يمكن أن يحدث في كل زمان، وبهذا يفقد هذا الحدث علائميته، ولكن إلقاء النظر على الخبر الدال على ذلك قد يوصلنا إلى بعض النتائج.

روى الحميري بسند معتبر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال في معرض الحديث عن قيام القائم وقد سأله الراوي، فأنت هو؟ قل: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، وقل: «إن قدام هذا الأمر علامات، حدث يكون بين الحرمين» قال الراوي: ما الحدث؟ قل: «عصبة تكون ويقتل فلان من آل فلان خمسة عشر رجلاً»^(١).

ومعلوم أن المراد من هذا الأمر هو قيام القائم عليه السلام كما تقتضيه القرائن والشواهد وقريئة المقام.

والعصبة هي الجماعة، وكلمة فلان تستعمل في بعض بني العباس في الغالب، وقد يراد بها غيرهم كما قلنا سابقاً.

وروى الشيخ المفيد بسنده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: «إن من

علامات الفرج حدثاً بين المسجدين ويقتل فلان من ولد فلان خمسة عشر كبشاً من العرب»^(١) ورواه الشيخ الطوسي بدون كلمة من العرب^(٢) مما يقوي احتمال إرادة جماعة من الرؤساء المعروفين؛ لأن الكبش هو سيد القوم، فالذي يمتاز به هذا الحدث هو كونه حدثاً سياسياً يلفت أنظار العالم وتتناقله وسائل الإعلام.

مع أن قيد من العرب يضعف احتمال إرادة بني العباس.

وتظل كلمة عصبه فاقدة لدورها في هذا الحادث، إلا إذا كانت تعني حركة سياسية أو ظاهرة اجتماعية.

نعم روى الراوندي هذا الخبر كما في قرب الإسناد غير أن فيه عصبية بدل عصبه^(٣)، والعصبية هي شدة ارتباط المرء بجماعته وعصبته، وجدّه في نصرتها والتعصب لمبادئها.

والتعصب للمبادئ هو أمر دخل الساحة السياسية من القديم وصار له دور أكبر حينما تبدلت سياسة السياسيين إلى السعي في الاستفادة من كل عصبية في سبيل تحقيق مطامع وأهداف دنيوية، بعدما كانت سياستهم هو صلتها وإحباطها، حتى كان آخرها هو الاستفادة من الفكر الشيعي وقدراته لتحقيق مطامع عظيمة وتحديد حركات ومعتقدات معادية ناشطة.

روى الكليني بسند معتبر عن أبلان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «كيف أنت إذا وقعت البطشة بين المسجدين، فيأرز العلم كما تآرز الحية في حجرها، واختلفت الشيعة...»^(٤) دلّ هذا الخبر على أن هذه البطشة

(١) الإرشاد ٢: ٣٦٠.

(٢) الغيبة: ٢٧٣.

(٣) الخرائج والجرائح ٣: ١١٧٠.

(٤) الكافي ١: ٣٤٠ ح ١٧، رواه النعماني في كتاب الغيبة: ١٥٩ ح ٧ إلا أن فيه السبطة بدل البطشة.

إنما تكون في مصدر العلم، لأنها رتبت عليها غياب العلم واختفاء أهله، يتقوى معه احتمال إراة وقوع البطشة في المسجدين، وليس في الحد الفاصل بينهما.

وغاية ما ورد التعبير عن ذلك في الأحاديث النبوية أنه ﷺ قال لعلي عليه السلام: «يا علي عشر خصال قبل يوم القيامة ألا تسألني عنها؟ قلت: بلى يا رسول الله ﷺ، قال: اختلاف وقتل أهل الحرمين، والرايات السود...»^(١).

فهو يقوي الاحتمال الأخير، غير أنه لا يتماشى مع الرواية الدالة على قتل فلان خمسة عشر رجلاً، فليس هذا قتل أهل الحرمين، فلعل النبي ﷺ يتحدث عن شيء آخر.

وغاية ما يمكن فهمه من هذه الأخبار بمجموعها هو وقوع النقمة على رجال الدين والعلماء وحتى السياسيين في مكة والمدينة من قبل رجل ينبغي أن يكون هو الحاكم على البلاد، فيأمر بقتلهم من دون تمييز، وهو المعنى التي تعطيه كلمة البطشة.

نار الحجاز :

لولا كلمة الحجاز لكان فهمنا لهذه النار التي تتحدث عنها الأخبار أوسع وأفضل؛ بيد أن الحجاز يعني غرب الجزيرة العربية، وإنما يطلق على عامة الجزيرة بالمساحة والأهمية.

فالروايات تتحدث عن نار تخرج من أرض الحجاز لا بد من ذلك، ولها صفات عجيبة غير متواجدة في النار المألوفة نعرض لها بالتدرج.

أما أصل خروج النار فقد دل عليه الخبر الذي يرويه البخاري عن

(١) دلائل الإمامة: ٤٦٥ - ٤٦٦ ح ٥٣.

رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيئ أعناق الإبل ببصرى»^(١).

وكيف يمكن أن تضيئ النار التي تخرج في الحجاز أعناق الإبل في مدينة بصرى التي هي في أقصى الشام! فهذه هي إحدى الصفات غير المألوفة في النار

وهناك روايات يرويها محدثو المذهب السني تعين خروج النار من جبل الوراق باليمن أو «حبس سيل» مكان قريب من المدينة المنورة، أو في وادٍ من أودية بني سليم التي بين نجد والحجاز^(٢)، أو من رومان أو ركوبة.

وقد وقع التعبير عن هذه النار في روايات المذهب الشيعي بنحو آخر، فقد أسند إلى الصادق إلى آبائه عليهم السلام أن علياً عليه السلام قال: «إذا وقعت النار في حجازكم، وجرى الماء بنجفكم فتوقعوا ظهور قائمكم»^(٣).

والمهم أن هذه النار فارغاً عن طبيعتها هي علامة على ظهور القائم عليه السلام تحدث قريباً من زمانه، ولكن الرواية مجملة جداً، لأنها أشارت إلى وقوعها من دون الإشارة إلى مكان وقوعها ولا كيف تقع، وهل أن وقوعها كوقوع المرض الذي يعني الانتشار والتفشي والانتقال، أو كوقوع الواقعة؟!

نعم هناك روايات قد تعكس طابعاً عن تلك النار منها رواية الفردوس: «لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار تضيئ أعناق الإبل ببصرى»^(٤).

(١) صحيح البخاري ٨: ١٠٠.

(٢) أنظر مسند أحمد ٣: ٤٤٣، ومستدرک الحاكم ٤: ٤٤٢، ومجمع الزوائد ٨: ١٢

و١٣، وكنز العمال ١٤: ٣٤٧، والتاريخ الكبير للبخاري ٢: ١٣٢.

(٣) الصراط المستقيم ٢: ٢٥٨.

(٤) الفردوس ٥: ٨١ ح ٧٥٥١ مرسلأ.

فهي تتحدث عن نار غير طبيعية مبدؤها الحجاز وبلغ نورها أقصى نقاط العالم، التي منها مدينة بصرى الواقعة في أقاصي الشام ويضرب بها المثل لكل بعيد في ذلك الزمان.

وكيف يسيل واد من أودية الحجاز مع العلم بأن النار لا تسيل، وإنما يسيل المائع والسائل الذي ينبغي أن يكون هو وقودها في الحقيقة، ويكون بلوغ نورها كناية عن نقل ذلك السائل إلى أقصى نقاط العالم والاستنارة به.

فلولا كلمة الحجاز لقلنا إن المراد هو النفط الذي تم اكتشافه في شرق الجزيرة وليس في الحجاز الذي يعني الغرب، إلا إذا التزمنا بإرادة عامة الجزيرة من كلمة الحجاز ولو بضرب من المجاز.

كما ويحتمل إرادة شيء آخر غير البترول يُكتشف بعد حين في الحجاز قرب المدينة أو في جبل الوراق ووادي بني سليم وغيرها، ولكنه بعيد لعدم وجود الشهامة في العرب إلى هذا الحد وغيرهم من البلدان الصناعية يحرم عليهم دخول هذه البلاد.

ويؤيد إرادة مثل البترول المروي عن أنس قال قال النبي ﷺ: «أول أشراف الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»^(١) والحشر هو الجمع، فكيف يعقل جمع الناس من المشرق إلى المغرب غير إرادة خصوصيات الجمع وما يحدث في كل اجتماع من الأمور التي منها رؤية بعضهم البعض وسماع كلام البعض، وهذا ما فعله البترول إلى حد صار العالم بأجمعه كقرية واحدة، المعبر عنها بالقرية العالمية.

ولما كانت جميع الروايات الواردة في حديث النار ضعيفة السند موهونة الدلالة، لا يمكن التزام شيء أكثر مما تحقق إلى يومنا هذا.

(١) صحيح البخاري ٨ : ١٠٠.

موت خليفة (عبد الله):

يبدو أن كل الأمور معطوفة على موت خليفة بنوع من الغموض والإبهام تتوالى على أثر موته الأحداث حتى تنتهي بظهور القائم عليه السلام. كما تؤكد الأخبار على موت عبد الله الذي يكون بموته فرج الناس وحصول البشارة بظهور القائم عليه السلام، فلعل ذلك الخليفة المذكور في الطائفة الأولى هو عبد الله المشار إليه في الطائفة الثانية من الأخبار.

ولم تعين الأخبار محل خلافته وهل هو في العراق أو الشام أو الحجاز، غير أن المؤشرات تشير إلى أنه في الحجاز، كما أن بعض الأخبار تنسبه إلى بني العباس وأنه آخر خلفائهم على الإطلاق، أي بعد تجدد ملكهم، لأنهم بدأوا بنذي العين وبها يجتمون.

ولكن ببالي أني قرأت رواية في كتاب قديم مفاده «أنه يكون خليفة اسمه اسم حيوان يليه عبد الله، عبد الله ضعيف لا يستقيم الأمر عنده إلى القائم» فيتقوى معه احتمال إرادة الخليفة في الحجاز.

ويزداد قوة إذا أضيف إليه الخبر الدال على مجيء رجل في عرفات يخبر الناس بموت خليفة يحدث على أثر ذلك اضطراب شديد فيقتل هذا المخبر، ولعلنا سنورد الأخبار الدالة على ذلك بالتدرج.

روى عبد الرزاق عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من المدينة فيأتي مكة، فيستخرجه الناس من بيته وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام»^(١).

ونحن بانتظار موت خليفة يكون على أثر موته اختلاف يطول أو لا يطول ثم يكون خروج القائم عليه السلام.

(١) مصنف عبد الرزاق ١١: ٣٧١ ح ٢٠٧٦٩.

ولم تذكر هذه الرواية أكثر من موت الخليفة وحصول الاختلاف من دون تعيين لصفاته ومحل خلافته ولا اسمه ونسبه.

وهناك رواية أخرى أخص من تلك الرواية يرويها الشيخ الطوسي بسنده عن أبي بصير، قل: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم، إذا مات عبد الله لم يجتمع الناس بعده على أحد، ولم يتنله هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله، ويذهب ملك السنين، ويصير ملك الشهور والأيام» قلت: يطول ذلك؟ قل: «كلا»^(١) وفي سند الرواية درست بن أبي منصور الذي لم يرد فيه سوى التوثيق الإجمالي؛ لأن الشيخ قل: إن علي بن الحسن الطاطري يروي عن الرواة الموثوق بهم، ومن أولئك الذين يروي عنهم الطاطري هو درست المبحوث عنه، ولوروده في تفسير القمي، فلعل هذا المقدار يكفي في محل البحث.

ولكن أبا بصير مشترك بين الضعيف والثقة ولا يتميز برواية عمار بن مروان الراوي عنه، إلا إذا حمل الإطلاق على المراحي الثقة وهو مشكوك فيه.

وأما مفادها وما انطوت عليه من المعاني التي تظهر بعد التشريح فهي أمور أولها علانية موت عبد الله على ظهور القائم عليه السلام من دون استفادة المباشرة منها، لأن البرواية دلت على وصول غير عبد الله من الملوك بعد موته إلى الحكم، ولكن لا يطول ملك أحدهم ولا يتجاوز الشهور والأيام.

كما أنها تدل على حصول التشتت وعدم اجتماع الناس بعده على أحد فيحصل الانقسام والاختلاف وحتى تقسيم السلطة كما تدل عليه روايات الاضطرابات الحاصلة في مكة والمدينة القاضي باستقلالية كل من مكة والمدينة في السلطة والحكومة وعدم خضوعهم لحكومة مركزية، وإنما

يكون لهم نحو مماشة مع حكومة السفيناني في الشام.

كما يستفاد منها استدامة ذلك الاختلاف والتشتت إلى ظهور الإمام عليه السلام.

وأما حديث المخبر الذي يخبر الناس بعرفات فقد رواه النعماني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «بينا الناس وقوف بعرفات إذ أتاهم راكب على ناقة ذعبلية يخبرهم بموت خليفة يكون عند موته فرج آل محمد عليهم السلام وفرج الناس جميعاً»^(١).

ولما كانت الذعبلية هي السريعة، فقد يوحي الرواية إلى مبادرته وإفشائه لخبر موت ذلك الخليفة بنوع من الفرح والسرور، الأمر الذي يكون سبباً لحصول اضطراب بين مريديه ومناؤيه.

يستفاد ذلك من الرواية التي يرويها النعماني أيضاً بسنده عن أبي الطفيل قال: سأل ابن الكواء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن الغضب، فقال: «هيهات الغضب هيهات، موتات بينهن موتات، وراكب الذعبلية، وما راكب الذعبلية، مختلط جوفها بوضينها، يخبرهم بخبر فيقتلون، ثم الغضب عند ذلك»^(٢).

وما قتل المخبر إلا علامة على أنه جاء مستبشراً بالخبر، مع وجود من يؤمله الخبر بحيث يدعوه إلى قتل ذلك المخبر، وإن كان المستشعر من الرواية قيام السلطة وأعوان الحكام بذلك، ولكن قوله ثم الغضب يدل على انقسام الناس أنفسهم إلى قسمين، طائفة له وطائفة عليه، بحيث تحصل فوضى واضطراب وقتل وملحمة عظمى هي العبر عنها بملحمة منى على

(١) كتاب الغيبة: ٢٦٧ ح ٣٧.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٦٨ ح والوضين مما يشد به الرجل، ومختلط جوفها بوضينها يعني أن الوضين وما يشد به السرج يكون داخل الجوف، لعله كناية عن الوسائط الثقيلة الحديثة، أو يكون كناية عن سرعة السير.

ما يبدو، يرويها ابن حماد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «في ذي القعدة تحارب القبائل، وعامئذ ينهب الحاج، فتكون ملحمة بمنى، فيكثر فيها القتلى، وتسفك فيها الدماء، حتى تسيل دماؤهم على عقبه الجمرة، حتى يهرب صاحبهم فيؤتى بين الركن والمقام فيبايع وهو كاره»^(١).

ولكن بيّنا أن حدث الإخبار بموت الخليفة لا يكون قريباً من ظهور القائم بهذا الحد.

ومهما يكن من ذلك فلنا وقفة هنا مع هذه الأخبار حول محل خلافة الخليفة المقتول وهل هو خليفة الحجاز أو خليفة آخر.

ليس في الأخبار ما يدل على ذلك أو ينفيه، وليس فيها سوى ذبائح الخبر في الحجاز، وهذا لا يعني أن الخليفة هو خليفة الحجاز، نعم إذا تم الخبر الذي كنت رأيت في بعض الكتب القديمة ولم أعر عليه بعد ذلك في شيء من المصادر المعروفة فيترجح إرادة خليفة الحجاز، لحكومة من اسمه اسم حيوان، وولي عهده عبد الله، وهو ضعيف بدت أمارات ضعفه وصارت تظهر للعيان، وأخيراً نذكر على أن جميع الروايات ضعيفة السند لا يمكن إثبات شيء من ذلك إلا بتحقيقه.

ملحمة منى :

تقدمت الرواية الدالة على وقوع الملحمة بمنى ومدى شدتها والدماء السائلة فيها، مع احتمال تسبب ذلك الخبر في حدوثها، ينضاف إليه كلب الناس الناشئ من الضلال والتهيه الذي أصاب الأمة الإسلامية إذ لا إمام يجمعهم ولا راع يرعاهم.

كما هو مستفاد ومستشعر من الرواية التي يرويها الحاكم عن عبد

الله بن عمر قال: يجمع الناس معاً، ويعرفون معاً على غير إمام، فبينما هم نزول بمبنى إذ أخذهم كالكلب، فثارت القبائل بعضها إلى بعض واقتتلوا حتى تسيل العقبة دماءً، فيفزعون إلى خيرهم فيأتونه وهو ملصق وجهه إلى الكعبة يبكي، كأني أنظر إلى دموعه، فيقولون: هلم فلنبايعك، فيقول: «ويحكمكم كم عهد قد نقضتموه، وكم دم قد سفكتموه» فيبايع كرهاً، فإذا أدركتموه فبايعوه، فإنه المهدي في الأرض، والمهدي في السماء^(١).

معركة الطائف :

هي معركة بني هاشم مع حكام مكة والمدينة بعد وقوع النقاش بين بني هاشم وحاكم مكة بينهم وإقدام حاكم مكة على قتل رجل من الهاشمين.

لما رواه ابن حماد بسنده عن ابن عباس قال: «سيكون خليفة من بني هاشم بالمدينة فيخرج ناس منهم إلى مكة، فإذا قدموها أرسل إليهم صاحب مكة: ما جاء بكم، أعندنا تظنون أن تجدوا الفرج؟»^(٢).

ولعل المراد من بني هاشم في هذا الخبر هم بنو العباس بقرينة أن الرواية عن ابن عباس الذي يروي عما يصير إليه أولاده وبنوه غالباً، وإن كان الكلام مطلقاً يحتمل فيه إرادة أي غصن من بني هاشم، ولكن تصور حكومة غيرهم من بني هاشم كالتالبيين أو بني جعفر في العصور المتأخرة وفي آخر الزمان بعيد جداً، ولكن لا يعني عدم إمكانه مع وجود الحكام من الحسينيين في الأردن والمغرب وحتى في السعودية قبل صعود آل سعود إلى مقاعد الحكم.

ومهما يكن من ذلك فالرواية تتكلم عن هاشمي يحكم المدينة أو هو وال عليها ولكن الرواية عبّرت بالخليفة.

(١) المستدرک ٤: ٥٠٣ ح ٥٠٤.

(٢) كتاب الفتن: ٢٠٠

وقد يكون لذلك الخليفة مجرد حضور فيها من دون أن يكون له سلطة ولكن يحتاج إلى إثبات.

والأغمض من ذلك هو خروج ناس من بني هاشم إلى مكة حيث لم تذكر الرواية دليلاً سوى ما يتراعى من كلام حاكم مكة أن خروجهم من أجل شدة أصابتهم بخصوصهم، أو من أجل تأمل حصول الفرج، فيقول لهم: ما جاء بكم؟ أعددنا تظنون أن تجدوا الفرج؟! أي لسنا ممن يرجى حصول الفرج على يديه، ولا يرجى الفرج عند أهل مكة المعروفين بهجرهم لبني هاشم وقلابيتهم من يوم بعثه النبي صلى الله عليه وآله وخصوصاً في العصور المتأخرة، ألا بعداً لهم وسحقاً، وإن كان هذا الكلام يعني في عرفنا مجرد الاستعفاء تخوفاً من سطوة الحاكم الجائر.

ثم تذكر هذه الرواية باقي الحدث فتقول: «فراجعه رجل من بني هاشم فيغلب عليه، فيغضب صاحب مكة فيأمر به فيقتل» مما يدل على إظهار حاكم مكة ما أطمع هؤلاء النفر في استجابته لهم ومساعدتهم على تحقيق مآربهم، ولكن واقعه ليس كما يظهر ويعلن، وأنه كالحية لين الملمس وفي جوفه السم القاتل، فيلدر إلى قتل ذلك الرجل من بني هاشم من دون أن يراعي فيه قرابته من النبي صلى الله عليه وآله.

وعندما تقف هذه الجماعة على حقيقة ذلك المجرم القاتل يقول الخبر: «فلذا كان من الغد جاء رجل منهم قد اشتمل بثوبه على سيفه، فيقول: من حملك على قتل صاحبنا؟ فيقول: أغضبي، فيقول: اشهدوا يا معشر المسلمين أنه إنما قتله لأنه أغضبه فيخترط سيفه فيضربه به، ثم ينحازون نحو الطائف».

فعملية الثأر هذه واضحة، والكلام المتبادل يدل على وجود نوع من الحرية في ذلك البلد أو قوة تلك الجماعة من الهاشميين بحيث لا يتمكن صاحب مكة من الاستهانة بهم.

ومهما يكن من ذلك فالكلام اللاحق في صيرورتهم إلى الطائف دون

المدينة التي هي معقلهم الأول وعليها خليفة من بني هاشم، يرسم بعض الغموض في المسألة.

بعدها تتكلم الرواية عن الدواعي النهائية والحجج الدافعة لتحقيق معركة الطائف حيث تقول: «فيقول أهل مكة: والله لئن تركنا هؤلاء حتى يبلغ خبرهم الخليفة ليهلكنا، قل: فيسيرون إليهم» فيا ترى من هذا الخليفة الذي يخافون سطوته هل هو الخليفة في الرياض أو في الشام أو غيره لم تتعرض الرواية لذلك، وإن جاء في خبر آخر أنه الخليفة في الشام، أعني السفيناني.

نرجع إلى الهاشميين وردود الفعل التي تبدو منهم بعد مسير أهل مكة إليهم تذكرها الرواية وتقول: «فيناشدهم الهاشميون الله الله في دماننا ودمائكم، قد علمتم أنه قتل صاحبنا ظلماً» وتخوفهم على دماء الطرفين دليل على قوة الهاشميين وعدم رغبتهم في نشوب القتال بين أهل مكة وبين الهاشميين لأنه لا يحقق شيئاً من الأهداف الرئيسية، ولكن اللجاجة المعروفة عند أكثر أهل مكة وكرههم لبني هاشم يجعلهم يصرّون على القتال، فتقول الرواية: «فلا يرجعون عنهم حتى يقاتلوهم، فيهزموهم ويستولون على مكة» فلا يستطيع أهل مكة بتعنتهم أن يكسبوا رضا الخليفة ولا حتى احتفظوا ببلدهم.

ويقول بعدها: «ويبلغ صاحب المدينة أمرهم فيقولون: والله لئن تركناهم لنلقين من الخليفة بلاءاً، فيبعث إليهم صاحب المدينة جيشاً فيهزمونهم، فإذا بعث الخليفة إليهم بعثاً فهم الذي يباد بهم»^(١).

فقد ذكرت هذه الرواية ما يصنع حاكم المدينة، وذكرت بعث الخليفة الذي اتضح أنه السفيناني بعثاً إلى المدينة ويباد بهم بالخسف بالبيداء على الظاهر.

وهناك رواية أخرى تذكر ماذا يصنع حاكم المدينة وحاكم الشام وكيف يباد بهم يرويه ابن حماد أيضاً عن ابن عباس جاء فيها: «بيعت صاحب المدينة إلى الهاشميين بمكة جيشاً فيهمزومونهم، فيسمع بذلك الخليفة بالشام فيقطع إليهم بعضاً فيهم ستمائة عريف، فإذا أتوا البيداء فنزلوها في ليلة مقمرة أقبل راع ينظر إليهم ويتعجب ويقول: يا ويح أهل مكة، ما أصابهم فينصرف إلى غنمه ثم يرجع فلا يرى أحداً، فإذا هم قد خسف بهم»^(١).

فقد رفعت هذه الرواية الكثير من الملابس والغموض الذي كان في الرواية الأولى، حيث بينت أن الخليفة الذي يخافون سطوته هو السفيناني في الشام، وحددت إبادة الجيش بالخسف.

فلا يبقى سوى شيء واحد، وهو تعيين ذلك الخليفة الهاشمي الذي يكون بالمدينة، وكذا الهاشميين من أصحابه، فالظاهر هو الإمام المهدي عليه السلام عبر عنه بالخليفة لأنه الخليفة الحقيقي - وإن لم يكن له سلطة فعلية، وتكون السلطة الفعلية لرجل يبعث جيشاً لقتال الهاشميين في مكة - لما تقدم عند الكلام عن شعيب بن صالح والسفيناني من العلامات، من أن جيش الشام إنما يبعث إلى المدينة لأجل تواجد الإمام وشعيب فيها فيخرجان منها إلى مكة قبل وصوله إليها، ثم يخرج الجيش في تعقيبهما وهم الذين يخسف بهم.

ولعل المراد بأصحابه هم الثلاثمائة وبضعة عشر الذين يجتمعون إليه من البلدان المختلفة والتسمية بالهاشميين للتغليب، كما يغلب الظن أن ذلك، المقتول في مكة هو النفس الزكية.

والذي يستشتم من هذين الخبرين هو تشتت الأمور في الجزيرة العربية ويكون لكل بلد منه حاكم مستقل من دون توفر حكومة مركزية تحكم البلاد، أو تكون حكومة ضعيفة يفلت من يدها زمام الأمور.

ويؤيد جميع ذلك ما رواه عبد الرزاق عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من المدينة فيأتي مكة، فيستخرجه الناس من بيته وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام، فيبعث إليه جيش من الشام، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم...»^(١).

(١) المصنف ١١ : ٣٧١ ح ٢٠٧٦٩، وانظر كتاب الفتن لابن حماد: ٩٩، ومصنف

ابن أبي شيبة ١٥ : ٤٥ ح ١٩٠٧٠، ومسند أحمد ٦ : ٣١٦.

أحداث الشام

الصوت من ناحية دمشق :

تتحدث الأنبياء عن مجيء صوت من ناحية دمشق، لا تترك أن تسرده في جملة العلامات على ظهور القائم عليه السلام كالرواية التي يقول فيها الإمام الباقر عليه السلام لجابر: «يا جابر الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك وما أراك تدركها: اختلاف بني فلان، ومناجٍ ينادي من السماء، ويحيثكم الصوت من ناحية دمشق...»^(١).

والخبر معتبر على ما يبدو أو يتشبث بالاعتبار، غير أنه لا يدل على أكثر من مجيء الصوت من ناحية دمشق من دون التعرض لمنشأ الصوت ومفاده وعلله وأسبابه ولا حدوده ومنبعه ولا الغاية منه والهدف، فلا بد من أن نلتمس ذلك من أدلة أخرى.

فهناك روايات تدل على أن فيه بشارة ويكون كالمفاجئة، كالرواية التي يرويها النعماني بسند معتبر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قل: «توقعوا الصوت يأتيكم بغتة من قبل دمشق، فيه لكم فرج عظيم»^(٢).

فقد أضافت عنصرين إلى الرواية السابقة، أهمهما البشارة بالفرج، وقد يكون في نفس الصوت فرج للشيعة الإمامية وبشارة، بعد تعيين موضع

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٧٩ ح ٦٧، الإرشاد للشيخ المفيد: ٢: ٣٧٢، الغيبة

للشيخ الطوسي: ٤٤١ ح ٤٣٤.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧٩ ح ٦٦.

الصوت وتحديد به بأنه من مدينة دمشق، مع الإشارة إلى أن هذه البشارة ستكون مفاجئة في زمان لا يحتملها أحد، أو حتى في زمان اليأس والقنوط من حصول الفرج، وهو العنصر الثاني.

وهناك نقل آخر لرواية جابر المتقدمة يحدد تلك البشارة وبينها بالجملة، حيث جاء فيه: «ويحيثكم الصوت من ناحية دمشق بالفتح»^(١).

دلت على أن ذلك الفرج هو من نوع الفتح والغلبة العسكرية، وهل هو فتح مدينة أو فتح دولة، أو هو مجرد بشارة بالفتح وإخبار بما سيحقق في المستقبل، مما يدل على أن الصوت من نوع الكلام والبشارة بالفتح، وإلا فالصوت المحض لا يكون فتحاً ولا هو بشارة بالفتح.

والذي يدل على أنه من نوع البشارة بالفتح المستقبلي وأنه من جنس الكلام ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن عمار بن ياسر أنه قال في حديث: «وبتخالف الترك والروم، وتكثر الحروب في الأرض، وينتهي من سور دمشق: ويل لأهل الأرض من شرٍ قد اقترب»^(٢).

ولعل هذا النداء يرتبط بالاختلاف الذي يكون بين الترك والروم، والحروب التي تدور فيما بينهم، يبشر صاحب الصوت الناس بهلاك الظالمين أو تخليهم عن بيت المقدس فيفتحهم المؤمنون أو شيء من هذا القبيل، ولعله أكثر من مسألة بيت المقدس وفلسطين، وإنما هو هلاك الظالمين.

والمهم أن هذه الرواية تحدد مكان الصوت ومحل نداء المناهي، وهو سور دمشق، ولما لا يكون لدمشق سور، فلا بد من إرادة أطراف دمشق وحواليها. ولا مانع من أن يكون سماع ذلك النداء وذلك الصوت وحتى رؤية

(١) الغيبة: ٤٤٢ ح ٤٣٤.

(٢) الغيبة: ٤٦٣ ح ٤٧٩.

ذلك المتكلم المبشر والناقل للخبر عبر أجهزة الراديو والتلفزة وما شاكلها مما سيكتشفه العلم الحديث، ولا يلزم أن يكون بنحو المعجزة، إنما هو غريب ومعجزة لأهل زمان صدور الخبر ونقله وتدوينه في الكتب، ولا غرابة ولا إعجاز في مثل ذلك اليوم.

نعم يكون معجزة إذ لم يكن المنادي وصاحب الصوت من البشر، وكان من الملائكة مثلاً، وهناك رواية تكل على أنه صوت جبرائيل عليه السلام، فهو المنادي على سور دمشق^(١)، ومعه لا حاجة للوسائل الحديثة.

اختلاف أهل الشام :

هذا ما أكدت عليه الروايات وذكرت بعض جوانبه وأحواله، وهو علامة على الفرج وظهور القائم عليه السلام، روى ذلك النعماني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ فقال: «انتظروا الفرج من ثلاث» فقليل: يا أمير المؤمنين وما هن؟ فقال: «اختلاف أهل الشام بينهم، والرايات السود من خراسان، والفرعة في شهر رمضان...»^(٢).

حيث جعلت اختلاف أهل الشام إحدى الأمور التي ينتظر عندها الفرج، مما يشعر بقرب شروع هذا الاختلاف أو نهايته من ظهور القائم عليه السلام.

وليس هذا الاختلاف هو اختلاف سياسي ولفظي وإنما هو اختلاف فيه قتل وظلم وتعدٍ لما روي عن أبي جعفر عليه السلام أيضاً: «إذا سمعتم باختلاف الشام فيما بينهم، فاهرب من الشام، فإن القتل بها والفتنة قلت: إلى أي البلاد؟ فقال: «إلى مكة، فإنها خير بلاد يهرب الناس إليها»^(٣).

(١) عقد الدرر: ٩٠.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٥١ ح ٨، والآية ٣٧ من سورة مريم.

(٣) البحار ٥٢: ٢٧١ ح ١٦٤.

وإنما تنصح بالهروب من الشام إما لشدة الفتنة والقتل أو لطولها واستمرارها بحيث لا يعود العيش في الشام مصلحة.

ويذكر على طول مدة ذلك الاختلاف وتلك الفتنة رواية جابر المعتبرة عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «يا جابر لا يظهر القائم حتى يشمل الناس بالشام فتنة يطلبون المخرج منها فلا يجدونه»^(١).

فهذه حكاية عن طول المدة وتمحي الفتنة حتى تصل إلى طريق مسدود لا مخلص منه ولا مخرج بحيث يكون أفضل سبيل للمؤمن هو الهرب من الشام عند شروعها. كما أكدت هذه الرواية على قرب ذلك من زمان القائم عليه السلام.

ثم إن الاستفادة من الرواية أن الاختلاف والفتنة يكون بين أهل الشام أنفسهم دون أن تكون مواجهة عدو خارجي، مما يحثنا على معرفة الأطراف المتنازعة فيها، وزمان ذلك الاختلاف وعلاماته.

قد نستفيد بعض تلك المهمات من رواية جابر المعتبرة عن أبي جعفر عليه السلام قال فيها: «فتلك السنة يا جابر فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض تخرب أرض الشام، ثم يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفيناني...»^(٢) وقد تقدم الكلام في الرايات الثلاث وفي كيفية الصراع القائم فيما بينهم.

وهناك رواية أخرى تقرّب إلى واقعنا أكثر مما عداها يرويها المجلسي بسنده عن سدير قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا سدير الزم بيتك، وكن حلساً من أحلامه وأسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغ أن السفيناني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك» قلت: جعلت فداك هل قبل ذلك شيء؟ قل: «نعم» وأشار بيده بثلاث أصابعه إلى الشام وقل: «ثلاث رايات: راية

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٥ ح ١٦.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٨٠.

حسنية، وراية أموية، وراية قيسية، فبينا هم على ذلك، إذ قد خرج السفيناني، فيحصدهم حصد الزرع ما رأيت مثله قطه^(١).

والنبي يقرب ذلك إلى الذهن أكثر من غيره هو وجود اسم عبد الله بين أصحاب الرايات حسب ما جاء في رواية ابن حماد عن كعب قل: يكون ناحية الفسرات في ناحية الشام أو بعدها بقليل مجتمع عظيم، فيقتلون على الأموال، فيقتل من كل سبعة تسعة، وذلك بعد الهدة والواحية في شهر رمضان، وبعد افتراق ثلاث رايات يطلب كل واحد منهم الملك بنفسه، فيهم رجل اسمه عبد الله^(٢).

فإذا جمعنا عبد الله مع الحسيني في الرواية السابقة، يكون أحد ملوك الشام هو عبد الله الحسيني السلالة.

وأما مدة هذا الاختلاف فهناك ما يدل على أنها سنة، أعني رواية عقد الدرر، جاء فيها: فتختلف ثلاث رايات، راية بالمغرب، وبل لمصر وما يحل بها منهم، وراية بالجزيرة، وراية بالشام تدوم الفتنة بينهم سنة، ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام^(٣).

هنا على فرض تطابق الفتنة المذكورة في الخبر مع الاختلاف المبحوث عنه، وفي هذه الرواية دلالة على سر الأخبار الدالة على خروج السفيناني على بني العباس، حيث دلت على أن الحاكم بعد تلك الرايات إنما يكون من بني العباس ويلي بعنه السفيناني.

كما أن هناك رواية تذكر عدد القتلى يروها العاملي عن حذيفة قل: تبني مدينة مما يلي المشرق، يكون فيها وقعة لم يسمع أهل ذلك الزمان بمثلها،

(١) البحار ٥٢ : ٢٧٠.

(٢) عقد الدرر: ٥٨.

(٣) عقد الدرر: ٩٠.

ثم تنجلي هي والواقعة التي قبلها في أهل الشام عن أربعمئة قتيل، ثم يخرج المهدي^(١).

حيث أحصت عدد القتلى الذين يقتلون في العراق والشام بأربعمئة من دون تحديد عدد القتلى في كل قطر.

وتؤكد ضراوة تلك الصراعات رواية ابن حماد عن ابن مسعود قل: كل فتنة سوى حتى تكون بالشام، فإذا كانت بالشام فهي الصيلم وهي المظلمة^(٢)، والشوي تعني الهينة.

وفي رواية أخرى عن أبي العالية، قل: أيها الناس لا تعدوا الفتن شيئاً حتى تأتي من قبل الشام وهي العمياء^(٣)، لكنها تكلمت عن فتنة مقبلة من الشام وليست في نفس الشام.

ولما ذكرنا تمامي تلك الفتنة وعدم تنهيتها، صرنا نطلب العلامة على نهايتها وانجلائها من رواية النعماني عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا اختلف الرحمان بالشام لم تنجل إلا عن آية من آيات الله» قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قل: «رجفة تكون بالشام يهلك فيها أكثر من مائة ألف..»^(٤).

ولكن الاختلاف والنزاع لا يكون بمستوى واحد، بل يشتد ويضعف، فمصرة يستعر حتى يكون كلهب النار، ومرة يضعف حتى يخمد، جاء ذلك في الخبر الذي لم أكن أرغب في نقله في هذا الموضع انتظر به الحديث عن فلسطين، جاء فيه: «تكون فتنة بالشام، كأن أولها لعب الصبيان تطفو من

(١) الصراط المستقيم ٢: ٢٥٧.

(٢) كتاب الفتن: ١٣٦.

(٣) كتاب الفتن: ١٣٧.

(٤) كتاب الغيبة: ٣٠٥.

الأحداث التي تسبق ظهور القائم عليه السلام / أحداث الشام ٥٠٥

جانب، وتسكن من جانب، فلا تتناهى حتى ينادي منادٍ أن الأمير فلان^(١).

وأظرف ما هو منقول عن هذا الاختلاف وهذه الفتنة هو كونها منعطفاً تسقط عنده كل الستائر، ويظهر الحال بعد فترة طويلة من التدليس والاستعمار المبطن؛ لأننا نعرف أن الاستعمار والسياسة العالمية كانت سياسة معلنة تتمثل بغزو القوى العظمى لبلدان العالم المختلفة للتسلط على مقدراتها ونهب خيراتها، ثم تحولت إلى سياسية مبطنة بحكومة الجماعات التي تدعي الوطنية والحل أنها مسيرة من قبل تلك القوى لا تعدو أن تكون مجرد أيدي منفذة.

ولكن إذا وقعت الفتنة بالشام علقت السياسة المعلنة والغزو الواضح من جديد، أو ينكشف زيف الحكام وخداعهم وتسترهم بالوطنية من خلال فتنة الشام قد نستلهم ذلك مما رواه ابن حماد عن كعب قال: لا تزال الفتنة مؤامراً بها ما لم تبدو من الشام^(٢).

والأهم أن هذا الاختلاف وطوله وتماديه واختلاف ثلاث رايات وقربه من ظهور القائم عليه السلام مما جاءت به الروايات المعتبرة، فلا يمكن إنكار شيء منه، عدا سائر التفاصيل التي لا يمكن البت فيها؛ لضعف أسناد رواياتها، ولكن كثرتها قد تعطينا انطباعاً عن شدة ذلك الاختلاف وضراوته.

(١) المصنف لعبد الرزاق ١١ : ٣٦١ ح ٢٠٧٤٦ .

(٢) كتاب الفتنة: ١٣٧ .

القتال مع بني الأصفر (الروم) :

روى ابن حماد بسنده عن عوف بن مالك الأشجعي قال، قال رسول الله ﷺ:
 «أعدد يا عوف ستاً بين يدي الساعة: أولهن موتي» فاستبكت حتى جعل
 رسول الله ﷺ يسكتني ثم قل: «قل إحدى، والثانية: فتح بيت المقدس، قل
 اثنتين، والثالثة: موتان يكون في أمتي كقصاص الغنم، قل ثلاثاً، والرابعة فتنة
 تكون في أمتي - قال: وعظماً - قل أربعاً، والخامسة: يفيض المال فيكم حتى
 يعطى الرجل المائة الدينار فيتسخطها، قل خمساً، والسادسة: هدنة تكون
 بينكم وبين بني الأصفر، ثم يسرون إليكم فيقاتلونكم، والمسلمون يومئذٍ في
 أرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها دمشق»^(١).

فهي دلت في المرحلة الأولى عن الهدنة التي تكون بين المسلمين وبين بني
 الأصفر بمعنى ترك الحرب إلى مدة من أجل وضع شروط الصلح، أو يكون هو
 نفس المصالحة والسكون من دون منازعة، لم يخصصها بطائفة خاصة من
 المسلمين ولا ببلد خاص وإن كانت الهدنة في الغالب في خطوط التماس.

والطرف الآخر هم بنو الأصفر، وهم الروم يقال لهم ذلك لأن أباهم
 الأول كان أصفر اللون ويقال: هو روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم^(٢)،
 وهم اليوم أكثر سكان غربي العالم، لأنه لم يكن حينها سوى الفرس في الشرق
 والروم في الغرب.

وقد بدأت الهدنة مع بني الأصفر بعد ما تحررت الدول الإسلامية بحسب
 الظاهر من حكم المستعمرين ولم تحدث بعدها حرب بل حل محلها الصلح
 الظاهر، وكثر المسلمون في بلاد الروم والوافدون من تلك البلاد إلى البلاد
 الإسلامية، وقد يتزايد الوفاق والاشترك في تحقيق بعض المنافع المشتركة حتى

(١) كتاب الفتن: ٧.

(٢) انظر البحار ١٠: ١٣٦، مجمع البحرين ٢: ٦١٦.

أنهم سيفوزون ويقاثلون معاً كما جاء في بعض الأخبار.

وتتكلم هذه الرواية عما بعد الهدنة وما سيحدث عند حصول الاختلاف من جديد، عندما يجتمع المسلمون في الشام من دون التعرض لسبب اجتماعهم، وقد تكرر ذلك في الأخبار والمباحث السابقة.

والمهم عودة الاشتباكات بالشام كما كانت عليه في السابق قد نستطيع التعبير عنها بتجدد الحروب الصليبية أو شيء من هذا القبيل.

عما يبدو أن المعارك هذه المرة أضرى من السابق، والآليات والعُدَد المستعملة فيها أكثر من السابق بكثير، حتى أنه جاء في خبر آخر يفصل تلك الحرب:

«فيأتون صاحب رومية فيخبرونه بذلك، فيوجه ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً في البحر، ويقول لهم صاحبهم: إذا رسيتم بسواحل الشام فاحرقوا المراكب، لتقاتلوا عن أنفسكم، فيفعلون ذلك ويأخذون أرض الشام كلها برها وبحرها ما خلا مدينة دمشق والمعتق، ويخربون بيت المقدس» قال، وقال ابن مسعود: وكم تسع دمشق من المسلمين؟ قال، فقال النبي ﷺ «والذي نفسي بيده لتسعن على من يأتيها من المسلمين كما يتسع الرحم على الولد».

قل، قلت: وما المعتق يا نبي الله؟ قل: «جبل بأرض الشام من حصص على نهر يقال له الأرنت، فيكون ذراري المسلمين في أعلى المعتق، والمسلمون على نهر الأرنت، والمشركون خلف نهر الأرنت، يقاثلونهم صباحاً ومساءً، فإذا أبصر ذلك صاحب القسطنطينية وجه في البر إلى قسرين ستمائة ألف حتى تميثهم مادة اليمن سبعين ألفاً، ألف الله قلوبهم بالإيمان، معهم أربعون ألفاً من حمير، حتى يأتوا بيت المقدس...»^(١).

فهذا الخبر وإن تضمن ما لا يتصور في معارك اليوم والمستقبل من حرق المراكب كما فعل طارق بن زياد، مع وجود الجسور الجوية وما شاكلها، لكنه ذكر بعض التفاصيل والتوضيحات الكاشفة عن ضراوة تلك المعارك.

ويؤكد تحقق هذه المعارك الرواية الثالثة التي يرويها الطيالسي عن جابر عن ابن مسعود أنه قال:

عدو للمسلمين يجمع لهم وأومى بيده، قال قلت لأبي: الشام يعني؟ قال: نعم قال: ويكون القتال عند ذلك ردة شديدة، قال: ويستحرق المسلمون بعضهم بعضاً، فيلتقون ويقتلون قتلاً شديداً^(١).

الرايات السود بالشام:

تشير الأخبار إلى تواجد الرايات السود في الشام تواجداً يتحسس ثقله أهل الشام لدواعي سياسية أو غيرها.

ونحن ندرس منشأ هذه الرايات التي يجيء التعبير عنها بالشرقية، وهل هي رايات بني العباس بعد تجدد ملكهم وحكومتهم على العراق والشام، أو هي الرايات الخراسانية المهديّة، ثم ندرس سبب تراجعها وخروجها، بعد تسليط الضوء على تحركاتهم وأعمالهم في الشام.

روى في عقد الدر عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «تختلف ثلاث رايات، راية بالمغرب، وويل لمصر وما يحل بها منهم، وراية بالجزيرة، وراية بالشام، تدوم الفتنة بينهم سنة، ثم يخرج رجل من ولد العباس بالشام، حتى تكون منهم مسيرة ليلتين فيقول أهل المغرب: قد جاءكم قوم حفلة أصحاب أهواء مختلفة».

إلى هنا نتحدث هذه الرواية عن خروج رجل من ولد العباس

(١) مسند أبي داود الطيالسي: ٥١ ح ٣٩٢.

بالشام، مما يعني خروجاً مجدداً من دون أن يكون سببه فتح بلاد الشام من قبل دولة عباسية مركزية تحكم في العراق أو غيره، وإنما هو الوصول إلى كرسي الحكم بأي وسيلة ممكنة.

كما دلت الرواية على ضعف هذه الدولة مقابل جيوش المغرب القادمة إلى الشام حيث يعبر عنهم أهل المغرب بأنهم حفلة عراة كناية عن الفقر المادي، وأصحاب أهواء مختلفة حكاية عن التشتت الفكري.

ثم تستعرض هذه الرواية الطويلة العريضة حركة السفيناني من أوها إلى آخرها إلى أن تقول: «ثم يخرج إلى الغوطة، فما يبرح حتى يجتمع الناس إليه، وتتلاحق به أهل الضغائن، فيكون في خمسين ألفاً، ثم يبعث إلى كلب فيأتيه منهم مثل السيل ويكون في ذلك الوقت رجال البربر يقاتلون رجال الملك من ولد العباس، فيفاجئهم السفيناني في عصائب أهل الشام، فتختلف الثلاث رايات: رجال ولد العباس هم الترك والعجم، وراياتهم سوداء، وراية البربر صفراء، وراية السفيناني حمراء، فيقتلون بطن الأردن قتلاً شديداً^(١).

وأهم ما يلفت انتباهي من هذا الخبر هو تمييز الرايات السود التي في الشام ونسبتها إلى بني العباس، مما يخرجنا عن بعض الارتباك السابق عند الكلام عن الخراساني وشعيب بن صالح ودلالة بعض الأخبار على تواجد الرايات السود وأهل المشرق في الشام، وكذا اشتباكها الخاسر مع الرايات الصفراء مرة ومع السفيناني مرة أخرى..

فليست هذه الرايات السود هي الرايات الثانية التي تذكرها الرواية التي يرويها ابن حنبل بسنده عن سعيد بن أنسب قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرج من المشرق رايات سود لبني العباس ثم تمكث ما شاء الله، ثم تخرج رايات سود صفراء على رجل من ولد أبي سفينان وأصحابه من قبل

المشرق»^(١)، إذ لعل هذه الثانية هي الرايات الخراسانية المهديّة.

ومن المسلم الواضح أن تلك الرايات ليست هي الرايات التي تذكرها الرواية التي يرويها ابن حماد بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي هؤلاء سيلقون بعدي بلاءً وتطريداً وتشريداً حتى يأتي قوم من ههنا من نحو المشرق أصحاب رايات سود يسألون الحق فلا يعطونه مرتين أو ثلاثاً، فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلوها حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها عدلاً كما ملؤها ظلماً، فمن أدرك ذلك فليأتهم ولو حبواً على الثلج، فإنه المهدي»^(٢).

والذي يورث الوهم مثل الرواية التي يرويها ابن حماد بسنده عن ربيعة بن سيف تبع قال: تخرج الرايات السود من خراسان مع قوم ضعفاء يجتمعون يؤيدهم الله بنصره ثم يخرج أهل المغرب على أثر ذلك.

فهي توهم أن الرايات السود التي تشتبك مع رايات المغرب في الشام هي الرايات السود المؤيدة بالنصر.

أو مثل الروايات التي يجيء فيها مثل قول النبي صلى الله عليه وآله: «تخرج من خراسان رايات سود لا يردها شيء حتى تنصب بإيليه، يعني بيت المقدس»^(٣)، مما يوهم تواجد الرايات السود الممدوحة في الشام.

والتعبير بالإيهام لأجل أنا لو تأملنا في الخبرين لوجدنا أن النصر لا يعني المدح لأن النصر يكون للمؤمن وغيره، يؤيد الله بنصره من يشاء ولذا ورد: لا تزال الرايات السود التي تخرج من خراسان في أسنتها النصر حتى

(١) كتاب الفتن: ١١٦.

(٢) كتاب الفتن: ١٨٨.

(٣) كتاب الفتن: ١٢٢.

يختلفوا فيما بينهم، فإذا اختلفوا فيما بينهم رفعت ثلاث رايات بالشام^(١).

ومعلوم أن الاختلاف إنما يكون في رايات بني العباس السود.

ومهما يكن من ذلك، فقد روى ابن حماد عن الزهري قل: إذا اختلفت الرايات السود فيما بينهم أتاهم الرايات الصفرة فيجتمعون في قنطرة أهل مصر، فيقتتل أهل المشرق وأهل المغرب سبعمائة ثم تكون الدبيرة على أهل المشرق حتى ينزلوا الرملة^(٢).

فقد دلت على أن الانكسار في صفوف الرايات السود ينشأ من الاختلاف بالإضافة إلى الفقر وقلة العدد.

وفي رواية أخرى عنه قال: يلتقي أصحاب الرايات السود وأصحاب الرايات الصفرة عند القنطرة حتى يأتوا فلسطين، فيخرج على أهل المشرق السفيناني...

مما يدل على أن الرملة تكون في فلسطين.

والموهم في هذين الحديثين هو التعبير بأهل المشرق عن الرايات السود، لأنه يحدث تصوراً بأن الرايات السود التي في الشام إنما قدمت من المشرق من خراسان أو العراق، ولكن التأمل يوصلنا إلى أن المراد في هذه الرواية الشام؛ لأنه مشرق المغرب الذي تأتي منه الرايات الصفرة.

نعم هناك رواية تدل على تواجد قوات من المشرق من غير أهل الشام يروونها ابن حماد عن أرطاة قل: يجيء البربر حتى ينزلوا بين فلسطين والأردن، فتسير إليهم جموع المشرق والشام حتى ينزلوا الجابية، فهي تدل على أن المراد من جموع المشرق غير جموع الشام.

(١) كتاب الفتن: ١٢٤.

(٢) كتاب الفتن: ١٦٠.

ويستمر هذا الحديث ليذكر في آخره مراحل انكسار أهل المشرق فيقول: ويكون بين أهل المغرب وأهل المشرق بقنطرة الفسطاط سبعة أيام فيلتقون بالعريش تكون الدبرة على أهل المشرق حتى يبلغوا الأردن ثم يخرج عليهم السفيناني بعد...

وفيهما بعد ذكر معارك السفيناني مع أهل المغرب يقول: ثم يعطف إلى جموع المشرق والشام فيلقاهم فيدال عليهم ما بين الجابية والخربة حتى تخوض الخيل في الدماء، ويقتل أهل الشام رئيسهم وينحازون إلى الصخري فيدخل دمشق فيمثل بها، وتخرج رايات من المشرق مسودة فتنزّل الكوفة فيتواري رئيسهم فيها فلا يدري موضعه فيتحير ذلك الجيش، ثم يخرج رجل كان مختفياً في بطن الوادي فيلي أمر ذلك الجيش، وأصل مخرجه غضب مما صنع الصخري بأهل بيته، فيسير بجنود المشرق نحو الشام، ويبلغ الصخري مسيره إليه فيتوجه بجنود أهل المغرب إليه فيلتقون بجبل الحصى، فيهلك بينهما عالم كثير، ويولي المشرقي منصوراً، ويتبعه الصخري فيدركه بقرقيسياء^(١) ثم يذكر معركة قرقيسياء.

وأوضح من ذلك في الدلالة على تواجد قوات مشرقية في الشام ما يرويه ابن حماد عن عبد الله بن عمر قل: إذا أقبلت الرايات السود من المشرق والرايات الصفراء من المغرب حتى يلتقوا في سرة الشام يعني دمشق فهناك البلاء فهناك البلاء^(٢).

بل ما رواه عن محمد بن الحنفية عن أهل المغرب قل: ثم يخرج عند ذلك السفيناني فيقتلهم حتى يدخلهم مصر، ثم يرجع فيقاتل أهل المشرق حتى يردّهم إلى العراق^(٣)، وكلمة الرد تعني أنهم إنما جاؤا من العراق، مع احتمال

(١) كتاب الفتن: ٧٣.

(٢) كتاب الفتن: ١١٦.

(٣) كتاب الفتن: ٧١.

مجيئهم من خراسان والرد يكون إلى العراق.

والذي يهون الخطب بعد تعقيد هذه الوقائع هو ضعف جميع الروايات من جهة السند فلا يثبت بها تواجد الرايات السود في الشام ولا تلك المعارك إلا أن تعاضدها روايات أخرى معتبرة.

الرايات الصفراء بالشام:

نحن بانتظار حركة تبدأ من المغرب لها رأس متبوع وأعوان وأنصار وفي نفس الوقت هي مدعومة من قبل القوى العظمى، وقد يكون لها شعاراتها البراقة وأهداف معلنة وغير معلنة، تشكل جيوشاً قوية بعُد حديثه ومعدات حربية ضخمة حتى يأتوا مصر فالويل لمصر وما يحل بها منهم، ويكون دخولهم مصر هو علامة حركة أهل المغرب القريبة من ظهور القائم عليه السلام وعلامة ظهور السفيناني كما مر.

ولعل أكبر دور تلعبه هذه الحركة المغربية في الشام هي مواجهة الرايات السود وإن كان هناك أخبار تتحدث عن دخولهم حتى بغداد بعد نزولهم إلى الجزيرة.

ولقد كان لهذه الحركة التي يجيء التعبير عنها في الأخبار بالرايات الصفراء مرة وبالبربر أخرى وبأهل المغرب ثالثة الصدى الكبير والذكر الممتد حتى ما قبل الإسلام بحيث كان الروم الذين كانوا يحرصون يتخوفون عليها البربر ويقولون: ويلك يا ثمرة من بربر^(١)، ولما سأل بعض الملوك سطیح عما يحدث على مر العصور، فذكر الكوكب المذنب وما يحدث عند ظهوره من قلة الأمطار وغيرها قال: ثم تقبل البربر بالرايات الصفراء على البراذين السبر حتى ينزلوا مصر، فيخرج رجل من ولد صخر، فيبدل

(١) كتاب الفتن: ٧٣.

الرايات السود بالحرر فيبيح الحرمات^(١) ...

وظني أن الملاحظ لجميع الأخبار الواردة في ذلك يجد من الدقة في هذا الكلام أعلى مرتبة، بحيث يجمع فيه الكثير من الوقائع والتغيرات خلال كلمات وجمل محدودة سنشير إليها بنحو من التفصيل مشفوعة بأدلتها.

أما عناوين هذه الحركة، فأشهر عنوان لها هو الرايات الصفر، ثم أهل المغرب، ثم عنوان البربر.

روى ابن حماد عن كعب قال تكون ثلاث فتن كأمسكم الذاهب: فتنة تكون بالشام، ثم الشرقية هلاك الملوك، ثم تتبعها الغربية، وذكر الرايات الصفر قال: والغربية هي العمياء^(٢).

وروي أيضاً عن كعب قال: ثلاث فتن تكون بالشام: فتنة إهراقه الدماء، وفتنة قطع الأرحام ونهب الأموال، ثم يليها فتنة المغرب وهي العمياء^(٣).

وقد تقدم في رواية يرويها ابن حماد: إذا أقبلت الرايات السود من المشرق والصفر من المغرب حتى يلتقوا في سرّة الشام يعني دمشق فهناك البلاء^(٤).

ذكرت هذه الأحاديث الرايات الصفر من المغرب والفتنة الغربية وأما عنوان البربر فقد رواه ابن حماد عن كعب أنه قال في حديث: يخرج البربر إلى سرّة الشام فهو علامة خروج المهدي^(٥).

(١) البحار ٥١: ١٦٢.

(٢) كتاب الفتن: ٣٠.

(٣) كتاب الفتن: ١٠.

(٤) كتاب الفتن: ١٦١.

(٥) كتاب الفتن: ١٩٠.

والتفاصيل الواردة في حديث الرايات الصفر كثيرة جداً نشير إليها باختصار لضعف جميع رواياتها.

فمن تلك التفاصيل اسم رئيسهم الذي يتراوح في الأخبار بين عبد الله بن عبد الرحمن وبين عبد الرحمن.

روى ابن حماد عن أبي قبيل أنه قال في حديث عن اختلاف الرايات بالشام: فإذا قرئ بمصر من عبد الله أمير المؤمنين لم يلبث أن يقرأ عليهم كتاب آخر من عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين وهو صاحب المغرب وهو شر من ملك وهم يخربون مصر والشام^(١).

وفي رواية أخرى يرونها ابن حماد عن حذيفة أنه قال لأهل مصر: إذا جاءكم عبد الله بن عبد الرحمن من المغرب اقتتلتم أنتم وهم عند القنطرة، فيكون بينكم سبعون ألفاً من القتلى، وليخرجنكم من أرض مصر وأرض الشام كفرةً وكفرةً ولتباعن المرأة العربية على درج دمشق بخمسة وعشرين درهماً، ثم يدخلون أرض حمص فيقيمون ثمانية عشر شهراً يقتسمون فيها الأموال، ويقتلون فيها الذكر والأنثى، ثم يخرج عليهم رجل شر من أظلمت السماء فيقتلهم فيهزمهم حتى يدخلهم أرض مصر. وفي رواية أخرى يملك ستة عشر شهراً^(٢).

حيث جاء في الرواية الأولى أن اسم رئيس المغاربة الغازين هو عبد الرحمن والثانية عبد الله بن عبد الرحمن والأول أصح، لأن عبد الله هو الحاكم على الشام الذي يقرأ له كتاب في مصر، والحاكم المغربي إنما هو عبد الرحمن، فحصل التصحيف بإضافة كلمة «ابن».

وقد أشارت هاتان الروايتان إلى ما يصنعه المغاربة بمصر والشام من

(١) كتاب الفتن: ١١٩.

(٢) كتاب الفتن: ١٥٨.

الفضائح والقتل والسلب والدمار.

ولما كان المستفاد من الأخبار أن الشام ترزخ عندها لحكم العباسيين والرايات السود مع وجود النقمة الشعبية من ذلك الحكم وحصول الاختلاف بين أصحاب الرايات السود أنفسهم وظهور ثلاث رايات تتصارع على الملك، يكون قدوم أهل المغرب بذريعة استنقاذ أهل الشام من سيطرة الرايات السود وبحجة تخليصهم من ظلمهم.

يستفاد ذلك مما رواه ابن حماد عن الزهري قال: إذا اختلفت الرايات السود فيما بينهم أتاهم الرايات الصفر فيجتمعون في قنطرة أهل مصر، فيقتتل أهل المشرق وأهل المغرب سبعاً ثم تكون الدبرة على أهل المشرق حتى ينزلوا الرملة، فيقع بين أهل الشام وأهل المغرب شيء، فيغضب أهل المغرب فيقولون: إنا جئنا لننصركم ثم يفعلون ما يفعلون، والله ليخلين بينكم وبين أهل المشرق فينهبونكم لقله أهل الشام يومئذ في أعينهم، ثم يخرج السفيناني ويتبعه أهل الشام فيقاتل أهل المشرق^(١).

والنتيجة أن الأحداث التي تكون في مصر والشام والاضطراب الحاصل من جراء الأوضاع السياسية يجعل القوى العظمى تفكر في الاستفادة من ذلك الجو الحاكم للسيطرة على تلك البلدان وإخماد نائرة الاضطرابات التي تكون فيها، وذلك بتحريك من يدعو إلى استنقاذ الوضع الراهن وإنقاذ أهل مصر والشام من الحكم الذين لم يعد بقاءهم نائماً راساً، فيدفعون بذلك المغربي ليخرج كمنقذ، على أن يوجد تغييراً مفاجئاً.

يستفاد ذلك من الرواية التي يرويها ابن حماد عن الوليد في حديث عن الخارج من المدينة الطاهرة إلى أن يقول: ثم يأتيه الخبر أن ملكاً بالمغرب قد ثار، فيبعث إليه جنوداً ينهزم عنهم، حتى ينزل بمن معه الشام، فينادي مناد

من السماء: الويل لبلد حمص العين السنجة^(١)، فيحتمل كل ذات بعل بعلمها، وكل ذات ابن ابنها^(٢)...

وهكذا فإن الروايات تؤكد على حمص وحصول البطشة فيها، لموافقتهم للرايات السود حتى ورد أن أسعد أهل الشام بخروج الرايات السود أهل حمص^(٣)، فتكون النقمة من الرايات الصفرة عليهم بخلاف أهل دمشق حيث ورد أن أسلم أهل الشام وأسعد أجنادها بالرايات الصفرة أهل دمشق، وأشقى أهل الشام وأجنادها أهل حمص، وأنهم ليغمرن الشام كما يغمر الماء القرية^(٤).

وعلى أهل حمص في تلك الأيام أن لا يخرجوا من بيوتهم لما ورد أنه يكون بحمص صيحة، فليلبث أحدكم في بيته فلا يخرج ثلاث ساعات^(٥).

ولكن البطشة الأولى ستشمل جميع الشام وإن كان التركيز في المرحلة الثانية على حمص، روى ابن حماد عن تبيع قل: إذا دخلت الرايات الصفرة مصر فغلبوا عليها وقعدوا على منبرها فليحفر أهل الشام أسراباً في الأرض، فإنه البلاء.

والذي يدهشنا هو الأمر بحفر الأسراب التي تكون ضرورية في معارك اليوم والمستقبل للوقاية من القصف الأرضي والجوي، خصوصاً وأن الروايات تصف أهل المغرب بأنهم أهل برازين صفر، جاء ذلك في الخبر الذي يرويه النعماني بسنده عن أبي جعفر، أنه قال قال أمير المؤمنين عليه السلام وذكر الرجفة التي تكون بالشام قال: «فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب

(١) جاء في تاج العروس ٢: ٦١: السنجة هي الرقطة ولا يعلم المراد به هنا.

(٢) كتاب الفتن: ١٧٩.

(٣) كتاب الفتن: ١٢١.

(٤) كتاب الفتن: ١٦٠.

(٥) كتاب الفتن: ٢٥٦.

البراذين الشهب المحذوفة والرايات الصفرة تقبل من المغرب حتى تحمل بالشام، وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر...^(١) مما يؤيد وجود النقمة الشعبية التي ذكرناها آنفاً.

على أن البراذين الصفرة أو البراذين السبر كما جاء في حديث سطیح، وسواء كانت جميعها صفراً، أو سبر بمعنى أنها لا تُعلم سعتها أو هي نوع من الجوارح، لا تخلو أن تكون كناية عن الآليات العسكرية الحديثة التي تكون في ذلك الزمان، وإن كان البرذون يعني البغل.

وهناك تحذير أنه جاء في الرواية التي يرويها ابن حماد عن حسان قل: يقل إذا بلغت الرايات الصفرة مصر فاهرب في الأرض جهداً هرباً، فإذا بلغك أنهم نزلوا الشام وهي السرة فإن استطعت أن تلمس سلماً في السماء أو نفقاً في الأرض فافعل^(٢) وما سلم السماء إلا الطائرات.

ولابد من أن نرعي انتبه القارئ أن الرايات الصفرة لم تذكر في شيء من أحاديثنا سوى الرواية المائة التي يرويها النعماني بسنده عن المغيرة بن سعيد الكذاب الوضاع والرواية التي يرويها الشيخ بسنده عن عمار بن ياسر جاء فيها: ويخرج أهل المغرب إلى مصر، فإذا دخلوا فتلك إمارة السفيناني^(٣)، وهي ضعيفة السند مرسلة، فلا يثبت شيء من تلك التفاصيل ولا حتى أصل الرايات الصفرة، ولكن لما شرعنا البحث، فساختمنا بعاقبة عبد الرحمن المغربي الغازي.

وذلك أن جميع القوى المتواجدة في الشام ستتحده على ذلك المغربي، أعني الرايات السود والرايات الثلاث المتصارعة على الملك، لما جاء في

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٥.

(٢) كتاب الفتن: ١٦٠.

(٣) الغيبة: ٤٦٣.

تتمة رواية ابن حماد عن أبي قبيل المارة: فإذا كثف أمرهم بالشام اجتمعت الرايات السود وأصحاب الرايات الثلاث، وينقطع أمر البربر، ثم يقاتلون أصحاب الرايات السود حتى ينقطع أمرهم^(١).

ولكن السابق في ذلك القتال مع أهل المغرب هو السفيناني من بين الرايات الثلاث لما تقدم في أكثر من خبر أنه يقتلهم ويهزمهم حتى يدخلهم أرض مصر.

وهناك رواية تجعل السبب في تراجعهم وانكسارهم هو موت أميرهم يروها ابن حماد عن أرطاة قل:

«يجيء البربر حتى ينزلوا بين فلسطين والأردن، فتسير إليهم جموع المشرق والشام حتى ينزلوا الجابية، ويخرج رجل من ولد صخر في ضعف، فيلقى جيوش المغرب على ثنية بيسان فيردعهم عنها، ثم يلقاتهم من الغد فيردعهم عنها، فينحازون وراءها ثم يلقاتهم في اليوم الثالث فيردعهم إلى عين الريح، فيأتيهم موت رئيسهم، فيفترقون ثلاث فرق، فرقة تترد على أعقابها، وفرقة تلحق بالحجاز، وفرقة تلحق بالصخري، فيسير إلى بقية جموعهم حتى يأتي ثنية فيق، فيلتقون عليها فيدال عليهم الصخري، ثم يعطف إلى جموع المشرق والشام»^(٢).

ويظهر من هذا الخبر الذاكر لالتحاق فرقة منهم بالحجاز، ومن الأخبار الدالة على أن اسم رئيسهم هو عبد الرحمن أو عبد الله أن أهل المغرب من المسلمين، من دون إمكان تحديد مركزهم ومنشأ حركتهم هل هو داخل الوطن العربي أو خارجه لأن البربر هم قوم من أفريقيا، ويطلق هذا الاسم على الزنج والحبش أيضاً أو المتوحش والهمجي.

(١) كتاب الفتى: ١١٩.

(٢) كتاب الفتى: ٧٣.

حرب مصر والشام:

روى ابن حماد بسنده عن كعب قال: إذا ملك رجل الشام، وآخر مصر، فاقتتل الشامي والمصري، وسبا أهل الشام قبائل من مصر، وأقبل رجل من المشرق برايات سود صغار قبل صاحب الشام، فهو الذي يؤدي الطاعة إلى المهدي^(١).

تلك هي حرب السفيناني مع المصريين التي تقدم الكلام عنها في بحث السفيناني، ولعلها هي حربه مع الرايات الصفرة.

رجفة بالشام:

فقد تقدم في رواية أمير المؤمنين عليه السلام أن نهاية الاختلاف في الشام هو حدوث رجفة، لأن فيها: «إذا اختلف الرحمان بالشام لم تنجل إلا عن آية من آيات الله قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون بالشام يهلك فيها أكثر من مائة ألف، يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين».

ومن الصعب جداً التعرف على طبيعة تلك الرجفة وهل هي زلزلة وكرثة طبيعية، أو هي انفجار هائل من فعل الأسلحة الحديثة.

وكيف تكون رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين، وهل هناك مائة ألف كافر في الشام يجمعهم مكان واحد تقع فيه الرجفة والزلزلة سوى أرض فلسطين التي يجتمع فيها اليهود. أم سيدخل الكفار الشام بعد هذا ويجمعون في مكان تصيبهم الرجفة فيموت ذلك العدد منهم.

هذا وقد روى الشيخ الطوسي تلك الرواية بسند آخر عن معاوية بن سعيد عن أبي جعفر عليه السلام فهو أقل ضعفاً من النقل السابق الذي

الأحداث التي تسبق ظهور القائم عليه السلام / أحداث الشام ٥٢١
يرويه النعماني بسنده عن المغيرة بن سعيد المعروف بالكذب والدس في
أحاديث المسلمين.

نعم هناك بعض المؤيدات لحصول تلك الرجفة مثل رواية ابن حماد
جاء فيها: «يدخل أوائل أهل المغرب مسجد دمشق، فبينما هم ينظرون في
أعاجيبه، إذا رجفت الأرض فانقعر غربي مسجدتها، ويخسف بقرية يقال
لها حرستا...»^(١)، ولم تذكر هلاك مائة ألف ولا كونها رحمة للمؤمنين
وعذاباً على الكافرين.

ومهما يكن من ذلك فلا يمكن إثبات تحقق شيء من تلك الوقائع
بهذه الأخبار الضعيفة، وإن كنا نرغب في تحقق ما هو رحمة للمؤمنين.

خسف الجابية:

جاء ذلك في الرواية التي تشبث بالاعتبار، أعني رواية جابر عن أبي
جعفر عليه السلام قل: «يا جابر ألزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات -
إلى أن قال - وتخسف قرية من قرى الشام تسمى الجابية، وتسقط طائفة من
مسجد دمشق الأيمن...»^(٢).

خسف حرستا

قرية كبيرة عامرة في وسط بساتين دمشق على طريق حمص بينها وبين
دمشق أكثر من فرسخ، روى النعماني بسنده عن المغيرة بن سعيد عن أبي
جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «قال عن أمير المؤمنين عليه السلام إذا اختلف الرمحان
بالشام لم تنجل إلا عن آية من آيات الله» قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟

(١) كتاب الفتن: ٧١.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٧٩ ح ٦٧، الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٢ ح ٤٣٤.

قال: «رجفة تكون بالشام يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين، فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب المذوفة والرايت الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام، وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر، فإذا كان ذلك فانظروا خسف قرية من دمشق يقال لها حرستا، فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد...».

وروى الشيخ الطوسي بسنده عن معاوية بن سعيد الرواية بعينها^(١)، والمغيرة راوي الرواية الأولى كذاب وضاع ضعيف جداً، والرواية الثانية تتطابق مع الأولى في أكثر السند وتختلف في الراوي الأول حيث جعلته معاوية بن سعيد بدل المغيرة بن سعيد، فيحتمل فيه الاشتباه في النقل، مع ضعف معاوية لو لم يكن هناك اشتباه في النقل.

على أن في بعض نسخ الكتابين خرشنة بدل حرستا، وخرشنة بلد قريب ملطية من بلاد الروم، والأقرب هو حرستا؛ لأنه قال: «قرية من دمشق».

ومهما يكن من ذلك فالروايتان تدلان على أن الخسف إنما يكون بعد دخول أهل المغرب الشام وتصرّح بذلك رواية ابن حماد عن محمد بن الحنفية قال: يدخل أوائل أهل المغرب مسجد دمشق فبينما هم ينظرون في أعاجيبه إذ رجفت الأرض فانقعر غربي مسجدها، ويخسف بقرية يقال لها حرستا، ثم يخرج عند ذلك السفيناني^(٢).

وقد دلت على ثلاثة أحداث: رجفة بالشام، وانقعار مسجد دمشق، وخسف قرية حرستا عند دخول أهل المغرب.

وفي كنز العمال عن علي عليه السلام قال: «إذا اختلف أصحاب الرايات

(١) كتاب الغيبة: ٣٠٥ ح ١٦، وانظر الغيبة للطوسي: ٤٦١ ح ٤٧٦.

(٢) كتاب الفتن: ٧١.

الأحداث التي تسبق ظهور القائم عليه السلام / أحداث الشام ٥٢٣

السود فيما بينهم كان خسف قرية بإرم يقال لها حرستا وخروج الرايات الثلاث بالشام عندها^(١).

فهي تلك على أسبقية اختلاف الرايات السود، ولبه الخسف وخروج الرايات الثلاث ولكن الروايات جميعها ضعيفة السند لا يثبت منها شيء من ذلك، فليقر أهل قرية حرستا عيناً، ويعيشوا عيشة رغداً.

انتقال الأخيار إلى الشام:

روى ابن حماد بسنده عن أبي أمامة قل: «لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام، وشرار أهل الشام إلى العراق» وقال النبي ﷺ: «عليكم بالشام»^(٢)، فقد علمنا الماضي أن البطشة حينما تقع في العراق يهرب خيار أهل العراق إلى الشام كما حدث عند حكومة صدام وقسوته على الشيعة في العراق، كما أن شرار أهل الشام حينما يفكرون في التحرك والانتقام يدخلون العراق للقيام بعمليات تفجيرية يروح ضحيتها الأبرياء وغافلو المارة في الطرقات، وحينما بعثوا مثل عفلق وأعوانه لتدمير العراق وأهله ومحو الدين من صفحات اعتقاد المسلمين لتستمر هذه العملية إلى قيام القائم عليه السلام.

خراب الشام

سيقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة، وسيقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة، تتحدث رواية جابر المعتبرة عن هذا الحدث وقد تقدم الكلام فيه، ثم تعقبه بالقول: «فتلك السنة يا جابر فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض تخرب أرض الشام، ثم يختلفون

(١) كنز العمال ١١: ٢٨٣ ح ٣١٥٣١.

(٢) كتاب الفتن: ٢٨٣.

على ثلاث رايات...»^(١).

مما يبدو أن الخراب لا يقتصر على الشام، ولكن الشام هي أول البلدان خراباً وينشأ ذلك الخراب بسبب الاختلاف والحروب التي يكون المحرك لها المغرب، سواء كان مغرب الأرض أو مغرب الدولة الإسلامية والرايات الصفر، أو حتى مغرب الشام، والأول أظهر.

ويؤكد تسيب المعارك في خراب الشام الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام يذكر فيها خراب كل بلد حتى يبلغ الشام فيقول: «تخرّب... بعض الشام بسنابك الخيل والقتل»^(٢) ومعلوم أن المراد بسنابك الخيل ليس الخيل المعروفة وإنما هي الآليات التي استعويض بها عن الخيل في الحروب في هذا الزمان، ما سيتجدد في المستقبل.

ويدل على أن خراب الشام هو علامة على شروع الفتن والخراب في سائر البلدان ما رواه ابن حماد عن كعب قال: لا يزال للناس مدة حتى يقرع الرأس، فإذا قرع الرأس يعني الشام هلك الناس، قيل لكعب: وما قرع الرأس؟ قال: الشام يخرّب^(٣).

كنز الفرات:

يتحدثون عن وجود كنز تحت الفرات ويرويه بعض المذاهب عن النبي صلى الله عليه وآله، وأن ماء الفرات ينضب في يوم من الأيام فيحسر الماء عنه، ويظهر ذلك الكنز، فتقبل إليه الناس من الأطراف، فيقول أهله والذين عنده: لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبون به ولا يبقى منه شيء

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٧٩ ح ٦٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٠.

(٣) كتاب الفتن: ١٣٨.

فيقتتلون مع القادمين من الأطراف حتى يقتل من كل مائة تسعون أو قال من كل مائة تسعة وتسعون لا ينجو إلا واحد والحال أن كل واحد منهم يرى أنه سينجو، أو يرجو أن يكون ذلك الناجي.

واختلفت الروايات في ماهية ذلك الكنز، فمنها يقول إنه تل من ذهب والأكثر يبالغ ويقول هو جبل من ذهب، بينما يتحدث بعض تلك الأخبار عن جبل من ذهب وفضة.

وهي لا تترك أن توصي المخاطب ممن يدرك ذلك الزمان بأن لا يكون ممن يقاتل عليه، ومخدر كل من حضره من أن يأخذ منه شيئاً، لأنه لا يأخذ أحد منه شيئاً إلا قتل.

وحدد بعض الأخبار خروجه عند مجيء الفتنة الرابعة، فقد روي عن أبي هريرة: أن الفتنة الرابعة عمياء مظلمة تمور مور البحر لا يبقى بيت من العرب والعجم إلا ملأته ذلاً وخوفاً، تطيف بالشام وتغشى بالعراق وتخط الجزيرة بيدها ورجلها تعرك الأمة فيها عرك الأديم، ويشند فيها البلاء حتى ينكر فيها المعروف، ويعرف فيها المنكر لا يستطيع أحد أن يقول مه، ولا يرقعونها من ناحية إلا تفتقت من ناحية، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، لا ينجو منها إلا من دعا كدعاء الغرق في البحر تدوم اثنا عشر عاماً، تنجلي وقد انحسرت الفرات عن جبل من ذهب فيقتتلون عليها حتى يقتل من كل تسعة سبعة^(١).

هذا عن زمانه، وأما مكانه، فالروايات تحده عند حدود الشام والعراق؛ لأنه جاء فيما يرويه ابن حماد عن كعب: يكون ناحية الفرات في ناحية الشام أو بعدها بقليل مجتمع عظيم، فيقتتلون على الأموال، فيقتل من كل تسعة سبعة، وذاك بعد الهدة والواحية في شهر رمضان، وبعد

(١) كتاب الفتنة: ١٣٩.

افتراق ثلاث رايات يطلب كل واحد منهم الملك لنفسه فيهم رجل اسمه عبد الله^(١).

فقد دل هذا الخبر على مكانه وزمانه أيضاً، إذ جعله بعد الهلة والصيحة التي تكون في شهر رمضان، ولعله في شوال الذي يكون فيه قتال القبائل.

كما دل على أن القتال يدور بين ثلاث رايات، ومن الطبيعي أنه يدور بين ثلاث رؤوس يتنازعون عليه أو على الملك بصروة كلية أو عليها معاً كما جاء في رواية كعب، والمهم أنهم ثلاثة، لذا روى الشافعي وقال: يقتتل عند كنزكم ثلاثة ثم يجيء خليفة الله المهدي^(٢) بينما هناك رواية تقول هم أبناء الخلفاء يرووها ابن ملجة جاء فيها: يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم^(٣).

ذكرت رواية ابن حماد عن كعب أن فيهم رجل اسمه عبد الله، فإذا أضيفت إليها رواية ابن حماد الأخرى التي فيها: «فيتبع عبد الله عبد الله فتلتقي جنودهما بقرقيسيا على النهر فيكون قتال عظيم»^(٤) أمكن استشعار أن معركة قرقيسيا هي معركة الكنز وإن كان مجرد استشعار.

ولكن لم يثبت عندي من تلك الروايات على كثرتها شيء مما ذكرنا؛ لأنها فاقدة للاعتبار، موهونة، وهي التي جاءت بمن جاء إلى المنطقة من الغزاة.

(١) كتاب الفتن: ٩٢.

(٢) بيان الشافعي: ٤٨٩.

(٣) سنن ابن ملجة ٢: ١٣٦٧ ح ٤٠٨٤.

(٤) كتاب الفتن: ٨٢.

تحرير فلسطين:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾. والفساد في الأرض هو قتلهم الناس ظلماً، وتغلبهم على أموالهم قهراً، وإخراب ديارهم بغياً، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾^(١).

فقد دلت هذه الآيات على جميع ما فعله اليهود إلى حد الآن من الفساد والقتل والظلم والتغلب على الأموال وإخراب الديار والمنازل بحيث لا يحتاج إلى بيان.

وجاء قوله تعالى ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ قرينة على أن تلك الأعمال هي في أطراف المسجد الأقصى والبقاع التي تحيط به.

وأضافت إلى جميع ذلك أن الذين يسلطون عليهم ويسؤوا وجوههم ليسوا من العرب، بل هم عباد الله ومطيعون، وهو قوم يعبتهم الله سبحانه وتعالى قبل خروج القائم عليه السلام كما جاء في الخبر الذي يرويه الكليني وغيره^(٢).

وينبغي أن يكون الكلام في قضية فلسطين عن ملة إفساد بني إسرائيل وعبثهم في المرحلة الأولى، وعن نهايتهم كيف ومتى تتحقق وعلى يد من تتحرر فلسطين في المرحلة الثانية.

(١) الأسراء: ٤ - ٥، ٧.

(٢) الكافي ٨: ٢٠٦ ح ٢٥٠، تفسير العياشي ٢: ٢٨١.

أما مدة الإفساد والقتل فقد دلت الأخبار على طولها وتماديها، فقد جاء في الرواية المعتبرة عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «يا جابر لا يظهر القائم حتى يشمل الشام فتنة يطلبون المخرج منها فلا يجدونه»^(١).

فإذا كانت هذه الرواية تتكلم عن كل الشام بقرينة كلمة «يشمل» فهناك رواية أخرى فاقدة للتعميم يرويها النعماني عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا اختلف الرحمان بالشام لم تنجل إلا عن آية من آيات الله، قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون بالشام يهلك فيها أكثر من مائة ألف، يجعلها الله رحمة للمؤمنين، وعذاباً على الكافرين»^(٢).

وأما نهاية الفتنة فإن كل القرائن والشواهد تحكي عن دخول رجل من بني هاشم يخرج من المشرق، فقد روى ابن حماد بسنده عن كعب قال: ينزل رجل من بني هاشم ببيت المقدس حرسه اثنا عشر ألفاً، وعلى كل طريق لبيت المقدس اثنا عشر ألفاً^(٣).

وليس ذلك النازل هو الإمام المهدي عليه السلام لأن ابن حماد روى عن محمد بن الحنفية قال: ينزل خليفة من بني هاشم بيت المقدس يملاً الأرض عدلاً يبني بيت المقدس بناء لم يبن مثله، ويملك أربعين سنة تكون هدنة الروم على يديه في سبع سنين بقين من خلافته، ثم يغدرون به، ثم يجتمعون له بالعمق فيموت فيها غماً، ثم يلي بعده رجل من بني هاشم ثم تكون هزيمتهم وفتح القسطنطينية على يديه، ثم يسير إلى رومية فيفتحها ويستخرج كنوزها ومائدة سليمان بن داود عليه السلام، ثم يرجع إلى بيت المقدس

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٧٩ ح ٦٥.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ٣٠٥ ح ١٦.

(٣) كتاب الفتن: ١٠٦.

فينزلها، ويخرج الدجال في زمانه، وينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه^(١).

ومن هذا الحديث يعلم أن الخليفة الأول الذي ينزل بيت المقدس ليس هو الإمام المهدي عليه السلام لأن الأول يموت غمماً ويأتي الرجل الثاني من بني هاشم، وهو الإمام المهدي عليه السلام بقرينة قوله يصلى عيسى بن مريم عليه السلام خلفه.

فمن هو ذلك الهاشمي الذي ينزل بيت المقدس؟ ومن أي بلد يكون؟

الجواب هو من إيران، لما رواه ابن حماد عن عن محمد بن الحنفية قال: تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب من تميم، يهزمون أصحاب السفيناني حتى تنزل بيت المقدس^(٢).

ولكن هذه الرواية تكل على نزوله بيت المقدس بعد انهزام السفيناني، وهذا إنما يكون بعد ظهور الإمام عليه السلام، وبهذا تكون أخبار العامة متضاربة متخالفة.

ويزيد ذلك التضارب خبر آخر يرويه ابن حماد عن علي عليه السلام قال في حديث: «ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس - إلى أن يقول - ويخرج قبله رجل من أهل بيته بأهل المشرق، يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل ويمثل ويتوجه إلى بيت المقدس، فلا يبلغه حتى يموت»^(٣).

ومهما تضاربت هذه الأخبار فهي متفقة في أن الداخل لبيت المقدس هو الخارج من الشرق من بني هاشم.

والمهم في هذه الرواية أنها لا تكل على فتنة عامة تشمل جميع الشام

(١) كتاب الفتن: ١١٠.

(٢) كتاب الفتن: ٨٤.

(٣) كتاب الفتن: ٩٦.

بل دلت على وقوع اختلافٍ وقتل في الشام، ويمكن أن يكون في أي منطقة من مناطقه، ولكن قوله عليه السلام «عذاباً على الكافرين» قرينة على إرادة منطقة يجتمع فيها الكافرون بأعداد كبيرة بحيث يهلك منهم مائة ألف في رجفة واحدة، فيترجح أن تكون تلك المنطقة هي فلسطين.

ولكن الرواية ليس فيها أكثر من إشعار بطول المدة، لأنه عليه السلام قال: «لا تنجلي إلا عن آية» ونفي الإنجلاء يدل على طول المدة، وكذا تحقق الآية لا يكون سريعاً عادة.

فيذا كان في هذه الرواية كلام، فهناك رواية تنسجم مع الواقع الموجود يرويها عبد الرزاق عن ابن المسيب قال: تكون فتنة بالشام كأن أولها لعب الصبيان تطفو من جانب وتسكن من جانب فلا تنتهي حتى ينادي مناد إن الأمير فلان^(١).

ولكن مع كل ذلك الاستدلال فلا يعلم أن المراد من هذه الفتنة أو ذاك الاختلاف هو الذي حدث في فلسطين؛ إذ لعل المراد به هو اختلاف الرايات الثلاث أو الرايات السود.

ولكن أصل الفتنة كما هو واضح واقعة وحاصلة نسمع أخبارها كل يوم ولا تحتاج إلى دليل، والذي محتاج إلى دليله هو انتهاء تلك الفتنة.

والمسلم أن دولة الصهانية ستزول في يوم من الأيام كما هو مستفاد من الآيات المارة، ومن الروايات الكثيرة الدالة على دخول الإمام المهدي عليه السلام بيت المقدس وقتاله السفيناني في تلك الأرض.

ولكن لا يعلم أن زوال تلك الدولة المشؤومة هل هو قبل ظهوره عليه السلام أو بعده؟

فالمستفاد من مجموع الأخبار هو تحقق ذلك قبل ظهور القائم عليه السلام

الأحداث التي تسبق ظهور القائم عليه السلام / أحداث الشام ٥٣١

للروايات الدالة على تواجد السفيناني في فلسطين قبل خروجه وبعد خروجه ويكون قتله فيها وقد تقدمت في الكلام عن السفيناني وغيره.

وكذا الروايات الدالة على تواجد الرايت السود في فلسطين، والروايات الدالة على دخول الرايات الصفر فيها؛ وغير ذلك.

ويبقى الكلام في سبب زوال تلك الدولة والفتاح لبيت المقدس، ومن هؤلاء القوم من غير العرب الذين يبعثهم الله على اليهود ويسئ وجوههم والأفضل أن نعود إلى الآية وتفسيرها، فقد دلت على دخول قوم ليسوا من العرب، بينما تعينه الرواية التي يرويها القمي قال روى بعض أصحابنا قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً إذ قرأ هذه الآية: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ فقلنا: جعلنا فداك من هؤلاء؟ فقال: ثلاث مرّات: «هم والله أهل قم»^(١).

ولكن هذه الرواية وغيرها من الروايات التي يستفاد منها أن المحررين هم الإيرانيون ضعيفة السند، ضعيفة الدلالة فلا نستفيد منها أكثر من الأمل.

وهذا هو الأمل الوحيد الذي يجب أن يتأمله الفلسطينيون، ولا يتأملوا مثل صدام الذي خان شعبه ووطنه ولا واحد من العرب المتخاذلين إن كانوا يريدون النصر.

وعندها يتحقق ما رواه عبد الرزاق عن رسول الله عليه السلام: «يقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقته»^(٢)

(١) البحار ٧٥: ٢١٦ ح ٤٠.

(٢) المصنف ١١: ٣٩٩ ح ٢٠٨٣٧.

أحداث إيران

الانعطافات التاريخية التي شهدتها هذا الصقع من البلاد الإسلامية قد سمح للأخبار التي تناولت أحداث هذا البلد أن تبلغ مبالغها من دون أن يحيل التعصب المذهبي والمخاوف الداعية للكتمان والتحريف من وصول تلك الأخبار وانتشارها.

بيد أن إيران كانت سنية المذهب ومتعصبة لذلك، بل كان جمع الجامع الحديثية السنية المهمة والمعتبرة بيد أهلها من الفرس كصحيح مسلم وجوامع الطبراني وسنن البيهقي، وكتاب الفتن وحتى مثل صحيح البخاري لأن بخارا كانت ضمن بلاد فارس آنذاك ثم اقتطعها الروس من إيران.

فلا يجد أولئك المحدثين أي حرج في نقل أخبار الخارج من خراسان أو شعيب بن صالح والرايات السود الثانية التي تبلغ الشام وبيت المقدس.

ولما حدث ذلك الانعطاف التاريخي وتشيعت إيران أدى إلى حرص المحدثين الشيعة على نقل الأخبار المتضمنة لأحداث إيران كخروج الخراساني وشعيب بن صالح والرايات السود وغيرها التي تقدم ويأتي الكلام عنها، بالإضافة إلى جمع الجامع الحديثية الشيعية قبل ذلك الانعطاف بيد الفرس مثل الكتب الأربعة، التي كتبها الشيخ الكليني والشيخ الصدوق والشيخ الطوسي، مما ساهم في حفظ تلك الأخبار ووصولها.

فلا نمانع من دعوى الانتشار والشمولية في أخبار إيران مع نوع من التوافق والتصادق بعيداً عن تأثيرات التعصب المذهبية والقومية.

وقد جعل هذا التوافق أرباب المذهب السني أمام نوع من الإحراج

٥٣٤ العدة التنزلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

والتعسف في ميدان التعامل مع الأخبار المصححة للحركة الخراسانية والرايات السود التي تأمر الأخبار السنية بإتيانها ولو حبواً على الثلج.

والظريف أن أبناء إيران جاءت بأحداث تتأرجح بين خروج مثل الدجال وبين خروج شعيب بن صالح وزيراً للمهدي عليه السلام، وبين الزنديق الخارج بقزوين وبين الخارج من قم يدعو إلى الحق وهكذا.

القتل في الري:

الري مدينة في وسط إيران لصيقة بالعاصمة طهران حتى يكاد أن تكونا مدينة واحدة والمظنون أن الحديث عن الري والقتل والدماء والفتن التي تكون فيها إنما يراد به فتن العاصمة طهران، التي لم يكن لها وقتذاك عين ولا أثر في قوي الظن، ويظهر ذلك بأدنى تأمل في مجموع الأخبار.

روى الكليني بسنده عن معاوية بن وهب قال تمثل أبو عبد الله عليه السلام ببيت شعر لابن أبي عقب:

وينحر بالزوراء منهم لدى الضحى ثمانون ألفاً مثل ما تنحر البدن

وروى غيره البزل بدل البدن، ثم قال لي: «تعرف الزوراء؟» قال، قلت: جعلت فداك يقولون: إنها بغداد، قال: «لا» ثم قال عليه السلام: «دخلت الري؟» قلت: نعم، قال: «أتيت سوق الدواب؟» قلت: نعم، قال: «رأيت الجبل الأسود عن يمين الطريق؟ تلك الزوراء يقتل فيها ثمانون ألفاً، منهم ثمانون رجلاً من ولد فلان كلهم يصلح للخلافة» قلت: ومن يقتلهم جعلت فداك؟ قال: «يقتلهم أولاد العجم»^(١).

ومعلوم أن الكلام ليس عن الري وإنما هو عن مدينة تقع إلى جانب

(١) الكافي ٨: ١٧٧ ح ١٩٨، والبزل تعني الإبل إذا انشق لحمها عن الناب.

الري سماها الزوراء التي تعني التزوير والخداع والانحراف.

غير أن الرواية لم تذكر زمان ذلك الحدث ولا تبين المقتول والقاتل، ومن هم الثمانون رجل الذي عبر عنهم بـ «ولد فلان» هل هم ولد العباس كما عرفنا إرادتهم في الغالب وعدم التصريح ببني العباس لدواعي الخوف والتقية، وقد يكونون أولاد غير العباس من حكام طهران والري يقتلهم ولد العجم، وهو يعني الشباب والفتيان، وإلا لقال العجم.

والذي يؤيد إرادة طهران من الزوراء المتكلم عنها، الرواية التي يرويها المجلسي في منتخب التواريخ عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قل: «يا مفضل أتدري أينما وقعت الزوراء؟» قل، قلت: الله وحجته أعلم فقل: «أعلم يا مفضل أن في حوالي الري جبلاً أسود بيتي في ذيله بلدة تسمى بالطهران وهي دار الزوراء التي تكون قصورها كقصور الجنة ونسوانها كحور العين، وأعلم يا مفضل أنهن يتلبسن بلباس الكفار، ويتزين بزى الجابرة، ويركبن السروج، ولا يتمكن لأزواجهن، ولا تفسي مكاسب الأزواج لهن، فيطلبن الطلاق منهم، ويكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وتشبه الرجل بالنساء، والنساء بالرجال، فإنك إن ترد أن تحفظ دينك فلا تسكن في هذه البلدة، ولا تتخذها مسكناً، لأنها محل الفتنة، وفرّ منها إلى قلة جبل، ومن الحجر إلى الحجر كالثعلب بأشباهه»^(١).

ولما كانت العجمة واضحة في هذا الخبر، فهو يشبه أن يكون عبارة عن مضامين مجموعة من الأخبار مع نوع من الاستظهار والإضافة.

وهناك رواية تبالغ في عدد القتلى وتبين المراد من بني فلان في الخبر المار يرويها في الفتوح عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيها: «وأما الري فهي مدينة افتتنت بأهلها، وبها الفتنة الصماء مقيمة، ولا يكون خرابها إلا

(١) حكاة المجلسي النمازي في مستدرک سفينة البحار ٤ : ٢٧٠.

على يد الديلم في آخر الزمان، وليقتلن بالري على باب الجبل في آخر الزمان خلق كثير لا يحصيهم إلا من خلقهم.

وليصين على باب الجبل ثمانية من كبراء بني هاشم كل يدعي الخلافة، وليحصرن بالري رجل عظيم اسمه على اسم نبي، فيبقى في الحصار أربعين يوماً ثم يؤخذ بعد ذلك فيقتل^(١).

والمهم أنها ذكرت أن ذلك يحدث في آخر الزمان، وأن بني فلان هم بنو هاشم، أي من السادة والذرية على ما يبدو، لعدم تواجد بني العباس فيها إلا أن يحدث تغيير غير مترقب.

ومهما يكن من ذلك فإن طهران بطبيعتها مهددة بعد ابتعاد أهلها عن الدين، شيئاً فشيئاً، وصارت تتشكل فيها الأحزاب السياسية، على أثر اختلاف المناحي الفكرية وحتى الاعتقادية فيها، ولكن تبقى الفتنة فيها صماء كما جاء في صدر الخبر حتى يملك رجل اسمه اسم النبي عندها تحدث الفتن والاضطرابات والقتل المنعوت في الأخبار.

ولكن النبي يهون الخطب هو ضعف الروايات من حيث السند حتى رواية الكافي، لوقوع محمد بن سنان وسهل بن زياد في طريقها، وإن قلنا إن الأمر فيهما سهل، فإن راويها معاوية بن وهب لم يوثق.

هروب أهل الري:

روى الحسن بن محمد القمي في كتاب تاريخ قم بسنده عن عبد الله بن سنان سئل أبو عبد الله عليه السلام: أين بلاد الجبل؟ فأنا قد روينا أنه إذا رد إليكم الأمر يخسف بعضها فقال: «إن فيها موضعاً يقال له بحر، ويسمى بقم، وهو معدن شيعتنا، فأما الري فويل له من جناحيه، وإن الأمن فيه من

(١) حكاة الكوراني في معجم أحاديث المهدي ٣: ٨٢ - ٨٣ عن الفتح.

جهة قم وأهله قيل: ما جناحله؟ قال عليه السلام: «أحدهما بغداد، والآخر خراسان، فإنه تلتقي فيه سيوف الخراسانيين وسيوف البغداديين فيعجل الله عقوبتهم ويهلكهم، فيأوي أهل الري إلى قم فيؤوهم أهله ثم ينتقلون منه إلى موضع يقال له أردستان»^(١) فهي تتحدث عن سبب آخر لهلاك أهل الري وقتلهم وتضيف إليه الهروب منها بل حتى التحول عنها إلى أردستان الذي يستشعر منه تغيير موضع العاصمة.

ويبقى الكلام في فصل خراسان عن الري في التصميمات والأعمال ولعله حكاية عن تقسيم إيران.

والرواية معتبرة على ما يبدو.

وقعة صيلمانية:

جاء في الخبر الذي يرويه ابن مهزيار عن صاحب الأمر عندما دار الكلام عن بني العباس وقسوتهم فأخبره عليه السلام بنهايتهم وعلاماتها، حتى قال: «ويخرج السروسي من أرمنية وأذربيجان يريد وراء الري الجبل الأسود المتلاحم بالجبل الأحمر لزيق جبال الطالقان، ويظهر القتل بينهما، فعندها توقعوا وقعة صيلمانية يشيب فيها الصغير، ويهرم منها الكبير، ويظهر القتل بينهما، فعندها توقعوا خروجه إلى الزوراء، فلا يلبث بها حتى يوافي باهات، ثم يوافي واسط العراق فيقيم بها سنة أو دونها، ثم يخرج إلى كوفان فيكون بينهم وقعة من النجف إلى الحيرة إلى الغري وقعة شديدة تذهل منها العقول، فعندها يكون بوار الفئتين، وعلى الله حصاد الباقيين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * أُنَاهَا أَمْرُنَا لَيْلَا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِرِ﴾ فقلت: سيدي يا

(١) البحار ٥٧: ٢١٢ ح ٢٠.

ابن رسول الله ما الأمر؟ قال: «نحن»^(١).

فالسروسي يريد وراء الري، وما بعدها المنطقة القريبة من الجبل، أو المحصورة بالجبال الملتصقة بجبال الطالقان التي يغلب الظن في إرادة طهران وما والاها، بحيث لم تكن موجودة في ذلك الزمان وإلا لسمائها له.

ويقع القتال بين السروسي الخارج من أرض أرمينية وأذربايجان الذي هو الروسي بحسب الظاهر، وبين المروزي الذي هو من أهل مرو.

وهناك رواية تجمع بين القتل المذكور في العنوان السابق وبين حرب القادمين من أرمينية وأذربايجان يرويها النعماني بسنده عن كعب قال فيها: «إن القائم من ولد علي عليه السلام له غيبة كغيبته يوسف، ورجعة كرجعة عيسى ابن مريم، ثم يظهر بعد غيبته مع طلوع النجم الأحمر، وخراب الزوراء وهي الري، وخسف المزورة وهي بغداد، وخروج السفيناني، وحرب ولد العباس مع فتیان أرمينية وأذربايجان، تلك حرب يقتل فيه ألوف وألوف، كل يقبض على سيف محلى تخفق عليه رايات سود، تلك حرب يشوبها الموت الأحمر، والطاعون الأغبر»^(٢).

فقد أشارت إلى أمور نحن بحاجة إليها، أحدها: مقارنة هذه الأحداث لظهور القائم عليه السلام لأنه قال: يظهر مع طلوع النجم الأحمر... وحرب ولد العباس.

والثاني تعيين الطرف الآخر لتلك الحرب والوقعة وقد جاء التعبير عن رئيسهم بالمروزي وهم بنو العباس.

والثالث: اشتراك الرايات السود في هذه الحرب، على أن المراد منها

(١) كمال الدين: ٤٦٩، والآية ٢٤ من سورة يونس.

(٢) كتاب الغيبة: ١٤٧ ح ٤.

السود العباسية.

فيأتي الحديث السابق عن بقاء ملك بني العباس إلى قيام القائم عليه السلام أو تجده، لتكون هذه الرواية شاهداً على حكومتهم على إيران أيضاً أو لا أقل جزء منها، ويكون المروزي من بني العباس أو عاملاً لهم، بعدما ذكر في بحث اختلاف بني فلان الشواهد على حكمهم على العراق والشام والحجاز، فلو صدقت هذه الشواهد لأمكن القول: إن دخول المستعمرين في المنطقة هذه الأيام قد ينجر إلى الإطاحة بالأنظمة الحاكمة فيها والاستعاضة بحكام عباسيين كانوا قد نزحوا إلى الغرب كي يتوصلوا بمعونتهم إلى مركز الحكم في مختلف البلدان الإسلامية من جديد، وإن لم يعلن ذلك ولا هم يعرفون بهذا الاسم، ولكن روحية السلطة والحكومة موروثه في أنفسهم تدعوهم وتحفزهم إلى ذلك، وإن كان يبدو مستبعداً للغاية وفيه تكلف واضح إلى النهاية.

خراب الري :

تقول الرواية السابقة: إن القائم يظهر مقارناً لحدوث أمور منها خراب الزوراء وهي الري، ولعل سبب خرابها هو الحروب والخارجين في أطرافها، كالخارج من الديلم لما جاء في رواية الفتوح المارة من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «وأما الري فإنها مدينة افتتنت بأهلها، وبها الفتنة الصماء مقيمة، ولا يكون خرابها إلا على يد الديلم في آخر الزمان».

حرب شيعة علي :

جاء في الرواية التي يرويها عمرو بن سعد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قل: «إن لبني العباس يوماً كيوم الطموح، ولهم فيها صرخة كصرخة الجبلى، الويل لشيعة ولد العباس من الحرب التي سنح بين نهاوند والدينور، تلك

حرب صعاليك شيعة علي، يقدمهم رجل من همدان اسمه على اسم النبي صلى الله عليه وآله، منعوت موصوف باعتدال الخلق، وحسن الخلق، ونضارة اللون، له في صوته صحاح، وفي أشفاره وطف، وفي عنقه سطح، أفرق الشعر، مفلج الثنايا، على فرسه كبدر التمام إذا تجلى عند الظلام يسير بعصابة خير عصابة آوت وتقربت ودانت لله بدين، تلك الأبطال من العرب الذي يلحقون حرب الكريهة، والدبرة يومئذ للأعداء، إن للعدو يوم ذاك الصيلم والاستئصل^(١).

فإن أوصاف الشيعة التي تتحدث عنهم هذه الرواية من أنهم عصابة خير عصابة آوت وتقربت ودانت لله بدين وفي نفس الوقت هم من العرب المستعدين لخوض المعارك الصعبة التي تكون بين نهاوند الواقعة قريباً من همدان، والدينور التي هي مدينة من مدن كردستان إيران، وهكذا قائد من همدان التي يحتمل قوياً أن يراد بها همدان إيران التي تقع الحرب على مقربة منها.

كما يحتمل إرادة قبيلة همدان التي منها مالك الأشتر لوصف المحاربين بأنهم عرب، وإن كان المحتمل إرادة مشاركة العرب في تلك الحرب، والعرب هم عصابة من ذلك الجيش المختلط، كل ذلك مما لم يسمع بتحقيقه.

فمن هذا القائد الجميل الذي على فرسه كبدر التمام واسمه محمد، وما جاء بالعرب إليه ليقودهم ويقدمهم في حرب شيعة ولد العباس.

وهل المراد أمر وقع في السابق قبل زوال دولة بني العباس من الثائرين الشيعة في إيران، أو أن المراد تلك التي ستكون بعد تجدد ملك بني العباس المستفاد من الروايات؛ فإن الرواية لا تخلو من الغموض، بعد الضعف في السند.

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ١٤٧ ح ٥، والراوي هو عمرو بن سعد الأشهلي.

القائم بخراسان وجيلان :

لعبت خراسان دورها الأول في حياة الأمة الإسلامية حينما أطلحت بالدولة الأموية لتحل محلها الدولة العباسية في دورة الحكم التاريخية.

ثم لعبت دورها الثاني عند حصول الاختلاف بين الشقيقين الأمين والمأمون، لتأخذ جانب المأمون الذي كانت أمه فارسية خراسانية، فانتهت تلك الغائلة بقتل الأمين وتريع المأمون على كرسي الحكم.

ثم جاء التأكيد هذه المرة من أئمة أهل البيت عليهم السلام على دور ثالث يلعبه هذا الصقع بالخصوص بحيث أن الراوي معروف بن خربوذ يقول: ما دخلنا على أبي جعفر الباقر عليه السلام قط إلا قل: «خراسان خراسان، سجستان سجستان» كأنه يبشرنا بذلك^(١).

فابشري وبشري وانتظري يا خراسان، فإنك منظورة منتظرة نحو الظلم والظالمين، ومنذوبة لتأسيس حكومة الطيبين من أهل بيت النبيين عليهم السلام، ونصرة خاتم الوصيين عليهم السلام.

وروى النعماني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام حدث عن أشياء تكون بعده إلى قيام القائم.

فقال الحسين: يا أمير المؤمنين متى يظهر الله الأرض من الظالمين؟ فقال: «إذا قام القائم بخراسان، وغلب على أرض كوفان وملتان، وجاز جزيرة بني كاوان، وقام قائم منا بجيلان وأجابته الأبر والديلمان، وظهرت رايات الترك متفرقات في الأقطار والجنبات، وكانوا بين هنات وهنات...»^(٢).

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٧٣ ح ٥١، أحمد بن محمد بن سعيد، عن علي بن

الحسن، عن يعقوب بن يزيد، عن زياد القندي، عن ابن أذينة، عن معروف بن

خربوذ، وزياض ضعيف.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٧٤ ح ٥٥.

ولعل ذلك القائم بخراسان هو شعيب الذي تقدم الكلام عنه، وبينه وبين ظهور القائم عليه السلام اثنان وسبعون شهراً، يقاتل السفيناني ويأتيه المدد من سجستان.

وملتان هي محافظة في الباكستان مركزها مدينة ملتان التاريخية الشهيرة.

ولم يقل منا لأن القائم ليس من العلويين، بينما القائم في جيلان من العلويين، غير أنه لا دلالة على قربه من ظهور القائم عليه السلام ولعله الناصر الذي قام في جيلان وطبرستان، أو هو الحسيني الذي تقدم الكلام عنه يقاتل السفيناني، ويأتيه المدد من سجستان يقوم من نحو الديلم.

الزنديق بقزوين:

روى الشيخ الطوسي بسنده عن محمد بن بشر عن محمد بن الحنفية، قال، قلت له: قد طل هذا الأمر حتى متى؟ قل: فحرك رأسه ثم قل: أنى يكون ذلك ولم يعض الزمان؟ أنى يكون ذلك ولم يجفو الإخوان؟ أنى يكون ذلك ولم يظلم السلطان؟ أنى يكون ذلك ولم يقم الزنديق من قزوين، فيهتك ستورها، ويكفر صدورها، ويغير سورها، ويذهب ببهجتها؟ من فرّ منه أدركه، ومن حاربه قتله، ومن اعتزله افتقر، ومن تابعه كفر، حتى يقوم باكيان: بالك على دينه، وبالك على دينه^(١).

فإن أكثر هذه الأوصاف تنطبق على رضا خان شاه إيران الذي فرض السفور ومنع الحجاب، وأبى عن تسليم الرواتب الشهرية إلا بيد الزوجات المتبرجات، ولهذا يفتقر من يعتزله ويكفر من يتابعه، فأراد أن يسمح ملامح الحضارة الإسلامية ونزيل بهجتها ويبدلها بحضارة غربية.

ويمكن أن يكون المراد غيره ممن سيأتي، وليس بعد حيث أثبتت التجربة

(١) الغيبة: ٤٤١ ح ٤٣٣، البحار ٥٢: ٢١٢ ح ٦١.

الأحداث التي تسبق ظهور القائم عليه السلام / أحداث إيران ٥٤٣

التاريخية أنه كلما حكمت إيران حكومة مذهبية متشددة أعقبتها علمانية متوحشة، ولكن نأمل أن لا يكون ذلك.

وهل أن هذا الحدث قريب من ظهور القائم عليه السلام لأن الرواية تذكره كآخر حدث قبل ظهوره، أو هو حدث قبل ظهوره كان قد أخذ بنظر محمد بن الحنفية ومسامعه من بين الأحداث التي سمع عنها من أبيه وأخويه سلام الله عليهم؟

وهناك حديث آخر يتحدث عن خارج بقزوين يختلف عن هذا الزنديق يرويه الشيخ بسنده الطوسي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يخرج بقزوين رجل اسمه اسم نبي، فيسرع الناس إلى طاعته المشرك والمؤمن، يملأ الجبال خوفاً»^(١).

إذ لعل إسراع الناس إلى طاعته خوفاً من سطوته بقريظة قوله يملأ الجبال خوفاً، كما يمكن أن يستشعر إسراعهم بالاختيار ويكون الخوف المذكور آخر الرواية لأعدائه ومناوئيه.

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٤ ح ٤٣٨، الخرائج والجرائح ٣: ١١٤٨ ح ٥٧.

انتقال مركز العلم إلى القم :

أصبحت مدينة قم مأمن الشيعة وملاذ الأخيار من كل البلدان، يجتمعون فيها ويظهر فيها العلم فينتشر إلى جميع العالم حتى لا يبقى مستضعف في الدين ولا يبقى أحد لا يبلغه العلم وتم حجة الله سبحانه وتعالى على الناس فيسير القائم عليه السلام سبباً لتقمة الله سبحانه.

فقد روى الحسن بن محمد القمي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا عمت البلدان الفتن فعليكم بقم وحواليها ونواحيها؛ فإن البلاء مدفوع عنها»^(١)، وإن خصصته رواية أخرى بالمنطقة الجبلية من تلك البلاد يرويها القمي أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا عمت البلياء فالأمن في كوفة ونواحيها من السود وقم من الجبل، ونعم الموضع قم للخائف الطائف»^(٢).

وقال الشيخ الحسن بن محمد القمي المذكور: وروي بأسانيد عن الصالح عليه السلام أنه ذكر كوفة وقال: «ستخلو كوفة من المؤمنين ويأرز عنها العلم كما تأرز الحية في حجرها، ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها قم، وتصير معدناً للعلم والفضل حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتى المخدرات في الحجال، وذلك عند ظهور قائمنا، فيجعل الله قم وأهله قائمين مقام الحجة، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها، ولم يبق في الأرض حجة، فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد في المشرق والمغرب، فيتم حجة الله على الخلق حتى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين والعلم ثم يظهر القائم عليه السلام ويسير سبباً لتقمة الله وسخطه على العباد؛ لأن الله لا ينتقم من العباد إلا بعد إنكارهم حجة»^(٣).

(١) انظر البحار ٥٧ : ٢١٤ ح ٢٦ .

(٢) انظر البحار ٥٧ : ٢١٤ ح ٢٧ .

(٣) انظر البحار ٥٧ : ٢١٣ ح ٢٣ .

والمهم أن الرواية ذكرت أن انتقال مركز العلم إلى قم من الكوفة والنجف وضرورة قم معدناً للعلم والفضل عند ظهور القائم عليه السلام، أي في زمان متأخر لظهوره عليه السلام مما يجعل هذا الانتقال من العلائم انقريبية على الظهور.

وفي الحقيقة أن الانتقال يحدث بانتقال العلماء بعد أن يشمل البلاد الفتن وينعدم الأمن في العراق وخصوص الكوفة والنجف، فينتقلون إلى قم.

وكل ذلك قد شهدناه ورأينا انتقال الحوزة العلمية من النجف إلى قم وازدهار الحوزة العلمية فيها بقوة إعلامية قوية لم يشهد الشيعة لها مثيلاً، انتشرت المؤسسات منها إلى أكثر نقاط العالم.

رجل من أهل قم :

روى الحسن بن محمد القمي، عن علي بن عيسى، عن أيوب بن يحيى الجندي، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: «رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا تزلهم الرياح العواصف، ولا يملون من الحرب ولا يمينون، وعلى الله يتوكلون، والعافية للمتقين»^(١).

مما يبدو أن هذه الدعوة دعوة سياسية، وليست اعتقادية صرفة، وليس المراد بالحق هو الدين الحق والمنهج الحق، وإلا فالدعوة للدين لا يختص بها رجل واحد، بل تشمل جميع الدعاة من العلماء، ولا حاجة إلى اجتماع قوم كزبر الحديد، ولا إلى الحرب والقتل.

فلا بد أن تكون هذه الدعوة المشار إليها في الخبر دعوة سياسية للمطالبة بحقوق سياسية يجتمع لها جماعة تعتقد بها اعتقاداً راسخاً لا تزلهم الرياح العواصف، ثم تنشب حرب طويلة الأمد أو حروب متكررة نستفيد ذلك من

(١) انظر البحار ٥٧ : ٢١٦ ح ٣٧.

قوله: لا يملون الحرب ولا يجبنون، حيث يعرف منه طول مدة الحرب وضراوتها، وكذا صبرهم واستقامتهم، وعدم جبنهم في يوم من الأيام، يتوكلون على الله، وتكون العاقبة لهم.

ولكن الرواية المذكورة ضعيفة السند؛ لأن أيوب بن يحيى الجندل الراوي عن أبي الحسن عليه السلام مهمل ليس له عين ولا أثر في كتب الرجال، وليس لها قرائن وشواهد تسعفها وتجبرها، فلا يترتب عليها أي أثر فقهي.

ومن ناحية أخرى فهي مجملة لم تعين ذلك القائم ولم تذكر صفاته حتى يكون تحققها هو سندها، فعند قيام كل رجل من قم يحتمل أن لا يكون هو المراد ويبقى احتمال إرادة رجل يخرج بعده، وإن كان انطباقها على ما حدث أخيراً في إيران قوياً جداً.

قم مأمن الإيرانيين :

فقد قال أبو عبد الله الفقيه الهمداني في كتاب البلدان: إن أبا موسى الأشعري روى أنه سأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن أسلم المدن وخير المواضع عند نزول الفتن وظهور السيف، فقال: «أسلم المواضع يومئذ أرض الجبل، فإذا اضطربت خراسان، ووقعت الحرب بين أهل جرجان وطبرستان، وخربت سجستان، فأسلم المواضع يومئذ قسبة قم، تلك البلدة التي يخرج منها أنصار خير الناس أباً وأماً...»^(١).

ولا يتعين حدود ذلك الزمان وهل أن المراد هو كل زمان تحدث فيه فتنة فقد اضطربت خراسان عدة مرات، فلا يعلم أي اضطراب هو، إلا أن يكون المراد تزامن تلك الأحداث المذكورة في الخبر، أعني اضطراب خراسان، ووقوع الحرب بين أهل جرجان وطبرستان، وخراب سجستان، فإن ذلك لم يتحقق،

(١) انظر البحار ٥٧: ٢١٧ ح ٤٧.

ولا يتكرر تحقق كل تلك الأمور سوية، فتحققه لا يكون إلا مرة واحدة معينة، وهو لم يحدث بعد لما ورد أن سجستان تخرب بالرمل، على أن تلك الرواية ضعيفة السند.

دخول الحسيني مدينة قم :

فقد جاء في خطبة الملاحم لأمر المؤمنين عليه السلام التي خطبها بعد وقعة الجمل بالبصرة: فيخرج الحسيني صاحب طبرستان مع جم كثير من خيله ورجله حتى يأتي نيسابور فيفتحها ويقسم أبوابها، ثم يأتي إصبهان، ثم إلى قم، فيقع بينه وبين أهل قم وقعة عظيمة يقتل فيها خلق كثير، فينهزم أهل قم، فينهب الحسيني أموالهم، ويسبي ذراريهم ونسائهم، ويخرب دورهم، فيفرع أهل قم إلى جبل يقال لها ورار دهار، فيقيم الحسيني ببلدهم أربعين يوماً، ويقتل منهم عشرين رجلاً، ويصلب منهم رجلين، ثم يرحل عنهم^(١).

وهل أن هذا الحسيني هو الحسيني المار الذي يقاتل السفيناني، أو هو حسني آخر؟! وهل تحقق هذا الحدث في السابق ووقع فيما مضى قبل أن تشيع إيران، أو هو حدث يحدث بعد هذا الزمان قريباً من ظهور القائم عليه السلام، لم يبين لنا هذا الخبر شيئاً من ذلك، ولم يعرفه لنا، وإن كان الأغلب عدم تحققه فيما مضى، وعدم تحققه فيما بقى، لأن الرواية ضعيفة السند، والأخبار تتحدث عن نصرة الحسيني الخارج من نحو الديلم للقائم عليه السلام وتسليمه الجيش بعد رؤية المعجز والدلائل.

كما تتحدث عن قيام أهل قم مقام الحجة ونصرتهم له، إلا أن يكون السبب اختلاف الآراء والسلاتق بسهولة قلة عدد القتلى والمصلوبين المذكورين في هذا الخبر، فلا تعدو أن تكون فتنة موقنة إذا صدقت، وإن كان احتمال الصراع

السياسي على الملك قائماً في كل طائفة ومذهب ودين، على أن اختلاف الشيعة فيما بينهم معدود من العلائم على الظهور.

هلاك الشباب :

روى الحسن بن محمد القمي بسنده عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: «قم عش آل محمد، وماوى شيعتهم، ولكن سيهلك جماعة من شبابهم بمعصية آبائهم، والاستخفاف بكبرائهم ومشائخهم، ومع ذلك يدفع الله عنهم شر الأعداء وكل سوء»^(١).

إذا كان المراد هلاكهم في نفس قم، فلا يبعد أن يكون المراد هو الهلاك في فتنة الحسيني السالفة الذكر، وإذا كانت خارج مدينة قم، فلا يبعد أن يكون ذلك الهلاك بسبب مشاركتهم في الحروب، سواء كانت هي حروب الخارج من قسم المار الذكر أو غيره، ويحتمل أن يكون لا هذا ولا ذاك، وإنما هي فتنة تحدث في قم بين الشباب، وهو متوقع.

ظهور الماء :

سئل علي بن محمد العسكري عليه السلام عن أهل قم: متى ينتظرون الفرج؟ قال: «إذا ظهر الماء على وجه الأرض»^(٢).

يحتمل إرادة السنة التي تسبق ظهور القائم عليه السلام فإنها سنة غيداة يكثر فيها الأمطار وفي رواية يمطر الناس (٢٤) مطرة كما تقدم في أحداث السماء. وإذا كثر المطر ظهر الماء على وجه الأرض، وامتلاً نهر قم بلقاء بحيث لم يسبق له مثيل.

(١) انظر البحار ٥٧ : ٢١٤ ح ٣١.

(٢) الاختصاص: ١٠٢، البحار ٥٧ : ٢٠٧ ح ٧.

ولكن يستشعر من ظهور الماء على وجه الأرض هو ظهور ما كان مخفياً تحت الأرض وذلك بسحبه بالمعدات الحديثة وسقي الزرع وملء السواقي والأنهار، ومجاري المياه. وقيل: هو جريان الماء في نهر قم بعدما لم يكن في حين صدور الخبر سوى القنوات داخل الأرض.

الدجال

يحظى اسم الدجال بكثرة النقل والتداول في الأوساط الشعبية والرواية الإسلامية على اختلاف المذاهب سنية وشيعية وغيرهما بفارق واحد بين نقل المذهبين المذكورين هو الفرق بين الحقيقة والخيال وبين الحدث والأسطورة.

فما زالت رواية المذهب السني تعكس عن الدجال شخصية خيالية كانت موجودة من زمان النبي صلى الله عليه وآله وهو باق إلى حين نزول عيسى بن مريم عليه السلام، يخرج قبل ذلك الحين ومعه جبل من خبز ولحم ونهر من ماء ومعه جنة ونار، وهو على حمار بين أذنيه ميل، وأنه يجي ويميت^(١) وغير ذلك.

وبعد بيان امتلاكه لأكبر قدرة قاهرة بحيث تفوق حد التصور في كل عصر وزمان تذكر تلك الأخبار سرعة انكساره وتراجعته أمام أقل العدد وأبسط العدد، وحتى أضعف الجيوش، مما يتولد معه إحساس نوع من التناقض أو التضاد.

بينما روايات المذهب الشيعي تتمحور على التحذير من الانخداع به ومن متابعتة وتؤكد على كفره وضلاله وتبين من لكون له الأهلية لمتابعتة،

(١) أنظر صحيح البخاري ٢: ٢٢٣ وج ١٠٥٤ و ١٤٢ وج ٧: ١١٤، مسند أحمد ٣:

٣٦، صحيح مسلم ٦: ١٧٧ وج ٨: ١٩٦ و ١٩٩ و ٢٠١، فيض القدير شرح

الجامع الصغير ٣: ٧١٨.

٥٥٠ العد التنازلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

وتميزه عن يملك المقومات الحائلة دون الماشاة معه، وتذكر بعض صفاته التي يمكن تعقلها وتصورها.

أما التحذير فقد رواه الفريقان عن النبي صلى الله عليه وآله من أنه قال: «إنه ليس من نبي إلا وقد حذر منه فاحذروه، فإنه أعور وربكم ليس بأعور»^(١).

فلعل هذا التحذير هو الذي أوجد المخاوف عند الناس حتى صاروا يتخيلون له كل تلك الأوصاف اللامعقولة، بينما الاتصاف بصفة الدجال لا يحتاج إلى أكثر من الدجل والحيلة والمكر والتستر بالمظاهر الخلابة التي تعمي عين الناظر عن رؤية الحقيقة فيتبعه.

وليس أتباعه هم اليهود والكفار فقط، بل أتباعه المسلمون السذج الذين ينخدعون بأقل ذريعة مثل أولئك الذين اتبعوا عائشة حينما خرجت لحرب أمير المؤمنين عليه السلام بذريعة المطالبة بدم عثمان بن عفان، أو الذين تابعوا معاوية بن أبي سفيان بنفس الذريعة ونفس الحجة، أو الخوارج المفتونون، فهذا هو الدجل والخدعة التي ينخدع بها المنخدعون وتكرر نظائره في كل زمان ومكان.

ولذا روى ابن سليمان الحلبي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من أراد أن يقاتل شيعة الدجال فليقاتل الباكي على دم عثمان والباكي على أهل النهروان»^(٢).

كما ورد التأكيد على أن الدجالين هم الذين صرفوا الناس عن أهل البيت عليهم السلام وصاروا يقاتلونهم بعدما قاتلوا الرسول صلى الله عليه وآله كالمروي عن حذيفة بن أسيد عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من قاتلني في الأولى

(١) الأصول الستة عشر: ١٥٢، صحيح البخاري ٤: ١٤، مسند أحمد ٣: ٢٣٣.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ٢٠.

وقاتل أهل بيتي في الثانية فهو في الثالثة مع الدجال»^(١).

وبهذا يمكننا استنباط فكرة كلية عن الدجال الذي نتحدث عنه الأخبار وتبالغ في شأنه وتحذر منه، بعد ملاحظة أن الدجل والتعمية على العوام يتعقد بمرور الزمان وتصير له ظواهر خداعة أكثر فأكثر حتى يبلغ الذروة.

فالدجال ذاك الذي يبلغ الذروة في الدجل والحيلة والمكر على مر التاريخ وإلى نهاية الخلق، وهو الذي يأتي التعبير عنه بالدجال الأكبر.

وأكثر من تمهّر في الدجل والتمويه على الناس إلى يومنا هذا هو الاستعمار والقوى العظمى التي أمسكت بزمام السيطرة على مقدرات دول العالم بأكبر مهارة وبواسطة أكبر الإمكانيات والدراسات والتحقيقات المعقدة، المسنودة بالتقدم التكنولوجي ووسائل الإعلام العملاقة، وقد يأتي عبر الأيام القادمة والسنين الآتية من هو أكبر رجلاً وحيلة من هؤلاء المستعمرين المالكين لتلك القدرات ليكون هو الدجال الذي تشير إليه الروايات، ويكون له قدرات أكبر وتكنولوجية أعقد في مجال التمويه والتعمية على ضعفاء العقول.

على أن لا ننسى دور اليهود في هذا الميدان المناسب لنفوسهم الخبيثة التي تميل إلى الشر وتعتمد المكر والخدعة، فهم أتباعه على ما يبدو، بل لا يكون من أتباع الدجال أحد حتى يتصف بأوصافهم الخبيثة وأعمالهم الشنيعة.

ولنا روي عن رسول الله ﷺ أنه قل: «من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهودية قيل: وكيف يا رسول الله؟ قل: «إن أدرك الدجال آمن به.»^(٢).

(١) الحسن ١: ٩٠.

(٢) الحسن ١: ٩٠ ح ٣٩، أمالي الصدوق: ٦٨١ ح ٢.

فهي تدل على أن من يتبع الدجال هو يهودي ويبعث يهودياً ويحمل صفات اليهود وإن كان بحسب الظاهر مسلماً.

وهذا لا ينافي أن يكون مجموعة الدجالين رأس يفوقهم في الدجل ويرجعون إليه في التدبير والمكر، كما هو مستفاد من الرواية التي يرويها الصفار عن معاوية بن حكيم عن شعيب بن غزوان عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخل عليه رجل من أهل بلخ فقال له: «يا خراساني تعرف وادي كذا وكذا؟» قال: نعم، قال له: «تعرف صدعاً في الوادي من صفته كذا وكذا؟» قال: نعم، قال: «من ذلك يخرج الدجال»^(١).

يكون بذلك قد عين رجلاً يخرج من موضع معين ومكان مشخص يسميه الدجال، غير أن الرواية ضعيفة بالإرسال وعدم معرفة الراوي لها، فلا يمكن إثبات موضع خروج الدجال ولا حتى تشخيصه بها.

والمهم عندنا هو أصل ثبوت الدجال أو حتميته، فقد دلت على حتميته الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق بسنده عن حذيفة بن أسيد قال: اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غرفة له ونحن نتذاكر الساعة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات: الدجال، والدخان...»^(٢).

ولكن عدّ الدجال من الآيات لا يخلو من إشكال بيد أن الرواية ضعيفة السند ولا يمكن الاعتماد عليها في مجال إثبات حتميته ولا كونه آية حتى بمعنى علامة.

نعم هناك رواية معتبرة واحدة تذكر الدجال يرويها الشيخ الطوسي عن الحسين بن سعيد، عن صفوان وابن فضال، عن ابن بكير، عن أبي

(١) بصائر الدرجات: ١٦١ ح ٧ باب ما يبين فيه كيفية وصول الألواح إلى آل محمد

صلوات الله عليهم أجمعين.

(٢) الخصال: ٤٣١ ح ١٣، باب العشرة، عنه في البحار ٦: ٣٠٣ ح ١.

الأحداث التي تسبق ظهور القائم عليه السلام / أحداث إيران ٥٥٣

عبد الله عليه السلام قال: ذكر الدجال فقال: «فلم يبق منه سهل إلا وطنه إلا مكة والمدينة؛ فإن على كل نقب من أنقابها ملك يحفظها من الطاعون والدجال»^(١).

فهي تدل على قدرات الدجال وسرعة انتقاله في أرجاء الأرض حتى لا يبقى سهل إلا وطنه ويكون تحت سيطرته إلا مكة والمدينة فإنه محرم عليه دخولهما كما جاء في بعض الأخبار، ولولا هذه الرواية لما أمكن إثبات أصل وجوده وخروجه.

ويبقى الكلام في سائر صفاته وأعماله ودينه ومذهبه، وهل يظهر قبل ظهور القائم عليه السلام أو بعده.

فالمستشعر من مجموع الأخبار ظهوره قبل ظهور القائم عليه السلام منها الرواية التي يرويها ابن شهر آشوب عن أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيها: «وصرخ الصارخ بالعراق: هتك الحجاب، وافتضت العذراء، وظهر علم اللعين الدجال، ثم ذكر خروج القائم»^(٢)، إذ لعل ذكر خروج القائم عليه السلام بعد ظهور الدجال يشهد بتأخره عنه، وتقدم ظهور الدجال عليه، ولكن لا يكون دليلاً لأننا اعتدنا عدم رعاية الترتيب الزمني وعدم تطابقه مع الترتيب المذكري. نعم هناك روايات تدل على أن القائم عليه السلام هو الذي يقتل الدجال ويعينه عليه المسيح عيسى بن مريم عليه السلام منها الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام يذكر فيها المعصومين الأربعة عشر فيقول: «آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال ويظهر الأرض من كل جور وظلم»^(٣).

مما يدل على تقدم خروج الدجال على ظهوره عليه السلام أو لا أقل من التقارن

(١) التهذيب ٦: ١٢.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٠٨، البحار ٤١: ٣١٩.

(٣) كمال الدين: ٣٥٥ ح ٧.

والمزامنة.

وفي رواية يرويها علي بن إبراهيم في تفسيره بسنده عن الحسن بن علي عليه السلام فيما ناظر به ملك الروم أن قل: «كان عمر عيسى عليه السلام في الدنيا ثلاثة وثلاثين سنة، ثم رفعة الله إلى السماء ويهبط إلى الأرض بدمشق، وهو الذي يقتل الدجال»^(١).

وفي رواية ثالثة يرويها فرات الكوفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا خثيمة سيأتي على الناس زمان لا يعرفون الله ما هو التوحيد حتى يكون خروج الدجال، وحتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ويقتل الله الدجال على يديه، ويلبي بهم رجل منا أهل البيت»^(٢).

فلعل قتله يكون بطلب من الإمام المهدي عليه السلام وتنفيذ من عيسى عليه السلام، حتى تصح نسبة القتل إليهما، أو هو تعاون كما روي عن الإنجيل: يا عيسى، جد في أمري... ثم أهبطك في آخر الزمان لترى من أمة ذلك النبي العجائب، ولتعينهم على اللعين الدجال، أهبطك في وقت صلاة لتصلي معهم إنهم أمة مرحومة^(٣)، على ما جاء في خبر يرويه الصدوق عن عبد الله بن سليمان.

وأما صفاته فقد تضمنت خطبة أمير المؤمنين عليه السلام التي خطبها بعد فتح البصرة وذكر الغرق الذي يصيبها فسأله المنذر عما يصيبها قبل الغرق فذكر له عليه السلام أموراً إلى أن قل: «منها أن يستحل بها الدجال الأكبر الأعور المسوح العين اليمنى والأخرى كأنها ممزوجة بالدم لكأنها في الحمرة علقة، نأتى الحدقة كهيئة حبة العنب الطافية على الماء، فيتبعه من أهلها

(١) تفسير القمي ٢: ٢٧٠.

(٢) تفسير فرات: ١٣٩.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٤٥ ح ٤١٨.

عدة من قتل بالأبلة من الشهداء، أنجيلهم في صدورهم، يقتل من يقتل، ويهرب، ثم رجف، ثم قذف، ثم مسخ، ثم الجوع الأغبر، ثم الموت الأحمر وهو الفرق^(١)، رواها كمال الدين بن ميثم البحراني مرسلأ، فهي ضعيفة السند، ولكن لم تذكر ما هو خارج عن المعقول تصف الدجال بأنه أعور ممسوح العين اليمنى، والعين اليسرى حمراء بكيفية مخصوصة يمكن تحققها بهذه الهيئة وإن كان نادراً، كما يمكن إرادة المجاز والكناية عن نظرة متشائمة لأن الشؤم في اليسار واليمن في اليمين وهو ينظر بمنظار واحد وبعين واحدة أي لا ينظر سوى مصالحه، وحمراء كناية عن النظرة القاسية المتعطشة لإراقة الدماء، فلا ينعكس فيها سوى حمار الدم.

ويستفاد من هذه الرواية والروايات الأخرى أن الدجال مسيحي الديانة بحسب الظاهر.

فالرواية الأخرى يرويها السيد بن طاووس تحكي ماجرى بين نصارى نجران وما دار من الكلام حتى قال أحدهم وهو الحارثة بن أنال ناصحاً لهم: واحذركم يا قوم أن يكون من قبلكم من اليهود أسوة لكم، إنهم اندروا بمسيحين: مسيح رحمة وهلى، ومسيح ضلالة الدجل، وجعل لهم على كل منهما آية وأمارة، فجددوا مسيح الهلى وكذبوا به، وآمنوا بمسيح الضلالة الدجل وأقبلوا على انتظاره^(٢).

ومع هاتين الروايتين يصعب قبول احتمال التصحيف الذي ذكره السيد المرتضى فقل: المسيح وليس المسيح، أي المشوة الوجه، فهو وإن كان له وجه ولكن التعبير بمسيحين يبعده عن الذهن، وكذا حديث الأنجيل في الرواية المارة، ولكن لا يمكن الاعتماد على شيء من ذلك في إثبات مسيحيته

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١: ٢٨٩ - ٢٩٠ الخطبة ١٣.

(٢) إقبال الأعمال ٢: ٣١٩، البحار ٢١: ٢٩٤.

لضعف أسنادها. هذا غاية ما جاء في رواياتنا عن الدجال وليس وراء ذلك شيء يذكر، نعم ينقل بعض محدثي المذهب الشيعي بعض الروايات التي يرويها بعض العامة كالضحاك عن النزال بن سبرة عن أمير المؤمنين عليه السلام، ورواية ابن عمر وغيره مما هو مشتمل على المخاريق والخلط بين نفس الدجال وبين ما يمتلكه من الآلات والمعدات.

العلائم الأخلاقية

عند إلقاء نظرة كلية على أخبار العلائم الأخلاقية نجد أن المقصود فيها والهدف يتفاوت ويتراوح بين الإنشاء والإخبار بين بيان حال العامة والخاصة، وبين الملوك والرعية وبين التحذير والتمييز.

وبصورة كلية فقد جاء في الأخبار الواردة عن النبي ﷺ التأكيد على الأئمة والحكام المنحرفين في مجال تحذير المسلمين من الاكتفاء في متابعتهم بكونهم حكاماً مسلمين وخلفاء للنبي ﷺ، فليس هذا هو الميزان والمعيار، وإنما هو العمل والاعتقاد والدين.

وباقى الأخبار تذكر أخلاق الناس وتريد بهم العامة الذين ليس لهم مرشد يرشدهم ولا إمام حق يرعاهم ويزجرهم، فكأنهم ﷺ يريدون القول بأن ترك الأئمة ﷺ من أهل البيت، وعدم الاعتقاد بوجود إمام ﷺ يجر الناس إلى فعل كل قبيح، بل تحليل كل محرم، وصيرورة كبائر المحرمات أمور طبيعية، لأجل تداول الخلفاء والحكام الظالمين لها فلا يعقل معها أن يستقبحها الرعية المعتقدون بإمامة أولئك الفجرة من بني أمية والعباس وغيرها.

ويبقى المؤمنون فهل يشملهم ذلك البلاء أو الأمر بالعكس، كلما ازداد المحراف الناس ازداد إيمانهم وتعاضم ثواب أعمالهم، فهذا ما يحتاج إلى نوع من التفصيل فإن الخطاب في الغالب يكون موجهاً لهم بأن يقول الإمام لبعض أصحابه أو للسائل: رأيت سبيل الخير منقطعاً وسبيل الشر مسلوكاً و...

إنما يتوجه الخطاب إليهم يعني أنكم المؤمنون ترون ذلك ولا تفعلونه، أو هو تحذير من فعله، بمعنى أن الإمام يريد القول أنت المؤمن ترى ذلك ولا ينبغي لك أن تفعله مهما صار معتاداً وأمرأً طبيعياً بين الناس وإن كان الكلام في بعض الأحيان يصرار بهدف تبعيد ظهور القائم عليه السلام حينما يكون السائل مستعجلاً ويسأل عن وقت الظهور فيأتيه الجواب، أنه يظهر إذا اكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، فليس المقصود بهذا الكلام سوى بيان بُعد الأمر وعدم تحققه بهذه العجالة، ففي هذا الحال يكون الجواب بكل فعل مستغرب ومستبعد الحصول في ذلك الزمان والزمان الذي يليه، روى ذلك الشيخ الطوسي بسنده عن محمد بن بشر عن محمد بن الحنفية قال، قلت له: قد طال هذا الأمر حتى متى؟ قال: فحرك رأسه ثم قال: أنى يكون ذلك ولم يعض الزمان، أنى يكون ذلك ولم يجفوا الإخوان، أنى يكون ذلك ولم يظلم السلطان^(١)، فإنه وإن ذكر بعض أفعال أهل زمان الظهور القبيحة ليس هدفه سوى الإخبار عن بُعد زمان الواقعة وطول المدة لمن هو مستعجل أشد الاستعجال، المفهوم من اعتراضه وتسخطه المستفاد من قوله: قد طال هذا الأمر... مما يعني أنه لا يرضى بالتأخر أبداً.

ولما كانت الروايات متداخلة جداً فيما بينها ومتطابقة في ذكر الأفعال القبيحة التي يرتكبها أهل زمان الغيبة وقرب زمان القائم عليه السلام ارتأينا أن نذكر رواية واحدة معتبرة تجمع جميع تلك الأوصاف بغالب الظن يرويها الشيخ الكليني بسند معتبر عن حمران يسأل فيها أبا عبد الله عليه السلام ويقول: إلى متى هؤلاء يملكون أو متى الراحة منهم؟ فقال: «أليس تعلم أن لكل شيء مدة؟» قال: بلى، فقال عليه السلام: «هل ينفعك علمك أن هذا الأمر إذا جاء كان أسرع من طرفة العين؟ إنك لو تعلم حالهم عند الله عز وجل

وكيف هي كنت لهم أشد بغضاً، ولو جهدت أو جهد أهل الأرض أن يدخلوهم في أشد عما هم فيه من الإثم لم يقدرُوا، فلا يستفزّتك الشيطان فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون، ألا تعلم أنّ من انتظر أمرنا وصبر على ما يرى من الأذى والخوف هو غدا في زمرتنا؟ فإذا رأيت الحق قد مات وذهب أهله، ورأيت الجور قد شمل البلاد، ورأيت القرآن قد خلق وأحدث فيه ما ليس فيه ووجه على الأهواء، ورأيت الدين قد انكفأ كما ينكفئ الماء، ورأيت أهل الباطل قد استعملوا على أهل الحق، ورأيت الشر ظاهراً لا ينتهى عنه ويعذر أصحابه، ورأيت الفسق قد ظهر واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، ورأيت المؤمن صامتاً لا يقبل قوله، ورأيت الفاسق يكذب ولا يردّ عليه كذبه وفريته، ورأيت الصغير يستحقّر بالكبير، ورأيت الأرحام قد تقطّعت، ورأيت من يمتدح بالفسق يضحك منه ولا يردّ عليه قوله، ورأيت الغلام يعطي ما تعطي المرأة، ورأيت النساء يتزوجن النساء، ورأيت الثناء قد كثر، ورأيت الرجل ينفق المال في غير طاعة الله فلا ينهى ولا يؤخذ على يديه، ورأيت الناظر يتعوذ بالله مما يرى المؤمن فيه من الاجتهاد، ورأيت الجار يؤذي جاره، وليس له مانع، ورأيت الكافر فرحاً لما يرى في المؤمن، مرحاً لما يرى في الأرض من الفساد، ورأيت الخمر تشرب علانية ويجمع عليها من لا يخاف الله عز وجل، ورأيت الأمر بالمعروف ذليلاً، ورأيت الفاسق فيما لا يجب الله قوياً محموداً، ورأيت أصحاب الآيات يحتقرون ويحتقر من يحبهم، ورأيت سبيل الخير منقطعاً وسبيل الشر مسلوكاً، ورأيت بيت الله قد عطل ويؤمر بتركه، ورأيت الرجل يقول ما لا يفعله، ورأيت الرجال يتسمّون للرجال والنساء للنساء، ورأيت الرجل معيشته من دبره ومعيشة المرأة من فرجها، ورأيت النساء يتخذن المجالس كما يتخذها الرجال، ورأيت التأنيث في ولد العباس قد ظهر وأظهروا الخضاب وامتشطوا كما تمتشط المرأة لزوجها وأعطوا الرجال الأموال على فروجهم وتنوفس في

الرجل وتغاير عليه الرجال، وكان صاحب المال أعزّ من المؤمن، وكان الربا ظاهراً لا يغيّر، وكان الزنا تمتدح به النساء، ورأيت المرأة تصانع زوجها على نكاح الرجال، ورأيت أكثر الناس وخير بيت من يساعد النساء على فسقهن، ورأيت المؤمن محزوناً محتقراً ذليلاً، ورأيت البدع والزنا قد ظهر، ورأيت الناس يعتدّون بشاهد الزور، ورأيت الحرام يحلّل ورأت الحلال يحرم، ورأيت الدين بالرأي وعطلّ الكتاب وأحكامه، ورأيت الليل لا يستخفى به من الجرأة على الله، ورأيت المؤمن لا يستطيع أن ينكر إلا بقلبه، ورأيت العظيم من المال ينفق في سخط الله عز وجل، ورأيت الولاية يقربون أهل الكفر ويباعدون أهل الخير، ورأيت الولاية يقربون أهل الكفر ويباعدون أهل الخير، ورأيت الولاية يرتشون في الحكم، ورأيت الولاية قبالة لمن زاد، ورأيت ذوات الأرحام ينكحن ويكتفى بهن، ورأيت الرجل يقتل على التهمة وعلى الظنة، ويتغاير على الرجل الذكر فيبذل له نفسه وماله، ورأيت الرجل يعير على إتيان النساء، ورأيت الرجل يأكل من كسب امرأته من الفجور يعلم ذلك ويقيم عليه، ورأيت المرأة تقهر زوجها وتعمل ما لا يشتهي وتنفق على زوجها، ورأيت الرجل يكره امرأته وجاريتها ويرضى بالدّني من الطعام والشراب، ورأيت الأيمان بالله عز وجل كثيره على الزور، ورأيت القمار قد ظهر، ورأيت الشراب يباع ظاهراً ليس له مانع، ورأيت النساء يبذلن أنفسهن لأهل الكفر، ورأيت الملاهي قد ظهرت يمرّ بها لا يمنعها أحد أحداً ولا يجترئ أحد على منعها، ورأيت الشريف يستذله الذي يخاف سلطانه، ورأيت أقرب الناس من الولاية من يمتدح بشتمنا أهل البيت، ورأيت من يحبنا يزور ولا تقبل شهادته، ورأيت الزور من القول يتنافس فيه، ورأيت القرآن قد ثقل على الناس استماعه وخفّ على الناس استماع الباطل، ورأيت الجار يكرم الجار خوفاً من لسانه، ورأيت الحدود قد عطلت وعمل فيها بالأهواء، ورأيت المساجد قد زخرفت، ورأيت أصلق الناس عند الناس المفتري الكذب،

ورأيت الشرَّ قد ظهر والسعي بالنميمة، ورأيت البغي قد فشا، ورأيت الغيبة تستملح ويشر بها الناس بعضهم بعضاً، ورأيت طلب الحج والجهاد لغير الله، ورأيت السلطان ينذل للكافر المؤمن، ورأيت الخراب قد أديل من العمران، ورأيت الرجل معيسته من بحس المكيال والميزان، ورأيت سفك الدماء يستخف بها، ورأيت الرجل يطلب الرئاسة لعرض الدنيا ويشهر نفسه بجبث اللسان ليتقى وتسد إليه الأمور، ورأيت الصلاة قد استخف بها، ورأيت الرجل عنده المال الكثير ثم لم يزكه منذ ملكه، ورأيت الميت ينش من قبره ويؤذى وتباع أكفانه، ورأيت الهرج قد كثر، ورأيت الرجل يمسي نشوان ويصبح سكران لا يهتم بما الناس فيه، ورأيت البهائم تنكح، ورأيت البهائم يفرس بعضها بعضاً، ورأيت الرجل يخرج إلى مصلاه ويرجع وليس عليه شيء من ثيابه، ورأيت قلوب الناس قد قست وجمدت أعينهم وثقل الذكر عليهم، ورأيت السحت قد ظهر يتنافس فيه، ورأيت المصلي إنما يصلِّي ليراه الناس، ورأيت الفقيه يتفقه لغير الدين، يطلب الدنيا والرئاسة، ورأيت الناس مع من غلب، ورأيت طالب الحلال يذمَّ ويعير وطالب الحرام يمدح ويعظم، ورأيت الحرميين يعمل فيهما بما لا يجب الله لا يمنعهم مانع ولا يحول بينهم وبين العمل القبيح أحد، ورأيت المعازف ظاهرة في الحرميين، ورأيت الرجل يتكلم بشيء من الحق ويأمر بالعرف وينهى عن المنكر فيقوم إليه من ينصحه في نفسه فيقول هذا عنك موضوع، ورأيت الناس ينظر بعضهم إلى بعض ويقتدون بأهل الشرور، ورأيت مسلك الخير وطريقه خالياً لا يسلكه أحد، ورأيت الميت يهزأ به فلا يفزع له أحد، ورأيت كل عام يحدث فيه من الشر والبدعة أكثر مما كان، ورأيت الخلق والمجالس لا يتابعون إلا الأغنياء، ورأيت المحتاج يعطى على الضحك به ويرحم لغير وجه الله، ورأيت الآيات في السماء لا يفزع لها أحد، ورأيت الناس يتسافدون كما يتسافد البهائم لا ينكر أحد منكراً تخوفاً من الناس، ورأيت الرجل ينفق

الكثير في غير طاعة الله ويمنع السير في طاعة الله، ورأيت العقوق قد ظهر واستخف بالوالدين وكانا من أسوء الناس حالا عند الولد ويفرح بأن يفترى عليهما، ورأيت النساء وقد غلبن على الملك وغلبن على كل أمر لا يؤتي إلا ما هن فيه هوى، ورأيت ابن الرجل يفترى على أبيه ويدعو على والديه ويفرح بموتهما، ورأيت الرجل إذا مر به يوم ولم يكسب فيه الذنب العظيم من فجور أو بحس مكيال أو ميزان أو غشيان حرام أو شرب مسكر كثيباً حزيناً يحسب أن ذلك اليوم عليه وضیعة من عمر، ورأيت السلطان يحتكر الطعام، ورأيت أموال ذوي القربى تقسم في الزور ويتقامر بها وتشرب بها الخمر، ورأيت الخمر يتداوى بها وتوصف للمريض ويستشفى بها، ورأيت الناس قد استووا في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك التدين به، ورأيت رياح المنافقين وأهل النفاق قائمة ورياح أهل الحق لا تحرك، ورأيت الأذان بالأجر والصلاة بالأجر، ورأيت المساجد محتشية ممن لا يخاف الله، مجتمعون فيها للغيبة وأكل لحوم أهل الحق ويتواصفون فيها شراب المسكر، ورأيت السكران يصلي بالناس وهو لا يعقل ولا يشان بالسكر وإذا سكر أكرم واتفق وخيف وترك لا يعاقب ويعذر بسكره، ورأيت من أكل أموال اليتامى يحمد بصلاحه، ورأيت القضاة يقضون بخلاف ما أمر الله، ورأيت الولاة يأتمنون الخونة للطمع، ورأيت الميراث قد وضعت الولاة لأهل الفسوق والجرأة على الله يأخذون منهم ويخلونهم وما يشتهون، ورأيت المنابر يؤمر عليها بالتقوى ولا يعمل القائل بما يأمر، ورأيت الصلاة قد استخف بأوقاتها، ورأيت الصدقة بالشفاعة لا يراد بها وجه الله وتعطى لطلب الناس، ورأيت الناس همهم بطونهم وفروجهم، لا يباليون بما أكلوا وما نكحوا، ورأيت الدنيا مقبلة عليهم، ورأيت أعلام الحق قد درست، فكن على حذر واطلب إلى الله عزوجل النجاة واعلم أن الناس في سخط الله عزوجل وإنما يمهلهم لأمر يراد بهم، فكن مترقباً واجتهد ليرك الله عز وجل في خلاف

ما هم عليه فإن نزل بهم العذاب وكنت فيهم عجّلت إلى رحمة الله، وإن أخرجت ابتلوا وكنت قد خرجت مما هم فيه من الجرأة على الله عز وجل، واعلم أنّ الله لا يضيع أجر المحسنين وأنّ رحمة الله قريب من المحسنين^(١).

أما الروايات الواصفة لأعمال الحكام والولاة فهي كثيرة.

منها ما رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: «أعاذك الله يا كعب بن عجرة من إمارة السفهاء» قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: «أمراء يكونون بعدي لا يهدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فاولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون عليّ حوضي»^(٢).

فليس هذا سوى تحذير من متابعة حكام الجور والخلفاء الظلمة التاركين لهدي الرسول ﷺ وسنته حتى لو كان الخليفة المباشر لرسول الله ﷺ.

ومنها ما رواه الهيثمي عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يبعث الله أمراء كذبة، ووزراء فجرة، وأمنه خونة، وقراء فسقة، سمّتهم سمّت الرهبان، وليس لهم رعية، فليلبسهم الله فتنة غرباء مظلمة، يتهوكون فيها تهوك اليهود في الظلم»^(٣).

والسمت هو الهيئة الظاهرة، والتهوك هو التخبط والتهور.

ومنها ما رواه الطبراني بسنده عن أبي سلالة السلمي أن النبي ﷺ قال: «ستكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم، يحدّثوكم فيكذبونكم، ويعملون ويسيثون العمل لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم، وتصدقوا كذبهم،

(١) الكافي ٨: ٣٦ - ٤٢ - ٧.

(٢) المصنف ١١: ٣٤٥ ح ٢٠٧١٩، مسند أحمد ٣: ٣٢١.

(٣) كشف الهيثمي ٢: ٢٣٧، وفي أمالي الشجري ٢: ٢٥٧ بتفاوت.

فاعطوهم الحق ما رضوا به، فإذا تجاوزوا فمن قتل على ذلك فهو شهيداً^(١).

ومنها ما رواه ابن أبي شيبه عن النبي صلى الله عليه وآله: «ستكون عليكم أمراء يأمرونكم بما تعرفون، ويعملون ما تنكرون، فليس لأولئك عليكم طاعة»^(٢).

ولعمري فإن الهدف من هذه الأوصاف واضح هو النهي عن متابعة الخلق والحكام الذين يرتكبون الذنوب ويأمرون الناس بالطاعة والصلاح.

وأما الأخبار الواردة في أفعال عامة الناس عن أهل آخر الزمان وزمان ظهور القائم عليه السلام فهي كثيرة يذكر كل واحد منها طائفة من الأفعال والأخلاق الرديئة التي يتحلى بها أهل آخر الزمان، وتعدّها في عداد العلائم على الظهور، وقد يستظهر منها إرادة العامة وأهل الباطل.

ومنها خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «أين تذهب بكم المذاهب، وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب؟ ومن أين تؤتون، وأنى تؤفكون؟ فلكل أجل كتاب، ولكل غيبة إياب، فاستمعوا من ربانيكم وأحضروه قلوبكم، واستيقظوا إن هتف بكم وليصدق رائد أهله، وليجمع شمله، وليحضر ذهنه، فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة وقرفه قرف الصمغة، فعند ذلك أخذ الباطل مأخذه، وركب الجهل مراجه وعظمت الطاغية وقلت الداعية، وصال الدهر صيال السبع العقور، وهدر فنيق الباطل بعد كظوم، وتواخى الناس على الفجور، وتهاجروا على الدين، وتحابوا على الكذب، وتباغضوا على الصدق. فإذا كان ذلك كان الولد غيظاً، والمطر قيظاً، وتفيض اللثام فيضاً، وتغيض الكرام غيضاً، وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً، وسلاطينه سباعاً، وأوساطه أكالاً، وفقراؤه

(١) المعجم الكبير ٢٢: ٣٦٢ ح ٩١٠.

(٢) المصنف ١٥: ٢٣٣ ح ١٩٥٦٧.

أمواتاً، وغار الصدق، وفاض الكذب واستعملت المودة باللسان، وتشاجر الناس بالقلوب، وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً، وليس الإسلام لبس القرو مقلوباً^(١).

وهناك أخبار تجعل الأخلاق الرديئة والأفعال القبيحة من جملة العلامم القريبة على ظهور القائم عليه السلام كالخبر الذي يرويه ابن شاذان عن الصادق عليه السلام عندما قيل له:

يا ابن رسول الله متى يخرج قائمكم؟ قال: «إذا تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وركبت ذوات الفروج السروج، وقبلت شهادة الزور، وردت شهادة العدل، واستخف الناس بالدماء، وارتكاب الزنا، وأكل الربا والرشا، واستيلاء الأشرار على الأبرار، وخروج السفيناني من الشام، واليماني من اليمن، وخسف بالبيداء، وقتل غلام من آل محمد عليه السلام بين الركن والمقام اسمه محمد بن الحسن ولقبه النفس الزكية، وجاءت صيحة من السماء بأن الحق مع علي وشيعته، فعند ذلك خروج قائمنا^(٢)».

فالملاحظ أن الإمام عدّ تلك الأفعال اللاأخلاقية من جملة العلامم التي هي السفيناني واليماني وغيرهما، فهي علامم متاخمة.

ولكن هذه الروايات تحتاج إلى نوع من الدقة والتأمل، وإلا فسفك الدماء والزنا والربا والرشا كانت حتى في زمان الأئمة عليهم السلام وفي زمان صدور الخبر وحتى أن بعضها كان في زمانهم أكثر من غيره من الأزمنة.

ولكن الدقة توصلنا إلى الفارق والمائز، فإنه عليه السلام قال واستخف الناس بالدماء وارتكاب الزنا و...، يعني واستخف الناس بارتكاب

(١) نهج البلاغة: ١٥٧ خطبة ١٠٨، وفي طبعة محمد عبده ١: ٢٠٨ خطبة ١٠٤.

(٢) مختصر إثبات الرجعة: ٢١٦ ح ١٨.

الزنا، أي صار أمراً عادياً، إذا قيل لأحدهم: بعض الناس يزني، فسرعان ما يقول هو كثير أو ما أكثره، من دون التعمد والتعجب والتأثر، فهذا هو الاستخفاف بالزنا.

كما يمكن إرادة ظهور ذلك وشيوعه وإعلان الرسمية وإن كان في بلاد الكفار، مثل اكتفاء الرجال بالرجال، فإنه أعطي الرسمية والوجهة القانونية، وصار يسمع به في بلدان المسلمين ويشاهد.

وأشنع ما ورد من تلك الأفعال مما لا يحتمله أحد في ذلك الزمان هو اختلاف الشيعة فيما بينهم، حتى ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «فو الذي نفسي بيده ما ترون ما تحبون حتى يتفل بعضكم في وجوه بعض، وحتى يسمي بعضكم بعضاً كذابين، وحتى لا يبقى منكم - أو قال من شيعتي - كالكحل في العين والملح في الطعام...»^(١).

وأودُّ أن أذكر على أنني لم أقصد سوى الكتابة عن علائم الظهور من دون التعرض إلى أصل قضية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ولا التعرض لما أورد من الإثارات حول هذه القضية المصرية ولما وجدت أن البعض صار ينكر ولادة الإمام المهدي عليه السلام ويناقش في الأدلة والروايات الكثيرة المعروضة أحببت أن أجيبهم هنا عاجلاً خلال سطر واحد وأقول لهم ما الدليل على أنك مولود لأبيك في الواقع.

فإذا حاولت الإجابة على ذلك فإنك ستجد كل ما ناقشت به أصل ولادة الإمام المهدي عليه السلام ينطبق عليك بطريق أولى ولا يمكنك إثبات ذلك أبداً لكي تعلم أن الأمر في الولادة لا يحتاج إلى أكثر من بعض الأدلة البسيطة فكيف بكل تلك الروايات والأخبار، وللكلام مجال آخر كما قلنا.

وأخيراً يلزمني التقدم بالشكر الجزيل لسماحة الشيخ باسم محمد

الأسدي على ما بذله من الجهود الكبيرة في جمع المطالب وتحقيق الأسناد
راجياً من الله أن يوفقه لكل خير إنه سميع مجيب.

والحمد لله أولاً وآخراً

٢٨ ذو القعدة ١٤٢٤ هـ مشهد المقدسة

فهرس المصادر

القرآن الكرم

١ - إثبات الوصية

للمسعودي

دار الأضواء / بيروت - لبنان.

٢ - إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات

لمحمد بن الحسن الحرّ العاملي

المطبعة العلمية / قم - إيران / سنة ١٤٠٤ هـ.

٣ - الاحتجاج

لأحمد بن علي الطبرسي

مطبعة النعمان / النجف الأشرف - العراق / سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

٤ - أحسن التقاسيم

للمقدسي المعروف بالبشاري

طبع دار إحياء التراث العربي / بيروت - لبنان / سنة ١٤٠٨ هـ -

١٩٨٧ م.

٥ - الأختصاص

لأبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ

المفيد.

جماعة المدرسين في الحوزة العلمية / قم المقدسة - إيران.

٦ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد

لأبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ

المفيد.

دار المفيد / قم - إيران / بتحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

٧ - إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب

للشيخ علي اليزدي الحائري

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت - لبنان / ط: ٤، سنة ١٣٩٧ هـ.

٨ - الأصول الستة عشر

لنخبة من الرواة

دار الشبستري للمطبوعات / قم - إيران / ط: ٢، سنة ١٤٠٥ هـ.

٩ - إعلام الوري بأعلام الهدى

لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث / قم - إيران / ط: ٢، سنة ١٤١٧ هـ.

١٠ - إقبال الأعمال

للسيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس

مكتب الإعلام الإسلامي / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٤ هـ.

١١ - أمالي الشجري

ليحيى بن الحسين الشجري

عالم الكتب بيروت ومكتبة المتني / القاهرة - مصر.

١٢ - أمالي الصدوق

للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي
مؤسسة البعثة / قم - إيران / ط: ١ سنة ١٤١٧ هـ.

١٣ - أمالي الشيخ

لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
دار الثقافة / قم - إيران.

١٤ - أمالي المفيد

لأبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ
المفيد.
جامعة المدرسين في الحوزة العلمية / قم - إيران.

١٥ - الأمانة والتبصرة من الحيرة

لأبي الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق
مدرسة الإمام المهدي عليه السلام / قم - إيران.

١٦ - الأنوار البهية

للمحدث الشيخ عباس القمي
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم - إيران / ط: ١،
سنة ١٤١٧ هـ.

١٧ - بحار الأنوار

للعامة محمد باقر المجلسي
مؤسسة الوفاء / بيروت - لبنان / ط: ٢، سنة ١٤٠٣ هـ.

١٨ - البله والتاريخ

المنسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي
مكتبة الأسد / طهران - إيران.

١٩ - بيان الأئمة للوقائع الغربية والأسرار العجيبة
للشيخ محمد مهدي حفيد الشيخ زين العابدين النجفي

٢٠ - بيان الشافعي = البيان في أخبار صاحب الزمان
للمحدث المفيد أبي عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي
مطبوع مع كفاية الطالب للمؤلف، دار إحياء تراث أهل البيت /
طهران - إيران.

٢١ - تاج العروس

محمد مرتضى الزبيدي
مكتبة الحياة / بيروت - لبنان.

٢٢ - تاج الموالي

للعلامة الطبرسي
مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي / قم - إيران / سنة ١٤٠٦ هـ.

٢٣ - تاريخ البخاري = التاريخ الكبير

محمد بن إسماعيل البخاري
دار الفكر / بيروت - لبنان.

٢٤ - تاريخ بغداد

لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي
دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان.

٢٥ - تاريخ الطبري

لأبي جعفر بن جرير الطبري
مؤسسة الأعلمي / بيروت - لبنان.

٢٦ - تاريخ مدينة دمشق

لابن عساكر
دار الفكر / بيروت - لبنان / سنة ١٤١٥ هـ.

٢٧ - تأويل الآيات الظاهرة في فضل العترة الطاهرة

للسيد شرف الدين علي الحسيني الاسترابادي النجفي
مدرسة الإمام المهدي عليه السلام / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤٠٧ هـ.

٢٨ - تحف العقول عن آل الرسول

لابن شعبة البحراني
مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين / قم - إيران / ط: ٢، سنة
١٤٠٤ هـ.

٢٩ - تذكرة القرطبي = التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة

للعلامه شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر
الأنصاري القرطبي
طبعة مذكور وأولاده/ القاهرة - مصر.

٣٠ - تفسير أبي حمزة الشمالي

لأبي حمزة ثابت بن دينار الشمالي
دفتر نشر الهادي / قم - إيران / أعاد جمعه وتأليفه عبد الرزاق محمد
حسين حرز الدين ط: ١، سنة ١٤٢٠ هـ.

٣١ - تفسير الطبري

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
دار المعرفة / بيروت - لبنان / سنة ١٤٠٦ هـ.

٣٢ - تفسير العياشي

للنضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف
بالعياشي المكتبة العلمية الإسلامية / طهران - إيران.

٣٣ - تفسير القرطبي

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٨ هـ.

٣٤ - تفسير القمي

لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي
مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر / قم - إيران / سنة ١٤٠٤ هـ.

٣٥ - تلخيص المتشابه في الرسم

لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي
مؤسسة طلاس / دمشق - سوريا.

٣٦ - تهذيب الأحكام

للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
دار الكتب الإسلامية / طهران - إيران / ط: ٤، سنة ١٣٦٥ ش.

٣٧ - تهذيب ابن عساكر

لعبد القادر بدران
دار إحياء التراث العربي / بيروت - لبنان.

٣٨ - جامع البيان للطبري

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
دار الفكر / بيروت - لبنان / سنة: ١٤١٥ هـ.

٣٩ - الخرائج والجرائح

لقطب الدين الراوندي
مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام / قم - إيران.

٤٠ - الخصال

للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي
جماعة المدرسين في الحوزة العلمية / قم - إيران.

٤١ - الحكم والمواعظ = عيون الحكم والمواعظ

للشيخ كافي الدين أبي الحسن علي بن محمد اللبثي الواسطي.
دار الحديث / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٣٧٦ ش.

٤٢ - حلية الأولياء

لأبي نعيم الأصفهاني
دار الفكر / بيروت - لبنان.

٤٣ - الداني = السنن الواردة في الفتن

لأبي عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني
مصور عن مخطوطة المكتبة الظاهرية / دمشق - سوريا.

٤٤ - الدعوات

للمولى أبي الحسين سعيد بن هبة الله المشهور بقطب الدين الراوندي
مدرسة الإمام المهدي عليه السلام / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤٠٧ هـ.

٤٥ - دلائل الإمامة

للمحدث الشيخ أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري
مؤسسة البعثة / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٣ هـ.

٤٦ - روضة الواعظين

للشيخ العلامة محمد بن القتال النيسابوري.
منشورات الرضي / قم - إيران.

٤٧ - سنن ابن ماجة

للمحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني
المكتبة العلمية / بيروت - لبنان.

٤٨ - سنن أبي داود

لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني
دار الفكر / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٠ هـ.

٤٩ - سنن الترمذي

لمحمد بن عيسى الترمذي
دار الفكر / بيروت - لبنان / سنة ١٤٠٣ هـ.

٥٠ - شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار

للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم - إيران.

٥١ - شرح نهج البلاغة

لابن ميثم البحراني
طبع مؤسسة النصر / طهران - إيران.

٥٢ - شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

دار إحياء الكتب العربية / بيروت - لبنان / ط: ١ سنة ١٣٧٨ هـ.

٥٣ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية

لإسماعيل بن حماد الجوهري

دار العلم للملايين / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٧ هـ

٥٤ - الصراط المستقيم

لزين الدين أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطر البياضي.

المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

٥٥ - صحيح البخاري

لمحمد بن إسماعيل البخاري

دار الفكر / بيروت - لبنان / سنة ١٤٠١ هـ.

٥٦ - العدد القوية

للفقيه الجليل رضي الدين علي بن يوسف المطهر الحلبي

مكتبة آية الله السيد المرعشي النجفي / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤٠٨ هـ.

٥٧ - عرف السيوطي = العرف الوردي في أخبار المهدي

للمحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي

دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان.

٥٨ - عقد الدرر في أخبار المنتظر (عج)

ليوسف بن يحيى بن علي بن عبد العزيز المقدسي الشافعي السلمي

دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٣ هـ.

وطبعة أخرى من مكتبة عالم الفكر / القاهرة - مصر.

٥٩ - علل الشرائع

للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي
منشورات المكتبة الحيدرية / النجف الأشرف - العراق / سنة ١٣٨٦ هـ.

٦٠ - عيون أخبار الرضا عليه السلام

للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي
مؤسسة الأعلمي للطبوعات / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٤ هـ.

٦١ - غاية المرام

للسيد هاشم البحراني
مؤسسة الأعلمي / بيروت - لبنان.

٦٢ - الفائق في غريب الحديث

للعامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري
دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٧ هـ.

٦٣ - فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر

لمرعي بن يوسف الكرمي

٦٤ - الفردوس بمأثور الخطاب

لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمداني الملقب
إلكيا
دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٦ هـ.

٦٥ - فيض القدير

لمحمد عبد الروؤف المناوي

دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٥ هـ.

٦٦ - القاموس المحيط

للفيروز آبادي جمعه الشيخ نصر الهوريني.

٦٧ - قرب الإسناد

للشيخ الجليل أبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري القمي

مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٣ هـ.

٦٨ - القول المختصر في علامات المهدي المنتظر

للفقيه أحمد بن حجر الهيتمي المكي

دار الزهراء للإعلام العربي / القاهرة - مصر / ط: ١، سنة ١٣١٥ هـ.

وطبعة أخرى عن نسخة مصورة من مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة /

النجف - العراق.

٦٩ - الكافي

لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني

دار الكتب الإسلامية / طهران - إيران / ط: ٣، سنة ١٣٨٨ هـ.

٧٠ - كتاب الدعاء

لسليمان بن أحمد الطبراني

دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٣ هـ.

٧١ - كتاب سليم بن قيس

لأبي صادق سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي

٥٨٠ العدد التنازلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني / إيران.

٧٢ - كتاب العين

لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي
مؤسسة دار الهجرة / قم - إيران / ط: ٢، سنة ١٤٠٩ هـ.

٧٣ - كتاب الغيبة

للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
مكتبة نينوى الحديثة / طهران - إيران.
وطبعة أخرى في مؤسسة المعارف الإسلامية / قم - إيران / ط: ١، سنة
١٤١١ هـ.

٧٤ - كتاب الغيبة

للشيخ محمد بن إبراهيم النعماني
مكتبة الصدوق / طهران - إيران .

٧٥ - كتاب الفتن

لأبي عبد الله نعيم بن حماد المروزي
دار الفكر / بيروت - لبنان / سنة ١٤١٤ هـ
وطبعة أخرى عن نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني
في (٢٠١) صفحة

٧٦ - الكشاف

لمحمود بن عمر الزمخشري
دار المعرفة / بيروت - لبنان.

٧٧ - كشف الحق (أربعين الخاتون آبادي)
للمولى محمد شريف بن محمد صادق الخواتون آبادي

٧٨ - كشف الغمة
لعلي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي
دار الأضواء / بيروت - لبنان / ط: ٢، سنة ١٤٠٥ هـ.

٧٩ - كشف النوري = كشف الأستار
للنوري الطبري
مؤسسة النور / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٨ هـ.

٨٠ - كفاية الأثر
لأبي القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي
انتشارات بيدار / قم - إيران / سنة ١٤٠١ هـ.

٨١ - كمال الدين وتمام النعمة
للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابوية
القمي .
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم - إيران / سنة
١٤٠٥ هـ.

٨٢ - كنز العمال
للمتقي الهندي
مؤسسة الرسالة / بيروت - لبنان / سنة ١٤٠٩ هـ.

٨٣ - لسان العرب
لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفيقي المصري.

دار صادر / بيروت - لبنان.

٨٤ - مجمع البحرين

فخر الدين الطريحي

مكتب نشر الثقافة الإسلامية.

٨٥ - مجمع الزوائد

لنور الدين الهيثمي

دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / سنة ١٤٠٨ هـ.

٨٦ - مجمع البيان في تفسير القرآن

لأمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت - لبنان / ط: ١ سنة ١٤١٥ هـ.

٨٧ - المحاسن

لأحمد بن محمد بن خالد البرقي

دار الكتب الإسلامية / طهران - إيران

٨٨ - مختصر إثبات الرجعة

للسيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد النيلي

النجفي

٨٩ - مختصر بصائر الدرجات

للحسن بن سليمان الحلبي

المطبعة الحيدرية / النجف الأشرف - العراق / ط: ١، سنة ١٣٧٠ هـ.

٩٠ - مدينة المعاجز

للسيد هاشم البحراني

مؤسسة المعارف الإسلامية / إيران / ط: ١، سنة ١٤١٣ هـ

٩١ - مراصد الإطلاع على أسماء الأمكة والبقاع

لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي

دار المعرفة / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٣٧٤ هـ

٩٢ - المستجاد من الإرشاد

للعلمة جمال الحق والدين حسن بن المطهر الحلبي

مكتبة آية الله العظمة المرعشي النجفي / قم - إيران / سنة ١٤٠٦ هـ.

٩٣ - مستدرك الحاكم

للمحافظ أبي عبد الله محمد بن محمد الحاكم النيسابوري

دار المعرفة / بيروت - لبنان / سنة ١٤٠٦ هـ.

٩٤ - مستدرك سفينة البحار

للشيخ علي النمازي الشاهرودي

مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين / قم - إيران / سنة ١٤١٩ هـ.

٩٥ - مستدرك الوسائل

للمحقق النوري الطبرسي

مؤسسة آل البيت لإحياء التراث / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة

١٤٠٨ هـ.

٩٦ - مسند أبي داود الطيالسي

لأبي داود الطيالسي

دار الحديث / بيروت - لبنان.

٩٧ - مسند أحمد

لأحمد بن حنبل

دار صادر / بيروت - لبنان.

٩٨ - مشارق أنوار اليقين = مشارق البرسي

للمحافظ رجب البرسي

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت - لبنان / ط: ١ سنة ١٤١٩ هـ.

وطبعة أخرى من مكتبة ثقافة أهل البيت عليهم السلام / طهران - إيران.

٩٩ - المصنف

لابن أبي شيبة الكوفي

دار الفكر / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٩ هـ.

١٠٠ - المصنف

لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني

المجلس العلمي / سنة ١٣٩٢ هـ.

١٠١ - معجم أحاديث المهدي عليه السلام

لمؤسسة المعارف الإسلامية - تحت إشراف الشيخ علي الكوراني

مؤسسة المعارف الإسلامية / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١١ هـ.

١٠٢ - معجم البلدان

لياقوت الحموي

دار إحياء التراث العربي / بيروت - لبنان / سنة ١٣٩٩ هـ.

١٠٣ - معجم رجال الحديث

للسيد أبو القاسم الموسوي الخوئي

منشورات مدينة العلم / قم - إيران.

١٠٤ - المعجم الأوسط

لسليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني دار الحرمين / السعودية /
سنة ١٤١٥ هـ.

١٠٥ - المعجم الصغير

لسليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني
دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان.

١٠٦ - المعجم الكبير

لسليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني
مكتبة ابن تيمية / القاهرة - مصر / ط: ٢، سنة ١٤٠٤ هـ...

١٠٧ - الملاحم والفتن

لعلي بن موسى جعفر بن محمد بن طاووس الحسن الحسيني
منشورات الشريف الرضي / قم - إيران / ط: ٥، سنة ١٣٩٨ هـ.

١٠٨ - الملاحم والفتن

لابن المنادي، أبو الحسن أحمد بن جعفر بن عبد الله البغدادي
صورة عن مخطوطة مكتبة المسجد الأعظم / قم - إيران.

١٠٩ - مناقب آل أبي طالب = مناقب ابن شهر آشوب

لمشير الدين أبي عبد الله محر بن علي بن شهر آشوب
المطبعة الحيدرية / النجف - العراق / سنة ١٣٧٦ هـ.

١١٠ - منتخب الأنوار المضيئة

للسيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد النيلي

النجفي

مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤٢٠ هـ.

١١١ - منتهى المقال في أحوال الرجال

للشيخ محمد بن إسماعيل المازندراني

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / بيروت - لبنان / سنة ١٤١٩ هـ.

١١٢ - نقد الرجال

للسيد مصطفى التفرشي

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٨ هـ.

١١٣ - نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين

للسيد نعمة الله الموسوي الجزائري

مؤسسة النشر الإسلامي / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٧ هـ.

١١٤ - تهج البلاغة

بتحقيق الشيخ محمد عبدة

دار المعرفة / بيروت - لبنان

١١٥ - وسائل الشيعة

للمحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / قم - إيران / ط: ٢، سنة ١٤١٤ هـ.

١١٦ - الهداية الكبرى

لأبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصبي

مؤسسة البلاغ / بيروت - لبنان / ط: ١، سنة ١٤١١ هـ.

١١٧ - اليقين في امرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

لعلي بن موسى بن طاووس الحسني

مؤسسة دار الكتاب / قم - إيران / ط: ١، سنة ١٤١٣ هـ.

١١٨ - يتابع المودة لذوي القربى

للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي

دار الأسوة / إيران / ط: ١، سنة ١٤١٦ هـ.

فهرس المواضيع

| | |
|----|---|
| ٧ | كلمة الموسوعة |
| ١١ | ساعة القائم |
| ١٤ | الساعة والعلائم |
| ١٧ | الحاجة إلى التدقيق في العلائم |
| ٢٤ | هل يمكن السيطرة على العالم؟ |
| ٤٣ | الحكمة في غيبة الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> |
| ٤٩ | الظهور قريب أم بعيد؟ |
| ٤٩ | التأمل أم والتقنيط؟ |
| ٦٠ | نقد حديث السبعين |
| ٦٤ | السبب في عدم التوقيت |
| ٦٩ | إذا لم تتحقق العلائم |
| ٦٩ | تذكرة هامة |
| ٧١ | الداعي إلى الكتابة في العلائم |
| ٧٤ | فلسفة انتظار الفرج |
| ٧٩ | انتظار الفرج واجب أو مستحب |

| | |
|-----|---|
| ٥٩٠ | العد التنازلي في علائم ظهور المهدي <small>عليه السلام</small> |
| ٨٠ | عود على بدء |
| ٨٣ | حصر علائم الظهور وتمييزها |

العلامة الأولى: الخراساني

| | |
|-----|------------------------------------|
| ٩٩ | العلامة الأولى: الخراساني |
| ١٠١ | خلاصة الكلام في الخراساني |
| ١٠٥ | تفصيل الكلام في الخراساني |
| ١٠٧ | أهل المشرق والرايات السود |
| ١١١ | الحركة الخراسانية بصورة عامة |
| ١١٣ | أسماء الخراساني |
| ١١٣ | الكلام في الخراساني |
| ١١٥ | صفات الخراساني |
| ١١٧ | حركة الخراساني |
| ١٢٢ | معركة اصطخر |
| ١٢٥ | الهاشمي والخراساني |
| ١٢٧ | الحسيني والخراساني |
| ١٣٤ | الحسيني والحسيني |

العلامة الثانية: شعيب بن صالح

| | |
|-----|-------------------------------------|
| ١٣٩ | العلامة الثانية: شعيب بن صالح |
| ١٤١ | خلاصة الكلام في شعيب بن صالح |

| | |
|-----|--|
| ٥٩١ | فهرس المواضيع |
| ١٤٣ | تفصيل الكلام في شعيب بن صالح |
| ١٤٣ | اسمه ونسبه |
| ١٤٥ | محل خروج شعيب وولادته |
| ١٤٦ | صفات شعيب |
| ١٤٧ | خروج شعيب من العلام |
| ١٤٩ | عظمة شعيب بن صالح |
| ١٤٩ | تحركات شعيب بن صالح |
| ١٥١ | حركة شعيب باتجاه الشام |
| ١٥٥ | شعيب والإمام المهدي <small>عليه السلام</small> |
| ١٦٠ | محل بيعة شعيب وجيشه |

العلامة الثالثة: اليماني

| | |
|-----|--------------------------------|
| ١٦٣ | العلامة الثالثة: اليماني |
| ١٦٥ | خلاصة الكلام في اليماني |
| ١٦٧ | تفصيل الكلام في اليماني |
| ١٧٠ | صفات اليماني وأحواله |
| ١٧١ | تحركات اليماني |
| ١٧١ | القحطاني |
| ١٧٧ | المنصور |
| ١٧٨ | اليماني من الذرية |

العلامة الرابعة: المرواني

- ١٧٩ العلامة الرابعة: المرواني
١٨١ خلاصة الكلام في المرواني
١٨٣ تفصيل الكلام في المرواني

العلامة الخامسة: السفياي

- ١٨٧ العلامة الخامسة: السفياي
١٨٩ خلاصة الكلام في السفياي
١٩٧ تفصيل الكلام في السفياي
١٩٨ اسم السفياي ونسبه
٢٠٠ صفات السفياي
٢٠١ منشأ حركة السفياي
٢٠٢ منطق السفياي
٢٠٦ محل خروج السفياي
٢٠٨ مركز حكومة السفياي
٢٠٩ استقرار حكومة السفياي
٢١٢ زمان خروج السفياي
٢١٥ خروج السفياي على بني العباس
٢٢٢ حتمية السفياي
٢٢٩ السفياي واحد أو اثنان
٢٣٠ علامات خروج السفياي

| | |
|-----|----------------------------------|
| ٥٩٣ | فهرس المواضيع |
| ٢٣٠ | ١ - اختلاف بني فلان |
| ٢٣٣ | ٢ - خروج اليماني |
| ٢٣٣ | ٣ - إقبال الترك والروم |
| ٢٣٧ | ٤ - خروج أهل المغرب إلى مصر |
| ٢٣٧ | ٥ - حكومة الظلمة |
| ٢٣٧ | ٦ - اختلاف رحمان بالشام |
| ٢٣٧ | ٧ - رجفة بالشام |
| ٢٣٧ | ٨ - إقبال الرايات الصفراء |
| ٢٣٨ | ٩ - خروج رجل من أهل السفح |
| ٢٣٩ | ١٠ - الانتخابات في بغداد |
| ٢٤٠ | ١١ - سقوط طائفة من مسجد دمشق |
| ٢٤٠ | ١٢ - ظهور الأبقع |
| ٢٤٠ | ١٣ - خروج رجل عباسي في الشام |
| ٢٤١ | ١٤ - فتنة بين أهل المشرق والمغرب |
| ٢٤١ | ١٥ - وقعة قرقيسياء |
| ٢٤٢ | ١٦ - خروج الشيبباني |
| ٢٤٢ | ١٧ - خروج شعيب بن صالح |
| ٢٤٣ | ١٨ - خراب الشام |
| ٢٤٣ | ١٩ - إقبال أصحاب البراذين |
| ٢٤٤ | ٢٠ - خروج المصري |

٥٩٤ العدد التنازلي في علائم ظهور المهدي عليه السلام

٢٤٤ قصة خروج السفيناني

٢٥١ حروب السفيناني ومعاركه

٢٥٢ الاستيلاء على دمشق

٢٥٤ حرب السفيناني مع أهل المغرب

٢٥٧ حرب السفيناني مع أهل المشرق

٢٦٠ حرب السفيناني مع الأبقع

٢٦٣ حرب السفيناني مع الأصهب

٢٦٥ حرب السفيناني مع الجمهوري

٢٦٦ حرب السفيناني مع القحطاني

٢٦٦ معركة قرقيسياء

٢٧٠ حركة السفيناني نحو العراق

٢٧١ تخريب مدن العراق

٢٧٢ دخول السفيناني بغداد

٢٧٣ دخول السفيناني الكوفة

٢٧٩ جيش الغضب

٢٨١ دخول السفيناني المدينة

٢٨٢ جيش السفيناني يقصد الإمام المهدي عليه السلام

٢٨٨ مصير السفيناني

٢٩٥ محل قتل السفيناني وكيفيته

العلامة السادسة: الخسف

- ٢٩٧ العلامة السادسة: الخسف
٢٩٩ خلاصة الكلام في الخسف
٣٠١ تفصيل الكلام في الخسف

العلامة السابعة: الصيحة

- ٣١١ العلامة السابعة: الصيحة
٣١٣ خلاصة الكلام في الصيحة
٣١٥ تفصيل الكلام في الصيحة
٣١٥ الصوت الأول من السماء
٣٢٠ صفة النداء الأول
٣٢١ ردود الفعل
٣٢٢ حكمة النداء الأول
٣٢٥ وقت النداء الأول
٣٣٠ العمل عند سماع الصيحة
٣٣١ الصوت الثاني من الأرض
٣٣٣ حتمية النداء الثاني
٣٣٤ مفاد النداء الثاني
٣٣٥ المنادي بالنداء الثاني
٣٣٧ مكان النداء الثاني
٣٣٨ زمان النداء الثاني

٥٩٦ العد التنازلي في علانم ظهور المهدي عليه السلام

٣٣٨ ردود الفعل

العلامة الثامنة: كف تطلع في السماء

٣٤١ العلامة الثامنة: كف تطلع في السماء

٣٤٣ خلاصة الكلام في ظهور الكف

٣٤٥ تفصيل الكلام في ظهور الكف

٣٤٨ زمان بروز الكف

٣٤٩ حتمية بروز البدن

٣٤٩ مفاد النداء

٣٥٠ حكمة طلوع البدن

العلامة التاسعة: قتل النفس الزكية

٣٥٣ العلامة التاسعة: قتل النفس الزكية

٣٥٥ خلاصة الكلام في النفس الزكية

٣٥٧ تفصيل الكلام في النفس الزكية

٣٥٨ حتمية قتل النفس الزكية

٣٦٠ اسم النفس الزكية ونسبه

٣٦١ مقتل النفس الزكية

٣٦٤ زمان قتل النفس الزكية

٣٦٤ قصة النفس الزكية

٣٦٥ قتل النفس الزكية وغضب الله سبحانه

| | |
|-----|------------------------------|
| ٥٩٧ | فهرس المواضيع |
| ٣٦٦ | قتل النفس الزكية وأخيه |
| ٣٦٧ | الحسيني والنفس الزكية |

العلامة العاشرة: كسوف الشمس

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ٣٦٩ | العلامة العاشرة: كسوف الشمس |
| ٣٧١ | خلاصة الكلام في كسوف الشمس |

الأحداث التي تسبق ظهور القائم عليه السلام

| | |
|-----|-------------------------------------|
| ٣٨١ | الأحداث التي تسبق ظهور القائم |
| ٣٨٣ | أحداث السماء |
| ٣٨٣ | نار وحمرة في السماء |
| ٣٨٧ | طلوع الشمس من مغربها |
| ٣٩٥ | طلوع النجم المذنب |
| ٣٩٨ | الأمطار الغزيرة |
| ٤٠١ | أحداث العراق |
| ٤٠١ | أحداث بغداد |
| ٤٠٢ | اختلاف بني فلان |
| ٤٣١ | الجبابرة في العراق |
| ٤٣١ | الخليفة المتنقل |
| ٤٣٣ | الخليفة البراق الشيا |
| ٤٣٣ | طاغوت من الأشرار |

| | |
|-----|--|
| ٥٩٨ | العدد التنازلي في علانم ظهور المهدي <small>عليه السلام</small> |
| ٤٣٥ | الرجل الحاقد |
| ٤٣٧ | السفاح |
| ٤٣٨ | الجبابرة في بغداد |
| ٤٣٨ | القتال الجبار |
| ٤٣٩ | رجل من أهل السفح |
| ٤٤١ | الكاهن الساحر |
| ٤٤٢ | الخسف ببغداد |
| ٤٤٥ | خراب بغداد |
| ٤٤٧ | الرايات والفتن |
| ٤٤٧ | الرايات الصفرة |
| ٤٤٨ | راية المغرب |
| ٤٤٨ | كلب الجزيرة |
| ٤٤٨ | الرايات من بلدان مختلفة |
| ٤٤٩ | هدم مسجد برانا |
| ٤٥١ | أحداث الكوفة |
| ٤٥١ | إحصار الكوفة |
| ٤٥٢ | تخريق الروايا |
| ٤٥٣ | تعطيل المساجد |
| ٤٥٣ | رايات ثلاث |
| ٤٥٤ | قتل كثير |

| | |
|-----|--------------------------------|
| ٥٩٩ | فهرس المواضيع |
| ٤٥٦ | موت ذريع |
| ٤٥٧ | قتل النفس الزكية في ظهر الكوفة |
| ٤٥٧ | خروج الشيبباني |
| ٤٥٨ | عصابة رديئة |
| ٤٥٩ | هدم حائط مسجد الكوفة |
| ٤٥٩ | خراب الكوفة |
| ٤٦٠ | بشق الفرات |
| ٤٦٣ | أحداث البصرة |
| ٤٦٤ | المعركة بين البصرة والأبلة |
| ٤٧٣ | خراب البصرة |
| ٤٧٩ | الحسف والقذف والمسح |
| ٤٨٠ | السفياني والبصرة |
| ٤٨١ | الدجال والبصرة |
| ٤٨٢ | غرق البصرة |
| ٤٨٥ | أحداث الحجاز |
| ٤٨٥ | حدث بين الحرمين |
| ٤٧٨ | نار الحجاز |
| ٤٩٠ | موت خليفة (عبد الله) |
| ٤٩٣ | ملحمة منى |
| ٤٩٤ | معركة الطائف |

٦٠٠ العدد التنازلي في علائم ظهور المهني

- ٤٩٩ أحداث الشام
- ٤٩٩ الصوت من ناحية دمشق
- ٥٠١ اختلاف أهل الشام
- ٥٠٨ الرايات السود بالشام
- ٥١٣ الرايات الصفراء بالشام
- ٥٢٠ حرب مصر والشام
- ٥٢٠ رجفة بالشام
- ٥٢١ خسف الجابية
- ٥٢١ خسف حرستا
- ٥٢٣ انتقال الأختيار إلى الشام
- ٥٢٣ خراب الشام
- ٥٢٤ كنز الفرات
- ٥٢٧ تحرير فلسطين
- ٥٣٣ أحداث إيران
- ٥٣٤ القتل في الري
- ٥٣٦ هروب أهل الري
- ٥٣٧ وقعة صيلمانية
- ٥٣٩ خراب الري
- ٥٣٩ حرب شيعة علي
- ٥٤١ القائم بخراسان وجيلان

| | |
|-----|--------------------------------|
| ٦٠١ | فهرس المواضيع |
| ٥٤٢ | الزنديق بقزوين |
| ٥٤٤ | انتقال مركز العلم إلى قم |
| ٥٤٥ | رجل من أهل قم |
| ٥٤٦ | قم مأمّن الإيرانيين |
| ٥٤٧ | دخول الحسيني مدينة قم |
| ٥٤٨ | هلاك الشباب |
| ٥٤٨ | ظهور الماء |
| ٥٤٩ | الدجل |
| ٥٥٧ | العلامات الأخلاقية |
| ٥٦٩ | فهرس المصادر |
| ٥٨٩ | فهرس الكتاب |



Mawsouat Al-rasool

Al-Mostafa

(20)

Address in Lebanon:

P.O.Box 25/138

Al-Ghobairi -Beirut

Address in Iran:

P.O. Box 91375/4436

Mashhad

Fax:(0098-511) 222 2483

Email: almawsouah@yahoo.com

Website: www.almawsouah.org

Published in Lebanon by:

Dar Al-Athar

Shahrur building - Dakkash St. Bir Al-Abed - Beirut - Lebanon

Tel: (00 961-1) 270574 - (00 961-3) 349237

Published in Iran by:

1- Jarf Publisher

Enqelab St. Fakhre Razi St. #111 - Tehran – Iran

Tel:(0098-21) 640 1727 - P.O. Box: 13445-533

2- Al-Ansar Publisher

Enqelab St. Sajjadyeh Int. 34th Alley - #16 - Qom - Iran

Tel:(0098-251) 775 1120 - P.O. Box: 37155/144

All rights reserved

Copyright © by: Dar Al-Athar

First print: Beirut 1425 – 2004

Second print: Qom 1425 – 2004



MAWSOUAT AL-RASOOL AL-MOSTAFA

**A highly informative encyclopedia
of Prophet Mohammad's life
Administered by: Mohsen Ahmad Al-Khatami**

**COUNT DOWN OF THE SINGS OF
APPEARANCE OF MAHDI (A.S.)
“ The final successors of Prophet Mohammad “**

By: Abbas Tabrizian